آية الله السيد محمد تقي المدرسي

التشريع الإسلامي

مناهجه ومقاصده

الجزء الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء محمد وآله الهداة المعصومين.

وبعد:

لايسعني وانا اقدم الجزء الثامن من موسوعة التشريع الاسلامي الى القراء الكرام، إلاّ ان اشكر الرب سبحانه على توفيقه على متابعة التأليف، بالرغم من الظروف المعاكسة، ومن ابرزها الوهن الذي يصيب عادة المؤلفين للموسوعات من طول الانتظار لاتمامها. فها انا داخل في العشرة الثانية من سنوات التأليف، ولازلت في منتصف الطريق. فهل يا ترى يحالفني التوفيق لبلوغ المنى؟ انما بالثقة بالله والاستعانة به بدأت، وبهما استمر وارجو ان ينجز المشروع بفضله ومنه.

ثم اشكر الاخوة والأخوات الذين بذلوا الجهد في سبيل انهاء هذا الجزء، وبالذات ممن احظى بتعاونهم في مكتبي بطهران، ايدهم الله وسدّد خطاهم.

والله اسأل ان يغفر لي ما بدر مني من فكرة غير ناضجة، او استلهام غير صحيح من آية كريمة او حديث شريف، وأسأله ان يسددني فيما يأتي بفضله.

وقد اضفت في هذا الجزء تمهيداً يجمع اطراف الفصول المذكورة في الكتاب، لعل القارئ يتلقى من خلاله صورة متكاملة لبصائره، كما واني تابعت في هذا الجزء ايضاً منهج الاستنباط الفقهي من سائر القيم.

وبالرغم من عدم الافاضة في هذا المنهج رعاية لطبيعة الكتاب، إلاّ ان ذلك قد يمهّد السبيل الى انتشار منهج التنظيم القيمي لمسائل الفقه؛ بمعنى استلهام قيمة ايمانية من النصوص الصحيحة والصريحة، وجعلها محوراً لاستنباط الفروع.

ولعل هذا أحد مصاديق ما امرنا به الأئمة عليهم السلام بالتفريع من الأصول التي القيت علينا من قبلهم.

وأسأل العلي القدير ان يوفق الدارسين للفقه، لاتباع هذا المنهج اكثر فأكثر، وأسأله سبحانه ان يتقبل منا هذا القليل ويجعله ذخراً ليوم الحسرة، إنه نعم المجيب.

محمد تقي المدرسي

٢٢/ صفر الخير / ١٤٢٠ هـ

طهران

الفـلاح (٢)
شرائـع الايمـان (١)

حيــاة الانســان

^^تمهيد

٨٨٨ **كلمات بعضها من بعض** (١)

الحياة الطيبة هي البشرى التي يبشر بها الله سبحانه عباده الصالحين، فيقول: **{ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}** ويقول تعالى: **{ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَـأَبٍ}** (الرعد/٢٩)

وهي الحياة الحسنة التي يدعو بها المؤمنين ربهم. قال الله سبحانه: **{ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }** (البقرة/٢٠١)

فما هي الشرائع الالهية التي تحقق هذه الحياة الطيبة؟ انها كلمة طيبة، تتفرع منها كلمات بعضها من بعض. فالسلام واحدة من تلك الكلمات.

السلام تعبير عن تلك السكينة الايمانية المباركة الطيبة، التي تسود علاقة المؤمنين بالله سبحانه (ايماناً وتسليما)، وبالملائكة والرسل والصالحين. فلا حمية ولاضغينة ولا عداء، وحتى عند سماع اللغو يترك المؤمنون الجاهلين بسلام الوداع.

وقلب المؤمن يعمر بالسلام، ولسانه يلهج بالسلام، وتحيته عند ذكر الانبياء وعند لقاءه اخوانه السلام، وعند دخول الدور وفي الجنة.

وهكذا نستوحي من هذه البصائر؛ ان السلام مثل أعلى للحياة، والطوبى التي يسعى اليها المؤمنون ويدعون ربهم تحقيقها. وهي كلمة عليا، وصبغة البركة والرقي، والكرامة والطيب.. وهذه الكلمة المثلى تتصل بكلمة الأمن الذي من دونه لن يتحقق السلام، وبقيمة الحق الذي ينظم علاقات البشر ببعضهم وبسائر ما خلق الله..

---

(١) ندرج في هذه الموسوعة على التعبير عن الغايات المثلى بالقيم، فنقول مثلاً؛ قيمة الايمان، قيمة الحق، قيمة السلام. ويبدو ان المنطق القرآني يعبر عن القيم بالكلمات، مثل كلمة التقوى.. فمن اجل الاستفادة من هذا التعبير ايضاً، ترانا نعبر فيما يلي عن القيم بالكلمات.

ولا سلام ولا أمن ولا حق من دون العدل (وهو ايتاء الحق لأهله). فالعدل إذاً غاية مثلى للحياة الطوبى.

ومن السلام والأمن والحق والعدل، احترام النفس البشرية (الا تزهق بغير حق).

ولابد من حرمة النفس من حصن يحافظ عليها، ومن انظمة تحيط بها وتوفر لها الأمن (القصاص)، ومن احساس بالمسؤولية (الحفظ).

وإذا توفر الأمن، فلابد من يوفر وسائل الحياة من رزق كريم (الطعام والشراب)، ومن سكن مناسب، ومن صحة وتعليم.

وفي حدود المدنية المؤمنة يتعاون الناس بعضهم مع بعض، في اطر حضارية وأخرى فطرية. ففي الاطار الحضاري تجد التلاحم بين المؤمنين، حتى وكأنهم اعضاء جسد واحد. واما في الاطار الفطري، فان الاسرة هي المؤسسة الاولى التي تشد الآصرة الطبيعية التي يباركها الشرع وينظمها. ومن الاسرة البنين، وتتوسع هذه العلاقة الى ان تشمل الاسرة الكبيرة ضمن قيمة صلة الرحم.

وهكذا تتماوج كلمات النور من ينبوع السلام والحق والعدل، فتترامى حتى تضئ رحاب المدنية المؤمنة، والمدينة المثلى. وفيما يلي نستعرض هذه الكلمات واحدة واحدة، بالنظر الى ترابطها واتصالها ببعضها، لنرى كيف انها تشكل معاً روح التشريع الاسلامي التي لو تبصرها الفقيه حقاً تيسر له استخراج الاحكام الشرعية، خصوصاً في القضايا المستجدة، والله المستعان.

٨٨٨٨ ١/ كلمة السلام

السلام صبغة الحق التي تستهوي النفوس، ولذلك قدمناها في هذا الكتاب. والسلام هو الهدف الذي تنشده الافئدة، بينما كلمة الحق هي روح السلام وحقيقته.

٨٨٨٨ ٢/ كلمة الحق (الحكم بالحق)

الحق هو الهدف الاسمى وهو محور الايمان، فمن اسلم نفسه للدين آمن بالحق (أنى كان وفيم تمثل). والحكم بالحق، سواء في مستوى التشريع او على صعيد

القضاء، هو هدف رسالات الله. والميزان هو ذلك الذي يستعين به الناس لمعرفة الحق، وفي الحديد بأس شديد من اجل اقامة الحق. وانما يحكم النبيون عليهم السلام بالحق، والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله الحق، ومن لم يحكم بالكتاب فهو كافراً او ظالم او فاسق، (بل تتمثل فيه هذه الصفات جميعا).

ولأن الله يحكم بالحق ويفصل به، فإنه لا حكم إلاّ حكمه، ولا يجوز التسليم إلا له، وبالتوكل عليه يستقيم المؤمنون. ومن شواهد الحكم الحق الذي يفصله ربنا؛ قضاؤه على الظالمين بالهلاك في الدنيا، فلا ولي من دونه، ولا يشرك في حكمه احداً.

وقد انزل الله حكمه الحق في كتابه الفصل؛ انزله مفصلاً، فكيف نتخذ من دونه حكماً؟ وعلى الناس ان اختلفوا في شيء، ان يردوه الى الله (عبر رسوله وكتابه)، والمؤمنون (يفوّضون امورهم الى الله و) يدعون ربهم ان يحكم بينهم (وبين اعداءهم) بالحق وهو خير الفاصلين.

والمؤمنون يسلّمون لأمر الله سبحانه، وإذا قضى الله ورسوله امراً ما كان لهم الخيرة من امرهم، ولا يجدون في انفسهم حرجاً مما قضى، ويسلّمون له تسليما.

والتسليم للرسول (ثم للائمة من بعده)، لانه يحكم بالحق حيث قضى الله عليه ان يحكم بينهم بما أمر الله.

وهكذا لا يجوز التحاكم الى الطاغوت، ولا يجوز ان يدعو من انزل عليه الكتاب الى نفسه، بل الى الله سبحانه، لانهم يعلّمون الكتاب ويدرسونه (فكيف يدعون الى أنفسهم).

والجاهلية تحكم بالباطل (والطغاة مثل للحكم الجاهلي)، كما وأدوا البنات وقتلوا الاولاد، واعطوا المال للشركاء من دونه، وساووا بين المجرمين والمتقين. (بينما الدين يحكم بالحق و) مثل ذلك اداء الامانة والاحتكام الى ذوي عدل.

٨٨٨٨ ٣/ كلمة العدل (وقيمته المثلى)

وتعني الاستواء (واعطاء كل ذي حق حقه)، كالعدل بين الزوجين والامر بالعدل هو الامر بالصواب.

وهكذا تضحى كلمة العدل مصداقاً لكلمة الحق، وتجلياً لها، وميراثاً للايمان بها. وتقابلها الفحشاء (لانها التطرف والانحراف الظاهر عن مسير الحق)، كما يقابلها المنكر (لانه ظلم وانحراف عن الحق ولو كان يسيراً)، ويقابلها البغي (لانه تعدِ على حقوق الاخرين).

ومن الحق والعدل كلمة القسط، ومعناها ايتاء الناس حقوقهم (بلا ظلم ولا بغي)، والله يحب المقسطين (الذين يعطون حقوق الناس ولا يبخسونهم اشياءهم).

وحتى الكفار (غير المحاربين) لا يمنع الله من الاقساط اليهم. وأسباب (تطبيق العدل وإقامة الحق و) القسط هي التالية:

أ- بعثة الرسل.

ب- انزال الكتاب وفيه شرائع الحكم.

ج- انزال (ووضع) الميزان (واصدق مظاهره إمام يحكم بين الناس بالقسط).

د- انزال الحديد (فيه قوة وبأس لمواجهة العتاة والبغاة).

هـ - (تحمل المجاهدين) نصرة الله ورسله (بالحديد).

ومن أمثلة مظاهر إقامة القسط ما يلي:

أ- الوزن بالقسطاس المستقيم، وألاّ يخسر الميزان، وألاّ يطفف في المكيال، وان يكتب كاتب بالعدل (فلا ينقص من كتابته شيئاً ولا يغش).

ب- ان يُدعى الولد لأبيه، فهو اقسط عند الله.

ج- وان يشهد بالحق، ولا يكتم الشهادة به.

٨٨٨٨ ٤/ كلمة الأمن

الامن (من قيم الإيمان وغاية شائقة ينشدها كل انسان، وهو) ميراث الحق والعدل والقسط، (وهو من تجليات السلام).

والايمان يحقق الأمن بما يلي:

الف: الايمان بالله القوي العزيز يجعلك في أمن من خشية الناس، فتتحدى الطاغية، وتتحصن ضد الجبت ووساوس الشيطان ومخاوف الأرواح الشريرة.

باء: وبالإيمان يتوكل المؤمن على ربه، فلا يخش عوادي الطبيعة، ويتحدى الاخطار (بعزم راسخ، ويسخّر ما في الارض لمصلحته).

جيم: وبالإيمان يأمن المؤمن من المستقبل، فلا يخش الموت وما بعده، (انما الموت عنده قنطرة تحمله الى رضوان الله ورحمته).

دال: وبالإيمان يسلم الناس من بعضهم البعض، وكل يحترم حق غيره، فيكونون في أمن من ظلم بعضهم.

هاء: والإيمان يورث التقوى، والتقوى حصن حصين تردع المؤمن من اقتحام الفواحش والخطايا وحرمات الناس، فيكون في أمن من عواقبها الخطيرة.

وهكذا يوفر الإيمان الأمن، ويزرع في النفوس شتائل السلام والسكينة والرضا والتفويض، ويقتلع جذور البغي والعدوان منها (ويطهرها من رجز الشيطان)، وترى **{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الاَرضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً}.**

واو: ويبرّد المؤمن ألم الخوف من القيامة عن نفسه بالضراعة الى الله، فيعيش يذكر الله قلبه.

زاء: والأمن المعاشي يوفره الدين للمؤمن بالاقتصاد في المعيشة، فلا قتر ولا سرف، (وبالنشاط في اكتساب الحلال وبالتعاون وبالرحمة الإلهية).

حاء: ويوفر احكام الدين الأمن، حيث يحُرّم الاسلام على الناس دماءهم واعراضهم واموالهم، فلا قتل ولا زنا ولا شهادة زور.

طاء: ويوفر الدين الأمن، حتى في عمر الناس، بترك اللغو والاستجابة للكلمة الصادقة.

ياء: ولا تدعو القرابة المؤمن الى تضييع حق زوجته واولاده، بل يريدهم في أحسن حال حتى يكونون قرة عينه.

كـاف: والشـرك مصـدر الخطـر الاكبـر (لأنـه سـبب نقمـات الـرب وسـطواته)، والمؤمن في أمن من اخطار الشرك. وهكذا ترى الذين قالوا: **{رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا}.**

والمؤمن يحذر من مكر الله، ويتحصن بالدعاء اليه والتقوى، (بينما الكافر لا أمان له).

لام: ومن تجليات الأمن الإيماني (الملاذ الأمن، حيث جعل الله) الحرم أمناً (جغرافياً)، والاشهر الحرم أمناً (في البعد الزماني).

ميم: والله هو المؤمن السلام، فمن اتبع رضوانه هداه الى سبل السلام، (وآمنه من الاخطار المادية).

نون: وقد يوفر الله الأمن من الطبيعة بصورة غيبية. فإذا بالنار تصبح برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، وإذا بسفينة نوح عليه السلام تحمل المؤمنين وتنجيهم من الغرق، وينّجي بني اسرائيل من كيد فرعون، وهكذا..

عين: ومن اعظم تجليات الأمن الإلهي ان نفوس المؤمنين تطمئن الى ذكر الله، وتعمر بسكينة الإيمان، وببرد اليقين وبروح الرضا، وتستمر هذه النعمة الى يوم القيامة، حيث يؤمن الله سبحانه المؤمنين من الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة بالسلام ويدخلونهم الجنة آمنين.

هذه جملة من أسباب الأمن، وفي البصائر التالية نتلوا كلمات اخرى فيها تفصيل هذه الاسباب، التي تحقق كلمة الأمن كما تحقق كلمات السلام والحق والعدل.

٨٨٨٨ ٥/ البراءة

أ- لكل انسان حرمته وأمنه القانوني، ويعتبر بريئاً حتى تثبت ادانته. والبراءة حق كل الناس**{وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}.**

ب- ولان التشريع الاسلامي يتسم بالرحمة والحكمة، فإنه لا يدين الجاهل والناسي والخاطئ والمضطر والعاجز.

ج- وإن فاعل الجريمة وحده يتحمل وزر ما كسبت يداه، ولا يجوز معاقبة المجموع بفعل فرد منهم حتى ولو كانوا اقاربه.

د- وللجريمة اركانها التي من دونها لا يدان احد بها، مثل عدم مشروعية الفعل وتحقق الفعل (في الخارج) وسببية الفاعل وحرية ارادته.

هـ- وهكذا يتوافر الأمن لكل فرد من ملاحقة القانون، الا بعد توافر شروط الادانة بصورة قطعية، وبذلك يتحقق مجتمع السلام والحق والعدل.

٨٨٨٨ ٦/ حرمة النفس

وقد حرم الله النفس البشرية، وأحاط الحياة بسور منيع من التشريعات الجدية، منها:

أ- استفضاع القتل، حيث كتب الله بأنه من قتل نفساً بغير حق (قصاص او فساد)، فكأنما قتل الناس جميعاً، وجزاءه جهنم خالداً فيها.

ب- البحث عن العوامل النفسية التي تطوّع القتل (كالحسد)، كما بين الكتاب في قصة جريمة قتل قابيل لأخيه هابيل.

ج- تشريع اقصى العقوبات ضد من يرتكب جريمة القتل (القصاص).

د- كذلك جزاء من يخل بالأمن ويسعى في الأرض فساداً، جزاؤه القتل.

هـ - لقد سوّل الشيطان واولياؤه للمشركين قتل أولادهم، ولقد حرّم الله ذلك وسفّه فاعليه.

و- وربما قتل الناس اولادهم خشية الاملاق، فبيّن الله انه هو الرزاق، فلماذا يقتلون اولادهم؟

ز- ومنهم من قتل ابنته خشية العار، فانذره الرب باليوم الذي تسأل الموؤودة باي ذنب قتلت.

ح- واخذ الله ميثاق بني اسرائيل ألاّ يقتلوا انفسهم. (وهكذا الميثاق الاجتماعي، لابد ان يتضمن هذا البند العام).

ط- وعلى ابناء المجتمع ان يشاركوا في بسط راية الأمن بالكشف عن المجرمين.

هذه وغيرها من التعاليم والوصايا والاحكام، تساهم في إشاعة الأمن في المجتمع، وتحقق كلمة السلام والحق والعدل باذن الله تعالى.

٨٨٨٨ ٧/ القصاص

أ- من اجل المحافظة على الحياة، وتوفير السلام والأمن، شرع الدين القصاص.

ب- ولا يقتل بالمقتول غير قاتله. فلا يجوز لصاحب الدم الاسراف في القتل، ولكن يجوز له العفو او القبول بالدية.

ج- وكما حرمة النفس، كذلك حرمة الاعضاء، فإن الجروح قصاص. (وبذلك شرع الدين ضمانة عدم الاعتداء عليها).

د- وكذلك الحرمات قصاص. فمن انتهكت حرمته، اقتص حسب القانون بقدرها.

هـ - وكما للافراد كذلك في الامم، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى.

وبذلك وفر التشريع الاسلامي حصانة لحرمات الناس وحقوقهم بالقصاص.

٨٨٨٨ ٨/ الحصانة

ومن اجل المحافظة على حرمات المجتمع (حرمة النفس والعرض والمال)، ذكّر الدين بقيمة الحصانة في ابعاد شتى:

اولاً: لابد من تحصين المجتمع من الشهوات العارمة، التي تهدد أمن الناس بصورة مباشرة، او غير مباشرة، وذلك عبر ما يلي:

أ- تربية النساء على التقوى (يحصن فروجهن).

ب- تربية الرجال على مثل ذلك.

ج- إشاعة سنة الزواج الدائم او الموقت.

د- صيانة شرف المجتمع من التهم الجنسية.

هـ - تحريم اكراه الفتيات على البغاء.

و- منع السفاح واتخاذ الاخدان، والتشديد ضد الشذوذ الجنسي (وكل ما يؤدي الى الفحشاء من التبرج و..).

ز- تحصين البيوت من دخول الاجانب (الا بعد الاستيناس والسلام)، وتحصين الغرف من دخول غير المحارم (الا بعد الاذن).

ثانياً: ولصيان المال والنفس، بما يلي:

أ- وقاية البيوت والمساكن بالحرمة، لكي لا تقتحم، وانما تؤتى من ابوابها بعد الاذن.

ب- جواز الدفاع الشرعي عن النفس والمال والعرض (وعن اقتحام البيوت)، حتى ولو ادى ذلك الى فقأ عين المتلصص ودرء خطر المهاجم، ولو ادى الى قتله. أما اذا ادى الى موت المدافع فهو شهيد.

ثالثاً: لصيان الطعام (بوضعه في سنبله) لأيام الحاجة. (وهكذا لصيان الرزق العام في مثل الصوامع لتوفير الأمن الغذائي).

٨٨٨٨ ٩/ الحفظ

أ- وكما كلمة الحصانة كذلك كلمة الحفظ، فانها قيمة مساعدة توفر وسيلة السلام والأمن. (وكل انسان مسؤول عن حفظ حرماته التي استحفظ عليها).

ب- فالعلماء استحفظوا على كتاب الله، والملوك على خزائن الأرض، والناس إيمانهم، والنساء حقوق ازواجهن، والمؤمنون والمؤمنات الفروج الا على ما احل الله لهم.

٨٨٨٨ ١٠/ الطعام والشراب

أ- السلام هدف سام للمجتمع الاسلامي، وتوفير الرزق الكريم من ابرز دعائمه، والذي يعتمد على الطعام والشراب والسكن والصحة والتعليم.

ب- الرزق نعمة تهدينا الى عبادة الله وتدلنا على انه غني حميد سبحانه، وعلينا شكر الله عليه (بعبادته)، وقد نكف عنه موقتا (بالصوم) تعبداً له وطاعة.

ج- واطعام الطعام (وسقاية الشراب) عبادة، يتقرب بها العباد الى ربهم (مثل الاضحية والكفارات)، وعند الحاجة الى الطعام يكون الانفاق على حبه ايثاراً (وثواب عظيم)، وكذلك عند المجاعة.

د- وتلك رذيلة الكف عن الاطعام او عن الحض على اطعام المسكين.

هـ- وكل الطعام حل الا ما حرم الله (كالميتة ولحم الخنزير).

و- وعلى الانسان ان ينظر الى طعامه (ليعتبر وليشكر وليختار أطيبه) وينبغي ان يختار ازكاه، وان يأكل ويشرب ولا يسرف، ولا جناح على المؤمن فيما يطعم اذا اتقى واصلح واحسن (فأصبح طعامه وقوداً للعمل الصالح).

٨٨٨٨ ١١/ دار السلام

من اجل توفير سبل السلام والحق والعدل، وتحقيق مثل التسامي والخير (مثل السعي والاجتهاد والتربية الفاضلة والتعاون والاستباق الى الخير)، فإن سنن الله وشرائعه تدعو الناس الى اتخاذ دار السلام التي تتمثل في البيت والبلد والمدينة والمدنية. وفيما يأتي نستعرض ابعاد كل واحد منها. ومن المعروف ان البيت هو محل اقامة الاسرة، والبلد مجمع القرى، والقرية مجمع البيوت (ولعل المدينة اوسع من البلد، والمُدنية هي المُثل المنسوبة اليها).

اولاً: البيت الاسلامي. وفي البيت حكم بالغة، ابرزها:

أ- انه حصن الحرمات (حرمة النفس والعرض والمال)، كما اسلفنا الحديث. (فلابد من توفير ما يحصنه من سور وباب وحريم).

ب- انه محل ساتر للأسرار ويحافظ على السوءات، والناس ينفردون بأسرتهم فيه، كما قد يجدون فيه كهفاً للاختلاء بأنفسهم.

ج- في البيت حماية الاخلاق وتطهيرها من الوساوس والثقافات الدخيلة والعادات السيئة.

د- يتبتل المرء في أرجائه الى ربه وذكره وعبادته.

هـ- يتعارف اعضاء الاسرة ببعضهم اكثر فأكثر ويتكافلون ويتعاونون.

و- يتعلم اعضاء الاسرة في أجوائه، ويتبادلون الخبرات والاخبار، ويتربى الجيل الناشئ على ثقافة اباءه وحاجات مجتمعه.

ثانياً: البلد. وخير البلاد ما كانت إطاراً للمثل العليا والقيم الحضارية، وهي:

أ- السلام والحق والعدل والأمن.

ب- نظام صائب وثابت ومستقر وإمام عادل.

ج- توفير الثمرات (المنتجات الضرورية).

د- وابرزها الايمان والتقوى ومكارم الاخلاق.

ثالثاً: الدار (الوطن). ودار المجتمع هي مركز تجمع البلاد، والوطن المختار لهم، وقد يكون اقليماً او دولة او أمارة (حسب الحاجات المتغيرة).

ودار الاسلام ذات حدود جغرافية، يحكمها امام ونظام، (ويتبادل اهلها الثمرات والخيرات، ويتقاسمون افراح الحياة ويتعاونون ضد اتراحها).

رابعاً: المدنية الايمانية. والحديث عن المدنية الاسلامية، يوجز في عدة نقاط:

١/ تتميز المدنية الاسلامية بالصفات التالية:

أ- بالتوحيد الخالص عن شوائب الشرك بالجبت والطاغوت؛ فلا طبقية، ولا عنصرية، ولا قومية طاغية، ولا استسلام للاستكبار انى كان نمطه، ولا ملك عضوض، ولا حكم الا لله وللأئمة الهداة من عباده الصالحين.

ب- تتمحور المدنية الاسلامية حول بيت الله، فهو جامع وجامعة ومجتمع.

ج- وهي مدنية طاهرة من الفواحش، ما ظهر منها وما بطن؛ فلا ربا ولا زنا ولا شذوذ ولا تبرج كالذي في الجاهلية الاولى، ولا فحش ولا سباب ولا غيبة وتهمة ونميمة، ولا أي من الفواحش الظاهرة، ولا حقد ولا حسد ولا كبر ولا غرور ولا حمية ولا فخر الا بمكارم الاخلاق..

د- وهي مدنية الطهر من كل نجس او رجس؛ فلا خمر ولا ميسر ولا لحم خنزير ولا ميتة وما اشبه، ولا شيء مما يضر بصحة الناس.

هـ- وتتسم المدنية الاسلامية بالطهر الاقتصادي؛ فلا غش ولا تطفيف ولا احتكار ولا حرمان.

٢/ المدنية الاسلامية ركيزتان؛ الصلاة والثمرات.

أ- فاقامة الصلاة تصبغ الحياة فيها بصبغة الله. أوليست الصلاة صلة العبد بالرب؟ وتنتظم سائر صلات الناس (ببعضهم؛ بالطبيعة؛ بالاجيال التي سبقت او التي تلحق، تنتظم كلها) عبر صلته مع ربه.

ب- اما الوفرة في الثمرات (المنتجات)، فلأن النظام الثقافي والسياسي والاقتصادي السليم يجعل الانتاج الداخلي وفير، كما يشجع سائر الامم على التعامل مع المسلمين بصفتهم الشريك الامثل.

٣/ ليست المدنية الاسلامية عدوانية؛ فأنى بلغت قوتها وهيبتها ووزنها السياسي والاقتصادي،

فانها لا تشغل كل ذلك في الاستكبار على الناس والبغي عليهم، بل الى نشر لواء العدل والدفاع عن المستضعفين وشكر الله على نعمائه، وذلك باشراك سائر الناس فيها، ومساعدة المحرومين منهم، ونشر العلم والفضيلة في العالم.

٤/ ومحور المدنية الاسلامية الامام العادل، الذي يغفر الله به للمسلمين ذنوبهم.

٥/ على المدنية الاسلامية تجنب كل انواع الظلم، لان الظلم يأتي على الحضارات (كما العاصفة تهب على الهشيم)؛ سواءاً كان ظلم الذات كالفواحش، وهكذا بادت حضارة قوم لوط واصحاب الأيكة. او البغي على الناس، كما بادت حضارة عاد قوم هود.

٨٨٨٨ ١٢/ الصحة

أ- لا يتحقق السلام من دون توفير الصحة العامة للمجتمع، وهي قيمة سامية تسعى شرائع الدين لتحقيق المزيد منها.

ب- وعموماً الاسلام دعوة الله للانسان بالحياة الحسنة في الدنيا والحياة الطيبة، بل طوبى الحياة (وهي تتحقق بالعافية التي بها تحلو الحياة وتهنأ).

ج- وتجنب الرجز والنجس والتماس الطهر من عوامل العافية، والاسلام يأمر بكل ذلك عبر الطهارات وتحريم الخبائث وكل نجس.

د- ومن عوامل الصحة؛ القصد في الطعام والشراب دون سرف، والبحث عن الطيبات واختيار ازكى الطعام، وتجنب ما حرم من الخبائث والدم والميتة ولحم الخنزير.

هـ- ومن عوامل الصحة جملة فرائض الدين؛ كالصلاة والصيام والحج والتهجد بالليل والوصايا الاخلاقية التي تورث السكينة والعافية.

^^^^ ١٣/ التعليم

أ- من اجل تسامي البشر وتكامله المعنوي والمادي، لابد من اشاعة التعليم.

ب- والدعوة الى الله ورسالاته والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعض ابعاد التعليم.

ج- وعلى الناس جميعاً واجب التعليم، الا ان الانبياء هم القدوة في التعليم، ومن بعدهم الائمة والعلماء.

د- ولقد نهى ربنا سبحانه حملة الكتاب من كتمانه.

هـ- وعلى الاباء والارحام ان يهتموا بتعليم الناشئة. وفي بعض المراحل يكون التعليم واجباً عليهم، اذا كان من النفقة الضرورية عرفاً.

و- وعلى الدولة الاسلامية ان توفر للناس فرص التعليم، وبالذات فيما يتوقف عليه شؤون الدين او الدنيا.

^^^^ ١٤/ العلاقات الاجتماعية (الاخوة الايمانية)

أ- انما في محيط المجتمع المؤمن، تتحقق قيم السلام والحق والعدل والأمن والرزق الكريم. ولتحقيق هذا المحيط، لابد من تمتين العلاقة بين المؤمنين لتبلغ مستوى الاخوة.

ب- وانما بالاعتصام بحبل الله، متمثلا في كتابه ورسوله وبالدفاع عن بعضهم والتعاون فيما بينهم على البر والتقوى، تتحقق هذه الاخوة.

ج- والمؤمنون اخوة؛ فلا تمييز بينهم، ولا يسخرون من بعضهم، ولا يسيؤن بأنفسهم الظن، ولا يتجسسون على بعضهم، ولا يغتابون.

د- وتراهم يحبون من هاجر اليهم، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة، ويستغفرون لمن سبق منهم الى الايمان، ويدعون ربهم ألاّ يجعل في قلوبهم غلاً للذين آمنوا.

هـ- وهم يسعون لاصلاح ذات بينهم، ويدافعون عن مظلومهم ضد الفئة الباغية.

١٥/ القيمومة (الولاية)

أ- من اجل تحقق مثل الخير، لابد من رجال قوامون بها. وقوّام المجتمع، العقل والدين والمال والكتاب والميزان والسلاح. والرجال الذين يتولون هذه الشؤون، هم القوامون.

ب- والقسط هو الهدف، والشهادة بالحق وسيلة، والمؤمنون جميعاً مسؤولون ليكونوا قوامين بالقسط، قوامون بالشهادة لله.

ج- والانبياء والائمة ثم العلماء والمجاهدون، هم اولى الناس بالقيام لله لإقامة القسط.

د- والقوام في البيت هو الرجل. فهو اكثر كلمة ونشاطاً، كما انه ينفق من امواله.

١٦/ البنين

أ- الولاية الالهية التي تحيط بالتجمع الايماني، تشكل آصرة معنوية تشد اعضاءه ببعضهم شداً. وفي ظل هذه الولاية تتشكل المؤسسات الفطرية، التي امر بها الله سبحانه؛ كالاسرة وقد سبق الحديث عن جانب من علاقة اعضاء الاسرة ببعضهم (الزوجين) وبقي جانب البنين.

ب- البنون زينة الحياة الدنيا، وينبغي ان نجعلهم من الباقيات الصالحات للاخرة.

ج- وعلينا ألاّ نفتتن بهم ولا نطغى، ونتحمل مسؤوليتهم بالانفاق والتربية والتعليم، وبالدفاع عنهم (حتى الشهادة دونهم او خوض غمار الحروب من اجلهم)، كما ندعو الله سبحانه باصلاحهم.

د- ولكن لا يجوز ان نقدم حب البنين على حب الله ورسوله وجهاد في سبيله.

هـ- وبكلمة؛ علاقتنا بالبنين تسودها قيم الحق ومثل السلام وكلمات التكافل واصول التعاون والرقي.

٨٨٨٨ ١٧/ صلة الارحام

أ- وفي ظل الولاية الالهية تتواصل عرى المجتمع المؤمن، وتكوّن بيئة مناسبة لتنامي مثل الخير (كالسلام والحق والعدل).

ب- وهكذا امر الله سبحانه بصلة الارحام، ومن مصاديقها ايتاء حقهم والاحسان اليهم.

ج- وصلة الرحم تعمّر البلاد وتنمّي الثروة وتنسئ في الآجال، وهي من أهم ركائز المدنية الاسلامية.

د- وفي محيط الاسرة والعشيرة، ينشط المؤمن بالدعوة الى الله، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتربية والتعليم والتشاور وتبادل الخيرات.

هـ- وفي إطار العلاقة الاسرية، يتم التعاون والتكافل والتراحم والتواد.

الباب الأول

٨الأمـن

-

٨٨الأمـن

الأمن ميراث الايمان، وأعظم تجلياته في الدنيا صيانة النفس والمال والعرض، فلا يجوز قتل المسلم او اغتصاب حقه او الانتقاص من شخصيته. وقد ارسى الاسلام قواعد الأمن على اساس راسخ من الايمان بالله، فجعل التوحيد النقي محور الأمن. كيف؟

لان الايمان بالله ورفض الشركاء يجعل الانسان في حصن من الخوف وفقدان الشخصية أمام الجبت والطاغوت، او أمام الجن والارواح الشريرة، او أمام قوى الطبيعة (الشمس والقمر والنجم).

ان الأمن في الاسلام يبدأ في النفس بتطهير الفؤاد من الخوف من غير الله، ثم التوكل على الله لمواجهة كل الاخطار المحتملة.

ويتعالى بناؤه بالاحترام التام لحقوق الاخرين (دماءهم - اموالهم - شخصياتهم - وسائر حقوقهم). ويكتمل صرح الأمن بالرضا والتفويض، - وبالتالي - بتجاوز الخوف من الموت وانتظار دار السلام عند الله بشوق بالغ.

٨٨٨ معنى الأمن:

١/ الأمن يعني الاحساس بانعدام الخوف، وانما تعرف قيمة الأمن عند طرد الخوف، فإذا ذهب الخوف عرف الأمن، قال الله سبحانه: **{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا**

مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (النور/٥٥)

٢/ وقد يكون الأمن بعد الغم، حيث يفقد الانسان شيئاً؛ فإذا عوض او عرفت حكمته انزل الله عليه الأمنة. قال الله تعالى: **{ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً }** (آل عمران / ١٥٤)

٨٨٨بين التقوى والأمن:

الايمان بالله والثقة به والتوكل عليه، واتقاء عصيانه والحذر من عذابه والورع عن معاصيه.. كل اولئك عوامل الأمن والسكينة الرضا. وهكذا كانت التقوى مصدر الأمن. أوليست التقوى لباس، أوليست تحصن صاحبها من الوقوع في المهلكات؟ فمن يتقي المرض لا يصاب به.

وهناك اكثر من صعيد يمكن ان يبحث فيه التقوى كمصدر للأمن.

الف: باعتبار التقوى التمسك بكل احكام الدين، وهذا بالذات موضوع هذه الكلمة في العلاقة بين الايمان والأمن.

باء: التقوى بمعنى الورع عن جملة المحرمات التي تهدد الأمن (القتل، السرقة، التهمة، التجسس). وعلينا ان نراجع كل مفردات المحرمات الشرعية، لنستوعب هذا الاطار الواسع لمفهوم التقوى في الأمن. وهذا ما نجده في فصول الفلاح وما يخالفه من الكفر والشقاء.

جيم: الاشارة الى التقوى كحصن للأمن مع استعراض بعض الامثلة، وبالذات فيما يتصل بالمعنى الشائع للأمن، وهو النظام والاحساس بالسلام (في مقابل الخوف). وهذا ما نستوحيه هنا من آيات الأمن - انشاء الله تعالى -:

١/ الأمن من الخوف والحزن ميراث تقوى الله، (فمن تجاوز الحدود لا يأمن الهلكة). قال الله سبحانه: **{ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**

وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } (الاعراف / ٣٣)

وهكذا بين القرآن ابرز المحرمات التي تهدد أمن الانسان من الفواحش التي تسلب صحة البدن وسلامة الروح (ظاهرها وباطنها)، الى الاثم والبغي (الذي يقضي على السلام الاجتماعي)، والى الشرك (الذي يجعل الطغاة يتجبرون في الارض)، وفي النهاية القول بغير الحق (الذي يقضي على الأمن العلمي). ثم قال الله تعالى بعد آية كريمة: **{ يَا بَنِي ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ }** (الاعراف/٣٥)

وهكذا بين القرآن ان محتوى رسالات الله هي هذه المحرمات الاساسية الاربع، وان من اتقاها واصلح (عمل صالحاً)، فإنه لا يخاف من المستقبل ولا يحزن على الماضي.

٢/ والسلام (الأمن) شجرة اصلها ثابت في النفس، وفرعها في كل مكان. فهي:

الف: تزرع في النفس طمأنينة ورضا، فلا ترغب في التعرض بالاخرين والاعتداء عليهم، ولا تستجيب لتعرض الاخرين لها. قال الله تعالى: **{ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً }** (الفرقان/٦٣)

فمشيتهم (وطريقة حياتهم) ليست بحيث يعرضون ضدهم للناس، او يتحدون الاخرين ويثيرون عداواتهم. واذا فعل بهم احد ذلك وعرض لهم بالقول، لا يستفزهم ذلك بالاعتداء عليه، بل يقولون سلاما.

باء: وتستقي شجرة الأمن من صلتهم بالله سبحانه. فهم لا يأمنون مكره، ولذلك فهم يعبدونه ليل نهار، يتحذرون من طوارق الليل والنهار، ويستعينون به من غضب الطبيعة (الاخطار التي تحيط بالبشر). قال الله تعالى: **{ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً }** (الفرقان / ٦٤)

جيم: والخوف من المستقبل، وبالذات من الموت وما بعده، يشكل مصدر قلق كبير لكل انسان مما يفقده أمنه. والمتقون يستعينون بالله على ذلك، بالدعاء والضراعة. قال الله تعالى: { **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً** } (الفرقان/٦٥-٦٦)

دال: والأمن المعاشي ميراث القصد في الانفاق، فلا اسراف يقضي على الثروة، ولا اقتار يجهد المستهلك، بل كان صرفهم قواما بين ذلك (يقيم حياتهم وينظمها حسب الحاجة). قال الله سبحانه: { **وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً** } (الفرقان / ٦٧)

هاء: ومن مصادر الخطر والسلطات الجائرة، والقوى الاجتماعية المهيمنة التي تتجبر على الناس باسم الحمية العشائرية او الوطنية او القومية وما إليها من اسماء ما انزل الله بها سلطاناً، وهي التي يرفضها الربانيون بالتوحيد الخالص، حيث يقضون اولا على هذه الاوهام في نفوسهم ثم في مجتمعهم. قال الله تعالى: { **وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ** } (الفرقان / ٦٨)

واو: والأمن الاهم عند الناس حقن دماءهم، والذي يوفر حرمة القتل، حيث قال ربنا سبحانه: { **وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ اَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً** } (الفرقان / ٦٨ - ٦٩)

زاء: وأمن الكلمة (حرمة الكذب، وشهادة الزور، والاشتغال باللغو من القول).. كل ذلك يوفر للمجتمع الاحساس بالسلام، لان حقهم لا يضيع بالشهادة الباطلة، وتزوير الحقائق. وعباد الرحمن لا يشهدون الزور، ولا يشجعون على اللغو. قال الله تعالى: { **وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً** } (الفرقان / ٧٢)

حاء: ومن الأمن العلمي، الاستجابة للكلمة الصادقة وعدم ردها بأي عذر او تبرير. قال الله تعالى: { **وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً** } (الفرقان / ٧٣)

طاء: وأخيراً الأمن العائلي واشاعة السلام في البيت بعلاقات ايجابية، انه من ابعاد الأمن المعاشي الذي يوفره الدين، ويتطلع اليه عباد الرحمن، حيث يقول ربنا سبحانه: { **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً** } (الفرقان/٧٤)

٨٨٨ **الشرك مصدر الخوف:**

الشرك سبب رئيسي للخوف وانعدام الأمن، ورفض الشركاء يوفر الكثير من عوامل الأمن.

الف: لأن الله سبحانه هو المؤمن المهيمن، فمن اشرك به فقد الأمن، ومن وحّده ضمن الأمن والسلام. قال الله تعالى (عن لسان ابراهيم عليه السلام): {**وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللّهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ** } (الانعام / ٨١ - ٨٢)

ولعل الظلم هنا هو الشرك.

باء: لأن الطاغوت والجبت يسلبان أمن الانسان ويعتديان على حريته وحقوقه، والايمان بالله ومخالفة الشرك به يوفر الأمن. قال الله تعالى: { **فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَانفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** } (البقرة / ٢٥٦)

جيم: ولأن الشرك بالله نابع من الخوف من الطبيعة (عند الذين يعبدون الارواح والاوثان) أوالخوف من القوى الاجتماعية، ولا يتخلص من ذلك أحد إلاّ بالايمان بالله وحده. ومن امثلة ذلك مواجهة الانبياء والذين اتبعوهم للطغاة وانتصارهم

عليهم. قال الله تعالى: { **قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الاَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**} (الاعراف / ١٢٨)

دال: ولأن الشرك يدعو الانسان الى اشاعة الفساد، كقتل الاولاد. قال الله تعالى: **{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }** (الانعام / ١٣٧)

راء: وهكذا كان توحيد الله وحده ثم الاستقامة عليه سبباً للأمن، (فلا خوف عليهم ولا حزن). قال الله سبحانه: { **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }** (الاحقاف / ١٣)

٨٨٨ **الحذر من مكر الله:**

والحذر من مكر الله والثقة به والضراعة اليه يوفر الأمن. ذلك لأن حوادث الطبيعة التي تشكل خطرا على الانسان كثيرة، ولا يمكن التنبؤ بالكثير منها، ولا التحصن دونها، وانما بالضراعة الى الله يمكن دفعها. وهكذا يوفر الدعاء قدرا كبيرا من الأمن النفسي للبشر، (اذ يطرد الخوف من الطبيعة عن النفس). والمؤمن يبقى دائماً حذراً من مكر الله، وداعيا اليه ان يحفظه منها، بينما الكافر يأمن مكر الله (فيحيط به ولا يجد عنه محيصا).

١ / ان من يأمن مكر الله يخسر، (لانه لا قوة تجير البشر من مكر ربه. ولأن من لا يخش ربه، لا يحذره، فيقع في المهالك). قال الله سبحانه: { **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ }** (الاعراف / ٩٩)

٢ / ومكر الله قد يكون بخسف او حاصب او غاشية من العذاب او قاصف من الريح او ما اشبه. قال الله تعالى: **{أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً }** (الاسراء / ٦٨)

٣ / وقال الله سبحانه: { **أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ }** (الاسراء / ٦٩)

٤ / وقال تعالى: { **وَالَّذِينَ هُم مِنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ**} (المعارج / ٢٧ - ٢٨)

٨٨٨ **الأمن نعمة الهية:**

والأمن نعمة الهية، فالله الذي يهب السلام من اتبع رضوانه، وهو قد أمن الأنبياء من بعد خوفهم، وأمن المؤمنين حتى غشاهم النعاس، ووفر الأمن لقرى اليمن، وهو الذي جعل الحرم منطقة آمنة.

١/ الكتاب الذي انزله الله نورا يهدي به الى سبل السلام، (والطرق الآمنة التي يحقق الانسان عبرها مشاريعه من دون التعثر بعقبات او الوقوع في المهالك). قال ربنا سبحانه: { **قَدْ جَآءَكُم مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ**
وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (المائدة/١٥-١٦)

٢/ وهكذا جاءت الرسالات الالهية بالسلام لمن اتبع الهدى. قال ربنا سبحانه: **{وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى** } (طه / ٤٧)

٣/ وقد وفر الله الأمن لقريش بفضله، ثم امرهم بعبادته وحده. وقال الله سبحانه: **{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِنْ خَوْفٍ}** (قريش/٣-٤)

٤/ وهكذا جعل الله البيت الحرام مثابة للناس وأمنا، (فوفر بلطفه السلام في أرض الحروب وبلاد الخوف). قال ربنا سبحانه: { **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً** } (البقرة / ١٢٥)

٥/ وقال الله سبحانه: { **وَقَالُوا إِن نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءَامِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** } (القصص / ٥٧)

٦/ وقال الله سبحانه: { **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءَامِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** } (العنكبوت / ٦٧)

٧/ وقد آمن الله السبيل الى بيته الحرام، فلا يجوز الاعتداء على من يقصد الحج اليه. قال الله سبحانه: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلآئِدَ وَلآ ءَآمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِن رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً** } (المائدة / ٢)

٨/ وهكذا دمر الله الجيش الكافر الذي اراد البيت الحرام بسوء في قصة الفيل، التي قال عنها ربنا سبحانه: {**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ** } (الفيل / ١ - ٥)

٩/ وان ربنا وفر الأمن لقرى (لتكون آية لرحمته). فقال الله سبحانه: { **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ** } (سبأ / ١٨)

ولكنهم حين كفروا بنعمة الله سلب منهم الأمن.

١٠/ وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان يوفر لهم الأمن، إذ قال الله سبحانه: { **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً** } (النور/ ٥٥)

٨٨٨ **الأمن النفسي:**

١/ وفي لحظات الاضطراب ينزل الله على المؤمنين سكينة، فإذا بقلوبهم تنعم ببرد اليقين، وهدوء الأمن، ويغالبهم النعاس الذي فقدوه من قبل نتيجة القلق. انه سلام الإيمان وطمأنينة اليقين. بيد ان البعض، الذين اهمتهم انفسهم لا ينعمون بهذه النعمة، بل يظنون بالله ا لظنون، وتجيش خواطرهم بالوساوس الشيطانية. قال الله

سبحانه: **{ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ }** (آل عمران/١٥٤)

٢/ كيف تحولت النفس المضطربة بنار القلق الى نفس مطمئنة بنور اليقين؟ انما بالوعد الإلهي الذي انزله على رسوله، بانه يمدهم بألف من الملائكة مردفين؛ بشرى وسكينة وربطا على الافئدة وتثبيتا للاقدام في مواجهة العدو. قال الله سبحانه: **{ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ اَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّمَآءِ مَآءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الاَقْدَامَ }** (الانفال / ١١)

ونستوحي من هذه الآية جملة بصائر.

أولاً: عند المواجهة، وازدياد الغم والقلق، يدعو المؤمنون ربهم (وفي طليعتهم القيادة الربانية).

ثانياً: ان الله يستجيب لهم وينزل ملائكة يقومون بدور البشرى.

ثالثاً: تتبدل الاجواء، فإذا بالبيئة تخدم جيش الإيمان.

رابعاً: يطهر الله القلوب من رجز الشيطان (ووساوسه).

خامساً: يربط على القلوب باليقين والتفويض والتوكل.

سادساً: اذا قوي الفؤاد، ثبت القدم وواجه العدو ببسالة.

٨٨٨ **الانبياء في أمان ربهم:**

ولقد احاط الله سبحانه رسله بسلام من عنده، وجعلها كلمة باقية. قال الله تعالى: **{سَلاَمٌ عَلَى اِبْرَاهِيمَ}** (الصافات/١٠٩) وقال الله تعالى: **{ سَلاَمٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ}** (الصافات/١٣٠) وقال الله تعالى: **{ سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ}** (الصافات / ٧٩).

١/ وهذا السلام اراه ربنا عندما خاطب النار التي اوقدوها لحرق ابراهيم عليه السلام، فقال لها: **{ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ }** (الانبياء / ٦٩)

٢/ وأرانا ربنا هذا السلام عندما نشر راية الأمن على المؤمنين، وانجاهم من الطوفان العظيم، واهلك اعداءهم الكفار به، إذ قال الله سبحانه: { **قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّن مَعَكَ** } (هود / ٤٨)

٣/ وعندما بعث السكينة في قلب موسى بن عمران عليه السلام، وأمره بألاّ يخاف من الثعبان الذي رآه امامه بعد ان القى عصاه. قال الله سبحانه: { **وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الأَمِنِينَ** } (القصص / ٣١)

٤/ وفي ليلة القدر حيث تتنزل الملائكة والروح، فالله سبحانه يجعلها سلاماً حتى مطلع الفجر. قال الله سبحانه: { **تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِن كُلِّ أَمْرٍ * سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ** } (القدر / ٤ - ٥)

٨٨٨ **دار السلام:**

والبشر يرتاعه الموت والمستقبل المجهول بعده، ولا يزال سيف الفناء المسلط على رقاب الاحياء ينغص عليهم العيش في دنيا لا يعرفون في أية لحظة تتلاشى كسراب بقيعة. ولكن المؤمن يبرد غليل الغم في نفسه بحسن التوكل على ربه، وان رب الدنيا هو رب الآخرة. قال الله سبحانه: { **فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** } (يوسف / ١٠١)

وهكذا تطمأن نفسه، ولا يخاف الانتقال من الدنيا الى الاخرة عبر قنطرة الموت.

أوليس

يقدم على رب كريم، قد وعده بالضيافة في دار السلام عنده؟

١/ ولأن المؤمن قد قدم لحياته الحسنات، فهو آمن من فزع يوم القيامة. قال الله سبحانه: { **مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُم مِن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ** } (النمل / ٨٩)

٢/ وهكذا يخاطب المؤمنون - يوم القيامة - بالسلام، وانه لاخوف عليهم من المستقبل، ولاحزن على ما في حياتهم التي عاشوها بالعمل الصالح. قال الله تعالى: **{ يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ }** (الزخرف / ٦٨)

٣/ بل يسلم عليهم الملائكة ليبعثوا فيهم السكينة. قال عز وجل: **{ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ }** (الرعد / ٢٤)

٤/ ثم يزفون الى الجنة، حيث يسلم عليهم الملائكة، (وربما يسلم عليهم كل شيء من حولهم). قال ربنا سبحانه: **{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ ءَامِنِينَ }** (الحجر / ٤٥ - ٤٦)

٥/ وهكذا المتقون في الدنيا لا يأبهون بالأذى الذي يعتريهم في الدنيا (كما يصيب غيرهم)، لانهم يتطلعون الى دار السلام عند ربهم، حيث يقول الله سبحانه: **{ لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }** (الانعام / ١٢٧)

^^بصائر الآيات

١/ الأمن ميراث الايمان، ويتجلى في صيانة النفس والمال والعرض والشخصية.

٢/ والايمان يجعل الانسان في أمان من الخوف، فيتعالى على الجبت والطاغوت، كما يتحصن ضد الأرواح الشريرة، ويتحدى قوى الطبيعة.

٣/ وبالايمان يتسامى الانسان من خشية ما سوى ربه، ثم يتوكل على الله لمواجهة الأخطار.

٤/ ويرى المؤمن حرمة الآخرين، وما لديهم من حقوق. ويكتمل صرح الأمن عند المؤمن بالرضا والتسليم وبالتفويض، وبتجاوز خوف الموت، وبانتظار لقاء الله سبحانه.

٥/ والتقوى لباس المؤمن وحصنه، لانها تردعه عن اقتحام الفواحش والخطايا، ولانها تمنعه من تجاوز حرمات الآخرين.

٦/ ويزرع الايمان السلام والسكينة في النفس، ويقتلع جذور البغي والعدوان منها، ولذلك ترى عباد الرحمن يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.

٧/ والمؤمن يأنس بربه، ويتضرع اليه ليصرف عنه عذاب جهنم. وهذا يبرد ألم الخوف من نفسه.

٨/ والأمن المعاشي يوفره الاقتصاد، إذ المعيشة عند المؤمن لا قتر فيها ولا سرف.

٩/ ويتجنب المؤمن مصدر القلق الدائب، وهو عبادة الآلهة من دون الله.

١٠/ ويحترم المؤمن دماء الناس واعراضهم. فلا يقتلون ولا يزنون، ولا يشهدون الزور، ولا يشتركون في لغو، ويستجيبون للكلمة الصادقة.. وهذه تجليات الأمن في حياته العامة. أما حياته الخاصة، فالمؤمن يرغب في أن يرى زوجته وابناءه في أحسن وضع.

١١/ وأهم مصادر الخطر الشرك. فمن لم يدخل في حصن الايمان، أنّى يكون له الأمن؟ ومن أشرك بالله لم ينزل به سلطاناً، كيف يؤمن مكر الله؟ بلى؛ من كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى.

١٢/ والأرض لله يورثها من يشاء من عباده. فمن آمن بالله أورثه الله الأرض، ومن أشرك بالله دمر الله عليه بنيانه.

١٣/ ولقد زين الشركاء لكثير من المشركين قتل اولادهم.

١٤/ والذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا (فإن لهم الأمن، حيث) لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

١٥/ والمؤمن حذر من مكر الله، وانما بالدعاء اليه وتقواه يتحصن منه. فماذا يفعل الكافر بربه؟

١٦/ والله المؤمن المهيمن السلام، ومن اتبع رضوانه يهديه سبل السلام. وإن السلام على من اتبع الهدى. والبيت الحرام (سلام) وأمن، وقد حرّم الله البيت الحرام والأشهر الحرم، كما اعطى الأمان للذين يؤمون البيت الحرام. وقد أرسل ربنا طيراً أبابيل على اصحاب الفيل، الذين أرادوا كيداً بالمسجد الحرام.

١٧/ وقد وعد الله الذين آمنوا من المسلمين وعملوا الصالحات إن يستخلفهم في الأرض ويوفر لهم الأمن.

١٨/ وفي لحظات الخوف ينزّل الله على المؤمنين سكينته من عنده، ويبدل الله اضطرابهم الى حالة آمنة حتى يغشيهم النعاس.

١٩/ وقد وفر الله للرسل الأمن، فإذا بالنار كانت بأمر الله برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، وإذا بموسى عليه السلام لايخاف من الثعبان حينما قال الله له أنك من الآمنين، وإذا بالملائكة تتنزل في ليلة القدر والروح (على الرسول ومن ثم خلفاءه) وهي سلام حتى مطلع الفجر.

٢٠/ وتطمئن نفس المؤمن بما وعده الله من الأمن من الفزع، حيث يخاطبه الرب وسائر العباد الصالحين لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، ويسلم عليهم الملائكة بما صبروا وهم يدخلون الجنة بسلام آمنين، وهي لهم دار السلام، والله وليهم، نعم المولى ونعم النصير.

^^فقه الآيات

الأمن الحاجة الأولى والأشد ضرورة التي يتحسس بها كل حي، وهدفه الحفاظ على الذات ومكتسباته، ويتجلى في مستويات شتى:

أ: فهو حاجة نفسيّة، تتجلى في اسمى صورها بالسكينة والسلام وطهارة القلب من الحرج والخوف والحزن، ومن نوازع الشر والبغي والعدوان.

ب: وهو خلق فاضل قوامه الاعتدال، واجتناب الإثم والفحشاء.

ج: وهو سلوك اجتماعي حسن، يحترم به الفرد حقوق الآخرين في كل الأبعاد.

د: وهو تطلع مدني سام يبلغ بـه النـاس الـى مجتمـع التوحيد، حيـث لا يتخـذ النـاس بعضـهم بعضـاً أربـاباً.

هـ: وهو نقاء ثقافي، لا زور فيه ولا افتراء على الله، ولا صدود عن الحق.

ولابد ان نعرف أن كلمة الأمن او (السلام) فـي المصـطلح الحـديث، وبالـذات فـي عرف الحقوقيين والسياسيين، تختلف عنه في كلمات الوحي والفقهاء. فالأمن يطلق اليوم على النظام القانوني والسياسي الذي يضمن تنفيذ القانون ومنع الاعتداء. بينمـا تطلق هذه الكلمة فـي الـدين ومصـادره علـى معنـى يجمعـه انعدام الخـوف والحـزن. ومعـروف ان انعـدام الخـوف، انمـا يكـون بتـوفر كـل عوامـل السـلام والاسـتقرار والدعة..

والأمن بالمعنى القانوني عدل القسط. فإذا توفر النظام الاجتماعي ووسائل تنفيذه، عقدت ارضية اقامة القسط كهدف أسمى للنظـام. وقد أشـار القرآن الـى الأمـن بهذا المفهوم الضيق بكلمة { **وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ** } وجعله وسيلة لاقامة القسط، حين قال ربنـا سبحانه: **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَـاتِ وَأَنزَلْنَـا مَعَهُمُ الْكِتَـابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّـاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }** (الحديد / ٢٥)

فالحديد جاء وسيلة لاقامة القسط، حين ينتصر به المؤمنون بالغيب للرسول.

أما الأمن بالمعنى الشامل، فهو وجه آخر للعدالة والقسط، إذ من دون اداء حقوق النـاس جميعـاً، وابتـداءً مـن حـق الحيـاة وانتهـاءً بحـق الانتخـاب (الحريـة السياسـية والدينيـة) ومـروراً بكل الحقوق وكل الحرمـات.. مـن دون ذلـك كيـف يعيش الفرد آمناً، وكيف يتوفر السلام للمجتمع؟

وحديثنا هنا عن هذا الجانب الأشمل للأمن، ولا يمكننا أن نفصل فيـه القول، لأنـه يشـمل كثيـراً مـن الحقـوق التـي نستعرضـها فـي هـذا الكتـاب. انمـا هـدفنا هنـا رسـم

الخطوط العريضة التي تجعل وعينا للحقوق والحرمات التي ندرسها في فصول أخرى، وعياً شمولياً عميقاً باذن الله تعالى.

والأمن بهذا المفهوم هو الوجه البارز من الايمان، ولذلك تتشابه كلمتي الأمن والايمان في الاستخدام. فالمؤمن هو الذي يعطي الأمان، والمؤمن هو المعترف بكل حق. إن الايمان يستدعي قبول الانسان بكل حق لكل شيء؛ حق الله سبحانه، وحق خلق الله، وحق النفس، وحقوق الآخرين.. وتسمى الحقوق هذه بالحرمات، لان المؤمن يحترمها ويعتمدها ولا ينتهكها. والحرمة إذا توفرت من جانبي، فقد توفرت الحرية من جانبك. فإذا آمنت واعترفت بحقك في التعبير، فإن ذلك يعني انني اعطيك حرية التعبير. وهكذا تندمج القيم العليا للدين في بعضها؛ أي الأمن والعدل والحرية. فالأمن لايتحقق من دون اداء الحقوق، واداء الحقوق يوفر حرية الناس..

وبعد هذه المقدمة، دعنا نستعرض الحقول المختلفة للأمن.

٨٨٨ **١/ الأمن؛ السكينة في النفس**

(آل عمران/ ١٥٤)، (النور/ ٥٥)، (الانفال/ ١١)، (الفرقان/٦٤-٦٦)، (الانعام/٨١-٨٢)، وقال سبحانه: { **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** } (الفتح / ٢٦) وقال تعالى: { **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً** } (الفتح/٤)؛ حينما يكون القلب مطمئناً بالايمان، طاهراً من الحمية، عامراً بالحب والرضا، سليماً من الفواحش الباطنة (كالحقد والحسد والكبر)، حينذاك يسود السلام سائر أبعاد حياة الفرد. ومن هنا ينبغي:

ألف: ان نسعى لزرع المحبة والسلام في القلوب، وتنمية روح الثقة والتواضع، وتطهير النفوس من الحميات والرذائل.

إن المجتمع الرشيد الذي نسعى من أجله، لا تقوم له قائمة والنفوس مريضة بألوان من الفواحش الباطنة التي هي كالنار تحت الرماد ما ان تهب عليها ريح الفتنة حتى تتقد. ولكن إذا طهرت النفوس اقتلعت جذور الفتنة، وترسخت قواعد العدل، وتنامت فروع السلام..

إن المناهج التربوية هي الأهم في المدارس، وبالذات في الصفوف الابتدائية. وإن المناهج الثقافية التي لابد للوالدين ان يهتموا بها تؤدي دوراً أساسياً، إما في زرع الثبات والاستقرار والأمن والسلام وذلك إذا صلحت، وإما ان تلقح الفتن وتنشر الفساد إذا لم يهتم الآباء والأمهات بصلاح تربية أبناءهم.

باء: وإنما تستطيع الأم ان تثقف أبناءها بالكلمة الطيبة إذا كانت هي مثقفة. وقد اهملت المرأة في بلادنا اهمالاً ولفترة طويلة، واليوم يجب ان نجعل من صلب اهتمام المجتمع انشاء دورات متخصصة للنساء، او دروس في المعاهد والجامعات خاصة بأساليب التربية الصالحة.

جيم: وعلى الهيئات الدينية، والجمعيات الخيرية، والحركات المنظمة.. أن تفكر بجدية لتربية الأجيال الصاعدة عبر برامجها التثقيفية، وعليها ان تقدم المصالح العامة على المنافع السياسية العاجلة. فلا تربي المنتمين اليها على الضغينة والعصبية والروح السلبية.. فإنها تظلم - بذلك - اولئك المنتمين، كما تفسد المجتمع، وتزرع بذور الفتنة في البلاد.

دال: وكذلك الطوائف الدينية والمرجعيات الاسلامية والحوزات العلمية.. عليها جميعاً ان تكون حذرة من نوع التوجيه؛ فلا تغلب القضايا الخاصة على القضايا العامة للأمة، فتساهم في البلبلة والارتياب، وانعدام السكينة الايمانية من النفوس.

وقد ذكرت الآيات الكريمة بأن المسلمين أمة واحدة، وان المؤمنين اخوة، وان بعضهم اولياء بعض. وجاء في الحديث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام:

"إن روح الايمان واحدة خرجت من عند واحد، ويتفرق في ابدان شتى فعليه ائتلفت وبه تحابت، وسيخرج من شتى ويعود واحداً ويرجع الى عند واحد". (١)

هاء: إن من أسمى صفات الخير؛ الرضا وتسامي الفرد الى حيث التسليم لقضاء الله وقدره. وتنمية هذه الصفة التي تورث السكينة في النفس والسلام، تنميتها في المجتمع تخدم الأمن. ومن هنا فعلى كل من يقوم بالتثقيف والتربية الاهتمام بذلك.

ولقد جاء في القرآن الكريم في صفة المؤمنين الصادقين من الانصار، قوله سبحانه: **{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوْا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }** (الحشر / ٩)

وقد فسرت كلمة **{وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّآ أُوتُوا }** بأن الانصار لم يجدوا في أنفسهم ما يحملهم الحاجة من الطلب والحزازة والحسد والقنط مما أوتي المهاجرون، بل كانوا راضين بذلك.

وقد جعلت علامة الطمأنينة في آية كريمة الرضا، حيث قال سبحانه: **{ يَآ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي }** (الفجر/ ٢٧ - ٣٠)

وجاء في حديث شريف عن أبي عبد الله الامام الصادق عليه السلام، انه قال: "من صحة يقين المرء المسلم ألاّ يرضي الناس بسخط الله، ولا يلومهم على مالم يؤته الله. فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره. ولو ان أحدكم فرّ من رزقه كما يفر من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت." ثم قال: "إن الله - بعدله وقسطه - جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط". (٢)

---

(١) بحار الأنوار / ج ٦٦ / ص ١٩٣.

(٢) بحار الأنوار / ج ٦٧ / ص ١٤٣.

فالرضا بما قسم الله للانسان من نعمه يورث الروح والراحة، كما ان الرضا بما يصيب الانسان من أذى ومصاب من حقيقة الايمان. فقد روي عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول: "لايجد عبد طعم الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإن الضار النافع هو الله عز وجل". (١)

ومن الرضا واليقين ألاّ يخاف الانسان مع الله شيئاً، حيث جاء في الحديث المروي عن الامام أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: "ما من شيء إلاّ وله حد". قلت فما حد اليقين؟ قال: "ان لا تخاف (مع الله) شيئاً ". (٢)

ومن أبعاد الرضا ان يقيس الانسان في أمور الدنيا نفسه بمن هو أدنى نصيباً، منها فيزيده ذلك رضا بما لديه، وشكراً وغنى نفسياً. فقد روى هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله الامام الصادق عليه السلام يقول لحمران بن أعين: "يا حمران؛ انظر الى من هو دونك، ولا تنظر الى من هو فوقك في المقدرة، فإن ذلك اقنع لك بما قسم لك، واحرى أن تستوجب الزيادة من ربك. واعلم ان العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين. واعلم انه لا ورع انفع من تجنب محارم الله، والكف عن أذى المؤمنين واغتيابهم، ولا عيش أهنأ من حسن الخلق، ولا مال أنفع من القنوع باليسير المجزئ، ولا جهل أضر من العجب ". (٣)

واو: الحب - فيما يبدو - تطلع سام للنفس، وانجذاب الى الأعلى، وعطاء واحسان ووعي عميق للذات. وإذا بلغت النفس درجة حب الله سبحانه، فقد بلغت درجة سامية. وقد وصف الله حزبه بأنهم يحبون الله، فقال سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى**

---

(١) المصدر / ص ١٥٤.

(٢) المصدر / ص ١٨٠.

(٣) بحار الأنوار / ج ٦٧ / ص ١٧٣.

الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (المائدة / ٥٤)

وقال سبحانه عن المؤمنين: **{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ اَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَاَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ }** (البقرة / ١٦٥)

وجاء في حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: "احبوا الله لما يغدوكم به من نعمة، واحبوني لحب الله عز وجل، واحبوا أهل بيتي لحبي". (١)

وعن حب الله سبحانه، يقول الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام: "حب الله إذا اضاء على سرِّ عبد أخلاه عن كل شاغل وكل ذكر سوى الله عنده ظلمة. والمحب أخلص الناس سراً لله، واصدقهم قولاً، وأوفاهم عهداً، وازكاهم عملاً، واصفاهم ذكراً، واعبدهم نفساً، تتباهى الملائكة عند مناجاته وتفتخر برؤيته، وبه يعمر الله تعالى بلاده، وبكرامته يكرم عباده. يعطيهم إذا سألوا بحقه، ويدفع عنهم البلايا برحمته. فلو علم الخلق ما محلّه عند الله، ومنزلته لديه، ما تقربوا الى الله إلاّ بتراب قدميه". (٢)

أما كيف نجعل الحب في أنفسنا فقد شرحه ذات الحديث، بأنه ميراث المعرفة. (فإذا عرف الانسان ربه باسمائه ونعمائه أحبه). وجاء في الحديث الشريف الآنف ذكره: "وإذا تجلى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبة، وإذا هاج ريح المحبة استأنس ظلال المحبوب، وآثر المحبوب على ما سواه وباشر أوامره". (٣)

وعلينا ان نجعل حب الله محوراً اساسياً لتربية الناس، حتى يعيشوا الأمن والسلام. اما كيف يمكننا ذلك؟ فبذكر نعم الله. وقد روي عن الامام الباقر عليه السلام، أنه قال: أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام؛ أحببني وحببني الى

---

(١) المصدر / ص ١٤.
(٢) المصدر/ ص ٢٣ / ح ٢٣.
(٣) بحار الأنوار / ج ٦٧ / ص ٢٣.

خلقي. قال موسى: يا رب إنك لتعلم انه ليس أحد أحب إليَّ منك، فكيف لي بقلوب العباد؟ فأوحى الله اليه: فذكرهم نعمتي وآلائي، فإنهم لايذكرون مني إلاّ خيراً. (١)

٨٨٨ **٢/ الأمن ومشية الهون**

(الفرقان/٦٣)، (الفرقان/ ٦٧)، (الاعراف/ ٣٣)، (الاعراف/ ٣٥)؛ إنما أمر المؤمن بميزان، بينما أمر الغافل فرط. ألا ترى كيف تحركه أهواءه، فهو بين غلو وتقصير، والمؤمن على صراط مستقيم، بينما غيره ناكب عن الصراط ذات اليمين او ذات الشمال؟

ومن هنا فان المؤمن أمن من عواقب التطرف الذي يعيشه الكافر؛ أمن عاقبة الاسراف في الطعام والشراب، ومن التقتير فيهما، فيكون معافى من تلك الأمراض التي تصيب المبذرين او المقترين. وهو لا يبسط يده كل البسط فيقعد ملوماً محسوراً، وبذلك يأمن الفقر والفاقة. ولا يقبضها كل القبض، فيأمن عواقب البخل والشح.

وهو لايترك شؤون دنياه بعذر اشتغاله بالآخرة، ولا يترك آخرته بتبرير اهتمامه بشؤون معاشه. فلا يصيبه جوع الدنيا ولا ظمأ الآخرة.

ولا يخرجه رضاه عن اطار رضا الرب، فيفرط في صداقاته، حتى يضيع حقوق نفسه والناس. ولا يفرط في عداواته، حتى يخرجه غضبه عن العدل. وهكذا يبقى في أمان عن غوائل الافراط والتفريط.

وبكلمة؛ انه على صراط مستقيم، يتبع نهج الوسط الذي يقول عنه الامام أمير المؤمنين عليه السلام: "اليمين والشمال مضلة، والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة". (٢)

وفيما يلي بعض التفصيل الفقهي في هذا الحقل:

---

(١) المصدر / ص ٢٢.

(٢) نهج البلاغة / خطبة رقم ٢١٣.

ألف: المشية الهون التي يتسنم بها سلوك المؤمن، وسيلة سلامته من مغبة التطرف. ومن هنا ينبغي ألاّ يضع المؤمن قدمه على أية ارض إلاّ بعد ان يبصرها ويتأمل عاقبتها، حتى تسبق فكرته حركته، وبصيرته مشيته، وتدبيره أموره، وتقديره مسيرته.

إن طمأنينة نفس المؤمن وفراغها من عواصف الشهوات والعصبية تسمح له بأن يفكر في كل أموره تفكيراً منهجياً سليماً، ثم لايعطي قياده لهواه، بل لعقله. وهذا أسلم لدينه ودنياه.

باء: وينبغي للمؤمن ان يكبح جماح رضاه وغضبه، وحبه وبغضه، وانفعالاته كلها في العطاء. فلا يمنعه البخل عن العطاء ولو كان قليلاً، فإن الحرمان أقل منه. كما لا يدفعه اسرافه الى الاعطاء بغير حق، فيصبح كما قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: "الا وإن اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة". (١)

وقال عليه السلام: "كن سمحاً ولا تكن مبذراً، وكن مقدّراً ولا تكن مقتراً". (٢)

ولعل القوام الذي أمر به الرب سبحانه في قوله سبحانه: **{ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً }** (الفرقان / ٦٧) هو ما يقيم السائل وينفعه، ولا يضر المنفق ويفقره. ومعرفة القوام ميراث التدبير.

وينبغي -أيضاً- ان يكون المؤمن محسناً في افعاله، ولكن دون ان يضر بحاله، وبمن وجبت عليه نفقته. فلا يترك الاهتمام بابنائه خدمة للمجتمع، ولا يهمل حق المجتمع ويقتصر اهتمامه فقط باولاده. إنما يرى بحكمته كيف يوازن بين الأمرين، وبذلك تسلم حياته الشخصية وحياته الاجتماعية. بينما اهمال جانب لحساب جانب آخر، قد يجعله

---

(١) نهج البلاغة / خطبة رقم ١٢٦.

(٢) نهج البلاغة - قصار الحكم / ٣٣.

يخسر الجانبين معاً.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: "المنبت لا ارضاً قطع ولا ظهراً أبقى". (١)

فالذي يريد ان يصل الى بيته سريعاً ويقود سيارته بسرعة غير مسموحة، قد ينتهي به المطاف الى المستشفى أو مخفر الشرطة، وليس الى البيت. والذي يريد ان يحرق المراحل يحترق. وقد يختار العاقل طريقاً طويلاً يستغرق شهراً، ولا يعبر نهراً، لأن في عبوره قد تكون نهايته.

جيم: والفواحش ما ظهر منها وما بطن، يتركها المؤمن ويتورع من الاقتراب منها، لأنها تقوده الى الهلاك. ومن الفواحش ما بينته الشريعة تفصيلاً (كالزنا)، ومنها ما بينته عموماً كالاسراف في الشنآن، حيث يلقح الفتنة. وقد قال ربنا سبحانه: **{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى اَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}** (المائدة /٨)

وهكذا ينبغي ان يهتم المؤمن بما يلي:

أولاً: باختيار أحسن الكلام وأبعده عن الفحش والتطرف والكلمات النابية. وقد قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام في صفة المتقي: "بعيداً فحشه، ليناً قوله". (٢)

وحتى عند دعوة الطغاة ينبغي ان يختار الداعية أفضل الكلمات، حيث قال ربنا سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام: **{ اذْهَبَآ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى }** (طه / ٤٣ - ٤٤)

ثانياً: باختيار اقرب المواقف الى الصواب، وأبعده عن الحساسية والتطرف، وكما قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام في صفة المتقي: "وتنكب المخالج عن

---

(١) بحار الأنوار / ج ٦٨ / ص ٢١٨.

(٢) نهج البلاغة / خطبة رقم ١٩٣.

وضح السبيل، وسلك أقصد المسالك الى النهج المطلوب، ولم تفتله فاتلات الغرور، ولم تعمَ عليه مشتبهات الأمور". (١)

وتجنب الدخول في الفتن الاجتماعية التي ينساب فيها الغوغاء من الناس، وقد جاء في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام، انه قال: "كن في الفتنة كابن لبون، لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب". (٢)

وقال عليه السلام: "فلا تكونوا انصاب الفتن واعلام البدع". (٣)

وإنما تمخر سفن الفتن في أمواج العصبيات والانانيات، وعلى المؤمن أن يهدِّء بعقله كل عصبية، ويكبح بتقواه جماح كل أنانية.

ثالثاً: باختيار أقصد السبل في معيشته، فإن الاقتصاد في المعيشة من خلق الاتقياء، كما قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام عن المتقين: "منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد ". (٤)

والاقتصاد يتحقق بالتدبير، الذي روي فيه عن الامام علي عليه السلام انه قال: "لا عقل كالتدبير". (٥)

فاذا عرفت اولويات معيشتك، وعرفت مقدار ما تملك، فإنك تصرف بمقدار او بأقل من مدخولك، فلا تفتقر بفضل الله.

رابعاً: كما ينبغي ان يضع كل فرد خطة اقتصادية واضحة لحياته، ويحدد دخله السنوي ويوازنه مع مصارفه. كذلك على الجماعات المنظمة (الجمعيات السياسية، والحركات الرسالية، والمؤسسات الخيرية، والشركات الاقتصادية وغيرها) وكذلك الدول والمؤسسات

---

(١) نهج البلاغة / خطبة رقم ٨٣.

(٢) نهج البلاغة / قصار الحكم / ١.

(٣) نهج البلاغة / خطبة رقم ١٥١.

(٤) نهج البلاغة / خطبة رقم ١٩٢.

(٥) نهج البلاغة / قصار الحكم / ١١٣.

الدولية أن تهتم جدياً بالموازنات الاقتصادية؛ فلا تطغى قائمة استهلاكها على مواردها، وتتجنب الاسراف والبذخ.

٨٨٨ ٣/ الأمن والحذر

(الأعراف/ ٩٩)، (الاسراء/ ٦٨-٦٩)، (المعارج/ ٢٧-٢٨)؛ الذي لايخشى لا يتقي، والذي لا يتقي لا يأمن. ومن أبرز صفات المؤمن الخشية والحذر، فلذلك من أبرز مكتسباته السلام من الأخطار.

ألف: انما يأمن مكر الله الخاسرون، فلا يتقون ولا يتورعون. بينما المؤمنون يحذرون منه فلا يذنبون. وإذا مسهم طائف من الشيطان فغفلوا أو اذنبوا، فإنهم سرعان ما يتذكرون ويتوبون الى ربهم ويصلحون ما أفسده الذنب من أمرهم حتى لاتضرهم الذنوب.

هكذا ورد في الأثر المروي عن سيد المتقين الامام علي عليه السلام، أنه قال في صفة المتقي: "يبيت حذراً ويصبح فرحاً؛ حذراً لما حذِّر من الغفلة، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة". (١)

باء: والمؤمن يحذر الغفلة، لان لها سكرة تذهب بالعقل، فيقع الانسان في الخطر. صاحب البيت الذي لا يحذر السارق ويغفل عن احكام مغالق بيته، والسائق الذي لا يحذر حوادث السير فلا يلتفت الى السيارات الأخرى، والتاجر الذي لا يحذر تقلبات السوق فيضع كل بيضه في سلة واحدة، والجندي الذي لا يحذر مداهمة العدو فيغفل عن اسلحته، والسياسي الذي لا يحذر تقلبات الزمان فيغفل عن تطوير اساليبه.. كل اولئك قد يخسرون في لحظة كل ما اكتسبوه في اعوام. من هنا يعظ الامام أمير المؤمنين الناس بقوله: " فاتقوا سكرات النعمة، واحذروا بوائق النقمة ". (٢)

---

(١) نهج البلاغة / خطبة رقم ١٩٣.

(٢) نهج البلاغة / خطبة رقم ١٥١.

ويوصي ابنه سلام الله عليهما بالقول: " احي قلبك بالموعظة (الى ان يقول) وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والأيام". (١)

ويحذِّر من العدو بقوله عليه السلام: " ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل ".(٢)

٨٨٨ **٤/ تجنب البغي واحترام الحقوق**

(المائدة/ ١٥ - ١٦)، (طه/ ٤٧)، (الاعراف/ ٣٣)، (الفرقان/ ٦٣)، (الفرقان/ ٦٨ - ٦٩)؛ إذا أردنا أختصار حكمة السلام بين الناس (أمن المجتمع)، فانما نعبر عنهما بكلمتي: التعارف والحرمة (الاعتراف والاحترام). فإذا اعترف كل انسان بالاخرين واحترم حقوقهم، فقد ساد السلام واستتب الأمن. وانما الانظمة المرعية بما فيها من القوانين الحقوقية تهدف هذا الجانب من الأمن. ونحن لا نسترسل في هذا الحقل بالحديث عن كل أبعاد الحقوق والحرمات، لان اكثرها تُبحث - انشاء الله- في فصول هذا الكتاب، وانما نلقي نظرة عامة على الخطوط العريضة للامن الاجتماعي، لعلنا نستوحي منها فكرة شمولية تنفعنا في دراسة الفروع المرتبطة بها. وهذا هو شأن كتابنا هذا، والله المستعان.

ألف: في الحياة أكثر من سبيل يحملك الى هدفك المشروع، ومن السبل ماهي آمنة، ومنها ماهي خطرة. وانما الرشيد يبحث كثيراً حتى يهتدي الى سبل السلام، تلك التي لا خطر فيها؛ لا عليه، ولا على غيره. والله سبحانه يهدي من اتبع رضوانه هذه السبل، وقد قال تعالى: { **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** } (العنكبوت /٦٩) .

وقال تعالى: { **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً** } (الطلاق / ٣)

---

(١) المصدر / كتاب رقم ٣١.

(٢) المصدر / كتاب رقم ٥٣.

ونستوحي من آيات الوحي الاهتداء الى سبل السلام؛ أولاً: باتباع رضوان الله (المائدة/ ١٥ - ١٦) (طه/ ٤٧). ثانياً: بالجهاد في الله (العنكبوت / ٢٩). ثالثاً: بالتقوى (الطلاق/ ٣).

باء: ومن مفردات انتخاب السبيل الأمن، البحث عن سبيل لا يخترق مصالح الآخرين، او ينتهك حرماتهم، مما يسمى بالبغي، وقد حرّم الدين البغي بغير الحق. وقد خلق الله الانسان وجعل له كرامة (الاستقلال والحرية)، وأتاه من لدنه فضلاً (الملكية)، وجعل له حرمة (شخصيته). فمن اعتدى على كرامة الناس أو أموالهم او حرماتهم، فقد بغى. ومن ذلك نفهم اصول الاحكام الشرعية:

اولاً: لايجوز الاستعلاء في الأرض، وان يسعى أحد في سبيل استضعاف الاخرين، والاستكبار عليهم، وقد قال سبحانه: { **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** } (القصص/٨٣).

واكثر الفتن تنشأ من حب الاستعلاء في الانسان. وعلى المسلم ان يجاهد نفسه حتى يقتلع من نفسه جذور الحمية والعصبية، والتكبر من نفسه. فلا ينظر الى أحد من البشر بنظرة دونية، وقد قال سبحانه: { **يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** } (الحجرات/١٣)

وقال تعالى: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِن نِسَآءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** } (الحجرات / ١١)

ومن هنا تجد المؤمنين يتضرعون الى ربهم، ألاّ يجعل في قلوبهم غلاً للذين آمنوا، حيث يقول سبحانه: { **وَالَّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**} (الحشر/١٠)

واذا بقيت في النفوس عوامل البغي، فانها تورث في الواقع الاختلاف والفتن والفساد العريض. قال الله تعالى: { **وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيَاً بَيْنَهُمْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ}** (الشورى / ١٤)

وقد أمر الله سبحانه المسلمين بان يقاتلوا الفئة التي تبغي حتى تفيء الى امر الله، فقال سبحانه: { **وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}** (الحجرات / ٩)

ونستوحي من كل ذلك؛ ان السلام لا يتحقق إلاّ بمواجهة البغي السياسي. فاذا اراد أحد ان يتحكم في مصير الآخرين بغير حق، سواءً باسم العنصرية او باسم القومية او باسم الدين او أي اسم آخر، فعلينا مواجهته.

ثانياً: من ابرز حقائق الأمن؛ المحافظة على النفس والعرض، وحرمة القتل والزنا. ويلحق بحرمة النفس، حرمة الاعضاء والقوى التي فيها. فلا يجوز ان يضار أحد بنفس محترمة؛ لا بقتلها ولا بجرحها ولا بإلحاق الضرر بها، مثل لطم الخد او الضرب بالسوط والعصى او حتى الخدش.

ومثل ذلك التسبيب في المرض، سواءً كان مرضاً قاتلاً او خطيراً، او كان مرضاً مؤذياً. فان من ابتلي بمرض معدٍ خطير (كالايدز والطاعون والسل)، لا يجوز له نشره في الناس بأية طريقة كانت. كذلك لايجوز نشر الغازات السامة التي تسبب في أمراض خطيرة بين الناس.

وحرمة اعراض الناس كحرمة دمائهم. فلا يجوز الاعتداء على احد جنسياً، والزنا واللواط من أسوء مصاديق هذا الاعتداء. وهناك مصاديق أخرى متفاوتة لايجوز ممارستها، مثل التلصص على بيوت الناس للنظر الى اعراضهم وانتهاك حرماتهم.

ثالثاً: الظلم في الدنيا ظلمات في الآخرة. وعلى المؤمن ان يكابد حتى لا يظلم أحداً حقه، ولا يأكل مالاً بالباطل. وانما يتحقق الأمن الاقتصادي عندما يراعي كل شخص حقوق الآخرين الكبيرة منها والصغيرة.

وقد نهى ربنا أكل أموال الناس بالباطل، وأكد على جملة وصايا وتشريعات للمحافظة على أموال الناس، (مثل كتابة الدين والرهن فيه والشهادة عليه، ومثل الشهادة بالحق، والنهي عن البخس في المكيال والميزان و.. و..) ونهى ربنا عن الظلم، إذ قال سبحانه: { **فإِن لَمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ** } (البقرة / ٢٧٩)

وقال سبحانه: { **فَاخْتَلَفَ الاَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ**} (الزخرف / ٦٥)

وقال تعالى: { **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** } (المطففين / ١ -٣)

وهكذا نرى ان الظلم ليس فقط الاستعلاء في الأرض بغير حق (بالرغم انه من اعظم الظلم)، ولكنه قد يكون بالتطفيف حيث جعل الله لصاحبه الويل.

من هنا فإن على المسلم ان يتجنب ظلم غيره، حتى فيما يتصل بأكل مال قليل منه،

(مثل غشه، او بخسه في الميزان، او احتكار سلعة ضرورية بهدف أخذ ربح مضاعف منه، أو غبنه في البيع او ما أشبه).

كذلك فيما يتصل بالاعتداء على حق من حقوقه المشروعة؛ مثل حق السبق في المسجد او في الطريق، او حق التقدم في الشراء او البيع، أو حق الأولوية في أخذ قرض من البنك او فتح اعتماد تجاري، او حق الدراسة في جامعة او حوزة.

كما لايجوز الاعتداء على الانسان في سلب راحته التي هي من حقه، كاحداث الضوضاء في الليل، او مزاحمته بتلويث البيئة المحيطة به، أو تخريب الحديقة التي يتمتع بها وقطع الاشجار التي تلطف هواءه وما اشبه.

وانما تحديد تفصيل الحقوق المتبادلة من صلاحية فقهاء الشريعة، او منظمي القانون. ولكنا اشرنا الى بعض الامثلة لمعرفة أبعاد الحقوق المدنية التي تجب رعايتها بين الناس.

رابعاً: ومن أبعاد الأمن واشاعة السلام والسكينة في المجتمع؛ المحافظة على حرمات الناس وإن كانت غير مادية. فلا يجوز اتهامهم وجرح كرامتهم والنيل من شخصيتهم واشاعة سلبياتهم ونشر فضائحهم، كما لايجوز إساءة الظن بهم، وقد قال سبحانه: { **يَـآ أَيُّهَـا الَّـذِينَ ءَامَنُـوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** } (الحجرات / ١٢)

ومن الحرمات التي أكد الاسلام عليها رد التحية، حيث قال سبحانه: { **وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً**} (النساء / ٨٦)

وقال جل وعلا: { **الشَّـهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّـهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَـاتُ قِصَـاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** } (البقرة/١٩٤)

عرفنا ضرورة التقيد بكل حرمة من حرمات الناس، سواءً كانت تتصل باستقلاله السياسي (كحق الانتخاب وحرية التعبير وحرية السفر والاقامة وما اشبه)، او كانت تتصل بحقوقه المالية، او بحقوقه وحرماته وكرامته.

خامساً: ومن حقوق المؤمنين على بعضهم، احترام ذمتهم، حيث روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: "والمسلمون اخوة، تتكافئ دماءهم، يسعى بذمتهم أدناهم. هم يد على من سواهم". (١)

---

(١) بحار الأنوار / ج ٩٧ / ص ٤٦.

والوفاء بالعقد والعهد والوعد من حقوق المسلم على المسلم، وكذلك الوفاء بالوصية. وقد جاء في عهد الامام أمير المؤمنين عليه السلام الى مالك الاشتر قوله: " وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة، او البسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء، الناس عليه أشد اجتماعاً مع تفرق اهواءهم، وتشتت اراءهم من تعظيم الوفاء بالعهود.." (١)

سادساً: احتواء الجهل، ومواجهته بالحلم والاصلاح، من عوامل الأمن في المجتمع. ولذلك تجد المؤمنين إذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.

إن من عوامل الجريمة والفساد في المجتمعات البشرية، ردود الافعال غير الحكيمة.. والأمثلة التالية توضح ذلك:

ألف: كثيرة هي جرائم القتل التي تقع بسبب خوف القاتل من صولة المقتول. ولكن هابيل رفض المبادرة الى قتل أخيه بسبب تهديده، فقال: **{ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لاَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }** (المائدة / ٢٨)

من هنا فلو عرف الانسان ان الحلم والأناة خير من الجهل والعجلة، لقلّت نسبة الجرائم.

باء: ومن ذلك السكوت عن خطاب الجاهلين ورده بالسلام، وانما الفتنة لقاح الكلام. وقد أمر الله عباده بأن يقولوا التي هي أحسن، لكي لاينزغ الشيطان بينهم، وأمر الدعاة بأن يدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وان يجادلوا بالتي هي أحسن، وأمر بان يعرضوا عن اللغو وأن يمروا عليه كراماً.

(١) المصدر / ص ٤٧.

(الانعـام/ ٨١ ـ ٨٢)، (البقـرة/ ٢٥٦)، (الانعـام/ ١٣٧)، (الاحقـاف/ ١٣)، (القصـص/ ٥٧)، (المائـدة/ ٢)، (النحـل/ ١٠٠)؛ بـالرغم مـن ان الطغـاة والجبـابرة يـدّعون انهـم يحـافظون علـى أمـن البـلاد، إلاّ انهـم اخطـر مصـدر للتـوتر والخـوف والقلـق؛ لانهـم يجعلـون النـاس شـيعاً يستضـعفون طائفـة مـنهم (هـم اغلـب النـاس)، ويصـادرون حق الناس في الاستقلال والكرامة والحرية والعيش الرغيد، ويوقفون مسيرة التقدم، ويفرضون التخلف ويشيعون الفساد. انهم هم الملوك الذين اذا دخلوا قريـة افسـدوها وجعلـوا اعـزة أهلهـا أذلـة، وهـم الـذين إذا تولـوا سـعوا فـي الأرض ليفسـدوا فيهـا ويهلكـوا الحـرث والنسـل ويقطعـوا الارحـام، وهـم الـذين يشـعلون الحـروب ضـد بعضـهم ويهلكـون بهـا الحـرث والنسـل، وهـم الـذين يثيـرون الفـتن ويقتلون الذين يدعون الى الله تعالى..

من هنا كان الواجب:

ألـف / الـتخلص مـن خـوف الطغـاة، والتمـرد علـى قيـاداتهم، وعـدم الايمـان قلبـاً بشـرعيتهم، بـل الكفـر بهـم. فمـن كفـر بالطـاغوت وآمـن بـالله، فقـد استمسـك بـالعروة الوثقى لا انفصام لها.

وانما الكفر بالشيطان والاستعاذة بالله منه، والايمان بـالله والتوكل عليـه، ورفض ولاية الشيطان.. كل ذلك يقتلع جذور الشرك من القلب، كمـا قـال ربنـا سبحانه: { **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّـهُ لَـيْسَ لَـهُ سُلْطَانٌ عَلَـى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَـى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَـهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** } (النحل/٩٨ ـ ١٠٠)

ووجه الشيطان الداخلي هو الجبت، ووجهه الخـارجي هو الطـاغوت، وجوهر أمره الشرك الذي من دون ان يطهر الانسـان نفسـه من درنـه فلن يسلم ايمانـه من

الظلم. أوليس الشرك ظلم عظيم؟ وإذا تدبرت في آيات الذكر وجدت أن أكثر موارد التعبير بالظلم، هو الظلم العظيم الذي يكون بالكفر والشرك، وسيطرة الطغاة.(١)

واجتناب الطاغوت والكفر يكون بما يلي:

أولاً: انتزاع هيبته وحبّه واحترامه من النفس، والاعتقاد بأنه ظالم وانه من أهل النار، ومن ثم تحقيره واسقاطه نفسياً.

ثانياً: اجتنابه وعدم الاستماع الى قوله، وعدم تصديقه في شيء من كلامه، وقد قال سبحانه: **{ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ }** (الزمر / ١٧)

وهذا يعني مقاطعة اعلام الطاغوت وثقافته، ورجال بلاطه حتى ولو تلبّسوا بلباس العلم والدين.

ثالثاً: مقاطعة الطاغوت اقتصادياً وعدم مراجعته، وقد قال سبحانه: **{ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** (البقرة / ١٨٨)

رابعاً: مقاطعة الطاغوت في القضاء، واقامة نظام قضائي بديل عنه، وقد قال سبحانه: **{ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً}** (النساء / ٦٠)

خامساً: الهجرة من بلاد يحكمها الطاغوت، حيث قال سبحانه: **{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيراً}** (النساء/٩٧)

سادساً: محاربة الطاغوت واسقاطه واقامة حكم الله، حيث قال سبحانه: **{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}** (الحج / ٣٩)

---

(١) راجع المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم / ص ٤٣٥ - ٤٣٨.

باء / ومن الأمن مخالفة الانظمة التي يضعها الطاغوت، والذين يعبدون من دون الله؛ مثل نظام قتل الاولاد الذي كان المشركون يمارسونه بأمر من كبرائهم الذين عبدوهم. ومثل هذا الكثير من فقه السلطة واحكام الطغاة وانظمة الشرك التي لاتزال البشرية تعاني منها. وعلى المؤمن ان يقاطعها ويحاول جهده مخالفتها، حتى يتحرر من الخوف والتخلف.

جيم / والاستقامة على التوحيد عنوان السلام، لان الذين يستقيمون على نهج التوحيد هم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ومن الاستقامة:

أولاً: التوكل على الله، والصبر على أذى الكفار، والاستعانة بالله سبحانه على ما يصفون، وعدم الخوف من لومة اللائمين.

ثانياً: التقوى وتنفيذ ما أمر الله به، ورص الصفوف، والتواصي بالحق والصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

دال: وعلينا سواءً في ايام الهدنة أو ايام الصراع مع الطاغوت؛ علينا ان نطبق ما استطعنا من تعاليم الدين؛ مثل اقامة الصلاة وايتاء الزكاة، ومثل احترام شعائر الله والشهر الحرام والهدي والقلائد، واحترام المسجد الحرام، واحترام مساجد الله جميعاً.

٨٨٨ **٦/ الأمن العلمي والثقافي**

(الفرقان/ ٧٢-٧٣)، (البقرة/ ٢٢٥)، (البقرة/ ١٤٦)، (آل عمران/ ١٦٧)، (البقرة/ ٢٢٨)؛ لا يسود السلام أمة لا قيمة للكلمة عندهم. إن الكلمة أمانة عليك، فاذا عبرت عما في الضمير ولم تشهد الزور ولم تكن اداة اللغو او اليمين الكاذبة ولم تكتم الحق، فقد اديتها وكانت الكلمة وسيلة الأمن، وإلاّ فانها تصبح أداة هدم وفساد.

الف / علينا ان نشيع السلام بالكلمة. وقد وردت آيات بان تحية أهل الجنة فيها سلام، وقد حيّا القرآن انبياء الله بالسلام. والله هو السلام، ومنه السلام، واليه

السلام، وداره دار السلام. وهكذا كان شعار المسلمين عند لقياهم ببعضهم السلام عليكم. وعلينا اشاعة هذه التحية على كل أفق، وحتى عند مخاطبة الجاهل يقول المؤمن: سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين.

باء / وهكذا يترك المؤمن اللغو، ويعرض عن مجالس المكذبين بآيات الله، ولا يشترك في غيبة او تهمة او حمية، ولا يفيض فيما يفيض أهل الباطل.

جيم / وعلينا ان نقيم - بكلماتنا - الشهادة لله، ولا نشهد بالزور، ولا نشهد الزور. ونستفيد من كلماتنا في اقامة القسط، وازالة الباطل والظلم.

وهكذا يعيش الحق بكلمات المؤمنين، ويمحق الباطل بشهاداتهم الصادقة.

دال / واليمين الكاذبة تدع البلاد الآمنة بلاقع، وتحولها الى صحاري مخيفة. ولذلك فان المؤمن يتجنبها تنفيذاً لامر الله سبحانه الذي أمر:

أولاً: بترك اليمين التي تهدف تزكية الذات، والتبري مما يقال عنك (من الحق)، والتظاهر بالتقوى والاصلاح. يقول ربنا سبحانه: **{ وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }** (البقرة / ٢٢٤)

ثانياً: ونهى ربنا عن اليمين الكاذبة، فقال سبحانه: **{ وَلكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** (المائدة / ٨٩)

ثالثاً: وأمر الذين يولون من نسائهم (ويحلفون يميناً ألاّ يباشروهن)، بان يختاروا بعد اربعة اشهر بين الطلاق او كسر اليمين والكفارة.

هاء / وعلينا ان نقول الحق ولا نكتمه (عند الشهادة بصدق الرسالة والدعوات الالهية، وعند الشهادة بحقوق الناس).

أولاً: قال الله تعالى: **{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }** (البقرة / ١٤٠)

وقال تعالى: { **الَّذِينَ ءَاتَيْنَـاهُمُ الْكِتَـابَ يَعْرِفُونَـهُ كَمَـا يَعْرِفُونَ أَبْنَـآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقـاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** } (البقرة / ١٤٦)

وهكذا حرّم الدين عن العلماء أن يكتموا الحق، إذا كان في كتمانه ضلالة الناس..

ثانياً: ولا يجوز للمرأة ان تكتم ما في رحمها، فقد قال ربنا سبحانه: { **وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**} (البقرة / ٢٢٨)

واو / ويجب ان نقول ما نضمره، ولا يجوز ان نتحدث بما لا يعبر عن قلوبنا، وتلك صفة المنافقين الذين يقول عنهم ربنا سبحانه: { **يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ** } (آل عمران / ١٦٧)

وكلمة أخيرة؛ القرآن كتاب الأمن والسلام، وعلينا ان نتبع آياته في مختلف الآفاق، حتى ننعم بالأمن ونتخلص من الخوف والحزن.. والمسلم الذي يتبع نهج الوحي في الدنيا، يتمتع بالسلام في الآخرة ايضاً، حيث يقول سبحانه: { **لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } (الانعام / ١٢٧)

ولن تكون الدنيا دار السلام، ولكنها قد تكون اقرب شيء منها او تكون أبعد شيء عنها. وفي أحاديث النبي وأهل البيت عليه وعليهم السلام وصايا، لو طبقها الناس تجنبوا كثيراً من مصادر الخوف والألم. ونختم هنا حديثنا بواحدة منها، وهي الرواية المأثورة عن الثمالي عن الامام الباقر عليه السلام، قال: وجدت في كتاب علي عليه السلام إذا ظهر الزنا من بعدي ظهرت موتة الفجأة، وإذا طفّفت المكائيل أخذهم الله بالسنين والنقص، وإذا منعوا الزكاة منعت الارض بركاتها من الزرع والثمار والمعادن كلها، وإذا جاروا في الحكم تعاونوا على الاثم والعدوان، وإذا نقضوا العهد سلّط الله عليهم عدوّهم، وإذا قطعت الأرحام جعلت الأموال في أيد

الأشرار، وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتّبعوا الأخيار من أهل بيتي سلّط الله عليهم شرارهم ثم تدعو خيارهم فلا يستجاب لهم. (١)

(١) بحار الأنوار / ج ٩٧ / ص ٤٥.

الفصل الثاني:

٨٨العدل

٨٨٨ معنى العدل:

١/ التناسب والاستواء والكمال في الخلق، هو العدل فيه. قال ربنا سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ }** (الانفطار / ٦ - ٧)

فالخلق السوي العادل، هو الخلق المتناسب المتكامل.

٢/ وكلمات الله صدق وعدل. فهي تامة ومطابقة للحق، ولا نقص فيها ولا انحراف. قال الله تعالى: **{ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }** (الانعام / ١١٥)

٣/ والفدية التي تتناسب مع الانسان، هي عدله. قال الله سبحانه: **{ وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ}** (البقرة / ٤٨)

٤/ ومن ذلك قوله سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُتَعَمِّداً فَجَزَآءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً }** (المائدة / ٩٥)

٥/ والعدل في الطريق استواءه، وهذا ما نستوحيه من قوله سبحانه: { **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لاَ يَأْتِ بِخَيرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** } (النحل / ٧٦)

فالعدل الذي يأمر به، هو الصراط المستقيم الذي يعمل به - حسبما يبدو من السياق -.

٦/ والكفار يعدلون بالله، حيث يجعلون له شريكاً معادلاً له حسب زعمهم تماماً -سبحانه وتعالى-. قال ربنا العزيز: { **قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** } (الانعام /١٥٠)

٧/ والعدل بين الزوجين، ان يجعل احديهما عدل الثانية، فلا يميل مع هواه الى احديهما دون الاخرى. قال ربنا سبحانه: { **وإِنْ خِفْتُمْ اَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَآءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ اَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى اَلاَّ تَعُولُوا** } (النساء / ٣)

٨/ وحين ضرب الله مثلاً لرجلين (مختلفين الطباع)، بيّن ان احدهما أبكم (لا ينطق؛ لا بحق ولا بباطل)، بينما الثاني يأمر بالعدل (فهو يتكلم ومنطقه صواب، وهو يتصدى لإقامة الحق بالكلام). قال الله سبحانه: { **وَضَرَبَ اللَّهُ مثلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لاَ يَأْتِ بِخَيرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** } (النحل / ٧٦)

فالعدل هو الأمر بالصواب، والقسط هو العدل في ايفاء الحقوق وايتاء كل ذي حق حقه، وهو أبرز وجوه العدل.

وهكذا العدل حالة الاستواء، سواءً كانت في الحياة الفردية او في العلاقة مع المجتمع. فالفحشاء مخالفة للعدل، بينما لا علاقة لها بالقسط. بينما البغي (والظلم) مخالفة للقسط، كما أنها متناقضة مع العدل.

٨٨٨ **قيمة العدل:**

١/ العدل من ابرز القيم التي تفيض من الايمان بالحق. -فإنك- اذا آمنت بكل حق، يترتب على ذلك وفاءك بذلك، بان تعمل حسب ايمانك بكل حق، وحسبما يقتضيه كل حق منك.

وهكذا أمر الله بسلسلة قيم أبرزها العدل، فقال الله سبحانه: { **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**} (النحل / ٩٠)

فالعدل هو ان تعيش مستوياً، فلا تفحش في حالة على حساب حالة. (فلا تبذير ولا اقتار، وكذلك لا رهبانية ولا فسوق).

والمنكر يخالف العدل كما البغي، لان المنكر تجاوز لحق الله، والبغي مخالف لحق الناس.

٢/ وقد يدعو العداء لقوم تجاوز العدل في القضاء، مثل ان يؤيد الفرد خصومهم في الشهادة، ولكن الله سبحانه نهى عن ذلك. وقال الله سبحانه: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى اَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** } (المائدة / ٨)

ومن هذه الآية نستفيد معنى العدل، وهو اتباع الحق. بينما خلافه اتباع الهوى، أليس الشنآن من الهوى؟

٣/ وقد أمر ربنا بأن نقوم دائماً بالقسط، وايتاء الناس حقوقهم، وان تكون شهادتنا لله سبحانه. (ومن كان قوّاماً بالقسط كان قوّاماً لله، ومن كان شهيداً بالقسط كان شهيداً لله). قال الله تعالى: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وإِن تَلْوُو أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** } (النساء / ١٣٥)

فإذاً اتباع الهوى يسبب في الميل عن الحق الى الباطل، وبالتالي يدعونا الى ترك العدل.

٤/ والعدل هو اقامة الحق، كما هو دون ميل عنه. والحق هو الميزان الذي يجب ان نحكم به بين الناس حتى يسود العدل. فالحق هو الذي يقيم العدل. قال الله سبحانه: **{وَمِن قَوْمِ مُوسَى أمة يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ }** (الاعراف / ١٥٩)

٥/ وقد أمر الله رسوله بان يستقيم على الحق الذي أمر به، وألاّ يتبع اهواء الناس (التي

تخالف الحق وتجنح الى الباطل)، وألاّ يفرق بين كتاب وكتاب (وبين حق وحق، بل يتبع الحق كله، يهواه او لا يهواه). وهكذا أمر بالعدل بينهم (اتباعاً للحق)، فقال ربنا سبحانه: **{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ }** (الشورى / ١٥)

٨٨٨ **بين العدل والقسط:**

والقسط جانب هام من العدل، انه الوفاء بحقوق الناس - وبالذات - المالية منها. والاقساط هو اعطاء الاخرين قسطهم ونصيبهم وهو حقهم، بينما القاسط هو الظالم الذي يأخذ من الناس حقهم وقسطهم.

١/ وقد أمر الله سبحانه بالقسط، فقال الله تعالى: **{ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ }** (الاعراف/٢٩)

٢/ والحكم بالعدل بين الفريقين المتحاربين من ابناء الامة يقتضي القسط، وهو السعي لايتاء كل فريق حقه دون نقصان. وهكذا نعرف ان الحكم بالعدل مقدمة للعمل بالقسط. قال الله تعالى: **{ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }** (الحجرات / ٩)

وهكذا نعرف ان البغي يتنافى والعدل والقسط معا، كما نعرف ان الاقساط قيمة اساسية في الشريعة، حيث ان الله يحبها.

٣/ والله يحب الاقساط، حتى بالنسبة الى الكفار الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين. قال الله سبحانه: { **لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** } (الممتحنة / ٨)

٤/ بل القسط حكمة وبعثة الانبياء. فالكتب وما فيها من موازين لمعرفة الحق توفر فرصة الاقساط واقامة العدل بين الناس، كما ان الانبياء عليهم السلام هم الذين يقودون الناس في مسيرة العدالة، كما انهم يقضون بين الناس بالحق. قال الله سبحانه: { **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** } (الحديد / ٢٥)

والآية تجمل ما فصلتها آيات اخرى من شروط اقامة القسط، وهي التالية:

الف: ارسال الرسل الذين يحملون الى الناس نور الحق بالأدلة البينة.

باء: انزال الكتاب الذي فيه شرائع كاملة لحياة البشر.

جيم: توفير الميزان (ولعله احكام القضاء في الكتب او هو التعاليم الواضحة).

دال: وجود الحديد، والذين يستخدمونه لاقامة القسط، هم الذين ينصرون دين الله.

٥/ ومن أجل ضبط الحقوق، أمر الاسلام بايفاء الكيل والميزان تماماً، (ونهى عن التطفيف). قال الله تعالى: { **وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لانُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** } (الانعام / ١٥٢)

٦/ والميزان الذي نجده في الارض، يتناسب والنظام الدقيق الذي خلق الله السموات والارض عليه. قال الله سبحانه: { **وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلاَّ**

تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ } (الرحمن / ٧ - ٩)

٧/ وقد شدد القرآن النكير على الذين يطففون في المكيال، (ويغشون الناس بفساد ميزانهم او مكيالهم)، فقال ربنا سبحانه: **{ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ }** (المطففين / ١ - ٥)

وهكذا أحكم الدين بناء القسط في المجتمع بالتشديد في أمر الميزان الذي يتم به الوفاء بحقوق الناس.

٨/ وهكذا أمر القرآن الكاتب الذي يسجل الدَين ان يكتب بالعدل، لكي لا يضيع حق الدائن. قال ربنا سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوْا إِذَا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ إِلَى اَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً }** (البقرة / ٢٨٢)

٨٨٨ **آفاق القسط والعدل:**

١/ وللقسط آفاق كما للعدل. فكل حق يجب ان يرجع الى أصله، مثل الولد ينسب الى والده (لا الى الذي يدعيه او يتبناه)، فهذا من القسط. قال الله سبحانه: **{ ادْعُوهُمْ لِابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً }** (الاحزاب/٥)

٢/ والقول بالعدل من اعمدة اقامة العدل في المجتمع، ذلك لان كلام الناس في أية قضية مؤثر. قال الله تعالى: **{ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لانُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** (الانعام / ١٥٢)

٣/ وان القول بالعدل يشمل الحكم به، لان القول قضاء المجتمع، والقضاء كلمة المحكمة. ومن حق الناس ان نقول لهم العدل، وان نحكم بينهم بالعدل. (ولعله لذلك جاء الأمر به في سياق الأمر باداء الامانة)، حيث قال الله تعالى: **{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً }** (النساء / ٥٨)

٤/ وقد أمر القرآن بالبحث عن الرجال العدول للاشهاد، فإن ذلك أضمن لإقامة العدل في المجتمع. قال الله سبحانه (عن ضرورة الاشهاد في الطلاق): **{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً }** (الطلاق / ٢)

٥/ وحتى في تحديد المقادير الشرعية، فنحن بحاجة الى شاهدين عدلين (البينة الشرعية)؛ مثل حكم من قتل صيداً وهو محرم، فعليه ان يكفّر بحيوان أهلي مثله. اما كيف نتعرف على هذه المماثلة؟ فانما بالتحاكم الى ذَوَي عدل. قال ربنا سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُتَعَمِّداً فَجَزَآءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ}** (المائدة / ٩٥)

٨٨٨ **العدالة سنة الله:**

١/ والعدل سنة الله في الخليقة. قال الله تعالى: **{ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامة لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِي بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ }** (يونس / ٥٤)

٢/ وقال الله سبحانه: **{ وَلِكُلِّ أمة رَسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِي بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }** (يونس / ٤٧)

٣/ ويوم القيامة يوم القسط. (فمن لم يقسط أخذ الحق منه، ومن لم يقسط له أخذ الحق له). قال الله سبحانه: **{ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ }** (الانبياء / ٤٧)

واذا كان القسط سنة الخليقة، واذا كنا نواجه جميعاً حقيقة القسط في يوم القضاء العادل، فإن الواجب اتباع العدل والوفاء بالقسط أبداً.

^^بصائر الآيات

١/ الاستواء في الخلق عدل، وكلمة الصدق التامة عدل، والفدية المساوية للشيء عدله، والكفار يعدلون بربهم (باتخاذ شريك مساوٍ له)، والعدل بين الزوجتين جعل احديهما عدل الثانية (في العشرة)، والأمر بالعدل الأمر بالصواب.

٢/ وهكذا معنى العدل - فيما يبدو - اوسع من معنى القسط. فالقسط في الحقوق المالية، بينما العدل الاستواء في كل شيء.

٣/ والعدل ميراث الايمان بالحق، والفحشاء (التطرف) ليست بعدل. كما المنكر ظلم (بحق الله) والبغي ظلم (بحق الناس).

٤/ وبغض جماعة قد يدعوك الى بخسهم حقهم (ترك العدل).

٥/ ومن اتبع هواه لم يعدل، (فلم يعط للناس حقوقهم).

٦/ وميزان العدل الحق، فبه يعدل المؤمن.

٧/ والقسط اداء حقوق الناس اليهم، والله أمر بالقسط. والحكم بالعدل بين الفريقين المتحاربين، يقتضي اعطاء كل فريق حقه (الاقساط).

٨/ والله يحب المقسطين (فهي قيمة ايمانية)، وحتى الكفار غير المحاربين لا ينهى الله عن الاقساط بحقهم.

٩/ وتتوفر شروط اقامة القسط بما يلي؛ اولاً: بعث الرسل. ثانياً: انزال الكتب التي فيها شرائع الحكم. ثالثاً: وضع الميزان (ولعله الامام القاضي بين الناس). رابعاً: وجود الحديد. خامساً: تحمل طائفة، نصرة الدين بالحديد.

١٠/ والميزان اداة اقامة القسط، وعلى الانسان ان يقيم الوزن بالقسط، ولا يخسر الميزان فيكون من المطففين الذين لهم الويل؛ لانهم إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم او وزنوهم يخسرون.

١١/ وقد أمر الله من يكتب الدين ان يكتبه بالعدل، (فلا يزيد او ينقص فيضيع الحق).

١٢/ وان يدعى الولد لأبيه اقسط عند الله، (ربما لانه يفي بحق الأب).

١٣/ ومن عوامل تطبيق الحق، قول العدل حتى حول الأقرباء (والشهادة به)، وكذلك الحكم بالعدل بين الناس، وهكذا اشهاد العدول من الناس في المسائل. ورسل الله (يطبقون العدل)، ويقضون بين الناس بالقسط.

^^فقه الآيات

لان العدل سنة الله التي خلق بها الخليقة كلها، وقد قال سبحانه: { **وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ** }؛ فإن الحديث عنه يفصل في جوانب متدرجة؛ قاعدتها البحث عن هذه الحكمة بالمقارنة مع الفكر الفلسفي، ثم نبني على هذا الحديث المقارن الصرح الدستوري للعدل - لنرى كيف تصبغ جوانب الدستور وأصول الفقه الاسلامي بصفة العدل، وننتقل أخيراً الى تفاصيل فقهية نستفيدها من الآيات الكريمة في هذا الحقل انشاء الله.

^^العدالة في الفكر الفلسفي

تحدثنا - بتوفيق ربنا - حديثاً مفصلاً عن القيم في الفلسفة، مقارنة بما في الوحي من الحكمة (قيم). وكان العدل من أبرز قيم الفلسفة قديمها وحديثها، كما كان له مكانتة في بصائر الوحي. (١) فياترى لماذا نعود الى الحديث عنها مجدداً؟

لسبب واحد ومهم، وهو ايجاد صرح علمي رصين في التشريع اساسه بصائر ايمانية (عند أهل الشرع) او رؤى فلسفية (عند غيرهم)، وركائزه أصول فقهية (عند أهل الشرع) ودساتير (عند غيرهم)، وعرصاته أحكام شرعية (عند الفقيه) وقوانين وضعية (عند رجل القانون).

والسؤال: فأين محل العدل في هذا الصرح العلمي؟

ان لم يكن العدل القاعدة الاساس في كل بصائر الوحي كما في رؤى الفلسفة، فإنه لا أقل من أهم القواعد الاساسية. كيف؟

لان الأساس عند أهل الشرع، الحق. والعدل هو تجلي الحق في سلوك البشر. أليس العدل هو " اداء الحق " في كل حقل، أوليس الظلم هو " نفي الحق " او عدم اداءه أنّى كان الحق وأنّى كان صاحبه؟

ثم ان العدل عند أكثر الفلاسفة هو الاساس، وعند بعضهم أنه من أهم الأسس. كما نبينه قريباً إنشاء الله.

وملاحظة هامة؛ عندما نتأمل في مقدمة الدساتير المختصة ببيان قيم الدستور واهدافه، نرى - عادة - الحيرة في التوفيق بين قيمتي الحرية والأمن (السلطة)، وقلّما وفق دستور وضعي في تجاوز هذه الحيرة بحل مقنع وشامل. بينما الحل هو تحكيم قيمة العدل (او قل الحق)، فإذا احتكمنا الى العدل رأيتنا قد وفقنا لما فيه الخير للجميع؛ فنقسّم الدستور الى ما يخدم الحرية عندما تكون من حق الناس الحرية، والى ما يخدم الأمن إذا كان في مصلحة الناس الأمن. وهكذا تكون قيمة العدل ميزاناً لسائر القيم الاساسية في الدساتير.

---

(١) انظر الى الجزء الثالث من هذه الموسوعة، وبالذات ص ١٧٥ - ٢٣٠.

بعد هذه المقدمة نعيد بايجاز ما اسلفناه في الجزء الثالث (١) من هذه الموسوعة، حسب البصائر التي استوحيناها من الوحي؛ الايمان هو الاعتراف بالحق كله؛ (٢) بالله سبحانه، وبخلقه؛ أي بما في السموات وبما في الأرض؛ بالاحياء والطبيعة، بالناس جميعاً، وبالنفس وما فيها من روح وجسد، وعقل وشهوات.

وهذا الاعتراف قاعدة العدالة في بصائر الوحي، لانه يؤدي بنا الى احترام كل الحقوق التي يفرضها ايماننا بكل ماهو حق، ابتداءً برب العزة الخالق الحق، ومروراً بانفسنا وما فيها من ابعاد مختلفة، وانتهاءً بالعالم المحيط بنا وكل ما فيه.

وإذا ألقينا نظرة الى الفلسفة وروّادها، رأيناها تعتقد في العدالة أنها حاكمة على عالم المثُل (عند افلاطون)، ولابد من تحقيقها في عالم المادة. ويرى (ارسطو) تلميذه انها القيمة الأولى (بالاضافة الى العقل والحب). اما (ابيقور) فإنه يؤمن بتوازن اللذات (او العدالة بينها)، ويعتبر ذلك القيمة الاساسية.

ويبدو ان (هوبز) من الفلاسفة الأوربيين قد اتخد من (ابيقور) هذه النظرة؛ حين دعا الى ايجاد توازن بين الشهوات الجزئية.

بينما الديانة اليهودية جعلت طهارة القلب الأصل الأول في لوح قيمها، ثم جعلت العدالة الأصل الثاني. واعتبرت المسيحية العدالة أقل واجبات الانسان (مما لايمكن تجاهلها).

أما المذاهب الأخلاقية الحديثة، فقد اشادت جميعها بالعدالة، بالرغم من اختلافهم في تبريرها. فقد اعتقد (كانت) بما سماه بـ (سيادة الغايات)، حيث اوجب ان يجعل الانسان ارادته متوافقة مع ارادة الاخرين (بما يرجع الى فكرة العدالة).

والتضامن المنفعي عند (متشنيكوف) والذي رأى أنه ذروة السعادة، يعتبر جانباً من ابعاد العدالة.

---

(١) راجع ص ١٨٨.

(٢) راجع التشريع الاسلامي - للمؤلف / ج ٣ / ص ٢١٣-٢٢٥.

والمذاهب الواقعية السائدة اليوم في امريكا، تدعو الى ايجاد توازن بين مختلف الحقوق والواجبات.

٨٨العدالة في الفقه الدستوري

تعتمد أكثر الدساتير الوضعية، المذاهب الفلسفية الانفة الذكر في تشريعاتها. ولذلك فقد جعلت العدالة هدفاً من أبرز أهدافها، كما نقرءها في ديباجة كل دستور. غير أن أكثرها لم تتوفق لتحقيق العدالة ضمن برنامج واضح. بل كان المذهب التقليدي للفقه الدستوري يرى وجوب الربط بين الدستور والنظام الديمقراطي الحرّ. فقد ساد الاعتقاد لدى هذا الفقه ان الدستور يرتبط بمضمونه، وانه لايكفي للقول بوجود الدستور ان يتضمن القواعد المنظمة للسلطة السياسية في الدولة، وانما يجب ان يتضمن - فضلاً عن ذلك - القواعد التي تكفل حريات الأفراد وتصون حقوقهم. (١)

وصيانة الحقوق عبارة عن العدالة فيما يبدو.

وبالرغم من أن المذهب الحديث في الفقه الدستوري فك هذا الارتباط، (٢) إلاّ ان تطور هذا المذهب جعل الحرية والعدالة جزء من الدستور، حيث يرى الاستاذ (أندريه هوريو) موقف كل من الفقه الدستوري الذي رأى في الدستور تنظيماً للسلطة، والفقه الدستوري التقليدي الذي رأى فيه تنظيماً للحرية، وانتهى الى ان الدستور او القانون الدستوري يجب ان يكون اداة للتوفيق بين السلطة في اطار الدولة او اداة للتعايش بينهما. (٣)

---

(١) الدكتور ابراهيم عبد العزيز شيحا - القانون الدستوري (طباعة الدار الجامعية- بيروت) ص ٣٤.

(٢) المصدر / ص ٣٧.

(٣) المصدر / ص ٤١.

وبالاضافة الى ان العدالة هدف اساسي للدستور، فانها كهف المشرّعين والقضاة عند فقدان النص القانوني.

وفي هذا المجال يقول الدكتور عبد المنعم فرج الصده: ومن هنا وجدت فكرة العدالة الى جانب فكرة القانون الطبيعي. فهذا القانون عبارة عن المبادئ التي تكون المثل الأعلى الذي لايتغير. فهي مشتركة بين جميع الأمم، ويجب على الشارع (١) في كل بلد، وفي كل عصر ان يرسمها ويعمل على هداها. اما العدالة فهي التي تتكفل بتطبيق هذه المبادئ في حلول ترى فيها ظروف كل حالة على حده. (٢)

ويضيف قائلاً: فاذا لم يجد القاضي نصاً في التشريع، ولا قاعدة في العرف، ولا بصيرة مستوحاة من مبادئ الشريعة الاسلامية، فإنه يستلهم مبادئ العدل المجرد، التي تتضمنها فكرة القانون الطبيعي، مراعياً في ذلك الظروف والملابسات الخاصة بالحالة المعروضة أمامه. (٣)

ويضرب مثلاً على ذلك بما يلي: وقد استطاع القضاء المصري في كنف مبادئ القانون الطبيعي، وقواعد العدالة، ان يقوم بدور جليل في استحداث احكام لمواجهة اوضاع يقصر التشريع والعرف عن تنظيمها. من ذلك؛ انه على اساس هذه المبادئ والقواعد كفل حمل الملكية المعنوية، وهي الملكية الادبية والفنية والصناعية، كحق المؤلف إن كان عالماً او كاتباً في مصنفاته العلمية او الأدبية، وان كان فناناً في مبتكراته الفنية، وحق المخترع في مخترعاته الصناعية، وحق التاجر في الاسم التجاري والعلامة التجارية.. وذلك قبل ان تصدر القوانين التي تنظم هذه الحماية. ومن ذلك ايضاً أخذ بفكرة التعسف في استعمال الحق، قبل ان يصدر التقنين المدني الحالي الذي ينص عليها في المادة الخامسة منه. وذلك لتقرير

---

(١) أي الذي يسن القوانين الوضعية مثل البرلمان او الفقيه القانوني.

(٢) أصول القانون (طباعة دار النهضة العربية -بيروت) ص ١٧٣.

(٣) المصدر / ص ١٧٥.

مسؤولية الشخص عما يسببه استعماله لحقه من ضرر للغير، كأن يبني شخص حائطاً عالياً في ملكه لكي يحجب النور والهواء عن جاره. (١)

وخلاصة القول؛ إن الفقه الدستوري الحديث يرى العدالة هدفاً للمشرّع، كما هو كهف القاضي الذي لايجد نصاً في القانون.

٨٨العدالـة في الفقـه الاسلامـي

والعدل هدف سام يتوخاه الفقه الاسلامي، سواءاً في اصوله وقواعده أم في فروعه. وفيما يلي نتلو معاً آيات من الكتاب الكريم، تتجلى فيها روح العدالة في جملة من أصول الاحكام الشرعية، ومن ثم نستعرض بعض الاحكام الفرعية.

٨٨٨ العدل الصبغة العامة للدين:

(الحديد/٢٥)، (يونس/٤٧)، (النحل/٩٠)، (المائدة/٨)، (النساء/١٣٥)، (الاعراف/٢٩)؛ القسط حكمة بعثة الرسل، والكتاب وسيلته، والميزان أدائه، والحديد سلاحه، والمجاهدون قوّامه.

ولكل أمة رسول، ورسولهم يقضي بينهم بالقسط؛ كما كان داود عليه السلام خليفة الله، وقد أمره الله بأن يحكم بين الناس بالحق ولا يتبع الهوى.

وهكذا أمر الله بالعدل والاحسان، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. وأمر الذين آمنوا أن يكونوا قوّامين لله شهداء بالقسط، كما أمرهم بأن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله. (ومن الشهادة لله؛ الشهادة بالقسط. ومن القيام لله، القيام بالقسط). والحق هو الذي به يعدل، (فإذا أوتي كل انسان حقه، فقد تحقق العدل).

هذه هي البصائر التي نتلوها في آيات الكتاب، وهي تتجلى في احكام الدين. وفيما يلي بعضها:

---

(١) سوف نعود قريباً انشاء الله - لبيان حكم هذا المثل عند بعض فقهائنا -.

ألف: إن العدل محتوى رسالات الله. فالله أمر بالقسط (الاعراف / ٢٩)، كما أمر سبحانه بالعدل (النحل/٩٠). ومعنى ذلك، ان علينا ان نحققهما أنّى استطعنا اليهما سبيلاً.

وينبغي ان نجعل العدل صبغة سلوكنا الذاتي، ومحور علاقتنا الاجتماعية، وهدف حضارتنا الانسانية. ومادام الأمر بالقسط او العدل مطلقاً، فإن علينا اتباع أمره سبحانه فيه ومعرفة أبعاده ومصاديقه وحقائقه. كما ان ربنا سبحانه لو أمر بالتوجه الى القبلة، كان من المفروض البحث عنها لمعرفتها، ثم تحقيق الشروط الموضوعية للصلاة تجاهها. فالسعي لتحقيق الواجبات يعني توفير مقدماتها الذاتية والموضوعية.

باء: والرسل عليهم السلام يقومون بعدة واجبات، حتى يوفروا للناس فرصة اقامة القسط.

أولاً/ تلاوة الكتاب، وتزكية الناس بآياته وتعليمهم، حتى يعرفوا أهمية العدل، وواجبهم تجاهه، ومدى أهميته لحياتهم، وما أشبه.

ثانياً/ توفير الميزان، ولعله القضاء العادل، او أية وسيلة ضرورية لاقامة القسط، مثل توفير المعايير الثابتة (القسطاس المستقيم). وقد كان الانبياء عليهم السلام هم بأنفسهم يقضون بين الناس بالحق. (يونس/ ٤٧) و (ص/ ٢٦). وعلى الناس واجب طاعة الرسول إذا قضى بينهم، ولا يكون المرء مؤمناً حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضاه الرسول صلى الله عليه وآله.

ثالثاً/ توفير القوة الكافية لردع الذين يخالفون القسط، وهذه القوة هي الحديد (السيف) الذي يحمله رجال مؤمنون ينصرون الله ورسله بالغيب، وبذلك يمتحنهم الله سبحانه. (الحديد / ٢٥).

وهذه هي مسؤوليات خلفاء الرسول بعد وفاته صلى الله عليه وآله.

جيم: والناس مسؤولون عن اقامة القسط، وذلك بالتسليم له، والدفاع عنه، وما أشبه. (الحديد / ٢٥)، حيث يقول ربنا سبحانه **{ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }**.. وقد أمر الله سائر الناس بالعدل، كما أمرهم بالقسط.

دال: والمؤمنون - خاصة - حملوا أمانة اقامة القسط ليس فقط في فترة محدودة، أو بعمل معين، وانما بأن يكونوا قوامين بالقسط. وهذا يعني:

أولاً/ ان تكون من صفاتهم صفات القيام بالقسط، ومن مسؤولياتهم التي يديمون عليها كما يديمون على الصلاة والزكاة.

ثانياً/ كثرة القيام في مختلف حقول الحياة، فأنّى كان ظلم ناهضوه وأقاموا مكانه القسط. وإذا كانت بعثة الأنبياء تهدف قيام الناس بالقسط (وليس قيامهم مباشرة إلاّ في حدود القضاء العادل)، فإن الفريق المكلّف بإقامة القسط تكليفاً مباشراً هم المؤمنون.

هاء: وقيام المؤمنين بالقسط يتم بأمرين:

أولاً/ بالشهادة لله عليه. فإن الله قد جعل دوام القيام وكثرة القيام لله، متمثلاً في اقامة الشهادة واقامة القسط، من الصفات التي ينبغي ان يتحلى به المؤمنون. والشهادة تتحقق بأن يفتح المؤمن عينه على محيطه، ويراقبه بدقة، ويستفيد من صفة التوسم التي رزقه الله، ويتعرف على القسط ماهو، ومن هو صاحب الحق؟

وهكذا يتفقه في معرفة صاحب الحق، ثم يعلن للناس بلا خوف أنه هو صاحب الحق (عندما يطلب منه)، وهذه الشهادة تنفع إقامة العدل كثيراً.

ثانياً/ حمل السلاح للدفاع عن المظلوم ومناهضة الظالمين، لأن الله سبحانه حين جعل حكمة بعثة الرسل اقامة القسط في سورة الحديد، بيّن انه سبحانه أنزل الحديد فيه بأس شديد، وعلّل ذلك بامتحان من ينصره ورسله بالغيب. وحينما أمر المؤمنين باقامة القسط، عرفنا ان الأولى بحمل السلاح لإقامته هم المؤمنون.

واو: وعلى المؤمنين ان يتوكلوا على الله ويؤمنوا بغيب نصره وانه قوي عزيز، حتى لا تهزمهم قوى الظلم، وحتى لايعتمدوا على ظالم لدفع غيره ثم يبتلوا به، ولعله يكون اخطر من الأول.

زاء: ولقد أمر الله سبحانه المؤمنين في آيتي (النساء والمائدة) باقامة القسط، والشهادة عليه، بينما قال في سورة الحديد ليقوم الناس بالقسط. ولعل السر في ذلك ان المؤمنين هم طليعة الناس، ولكنهم لايقومون بالقسط وحدهم، بل يسعون ليجعلوا الناس هم بدورهم يقومون بهذا الواجب. فلا يتحمل النخبة المؤمنة مسؤولية القسط وحدهم، ولا يتركونه على الناس وحدهم، بل إنهم يقودون الناس في القيام به، ويكونون هم السابقين الى القيام به. وهذه هي العلاقة المثلى بين النخبة والجماهير.

حاء: وان يكون المؤمن قوّاماً لله؛ يعني ان يكون قوّاماً بالقسط، وان يكون شهيداً لله بالقسط، وهذان مصداقان للقيام لله. ولهذه الصفة مصاديق أخرى، كأن يقوم الانسان بخدمة المجتمع، وتعليمه وتربيته وغيرها. وهكذا تكون من مسؤولية المؤمن الاجتهاد في العمل بما يرضي الرب، وبالذات في الأمور الاجتماعية، حتى تنحسر الفتنة عن المجتمع، وينتشر نور الاسلام في كل بقعة من بقاع الأرض.

٨٨٨ **العدل في القضايا السياسية:**

(الحجرات/ ٩)، (الممتحنة/ ٨)؛ الحكم الاسلامي قائم على أساس الحق، والذي يتمثل في العدل والتوازن بين الفوضى والاستبداد. ومن أجل تجاوز حالة الفوضى لابد من حاكمية الولاية الالهية، ومن أجل تجاوز الاستبداد لابد من الشورى. وهكذا كان الحكم الاسلامي يتمثل في الشورى والولاية، حيث يقول ربنا سبحانه: **{ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }** (آل عمران/ ١٥٩). فالشورى تهيء أرضية القرار الحازم الذي يعزمه الحاكم ويتوكل على الله في تنفيذه.

ويتجلى عدل الله في السياسة ايضاً؛ في أن يكون لكل الطوائف حقوقهم العادلة، حتى عند القتال فيما بينهم، ولا يجوز بغي احديهما على الأخرى.

وعلاقة المسلمين بغيرهم كذلك؛ ففي السلم ينبغي البر بهم واداء حقوقهم، وفي الحرب لايجوز الاعتداء عليهم إلاّ إذا اعتدوا، وهناك لايجوز تجاوز حدود اعتداءهم. ومن هذه البصائر نستفيد الاحكام التالية:

ألف: على المسلمين وبالذات قادتهم استنفاد كل الوسائل التي توفر حقائق الشورى في المجتمع. أوَلم يقل ربنا في صفتهم **{ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ }** (الشورى / ٣٨)؟ وذلك بما يلي:

أولاً/ انتخاب الحاكم الاسلامي يتم عبر الشورى، حيث يختار المسلمون من يشاؤون من القيادات الكفوءة التي تتوافر فيهم صفات الحاكم الاسلامي من العدالة والفقه والكفاءة و.. و..

ثانياً/ يختارون وسائل مناسبة للتشاور في أمور بلادهم، مثل المجالس النيابية والبلدية والقضائية وما أشبه، حسب ظرف كل بلد وحاجاته.

ثالثاً/ يوفرون وسائل دعم مسيرة الشورى من صحافة حرة، وإذاعة حرة، وتجمعات حرة، وما أشبه.

باء: وهكذا تتضح الشورى الرأي السليم، الذي يكون قاعدة التقنين الحكيم. فإذا أصبح قانوناً (بأمر الحاكم أو من ينيبه)، فلابد ان يحترم من قبل الجميع. وهذا يتحقق بدوره بما يلي:

أولاً/ أن يكون الحاكم محترماً ومحبوباً عند جميع ابناء البلد. ولاريب أن تزلزل مكانة الحاكم تؤثر على قدرته على تطبيق القوانين التي قد لا تكون سهلة، وبالذات في الحرب والقحط (البأساء والضراء).

ثانياً/ أن يكون الحكم الذي يصدره محترماً عند الجميع، ولا يجد أحد حرجاً في قلبه تجاهه.

ثالثاً/ أن يكون الحاكم بنفسه مقداماً في تطبيق الأحكام على نفسه وعلى غيره، فلا يداهن أحداً في حكم الله سبحانه.

وهكذا نعرف ان الحكم الأمثل هو الذي يستنفد كل ركائز الشورى، (حتى يصبح الرأي سديداً)، كما يستنفد كل خصائص الولاية (حتى يصبح الرأي السديد نافذاً).

جيم: تتجلى عدالة الاسلام في الصراع الداخلي، الذي يعتبر من اعقد قضايا المجتمع وأكبر التحديات التي تواجه السلطات فيه. فكيف ذلك؟

أولاً/ يسعى جميع المسلمين والقيادات السياسية والدينية منهم بالذات نحو اخماد الصراع بالصلح القائم على رضا الطرفين، والذي قد لايكون وفق القواعد والقوانين المرعية. ولكنه يخدم مصالح الطرفين، ويحقق طموحاتهم العادلة.

ثانياً/ تبقى عين الامة ساهرة على تطبيق بنود الصلح، لكي لايخرقه أحد. فإن بغت احدى الطائفتين المتحاربتين على الأخرى، فلابد من مواجهة الفريق الباغي بكل وسيلة ممكنة، حتى وإن استدعي القتال ضده.

ثالثاً/ تصلح قيادة الامة بين الطرفين بالعدل، ولا تبخس حتى حقوق الطرف الباغي، بل تقسط باداء حقوقهم جميعاً، حيث ان الله يحب المقسطين.

دال: عند جهاد الاعداء، وحيث تتعبئ النفوس بالشنآن وتتحفز للانتقام، لابد ان يحافظ المؤمن على توازنه وحكمته، وألاّ يخرج عن إطار العدالة والقسط أنّى كانت الظروف. من ذلك فقد أمر الاسلام بما يلي:

أولاً/ ألاّ يقاتل المسلمون إلاّ الذين يقاتلونهم، او يظاهرون عليهم. فالله سبحانه لا ينهانا عن الذين لم يقاتلونا في الدين ولم يخرجونا من ديارنا، فيجوز لنا أن نبرّهم ونقسط اليهم.

ثانياً/ لايجوز الاعتداء على أحد إلاّ عندما يعتدي علينا، وآنئذٍ يجب التقيد بحدود التقوى. فلا يجوز تجاوز الحدّ في الاعتداء، بل ردّه بقدره فقط، حيث يقول ربنا سبحانه: { **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** } (البقرة / ١٩٤).

وقال سبحانه: { **وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** } (الشورى / ٤٠).

٨٨٨ **العدل في الجزاء والمسؤولية:**

(الاسراء/ ٧)، (الذاريات/ ٣٦-٤١)؛ ويتجلى العدل الإلهي في سنة المسؤولية والجزاء. فالانسان مسؤول عن فعله ومجزي به؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ولكنه ليس مسؤولاً عن فعل غيره، إلاّ في حدود تأثيره فيه. ونستفيد من هذه السنة الإلهية، البصائر التالية:

ألف: كانت بعثة الانبياء عليهم السلام من أجل ابلاغ رسالات الرب تعالى الى البشر، وليسوا مسؤولين عنهم، وقد قال سبحانه: **{ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ }** (العنكبوت / ١٨). وكذلك لايتحمل أحد مسؤولية فعل غيره إذا أصر على الضلالة، حيث يقول ربنا سبحانه: **{لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }** (المائدة/١٠٥). وحتى لو كان الفرد في مجتمع فاسد، وقام بواجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يستجب الناس له، فإن الله ينجيه من بينهم، ثم ينزل عليهم العذاب، كما قال سبحانه: **{ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ }** (فصلت/١٧-١٨).

باء: وليس الانسان مسؤولاً عما لا قدرة عليه. فهو ليس مسؤولاً عما غلب الله عليه من عذر (فلو مرض فقصرت قدرته عن اداء حقوق الله او حقوق الناس، فلا جناح عليه). وليس مسؤولاً عما أكره عليه او اضطر إليه. ومن ذلك ان الدائن المفلس يكون في أمان الله، حيث قال ربنا سبحانه: **{ وإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }** (البقرة/٢٨٠)

جيم: وحدود مسؤولية البشر عن سعيه وعمله، تتصل بمعيارية ارادته وحريته وفعله؛ سلباً وايجاباً، زيادةً ونقصاً، شدةً وضعفاً. وهذا يعني جملة من الأحكام:

أولاً/ في القصاص؛ يجب ان يكون القصاص بقدر الجريمة لا أكثر. فالعين بالعين، والأذن بالأذن، والسن بالسن، والحرمات قصاص. ولا يجوز التعدي عن حدود الجريمة انتقاماً أو زعماً بأن المجني عليه أعظم من الجاني، فهو أكثر مالاً او علماً او اسمى عنصراً وقوماً.. كلاّ؛ ان القصاص يكون بقدر الجريمة.

ثانياً/ لا يجوز ان نبخس أحداً حقه او نظلمه في جهده، كما لايجوز لاحد ان يطالب بأكثر من جهده وسعيه. وهكذا يجب ان تحذف كل الوان اكل اموال الناس بالباطل؛ غشاً او سرقة او احتكاراً او رباً او استغلالاً او استثماراً غير مشروع.

والمعيار هو ان يكون لكل انسان من الخير بقدر سعيه، وسعيه هو حقه الذي لايجوز ان يضيع او يبخس. وانما الطبقية الفاحشة تأتي نتيجة اختلال ميزان السعي، والسقوط في وادي الاستغلال، حيث يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " ما رأيت نعمة موفورة إلاّ وبجانبها حق مضيع ".

ثالثاً/ في العقود الفاسدة التي تقتصر على بعض شروط الشرعية، لايمكن ان يضيع سعي أحد؛ مثل لو بذل أحد جهداً في عقد استيجار او جعالة او مضاربة او ما أشبه، فعلينا حساب جهده وإن كان العقد فاسداً، لانه ليس للانسان إلاّ ما سعى.

وهذا بعض أبعاد القاعدة الفقهية التي تقول: "ما يضمن بصحيحه، يضمن بفاسده". والقاعدة القانونية التي تسمى بالاثراء غير المشروع، كما انه من مصاديق الآية الكريمة: **{ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }** (البقرة/١٨٨).

٨٨٨ العدل في القضايا الاقتصادية:

(المطففين/ ١ - ٥)، (الرحمن/ ٧ - ٩)، (الانعام/ ١٥٢)، (البقرة/٢٨٢). قال الله تعالى:

{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنْكُمْ } (النساء/٢٩)، وقال الله تعالى: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُواْ اللّهَ**

وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَآ إِن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ } (البقرة/ ٢٧٨ - ٢٧٩)، وقال الله تعالى: **{وإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** (الاعراف/ ٨٥)، وقال الله تعالى: **{ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً }** (الفرقان/ ٦٧)، وقال الله تعالى: **{ يَا بَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }** (الاعراف/٣١)

القسط هو القيمة المثلى للاقتصاد في مختلف أبعاده. فإذا شطر الاقتصاد عنه اعيد اليه، ولو عبر سن تشريعات جديدة؛ لكي لايبخس أحد حقه، ولا يظلم نقيراً، ولا يلحقه ضرر. وإنما الحكمة الأولى في كثير من احكام الاقتصاد في الشرع، والتي تجتمع عادة في الكتب الفقهية التي تتناول العقود؛ انما الحكمة الاساسية هي درء الظلم واقامة القسط.

وفيما يلي بعض التفصيل الذي نهدف من ورائه تذكير الفقهاء والقضاة والمفكرين الاسلاميين بدور القسط المحوري في ابواب الفقه، وكيف يجب ان نجعله معياراً للفتاوي في القضايا المستحدثة، والله المستعان.

٨٨٨٨ ألف: الأكل بالباطل

لله ما في السموات والأرض، وله ملكوت السموات والأرض. وانما جعل الأموال للناس قياماً (لهم، ولتدر) معايشهم. وملكية الناس للأموال تخويل منه سبحانه، حيث قال تعالى: **{ وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَآءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً }** (النساء/٥) وقال: **{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ }** (الانعام/٩٤)

ولذلك فإن ما يسلط عليه الانسان، ليس بالضرورة حلالاً له. فقد نهى ربنا سبحانه عن أكل الاموال بين الناس بالباطل، ومثاله الظاهر ما قال سبحانه: **{ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** (البقرة/١٨٨)

وإنما يجوز تداول المال بين الناس بالحق، وذلك عبر التجارة التي يتراضى فيها الطرفان. وهو موضوع العقود الكاملة الشروط.

وهكذا نستوحي قاعدة هامة وعريضة؛ وهي ان اثراء أحد على حساب الآخرين وفي أموال الآخرين، لايجوز إلاّ برضاهم. وقد جاء في حديث شريف: "لايحل مال امرء مسلم إلاّ بطيبة نفس منه ". (١)

وهذه القاعدة هي أكمل وأفضل من القاعدة القانونية التي تسمى بالاثراء غير المشروع، والتي أشار اليها اولاً الفقيه الروماني المعروف: " بومبونيوس **POM US.PON** " الذي كان يعيش حوالي عام (٢٠٦) ميلادي. ولكنه يراها انها مجرد قيمة اخلاقية، وليست لها أية صفة قانونية. (٢)

ويقول الدكتور امامي: وقد جاءت هذه القاعدة ببلاغة نافذة، وبصفة قانونية، وذلك في قوله تعالى: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنْكُمْ }** (النساء / ٢٩).

ويضيف: لقد بينت هذه القاعدة من الناحية القانونية بافضل طريقة ممكنة، سواءً من البعد الايجابي او البعد السلبي. (٣)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٠ / ص ٤٤٩.

(٢) راجع د. حسن امامي في كتابه " حقوق مدني " (بالفارسية) ج١ / ص ٣٥٣.

(٣) المصدر / ص ٣٥٤.

ولكن الدكتور عبد الرزاق السنهوري، الذي لم يكن ذا حظ يذكر في علم الشريعة، يقول: وكان حظ القاعدة في العصور الوسطى، سواءً في القانون الفرنسي او في الفقه الاسلامي، او
في الفقه الانجليزي حظاً ضئيلاً. (١)

ويشرح السنهوري هذه القاعدة بما يلي: كل من اثرى على حساب الغير، دون سبب قانوني يلتزم بان يرد لهذا الغير قدر ما أثرى به في حدود مالحق الغير من خسارة. (٢)

ويضيف قائلاً: وقاعدة الاثراء بلا سبب على هذا النحو الذي بيناه، تعتبر من اولى قواعد القانون، تمتد جذورها فتتصل مباشرة بقواعد العدالة والقانون الطبيعي، وهي في غير حاجة الى تبرير. (٣)

ويرى الدكتور امامي ثلاثة شروط لهذه القاعدة، وهي:

أولاً/ أن يمتلك أحد شيئاً لم يكن يملكه.

ثانياً/ انّى تكون هذه الملكية في ضرر غيره (او على حساب غيره، بحيث) ان يكون امتلاك أحد شيئا نتيجة مباشرة لنقص في ملكية غيره.

ثالثاً/ ان يكون ذلك من دون مسوِّغ قانوني. (٤)

ويضرب عدة أمثلة على ذلك، بالملكية التي يحصل عليها أحد بالخطأ او بالإكراه والحيلة. وبالملكية الحاصلة بعقد فاسد او حسب تعبير الفقه الاسلامي " المقبوض بالعقد الفاسد " او استيفاء منفعة بصورة غير مشروعة. (٥)

---

(١) الوسيط في شرح القانون المدني / ج١ / ص ١١٠٣.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر.

(٤) حقوق مدني (بالفارسية) ج١ / ص ٣٥٤.

(٥) المصدر / ص ٣٥٥.

والقاعدة العامة التي لابد من ارجاع الفروع اليها، هي في الفقه الاسلامي؛ الأكل بالباطل. وهو كل أكل لايكون عن تجارة عن تراض. او بتعبير القانون، كل اثراء بلا سبب مشروع، سواءً كان بوعي ومعمد، او من دونهما. فلو أصلح أحد سيارة مشتراة، ثم تبين ان العقد فاسد، فإن تكاليف اصلاح السيارة ترجع الى البائع. ولو اطفئ الجار حريقاً في بيت جاره الغائب عن البيت او دفع سارقاً، وكلفه ذلك مالاً، كأن هدم بيته ليطفئ حريق جاره. ضمن الجار، لانه انتفع بذلك. وهو لايجوز ان ينتفع من دون سبب مشروع، فيكون اكلاً للمال بالباطل. وكذلك ربان السفينة لو ألقى ببعض ما يملكه لينقذ السفينة وأهلها من الغرق، فله ان يرجع لمن انتفع بفعله، لانه قد خسر من ماله لمصلحة غيره وانهم ربحوا على حسابه.

ولا فرق في أكل أموال الناس بالباطل، بين الحقوق المادية او المعنوية التي تعتبر مالاً عرفاً؛ مثل حق التأليف، وحق الابداع وما أشبه. فلو علم المدرس طالباً، ودافع المحامي عن حق كاد يضيع، فللمعلم ان يعود الى الطالب المنتفع ان لم يكن عمل المعلم مجاناً، وكذلك المحامي. طبعاً يتحقق مثل لك فيما لو كان هناك سبب معقول يدعو المعلم والمحامي الى القيام بفعلهما، مثل خشية ضياع الحق او ضرر الطفل إن لم يعلم. وهكذا..

٨٨٨٨ باء: على اليد ما أخذت

ومن الأكل بالباطل ما أخذته اليد، واستولت عليه من دون ان يكون هناك مسقط للضمان. فقد جاء في الحديث الشريف: "على اليد ما أخذت حتى تؤدي". (١)

وقد اعتمد الفقهاء على هذا الحديث، مما يورث ثقة بصحة سنده. ويشمل الأخذ كل سيطرة على مال الغير او منفعة له او حق. ومن ابرز مصاديق الأخذ الغصب الذي هو الظلم او الاستيلاء على شيء بصورة عدوانية.

---

(١) راجع كتابنا الفقه الاسلامي - قسم المعاملات / ص ٣٠ - ٣٧ حيث ناقشنا أبعاد هذا الحديث ومصاديقه.

وقد اعتبر القانون شروطاً ثلاثة لتحقق مصداق الغصب؛ اولاً: ان تكون سيطرةً واستيلاءً. ثانياً: ان يكون بالعدوان والظلم. ثالثاً: ان يكون على حق الغير. (١)

ولكن الآية الكريمة والحديث الشريف لايختصان بتضمين الغاصب، بل كل يد مسيطرة تعتبر ضامنة، حتى ولو لم تكن غاصبة. مثال ذلك؛ من استودع وديعة فانكرها ثم تلفت، فهو ضامن لها. كذلك من وجد لقطة ثم لم يردها الى مالكها بعد معرفته ثم تلفت عنده، فهو ضامن لها. وكذلك من أخذ شيئاً بعقد معوض فاسد فتلف عنده، فهو ضامن. وهكذا الذي أخطأ وتصرف في مال غيره ظناً بأنه له فسرق منه، فهو ضامن.

وبالرغم من ان أخذ بعض هؤلاء ليس عدوانياً، إلاّ ان الضمان يلحقهم بسبب انه من المصاديق الخفية لقوله تعالى: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً}** (النساء/ ٢٩). لانه بالنظر الى ختام الآية، حيث يقول سبحانه: **{ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنْكُمْ }** يبدو ان أي اكل مال لايكون **{ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ}** يكون من الأكل بالباطل، والله العالم.

وعموماً يجب ان يرتفع عن المالك ما لحقه من ضرر، وإلاّ فانه يكون مظلوماً ومتضرراً.

٨٨٨٨ جيم: الضرر والتعسف في استعمال الحق

من أضر بغيره، كان عليه جبر ضرره؛ سواءً أضر بصورة مباشرة كما لو أتلف ماله، او بصورة غير مباشرة كما لو عمل عملاً تلف بسببه مال المتضرر.

وفهم هذه القاعدة الشرعية، من أدلة وجوب القسط في البعد الاقتصادي، بحاجة الى معرفة أن القسط يعني المحافظة على حقوق الناس، ومن دون جبر الخسارة

---

(١) حقوق مدني / ج ١ / ص ٣٦٢ - ٣٦٣.

كيف تتم المحافظة؟ وبتعبير آخر؛ إن الاتلاف الذي لايجبر، يعتبر عند الناس ظلماً، ولابد من ان يرتفع الظلم.

وقد وردت أحاديث حول ضمان الذي يضر بأحد، نذكر فيما يلي طائفة منها:

١/ من أضر بشيء من طريق المسلمين، فهو له ضامن. (١)

٢/ وفي خبر السكوني عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أخرج ميزاباً او كنيفاً او أوتد وتداً او أوثق راية او حفر شيئاً في طريق المسلمين فأصاب شيئاً فعطب، فهو له ضامن. (٢)

٣/ وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، انه قضى فيمن قتل دابةً عبثاً او قطع شجراً او أفسد زرعاً او هدم بيتاً او عوّد بئراً او نهراً؛ ان يغرّم قيمة ما استهلك وافسد، وضرب جلدات نكالاً. وإن اخطأ ولم يتعمد ذلك، فعليه الغرم ولا حبس ولا أدب. وما أصاب من بهيمة، فعليه ما نقص من ثمنه. (٣)

٤/ وجاء في احاديث كثيرة بلغت حد الاستفاضة، بل التواتر (حسب بعض الفقهاء)، جاء عن الرسول صلى الله عليه وآله، انه قال: "لا ضرر ولا ضرار". ونذكر فيما يلي بعض شؤون هذه الرواية المشهورة. بعد ذكر نصين من نصوصها.

روى زرارة عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام: ان سمرة بن جندب كان له عذق في حائط لرجل من الانصار، وكان منزل الانصاري بباب البستان، وكان يمر الى نخلته ولا يستأذن. فكلمه الانصاري ان يستأذن إذا جاء، فأبى سمرة. فجاء الانصاري الى رسول الله فشكى إليه فأخبره الخبر. فارسل اليه رسول الله صلى

---

(١) جاء هذا المضمون في صحيحة ابي العباس عن الامام الصادق عليه السلام (وسائل الشيعة / ج ١٩ / ص ١٨٠- ١٨١)، وكذلك في صحيح ابي الصباح الكناني عنه عليه السلام، وكذلك في صحيح الحلبي عنه (راجع الروايات في كتابنا الفقه الاسلامي - قسم المعاملات / ص ٤٦).

(٢) وسائل الشيعة / ج ١٩ / ص ١٨٢.

(٣) الفقه الاسلامي - قسم المعاملات / ص ٤٦.

الله عليه وآله، وخبره بقول الانصاري وما شكاه، وقال: إذا أردت الدخول فاستأذن، فأبى. فلما أبى ساومه حتى بلغ به من الثمن ما شاء الله، فأبى ان يبيعه. فقال: لك بها عذق في الجنة، فأبى ان يقبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للانصاري: اذهب فاقلعها وارم بها اليه، فإنه لا ضرر ولا ضرار. (١)

وروى هارون بن حمزة الغنوي، عن أبي عبد الله الامام الصادق عليه السلام في رجل شهد بعيراً مريضاً، وهو يباع. فاشتراه رجل بعشرة دراهم، فجاء وأشرك فيه رجلاً بدرهمين بالرأس والجلد. (٢) فقضي ان البعير بريء، فبلغ ثمنه دنانير. قال: فقال لصاحب الدرهمين خمس ما بلغ، فإن قال: اريد الرأس والجلد فليس له ذلك، هذا الضرار، وقد اعطي حقه إذا اعطي الخمس. (٣)

ونستلهم من آيات الكتاب وهذه الأحاديث الواردة في السنة عدة بصائر، نستعرضها فيما يلي:

أولاً/ القاعدة الفقهية التي اوردها العلماء في كتبهم "من اتلف مال الغير فهو له ضامن". هذه القاعدة تستفاد من هذه الأحاديث، لان الاتلاف نوع من الاضرار. ولكن قاعدة ضمان الضرر اشمل، لان المال قد لايصدق على المنفعة او الحقوق، وبالذات الحرمات المعنوية، وكذلك لايصدق على عمل الحر، ولكن كل ذلك يصدق عليه الاضرار. فمن حبس عاملاً نهاراً، فقد أضرّ به بقدر اجرة عمله وعليه ان يدفعها اليه، لأنه من الضرر الذي نفاه الدين وقال عنه الرسول: " لا ضرر ولا ضرار ". فلابد اذاً ان نسعى لحذف الضرر والضرار من واقع هذا العامل، ولا يكون إلاّ بتعويضه.

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٧ / ص ٣٤١.

(٢) اخذ من الرجل درهمين على ان يكون له الرأس والجلد بعد نحر البعير.

(٣) المصدر / ج ١٣ / ص ٤٩.

وكذلك من حبس سيارة أجرة او سيارة خاصة مدة شهر وسبّب خسارة لصاحبها، فعليه تعويض الخسارة بالرغم من انه قد لا يصدق عليه انه اتلف مال الغير.

ومن ألحق ضرراً بسمعة رجل، كأن أشاع حول تاجر انه قد انكسر، او حول عالم انه قد فسق، أو جريدة انها عميلة.. فعليه ان يعوِّض الخسائر التي تلحق بالناس بسبب اشاعته الباطلة. أوَلم يقل ربنا سبحانه: **{ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }** (البقرة/١٩٤)(وقال الرسول: "لا ضرر ولا ضرار"؟ وهذا هو الضرر.

ثانياً/ قسّم علماء القانون الاضرار الى قسمين: الاتلاف المباشر، والتسبيب بالاتلاف. ويرى الدكتور حسن امامي الفرق بينهما فيما يلي: الاتلاف فعل او ترك فعل يتسبب مباشرة في هلاك المال، سواءً كان الفاعل مقصراً او غير مقصر. بينما التسبيب يشترط فيه ان يكون مقصراً، فمثلاً لو هاج حيوان وتسبب في خسارة مال، لم يضمن صاحبه إلاّ إذا كان مقصراً في كبحه.

وقال في علة الفرق بين الاتلاف والتسبيب من هذه الناحية؛ ان العرف يرى من اتلف مال الغير مباشرةً مسؤولاً عن فعله ولو لم يكن مقصراً، بينما لا يرى ذلك فيمن كان فعله سبباً غير مباشر للاتلاف إلاّ إذا كان مقصراً. (١)

ثالثاً/ واحاديث نفي الضرر، لاتخرج من اطار الآيات الكريمة حول القسط والعدل. فمن هنا تزداد الاحاديث وضوحاً بالتدبر في تلك الآيات، كما نزداد معرفة بابعاد الآيات بدراسة احاديث الضرر.

وهكذا ينبغي ان نلاحظ قيمة العدل كميزان عند الشك في حكم فقهي معين. وواضح ان العدل المطلوب اقامته هو العدل الشامل لكل البشر، ممن احترم الشرع نفسه وماله وسائر حقوقه. فإذا تعارضت مصالح البشر مع بعضهم، كان على

---

(١) حقوق مدني (بالفارسية) / ج ١ / ص ٣٩٢ - ٣٩٤ (نقلنا كلامه باختصار وايجاز).

الحاكم ان يلاحظ حقوقهم جميعاً. فلا يحكم لأحد ضد الآخر، ولا يلاحظ مصلحة طائفة على حساب مصالح الآخرين. فربما اقتضت مصلحة المالك للنخلة في بستان ان يمر عليها في أي وقت يشاء، إلاّ انه لو تضرر الساكن في طريق البستان وجب ان يستأذنه، وإلاّ كان مضاراً كما كان سمرة بن جندب مضاراً لمصلحة الانصاري. وإذا كان لصاحب البيت الحق في نصب ميزابه على الطريق العام، فان من حق المارة المتضرّرين بالميزاب ان يمنعوه، وعلى الحاكم ان يبحث عن حل وسط يضمن مصلحة صاحب البيت والمارة معاً.

واحاديث نفي الضرر - كما آيات العدل - تقتضي نفي الضرر بأي قدر كان. ومعنى ذلك ضرورة تقليل نسبة الضرر الى اقل قدر ممكن؛ ليس بالنسبة الى شخص واحد او طائفة واحدة، بل بالنسبة الى جميع البشر الذين احترم الشرع حقوقهم.

وهكذا نجد ان الرسول صلى الله عليه وآله أمر بمراضاة الشخص المضار، ولكنه حينما لم يرض أمر بقطع النخلة التي كانت سبباً للاضرار بالانصاري.

ولان الميزان مصلحة الكل وضرورة اقامة القسط بالنسبة اليهم جميعاً، فإن الشارع قد يقدم مصلحة المالك وقد يراعي مصلحة الآخرين. فلو افترضنا قطع متجاورة من الارض تعود لملاّكين مختلفين، وكل مالك يريد ان يزرع نوعاً من المحصول في قطعته؛ فأحدهم يريد زراعة الرز، بينما يريد الثاني زراعة الشعير، إلاّ ان منسوب المياه المرتفع في زراعة الرز يضر بزراعة الحنطة، فماذا نفعل؟ فاذا منعنا المالك من زراعة أرضه بالرز - ألحقنا به ضرراً -، أوليس الناس مسلطون على اموالهم؟ اما إذا سمحنا له بذلك ألحقنا بجاره ضرراً.

في مثل هذه الحالة ينبغي اقامة القسط بينهم، وتحديد حق كل واحد بالضبط، ومنع الضرر الأكبر، وجبران الضرر الأقل.

وقد اختلفت كلمات الفقهاء في مثل هذه الموارد، كما اختلفت كلمات علماء القانون.

فقد قال المحقق الحلي: لو أرسل في ملكه نهراً فأغرق مال غيره، او أجج ناراً فيه فأحرق، لم يضمن مالم يتجاوز قدر حاجته اختياراً.

وعلق عليه صاحب الجواهر بالقول: بلا خلاف اجده فيه، بل في (المسالك) الاتفاق للأصل بعد عدم التفريط، وعموم تسلط الناس على أموالهم. (١)

ولكن صاحب الجواهر قال في موضع آخر من كلامه: المدار على صدق الاتلاف حقيقة ولو بالتوليد (بالتسبيب)، إن لم يكن اجماع على خلافه من غير فرق بين التجاوز في الحاجة وعدمه، وبين العلم والظن بالتصدي وعدمه.(٢)

أما الشهيد فقد قال في كتابه الدروس: ولا حريم في الاملاك لتعارضها. فلكل ان يتصرف في ملكه بما جرت العادة به، وإن تضرر صاحبه فلا ضمان، كتعمير اساس حائطه وبئره وبالوعته.(٣)

ويبدو ان من ذهب الى عدم الحريم في الاملاك، وبالتالي أجاز كل تصرف في حدود الملك وإن تضرر الجار، إنه اعتمد على قاعدة تسلط الناس على أموالهم. وأما من ذهب الى الضمان عند تسبيب فعله اتلاف مال الغير، مثل صاحب الجواهر فقد اعتمد أدلة الضمان. ولكن ألم يكن ممكناً الجمع بين الحقين؛ برعاية القسط بحيث لا يتضرر المالك بمنعه من التصرف، ولا يتضرر الجار بهلاك ماله؟

ومن الصعب ان نضع قانوناً عاماً للقسط في مدى تسلط الفرد على ماله، بحيث لا يتضرر أحد من هذا التسلط. إلاّ ان هناك معيارين يجب ان نضعهما في حساباتنا:

أولاً/ وهذا ما يطلق عليه في الفقه بـ (التصرف المتعارف). فالبناء المتعارف (مثلاً في منطقة البيوت ثلاث طوابق، وفي منطقة العمارات خمس طوابق حسب

---

(١) الفقه الاسلامي - قسم المعاملات / ص ٥٦.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر / ص ٥٥.

ماهو المتعارف في المنطقة). والضوضاء على قدر المتعارف (مثلاً الحديث مع بعضهم بصوت عادي)، والاستضافة على قدر المتعارف (مثلاً في كل اسبوع زيارة الأقارب، وفي كل شهر زيارة الضيوف، وفي مناسبة العرس والعزاء زيارة عامة). وفي هذه الأحوال يغتفر عند العرف تضرر الجيران ببعض الأذى. أما إذا كان البناء غير متعارف (مثل عشر طوابق بحيث يمنع النور عن جاره)، والضوضاء غير متعارف (كأن يضع سماعة في بيته تزعج الجيران)، والاستضافة بغير ماهو متعارف (مثل زيارة عامة يومية).. فان ذلك لايعد حقاً له في بيته، وإذا منعناه فقد منعنا تسلط الفرد على جيرانه، وليس على ماله.

ثانياً/ الضرورة؛ فإذا كان المالك مضطراً لحفر بالوعة غير متعارفة يتضرر بها الجار، فإن هذه الحاجة قد تبرر فعله. إلاّ أن الضرر الذي يلحق جاره بسبب فعله يجب ان يلاحظ؛ فان كان مباشراً، كأن يكون المالك مضطراً لإطفاء حريق شب في بيته الى ان يجري الماء فيه مما يسبب في هدم بيت جاره، فهنا لابد له ان يدفع الضرر اللاحق بجاره. وقد لايكون مباشراً، كأن يمنع المالك عن أرضه السيل فينساب الماء الى أرض مجاورة. فاذا تضرر الجار فانما بالسيل تضرر، وليس بمنع الجار الماء عن أرضه.

ومن الضرورة ان يكون المالك بحيث لولم يتصرف في ماله تحمل الضرر بقدر ضرر جاره. فهنا يتساوى الضرران وتتقدم مصلحة المالك، لان له حق التصرف في ملكه؛ مثل ان يكون المالك مضطراً لحفر بئر في أرضه لسقاية مزرعته، ولكنه لوفعل ذلك لم يقدر جاره ان يحفر بئراً لسقاية مزرعته. وهنا تتقدم مصلحة صاحب الأرض.

والأفضل وضع قانون عام ينظم استفادة كل مالك من حقوقه بما لايضر غيره. وهذا ما ذهبت اليه الانظمة البلدية والقروية الحديثة، حيث حددت سبل استخدام حق الملكية بما لا يتضرر الآخرون، تحت عنوان: التعسف في استخدام الحق.

وقد توسع القانون المدني في الأخذ بمبدء التعسف، لمنع من له السلطة من استخدام سلطته بصورة يضر بالآخرين، كاستخدام المالك لحقه او الحاكم لمنصبه أو رب العمل
لحقوقه في ادارة العمل، وهكذا..

وقد جاء في القانون المدني السويسري: يجب على كل شخص ان يستعمل حقوقه، وان يقوم بتنفيذ التزاماته طبقاً للقواعد التي يرسمها حسن النية، أما التعسف الظاهر في استعمال الحق فلا يقره القانون. (١)

اما القانون الالماني فقد نصت (المادة / ٢٦٦) منه على انه: لايجوز استعمال حق لمجرد الاضرار بالغير. (٢) بينما نصت الفقرة الثانية من المشروع الفرنسي الايطالي على ما يأتي: يلتزم ايضاً بالتعويض كل من أوقع ضرراً بالغير، بان جاوز في استعماله لحقه الحدود التي يقيمها حسن النية او الغرض الذي من اجله اعطي هذا الحق.(٣)

وقد اعترف السنهوري بأن الفقه الاسلامي قد أقرّ نظرية التعسف في استعمال الحق بوصفها نظرية عامة، وعناية الفقه الاسلامي بصياغتها صياغة تضارع - ان لم تفق في وقتها واحكامها - احدث ما أسفرت عنه مذاهب المحدثين من فقهاء الغرب.(٤)

وقد اتخذ القانون المدني المصري (المادة ٤ من القانون المدني الجديد)، اتخذ ثلاثة معايير للتعسف في استعمال الحق، وهي:

أ- إذا لم يقصد (المالك) به سوى الاضرار بالغير.

---

(١) الوسيط في شرح القانون المدني / ج ١ / ص ٨٣٩ (من الهامش).
(٢) المصدر.
(٣) المصدر.
(٤) المصدر / ص ٨٤٠.

ب- إذا كانت المصالح التي يرمي الى تحقيقها قليلة الأهمية، بحيث لا تتناسب مع ما يصيب الغير من ضرر بسببها.

ج- إذا كانت المصالح التي يرمي الى تحقيقها غير مشروعة. (١)

وقد شرح السنهوري المعيار الأول بما يعتبر تقييداً له، فقال: لايكفي ان يقصد صاحب الحق الاضرار بالغير، بل يجب - فوق ذلك - ان يكون استعماله لحقه على هذا النحو، مما يعتبر انحرافاً عن السلوك المألوف للشخص العادي. فقد يقصد شخص - وهو يستعمل حقه - ان يضر بغيره، ولكن لتحقيق مصلحة مشروعة لنفسه، ترجح رجحاناً كبيراً على الضرر الذي يلحقه بالغير. فقصد الاضرار بالغير في هذه الحالة لايعتبر تعسفاً، إذ ان صاحب الحق - بهذا التصرف - لم ينحرف عن السلوك المألوف للشخص العادي. (٢)

والواقع؛ إن هذا التفسير يقرب هذا المعيار من كلمات الفقهاء، حيث جعلوا الاستعمال المتعارف معياراً لعدم التعسف. كما ان مجرد قصد الاضرار لايمكن ان يكون معياراً، بل الاضرار بذاته هو المعيار الذي نجده في حديث النبي صلى الله عليه وآله، حيث خاطب سمرة بن جندب وقال له: أنت رجل مضار.. فإذا كان هناك سبيلان لاستعمال الحق؛ احدهما لاينطوي على ضرر بالاخرين، والسبيل الآخر يضر بهم فاختاره. فهو مضار، وهو متعسف في استعمال حقه.

اما المعيار الثاني؛ فهو الذي اعتبرناه أفضل معيار انطلاقاً من مبدء العدل وتطبيقاً لحديث "لا ضرر"، حيث ان الضرر المنفي ليس ضرراً خاصاً بشخص المالك، بل يعم كل الناس. فاذا تضرر الجار مثلاً بهدم الحائط الذي يفصل بين بيته وبين مالك البيت ضرراً بالغاً، ولم يكن للمالك مصلحة هامة في هدمه، فإن ذلك يعتبر من الضرر المنفي بالحديث الشريف.

---

(١) المصدر / ص ٨٤١.

(٢) الوسيط في شرح القانون المدني / ج ١ / ص ٨٤٤.

كما انه لو تضرر الناس بسياقة سيارتك بسرعة او باحداث ضوضاء في الشارع، او باضاءة كشافة باهرة في بيتك وما أشبه.. فليس لك ان تفعل ذلك، لانه تعسف.

أما المعيار الثالث؛ والذي يشرحه السنهوري بقوله: كل حق له هدف اجتماعي معين، فإذا انحرف صاحب الحق في استعمال حقه عن هذا الهدف كان متعسفاً. (١)

إنه معيار هام يتفق مع قيم الشريعة، ولكنه لا يرتبط بموضوع العدل وحده، بل بكل الحكم والعلل التي بيّنها الشرع للاحكام الدينية.

وكلمة أخيرة؛ لقد اسهبنا في الحديث عن الضرر والتعسف في استعمال الحق، لانه مسألة هامة وشائكة، وهو يصلح لكي يكون مثلاً لاستلهام الاحكام الفرعية من الآيات القرآنية، إذا فسرت بالأحاديث الشريفة. وهذه هي البصيرة التي استفدناها من روايات أهل البيت عليهم السلام، وحاولنا شرحها في الأجزاء الأولى من هذا الكتاب بتوفيق الله سبحانه.

٨٨٨٨ دال: في الدين والربا

يقتضي القسط في الدَين ألاّ يستخدم الغني ماله في ظلم المدين، وفرض الربا عليه استغلالاً لظرف حاجته. كما يقتضي العدل ان يكتب المدين ما عليه من حق الدائن، حتى لا ينساه أو ينكره. والقاعدة العامة في الدَين ألاّ يظلم احد من الدائن والمدين، حيث قال سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَآ إِن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ }** (البقرة/٢٧٨-٢٧٩) ونستفيد من هذه البصائر، الأحكام التالية:

---

(١) المصدر / ص ٨٤٧.

أولاً/ لكي يضمن من له الحق رد حقه اليه، ينبغي أن يكون الى أجل مسمى، وإن يكتب، وأن يكون الكاتب عادلاً، وألاّ يبخس الكاتب من الدَين شيئاً، وأن يستشهد على الدَين شهيدان مرضيان (أو رجل وامرأتان)، وألاّ يسأمه في كتابة الدَين صغيراً كان او كبيراً. عن هذه الأحكام التي جاءت لتسهيل الدَين واقامة القسط فيه، قال الله تعالى: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوْا إِذَا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ إِلَى اَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَـأْبَ كَاتِـبٌ أَنْ يَكْتُـبَ كَمَـا عَلَّمَـهُ اللّهُ فَلْيَكْتُـبْ وَلْـيُمْلِلِ الَّـذِي عَلَيْـهِ الْحَـقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَو لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْـهِدُوا شَـهِيدَيْنِ مِن رِجَـالِكُمْ فَـإِن لَـمْ يَكُونَـا رَجُلَـيْنِ فَرَجُـلٌ وَامْرَأَتَـانِ مِمَّن تَرْضَـوْنَ مِـنَ الشُّـهَدَآءِ أَن تَضِلَّ اِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ اِحْدَاهُمَا الاُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُواْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَـى أَجَلِـهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنـدَ اللّهِ وَأَقْـوَمُ لِلشَّـهَادَةِ وَأَدْنَـى اَلاَّ تَرْتَـابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَـهَا بَيْنَكُمْ فَلَـيْسَ عَلَـيْكُمْ جُنَـاحٌ اَلاَّ تَكْتُبُوهَـا وَأَشْـهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وإِنْ تَفْعَلُوْا فإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُم وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }** (البقرة/٢٨٢).

انك تجد الحكمة المنصوصة لكتابة الدَين، اقامة القسط في المال والعدل في الشهادة والكتابة. ونستوحي منه؛ أنه لو توقف ذلك على أمر آخر، مثل تسجيل الدَين في محضر او اعطاء شيك بنكي او كمبيالة او ما أشبه.. فإن ذلك يصبح مطلوباً، لان المهم اقامة القسط وألاّ يبخس الدائن حقه.

ثانياً/ لايجوز ان يستغل الغني حاجة الفقير الى ماله، فيحرمه من الدَين إلاّ بالربا. ولكن حين يتوب المرابي، لايجوز للفقير ان يحرمه من رأسماله. فلا ظلم للدائن ولا للمدين.

ونستوحي من ذلك؛ انه لو فقد الرأسمال قيمته الشرائية بسبب التضخم، مما سبب خسارة لصاحب المال، فعلى المدين جبران خسارته حتى يرد عليه رأسماله. وهذا يظهر جلياً في الظروف التي تسقط فيها العملة التي استدان بها المدين. فإذا كانت

قيمة ألف دينار الحقيقية تساوي داراً عند الاستدانة، ثم سقط الدنيار حتى أصبحت قيمة ذلك الدار مليون دينار، فإن على المدين ان يعيد الى صاحب المال المليون وليس الألف دينار، لانه لو ردّ إليه الألف كان ظالماً، والله سبحانه قال: **{لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ }**

٨٨٨٨ هاء: في الانفاق والاستهلاك

والعدل في الانفاق من تجليات الايمان، ألا ترى كيف يصف ربنا سبحانه عباد الرحمن بقوله: **{ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً }** (الفرقان / ٦٧)

وقال سبحانه: **{ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً }** (الاسراء / ٢٩)

ذلك ان المؤمن يقوده عقله ولا يسترسل مع هواه. فتراه يتحرك حسب الحكمة، فلا يحرم ذريته مما فضل الله عليه، ولا يحرم الناس، بل يعمل حسب القوام، وهو ينفق الفضل من ماله.

وكما في الانفاق، كذلك في الاستهلاك تجد المؤمن لايسرف في الأكل والشرب، ولا يحرم نفسه من لذتهما، تطبيقاً لقوله سبحانه: **{ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }** (الاعراف/٣١)

وقال الله سبحانه: **{ وَابْتَغِ فِيمَآ ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }** (القصص/٧٧)

فالأكل والشرب نعمتان سابغتان، ولكن الاسراف فيهما يجعلهما نقمة. كذلك المال نعمة إذا استفاد منه البشر لابتغاء الآخرة، ولم ينس نصيبه من الدنيا، ولكنه يصبح نقمة إذ حرّم الانسان على نفسه زينة الحياة الدنيا افتراءً على الله. وقد قال ربنا سبحانه: **{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ }** (الاعراف/٣٢)

وكذلك يصبح المال نقمة إذا كنزه صاحبه ولم ينفق منه، ولم يبتغ به الدار الآخرة.

ومن هنا فإن كل النعم الالهية تتم بالعدل، والتطرف بها زيادة او نقصاً قد يجعلها نقمة.

٨٨٨ **العدل في الاسرة:**

العدل صبغة حياة المؤمن في العشرة، وفي علاقاته بوالديه وزوجته وابناءه. وقد أمر الكتاب المجيد بأن يُدعى الابناء لاباءهم، لانه اقسط عند الله. وأمر ان يعدل الانسان بين زوجتيه، فإن لم يقدر فواحدة. ونهى ان يضار بالابناء.

وفي هذا الحقل جملة احكام شرعية قائمة على أساس العدل، نذكر منها ما يلي:

اولاً/ كانت العرب في الجاهلية يتبنون الاولاد الصغار فيدعونهم لانفسهم، وقد أبطل الاسلام هذه العادة غير العادلة، وأمر بأن يدعى الولد لأبيه لانه منه، ولأن من حق الولد والوالد ان ينتسب الى ماهو منه. وقصة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي صلى الله عليه وآله معروفة، حيث زوج الله نبيه زينب التي كانت زوجة زيد بعد ان طلقها زيد، ليعلم الناس ان زيد وكل ولد متبنى لا يضحى ابناً لمن تبناه، بل لابد ان ينسب لأبيه. قال الله سبحانه: **{ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لِابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً }** (الاحزاب / ٤ - ٥)

وقال سبحانه عن قصة زواج الرسول من مطلقة زيد: **{ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ**

وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً } (الاحزاب / ٣٧)

وهكذا اعاد الوحي القسط الى واقع الانساب. فلا يجوز ان يدخل أحد في نسب او يخرج من نسب، لان الانساب حقائق واقعية لايمكن التلاعب فيها، وليست اعتبارات يغيرها الناس كما شاؤوا. ولعل المترفين كانوا - لولا هذا الحكم الالهي - يتحكمون اليوم بأنساب الناس كما هم يتحكمون بأموالهم، او الطغاة يتلاعبون بها كما يتلاعبون بسائر شؤون الناس.

ثانياً/ في ظروف طارئة يتزوج الناس اكثر من واحدة، كما اذا أفقدت الحروب الازواج، ودفعت حاجة الايتام الى الرعاية دفعت الناس الى الزواج من أمهاتهم. ولان النساء يتفاضلن في الجمال والجاذبية، فإن من المتوقع ان يميل الرجل الى واحدة، وتظلم الثانية. وهكذا أمر القرآن الحكيم ان يقتصر الرجل على زوجة واحدة إن خاف تجاوز العدالة، فقال سبحانه: **{ وإِنْ خِفْتُمْ اَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَآءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ اَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى اَلاَّ تَعُولُوا }** (النساء / ٣)

وهكذا تجد ان حكمة تعدد الزوجات، تتمثل بالقسط (في اليتامى وإيتاء حقوقهم بلا بخس). ولكن عند خوف الظلم، أمر الله سبحانه بواحدة. قال الله سبحانه: **{ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً }** (النساء / ١٢٩)

ثالثاً/ وقد أمر الاسلام باداء حقوق النساء وبالذات الصداق، واداء حق السفهاء (بالرغم من الحجر عليه)، ودفع اموال اليتامى اليهم بعد ان يؤنس منهم الرشد، وتقسيم الإرث بين الرجال والنساء (حتى ولو كان قليلاً) تقسيماً عادلاً حسب الفرائض التي بينها الرب. وحرّم ان يرث الرجل المرأة كرهاً، ونهى عن ان

تعضل (ولا تؤذى لاسترداد) وأخذ بعض المهر منهن، وأمر بعشرتهن بالمعروف. ونهى ان يؤخذ من المرأة الصداق حتى ولو كان بمقدار قنطار، لانه حقها الثابت بعد العقد والافضاء (الدخول). وأمر بأن تؤتى الفتيات (مما ملكت ايديهم) اجورهن، ولا ينكحن إلاّ بإذن أهلهن. ونهى عن أكل اموال الناس بالباطل، وإن يتمنى الانسان ما فضل الله به بعض الناس على بعض.كل ذلك بيّنها في حقائق القسط بين الناس، وبالذات بين الأقارب من الاسرة الواحدة، (حيث يكثر ضياع الحقوق). ثم قال (بعد بيان طائفة مما يتصل بالعدل والاخلاق): **{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً }** (النساء / ٥٨)

وهكذا نجد ان العدل هو الصبغة العامة لسائر احكام الدين في العشرة، وحسن التعامل مع الآخرين، وبالذات الحلقات المستضعفة من المجتمع كالنساء واليتامى.

رابعاً/ وفي سورة البقرة يبين ربنا سبحانه طائفة من احكام الشريعة في العلاقة الزوجية، فيما يخص بحقوق المرأة في الايلاء والطلاق. ثم يقول سبحانه: **{وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }** (البقرة / ٢٢٨)

فالمعيار في العلاقة الزوجية، التوازن العادل بين ما على المرأة ومالها. بلى؛ الرجل يتميز عنها بدرجة، ولعلها درجة الولاية التي أوتي بازاء الانفاق الذي عليه، وربما الحكمة التي لديه.

وهذا التوازن العادل يمكن ان يكون مصدراً لسلسلة من الأحكام الشرعية، التي لابد للعلماء والقضاة من اصدارها حسب الظروف الطارئة، والمتغيرات الحياتية التي يقتضيها كل عصر ومصر.

فمثلاً؛ إذا كثرت حالات الطلاق غير الموجهة وتضررت النساء من وراء ذلك، فللفقيه العادل ان يعتمد على هذه القاعدة الشرعية او غيرها من قواعد العدالة، ويأمر بأن يشترط في عقد الزواج ان يكون نصف ممتلكات الرجل عند الطلاق للمرأة..

وإذا اصرت الزوجة على ان تجلس في بيت منفرد، فعليها ان تتحمل المزيد من أعباء البيت، إن كان الرجل غير قادر على توفير المسكن المنفرد من دون ذلك.

وإذا طالبها الرجل بالمزيد من الانجاب، فلها ان تطالبه بالمزيد من الاجهزة المساعدة؛ مثل الغسالة، والنشافة، ووسائل الطبخ السريع، وهكذا..

وإذا كان عليها ان ترضع ابنها، فلها ان تطالب بأجرة إضافية، وفي بعض الاحيان بخادمة.

خامساً/ حدّد القرآن المجيد طائفة من الاحكام الخاصة بالاولاد، وهي قائمة على سنن الهية ثابتة، ومنها سنة العدل. تعالوا نتلو معاً الآية الكريمة: { **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاَدَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَآ ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** } (البقرة/٢٣٣)

الرضاعة من حق الطفل، لانها ذات فوائد لا تعوض لتنمية الطفل. وقد جاء الأمر الإلهي بالإرضاع، حيث قال سبحانه: { **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**} (البقرة/٢٣٣).

وعلى الوالد الذي ينتفع بالولد (فهو مولود له)، ان يتحمل الانفاق عليه من الطعام والشراب والكسوة. (ويبدو انها أمثلة لجملة احكام الإنفاق).

ولا يجوز ان يصبح الولد وسيلة للاضرار بالوالد أو الوالدة، فيستغل أحدهما حب الآخر للولد بفرض مالا يجب عليه؛ مثلاً تمتنع المرأة عن المضاجعة مع الرجل بحجة ان لها ولداً، او يفرض الرجل على زوجته ان تعمل لكي تنفق على الولد، وهكذا.. ان استغلال العواطف في فرض واجبات اضافية بعيد عن مبادئ العدل والقسط.

وعند قرار الفصال ينبغي ان يتم ذلك عبر التراضي والتشاور، لأن الولد ثمرة جهد الوالدين معاً.

ومثلما في أمر الاسترضاع، فكذلك في سائر أمور الحياة ينبغي التشاور، لأن أمر المؤمنين شورى بينهم.

٨٨٨ **في القضاء والقصاص:**

يتجلى العدل في حياة الأمم بأجلى صورها مرتين؛ مرة عند وضع القانون، ومرة عند تطبيقه في الخلاف (القضاء). وإذا كان واضع القانون الشرع المقدس، فان ابرز المشاكل سيكون في القضاء عند تطبيقه.

وفي الكتاب آيات كريمات كثيرة تذكر بأهمية القضاء العادل، وتوحي بالعديد من الوصايا العامة فيما يتصل بالحاكم وصفاته، وبالعدل في الحكم، وبالشهود العدول، وبالقصاص العادل. وفيما يلي طائفة من هذه الأحكام:

أولاً/ من اهداف بعثة الرسل الحكومة بالعدل، وأجلى حقائق الحكومة القضاء. قال الله سبحانه: **{ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً * فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً }** (النساء / ٦٤ - ٦٥)

فالطاعة المفروضة للرسول طاعة شاملة، والتقصير فيها يوجب ذنباً. ينبغي ان يستغفر المذنب ربه عند الرسول ويستغفر له الرسول، مما يوحي باشتراط رضا

النبي في غفران مثل هذا الذنب. وتتجلى طاعة الرسول في التسليم لقضائه، حيث لايؤمن من يجد حرجاً في نفسه من حكم الرسول.

وقد أمر الله الرسول بان يستقيم كما أمر، ولا يتبع هوى الناس (بالذات عندما يريد ان يحكم بين الناس)، وان يعدل بين الناس. قال الله سبحانه: **{ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}** (الشورى / ١٥)

وهذا الأمر يسري الى كل المؤمنين، وبالذات العلماء منهم، حيث أمر الله الحاكم (أنّى كان) ان يعدل في حكمه. قال الله تعالى: **{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً }** (النساء/ ٥٨)

ثانياً/ ونهى الاسلام من مراجعة حكّام الجور في القضاء. قال الله سبحانه: **{وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** (البقرة/١٨٨)

وحرمة مراجعة الطاغوت في القضاء، قد فسرت في أحاديث اهل البيت عليهم السلام بحرمة مراجعة حكام الجور.

فقد روي في كتاب دعائم الاسلام عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، انه قال: ان الله عز وجل علم ان في الامة حكاماً يجورون، اما انه لم يعني حكام أهل العدل. اما أنه لو كان لاحدكم على رجل حق فدعاه الى حكام أهل العدل، فأبى عليه إلاّ ان يرافعه الى حكام أهل الجور ليقضوا، كان ممن يحاكم الى

الطاغوت، وهو قول الله **{وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**. (١)

وجاء في رواية أخرى، ان الامام الصادق عليه السلام قال يوماً لاصحابه: اياكم ان يخاصم بعضكم بعضاً الى أهل الجور، ولكن انظروا الى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم، فأني قد جعلته قاضياً فتحاكموا اليه. (٢)

ثالثاً/ وفي الاسلام شرائع كثيرة، ووصايا اكثر حول القضاء بالعدل، ويجمعها القضاء بالحق وتجنب الهوى. قال الله سبحانه: **{ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَآ أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النّاسِ لَفَاسِقُونَ }** (المائدة / ٤٩)

ومن الهوى المداهنة في القضاء، ومن الهوى الاستماع الى طرف والحكم له دون الطرف الآخر. فقد جاء في الحديث عن الرضا، عن آبائه، قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: قال النبي صلى الله عليه وآله لما وجّهني الى اليمن: إذا تحوكم اليك، فلا تحكم لأحد الخصمين دون ان تسمع من الاخر. قال: فما شككت في قضاء بعد ذلك. (٣)

وجاء في وصية الامام أمير المؤمنين عليه السلام الى محمد بن أبي بكر: لا تقض في أمر واحد بقضائين مختلفين، فيختلف أمرك وتزيغ عن الحقّ. وأحبّ لعامة رعيتك ما تحبّ لنفسك وأهل بيتك، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، فان ذلك أوجب للحجة واصلح للرعيّة. وحض الغمرات ولا تخف في الله لومة لائم، وانصح المرء إذا استشارك، واجعل نفسك أسوة لقريب المسلمين وبعيدهم. (٤)

---

(١) مستدرك الوسائل / ج ٣ / ص ١٧٢ (كتاب القضاء / الباب ١/ الحديث ٣).
(٢) المصدر / الحديث ٤.
(٣) بحار الأنوار / ج ١٠١ / ص ٢٧٥ / ح ٢.
(٤) المصدر / ص ٢٧٦ / ح ٣.

رابعاً/ وفي وصايا النبي وأهل البيت عليه وعليهم الصلاة والسلام، جوامع وصايا في صفات القاضي، هدفها الاحتياط في اقامة العدل. فهذا الامام أمير المؤمنين عليه السلام يوصي مالك الأشتر في عهده اليه، حين ولاه مصر قائلاً: انظر في القضاء بين الناس، نظر عارف بمنزلة الحكم عند الله. فإن الحكم ميزان قسط الله الذي وضع في الأرض، لانصاف المظلوم من الظالم، والأخذ للضعيف من القوي، وإقامة حدود الله على سننها ومناهجها التي لايصلح العباد والبلاد إلاّ عليها.

فاختر للقضاء بين الناس افضل رعيتك في نفسك، واجمعهم للعلم والحلم والورع ممن لايضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يزجره على العيّ، ولا يفرطه جور الظلم، ولا تشرف نفسه على الطمع، ولا يدخل في اعجاب يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه. اوقفهم عند الشبهة، وآخذهم لنفسه بالحجة، واقلهم تبرماً من تودد الحجج، واصبرهم على كشف الأمور وايضاح الخصمين، ولا يستميله الاغراء، ولا يأخذ فيه التبليغ بأن يقال: قال فلان قال فلان. فولّ القضاء من كان كذلك.(١)

خامساً/ فسّر الامام أمير المؤمنين عليه السلام العدل الذي يعتبر واحداً من أربعة أركان قام عليها الايمان، بالاضافة الى الصبر واليقين والجهاد؛ فسّره بما يلي: والعدل منها على

أربع شعب؛ على غائص الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكم، ورساخة الحلم.

فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً. (٢)

وتفسير هذه الرواية جاء في كلمات العلامة المجلسي (ره)، فقال عن العدل: كأن المراد بالعدل هنا ترك الظلم، والحكم بالحق بين الناس، وانصاف الناس من نفسه.

---

(١) مستدرك الوسائل / ج ٣ / ص ١٩٥ (كتاب القضاء / ابواب آداب القاضي / الباب ١ / ح ٢).

(٢) بحار الأنوار / ج ٦٥ / ص ٣٤٨.

وعن غامض الفهم قال: كأن المعنى فهم الغوامض. وقال عن غمر العلم؛ أي كثرته. وعن زهرة الحكم قال: النضارة والحسن والبياض. وقال: شبّه (الامام) الحكم الواقعي بالزهرة، لكونه رائقاً ومثمراً لانواع الثمرات. (وشبّه) الحلم بالروضة، لكونه رائقاً ونافعاً في الدارين. (١)

سادساً/ والعدالة في الحكم، تتجلى في العدالة في القصاص، حيث قال سبحانه: **{الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }** (البقرة / ١٩٤). وقال تعالى: **{ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَآ أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** (البقرة / ١٧٩).

وفي آيات شتى، حدد ربنا حدود القصاص. قال الله سبحانه: **{ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ اَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** (المائدة / ٤٥).

وتطبيق مبدء القصاص في الحرمات جميعاً، - ابتداءً - من القصاص في النفوس والجوارح، وانتهاءً بالقصاص في الشهر الحرام والبيت الحرام، فإن المجتمع يتمتع بطمأنينة كافية باذن الله تعالى.

---

(١) المصدر / ص ٣٦٩.

٨٨في رحاب الأحاديث

٨٨٨ ألف: ماهو العدل

١/ قال الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: " ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن". (١)

٢/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " العدل أساس، به قوام العالم ". (٢)

٣/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " العدل أقوى أساس". (٣)

٤/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " جعل الله العدل قواماً للأنام، وتنزيهاً من المظالم والآثام، وتسنية للاسلام ". (٤)

٥/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " ان العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق ونصبه لاقامة الحق، فلا تخالفه في ميزانه ولا تعارضه في سلطانه ". (٥)

٦/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " العدل قوام الرعية وجمال الولاة ". (٦)

٧/ قال الامام الصادق عليه السلام: " العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن ". (٧)

٨/ قال الامام الصادق عليه السلام: " العدل أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأطيب ريحاً من المسك ". (٨)

---

(١) نهج البلاغة / حكمة ٢٢٠.

(٢) ميزان الحكمة / المجلد السادس / ص ٧٨- عن بحار الأنوار / ج ٧٨ / ص ٨٣.

(٣) المصدر - عن غرر الحكم.

(٤) المصدر - عن غرر الحكم.

(٥) المصدر - عن غرر الحكم.

(٦) المصدر / ص ٧٩ - عن غرر الحكم.

(٧) المصدر - عن الكافي / ج ٢ / ص ١٤٦.

(٨) المصدر / ص ١٤٧ / وكذلك عن بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٣٩.

٩/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " العدل مألوف، والهوى عسوف ". (١)

١٠/ قالت سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام: " فرض الله العدل مسكاً للقلوب ". (٢)

١١/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " العدل جُنّة واقية، وجنّة باقية ". (٣)

١٢/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " العدل يصلح الرعية ". (٤)

١٣/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " العدل يريح العامل به من تقليد المظالم". (٥)

١٤/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " بالعدل تتضاعف البركات ". (٦)

١٥/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة، قيام ليلها وصيام نهارها. وجور ساعة في حكم أشد عند الله من معاصي ستين سنة ". (٧)

١٦/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " العدل زينة الايمان ". (٨)

١٧/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " العدل رأس الايمان، وجماع الاحسان، وأعلى مراتب الايمان ". (٩)

١٨/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " العدل حياة ". (١٠)

---

(١) المصدر - عن بحار الأنوار / ج ٧٨ / ص ١١.

(٢) ميزان الحكمة / المجلد السادس / ص ٧٩- عن بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٣٤٤.

(٣) المصدر - عن بحار الأنوار / ج ٧٧ / ص ١٦٥

(٤) المصدر - عن غرر الحكم.

(٥) المصدر - عن غرر الحكم.

(٦) المصدر - عن غرر الحكم.

(٧) ميزان الحكمة / المجلد السادس / ص ٧٩ - عن بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٣٥٢.

(٨) ميزان الحكمة / المجلد السادس / ص ٨١.

(٩) المصدر.

(١٠) المصدر - عن غرر الحكم.

١٩/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " العدل حياة الاحكام ". (١)

٢٠/ وفي قوله تعالى: **{ اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها }**، قال الامام الكاظم عليه السلام: " ليس يحييها بالقطر، ولكن يبعث الله رجالاً فيحيون العدل، فتحيى الأرض لاحياء العدل. ولاقامة العدل فيه، أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً ". (٢)

٨٨٨ باء: عدل الولاة

١/ وفي كتابه الى مالك الاشتر، قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " وليكن أحب الامور اليك اوسطها في الحق، وأعمها في العدل ". (٣)

٢/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " وان أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية ". (٤)

٣/ في كتابه الى الاسود بن قطبة، صاحب جند حلوان، قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: " أما بعد؛ فان الوالي اذا اختلف هواه، منعه ذلك كثيراً من العدل. فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء، فانه ليس في الجور عوض من العدل ". (٥)

٤/ قال أمير المؤمنين عليه السلام لزياد بن أبيه: " استعمل العدل واحذر العسف والحيف، فان العسف يعود بالجلاء، والحيف يدعو الى السيف ". (٦)

٥/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " فان في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق ". (٧)

---

(١) المصدر - عن غرر الحكم.
(٢) المصدر - عن تفسير نور الثقلين.
(٣) نهج البلاغة / كتاب رقم ٥٣.
(٤) المصدر.
(٥) نهج البلاغة / كتاب رقم ٥٩.
(٦) نهج البلاغة / حكمة رقم ٤٧٦.
(٧) نهج البلاغة / كلام رقم ١٥.

٦/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " العدل فضيلة السلطان ". (١)

٧/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " العدل جُنّة الدّول ". (٢)

٨/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " عدل السلطان خير من خصب الزمان ". (٣)

٩/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " إذا أدّت الرّعيّة الى الوالي حقّه، وأدّى الوالي إليها حقّها، عزّ الحقّ بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على إذلالها السّنن. فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدّولة، ويئست مطامع الأعداء. وإذا غلبت الرّعيّة واليها، أو أجحف الوالي برعيّته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور." (٤)

١٠/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " أوّل من يدخل النار أمير متسلّط لم يعدل، وذو ثروة من المال لم يعط المال حقّه، وفقير فخور." (٥)

١١/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "من ولّى عشرة فلم يعدل فيهم جاء يوم القيامة ويداه ورجلاه ورأسه في ثقب فاس." (٦)

٨٨٨ جيم: العدل خلق سام

١/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " عباد الله؛ ان من أحب عباد الله اليه عبداً أعانه الله على نفسه... (الى ان قال) قد أخلص لله فاستخلصه. فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه. قد ألزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه، يصف الحق ويعمل به، لا يدع للخير غاية إلاّ أمَّها، ولا مظنة إلاّ قصدَها. قد أمكن

---

(١) ميزان الحكمة / المجلد السادس / ص ٧٩.

(٢) المصدر - عن غرر الحكم.

(٣) المصدر - عن بحار الأنوار / ج ٧٨ / ص ١٠.

(٤) ميزان الحكمة / المجلد السادس / ص ٨٩ - عن نهج البلاغة / خطبة رقم ٢١٦.

(٥) المصدر / ص ٩٠ - عن بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٣٤٠.

(٦) المصدر - عن بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٣٤٥.

الكتاب من زمامه، فهو قائده وامامه، يحل حيث حلَّ ثقله، وينزل حيث كان منزله ". (١)

٢/ سئل الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " ايهما أفضل، العدل أم الجود؟ فقال عليه السلام: " العدل يضع الأمور مواضعها، والجور يخرجها من جهتها. والعدل سائس عام، والجود عارض خاص. فالعدل اشرفهما وافضلهما ". (٢)

٣/ سئل الامام الصادق عليه السلام عن صفة العدل من الرجل؟ فقال عليه السلام: " إذا غض طرفه من المحارم، ولسانه عن المآثم، وكفّه عن المظالم." (٣)

٤/ عن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بم تعرف عدالة الرّجل بين المسلمين حتّى تقبل شهادته لهم وعليهم؟

قال: فقال: " ان تعرفوه بالستر والعفاف، والكفّ عن البطن والفرج واليد واللسان، ويعرف باجتناب الكبائر التي أوعد الله عليها النّار من شرب الخمر والزّنا والرّبا وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وغير ذلك، والدّالّ على ذلك كلّه، والساتر لجميع عيوبه حتى يحرم على المسلمين تفتيش ماوراء ذلك من عثراته وغيبته، ويجب عليهم توليه واظهار عدالته في الناس، المتعاهد للصلوات الخمس إذا واظب عليهنّ وحافظ مواقيتهنّ باحضار جماعة المسلمين، وأن لايتخلّف عن جماعتهم ومصلاّهم إلاّ من علّة.." (٤)

٥/ من وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسين عليهما السلام قال: " أوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر... وبالعدل على الصّديق والعدوّ." (٥)

---

(١) نهج البلاغة / خطبة رقم ٨٧ / في بيان صفات المتقين وصفات الفساق.

(٢) نهج البلاغة / حكمة رقم ٤٣٧.

(٣) ميزان الحكمة / المجلد السادس / ص ٨٥ - عن بحار الأنوار / ج ٧٨ / ص ٢٤٨.

(٤) المصدر / ص ٨٧ - عن استبصار / ج ٣ / ص ١٢.

(٥) المصدر / ص ٨٨ - عن بحار الأنوار / ج ٧٧ / ص ٢٣٦.

٦/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " أعدل الناس من رضى للناس ما يرضى لنفسه، وكره لهم ما يكره لنفسه ". (١)

٧/ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " أعدل الناس من أنصف عن قوّة ". (٢)

٨٨٨ **دال: كيف نعدل؟**

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: " استعن على العدل بحسن النيّة في الرّعيّة، وقلّة الطّمع، وكثرة الورع ". (٣)

٨٨السلام

قلب المؤمن يعتمر بسكينة السلام. أوليس المؤمن يعترف بالاخرين، ويحترم حقوقهم؟ أوليس السلام (والأمن التام) مظهر الاعتراف بحقوق الاخرين؟

ولسان المؤمن رسول صادق لقلبه. وهكذا كانت تحيته السلام، حين يدخل بيتا وعندما يلتقي مؤمناً، وبالنسبة الى الرسل وعباد الله المصطفين، وحين يودع، وحتى عندما يواجهه الجاهلون.

---

(١) المصدر / ص ٨٨ - عن بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢٥.

(٢) المصدر / ص ٨٨ - عن غرر الحكم.

(٣) المصدر / ص ٨٩ - عن غرر الحكم.

٨٨٨ **معنى السلام:**

السلام تعبير عن احترام الطرف الاخر، والذي يتمثل في عدة حقائق؛ انه لا يضمر تلقاءه سوءاً، وانه يحترم محضره فلا يسمعه لغوا، وانه يريد له حياة كريمة طيبة، وانه يودعه بكرامة واحترام.

١/ عندما يرفع المقاتل يديه اشارة الى الاستسلام وانهاء القتال، فإن على المؤمن قبوله وعدم التشكيك في نيته. قال الله تعالى: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا }** (النساء/ ٩٤)

ومن الآية نعرف، ان القاء السلام يعني اظهار الأمن وعدم نية السوء.

٢/ ومعنى الامان التحية، حيث يريد هذا الطرف للطرف الثاني الحياة، (ولا يريد له الموت وهو شعار المتقاتلين). قال الله سبحانه: **{ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً }** (الاحزاب/٤٤)

٣/ وقال الله سبحانه: **{ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَماً }** (الفرقان / ٧٥)

٤/ ومن ابعاد السلام؛ ان المسلم يكرم حضور الطرف الاخر، ولا يقول كلاماً ينافي كرامته (سباً او أذى). قال الله سبحانه: **{ لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلاَماً }** (مريم/ ٦٢)

٥/ وقال الله سبحانه: **{ لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً * إِلاَّ قِيلاً سلاَماً سَلاَماً }** (الواقعة/ ٢٥ - ٢٦)

٦/ ومن أبعاد السلام؛ تمني الحياة الطيبة (والتي لا تتم إلاّ بالكرامة). قال الله تعالى: **{وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ }** (الزمر/٧٣)

٧/ ومن معاني السلام الوداع دون شجار وجدال. وهكذا امر الله الرسول بان يصفح عنهم ويقول لهم سلام. (فالسلام هنا بمعنى العفو او الوداع). قال الله سبحانه: **{ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلاَمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ }** (الزخرف/٨٩)

٨/ وقال الله سبحانه: **{ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً }** (الفرقان / ٦٣)

٨٨٨ السلام حرمة البيوت:

ولان للبيت حرمة، حيث يجب ان يكون أهله في سلام وأمن، فلا يجوز دخوله إلاّ بعد اذن وسلام. وهذا السلام تحية الهية (ورحمة الهية) تتجلى عند دخول المؤمنين الجنة، وهكذا دخل الملائكة على النبي إبراهيم بالسلام.

١/ نهى القرآن من دخول البيوت، إلاّ بعد الاستيناس، (بحيث يجعل أهل البيت على علم بالدخول. ولعل منه الدخول من ابوابها وليس من ظهورها). فإذا اذن اصحاب البيت فليدخله بعد السلام. قال ربنا العزيز: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا }** (النور/٢٧)

٢/ وهذا السلام يشيع الأمن في اجواء المدينة، ويعود على كل فرد بالسلام. (وهكذا السلام على الاخرين، هو سلام على النفس)، وحينما تسلم على المسلم سلمت على نفسك. قال الله سبحانه: **{ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً }** (النور/٦١)

ولعل معنى **{ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ }**؛ ان السلام حياة الامة التي تنزل من عند الله، وفيها البركة (النمو) والطيب (حياة كريمة).

٣/ وحتى الملائكة لم يدخلوا على ابراهيم عليه السلام، إلاّ بعد السلام عليه وتلقي الجواب منه. (وهكذا يؤدبنا الرب على لسان ملائكته). قال الله تعالى: **{ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ }** (هود/٦٩)

٤/ وقد بادل إبراهيم عليه السلام الضيوف السلام، بالرغم من انه لم يكن يعرفهم. (مما يدل على اهمية الجواب بعد السلام). قال الله سبحانه: **{ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ }** (الذاريات/٢٥)

٥/ وقد سلم الضيوف (الملائكة) على ابراهيم عليه السلام بالرغم من انه كان وجلاً منهم. قال ربنا سبحانه: **{إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ }** (الحجر/٥٢)

٦/ وهكذا لا يدخل المؤمنون الجنة، إلاّ بعد ان يسلم عليهم الملائكة ترحيباً بهم. قال الله تعالى: **{ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْملاَئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ }** (النحل/٣٢)

٨٨٨ **السلام تحية المؤمنين:**

١/ يعيش المؤمنون سكينة السلام فيما بينهم، (فلا عداوة ولا ضغينة ولا حمية بينهم)، فإذا التقوا تبادلوا التحية بالسلام. قال الله سبحانه: **{ وإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }** (الانعام / ٥٤)

٢/ والجنة المثل الأسمى للعيش، وهناك ترى المؤمنين يبادلون بعضهم التحية. قال الله سبحانه: **{ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }** (يونس/ ١٠)

٣/ وقال الله سبحانه: **{ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ }** (إبراهيم / ٢٣)

٤/ وهكذا عند لقاء الله يتلقى المؤمنون تحية السلام، فيقول الله سبحانه: **{ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً }** (الاحزاب/٤٤)

٥/ وفي الجنة حيث العيش الرغد الكريم، وحيث النفوس الطاهرة من الاحقاد، يتبادل سكانها السلام (من دون اي لغو او تأثيم). قال ربنا جل جلاله: **{لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً * إِلاَّ قِيلاً سلاَماً سَلاَماً }** (الواقعة/٢٥-٢٦).

٦/ واعظم ما في الجنة، سلام من عند الله. قال الله سبحانه: **{ سَلاَمٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ}** (يس/ ٥٨)

٧/ واصحاب الاعراف (وهم - فيما يبدو - الرسل والائمة) يحيون المؤمنين ايضاً بالسلام. قال الله سبحانه: { **وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ** } (الاعراف / ٤٦)

هكذا كانت كلمة السلام شعاراً للّقاء بين المؤمنين، لانه يعكس العلاقة الايجابية بينهم، والنابعة من احترامهم لحقوق بعضهم، وتعارفهم وتعاونهم.

٨٨٨ **السلام صلة المؤمن بالرسل:**

بين المؤمن ورسل الله صلة قريبة. فهم وسائل رحمة الله، وقدوات حياته، وشفعاء آخرته، وقد اكرم الله رسله بالسلام عليهم. (وهكذا فرض احترامهم على الناس، بل وحتى على الطبيعة).

١/ وهكذا تختم سورة الصافات بالسلام على المرسلين، (ويندب ان يختم المؤمنون مجالسهم بذلك السلام). قال الله سبحانه: { **وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** } (الصافات/١٨١ - ١٨٢)

٢/ ولقد اكرم الله سبحانه شيخ المرسلين نوحا بالسلام عليه عبر الاجيال المتعاقبة من بعده، (وبذلك علمنا كيف تكون علاقتنا به وبنهجه، وكيف يكون اكرامنا له). قال الله سبحانه: { **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الأَخِرِينَ * سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ** } (الصافات/ ٧٨- ٧٩)

في كل مكان، وكل زمان يجري السلام على نوح عليه السلام.

٣/ وإبراهيم عليه السلام الذي طارده اعداؤه وحاولوا احراقه واخرجوه من داره.. انه هو الآخر باركه الله بالسلام عليه في الاخرين (وابداً حتى قيام الساعة)، كرامة له ولنهجه التوحيدي الخالص. قال الله عز وجل: { **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الأَخِرِينَ * سَلاَمٌ عَلَى اِبْرَاهِيمَ**} (الصافات/ ١٠٨ - ١٠٩)

٤/ وبعد نوح وابراهيم عليهما السلام جاء موسى وهارون عليهما السلام وحملا مشعل التوحيد، ودعيا الى رب السلام. ومنّ عليهما ربهما بالنجاة والنصر والهداية، وجعل عليهما السلام في الآخرين. وقال الله سبحانه: { **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الأَخِرِينَ * سَلاَمٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ** } (الصافات / ١١٩ - ١٢٠)

٥/ وجاء إلياس عليه السلام على نهج المرسلين، وقاوم الشرك. وذهب إلياس وابقى الله عليهم السلام في الآخرين. فإذا بكل شيء يردد سلام على إلياس. قال الله تعالى: {**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الأَخِرِينَ * سَلاَمٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ** } (الصافات/ ١٢٩-١٣٠)

٦/ وهكذا تكون العلاقة بعباد الله المصطفين من رسل وائمة هداة، هي علاقة السلام (التسليم لهم واكرامهم والثناء عليهم). قال الله سبحانه: { **قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى** } (النمل / ٥٩)

٧/ ومن المصطفين عيسى بن مريم عليه السلام الذي اختاره الله في المهد وجعله نبياً، فجعل السلام عليه منذ ولادته والى موته وحتى يبعث في الحشر. قال الله سبحانه: {**وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً** } (مريم / ٣٣)

٨/ وكذلك قال الله عن النبي يحيى عليه السلام: { **وَسَلاَمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً** } (مريم / ١٥)

٩/ ويتنامى السلام حين تختم رسالات الله بالنبي الاكرم محمد صلى الله عليه وآله، حتى

يبلغ مستوى الصلاة عليه. ويأمرنا الله بان نصلي ونسلم عليه، لان الله تعالى بكل جلاله وجبروته وبكل عطفه ورعايته يصلي عليه وملائكته. ويقول عز من قائل: { **اِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** } (الاحزاب/٥٦)

٨٨٨ **سلام الهجر والوداع:**

وكما في التلاقي، كذلك في الوداع وربما في الافتراق، علينا ان نختار السلام ترغيبا في الأمن، وحثا على الالفة والوحدة.

١/ ومن هنا كان من صفات عباد الرحمن هجر الجاهلين بعد السلام عليهم، سلام الوداع. فقال الله تعالى: { **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً** } (الفرقان / ٦٣)

٢/ وقال الله تعالى عن المؤمنين: { **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** } (القصص / ٥٥)

٨٨بصائر الآيات

١/ قلب المؤمن مهوى السلام، ولسانه ترجمان قلبه. فتحيته السلام إذا اراد دخول الدار، وحين يلتقي مؤمناً، وعند لقاء الرسل، وإذا أراد ان يودع، وحتى في مواجهة الجاهلين.

٢/ وفي السلام احترام الآخرين. فمن سلّم لم يضمر سوءً، ولا يتحدث لغواً، ويتمنى للآخر الكرامة ويودعه باحترام.

٣/ ولكل بيت حرمة، فلا يدخله المؤمن إلاّ بسلام، وانه لتحية من عند الله مباركة (تقدم) طيبة (كرامة). وهكذا لم يدخل الملائكة على ابراهيم عليه السلام إلاّ بسلام، وقد رد عليهم ابراهيم بالسلام بالرغم من عدم معرفته بهم. وعند دخول الجنة يسلم الملائكة على المؤمنين.

٤/ وليس بين المؤمنين ضغينة ولا حمية ولا عدواة، فهم يعيشون سكينة السلام فيما بينهم. وفي الجنة حيث المثل الأعلى للحياة، يتبادل المؤمنون فيما بينهم السلام. وهكذا السلام تعبير عن العلاقات الايجابية البناءة بين المؤمنين.

٥/ وقد اكرم الله رسله بالسلام عليهم (من قبل الآخرين)، وبهذا احترم الآخرون من المؤمنين السابقين من قدواتهم.

٦/ وعند الوداع يختم المؤمنون لقاءهم بالسلام على انفسهم، (تعبيراً عن تبادل الأمن فيما بينهم في المغيب كما في المحضر).

٧/ وحتى عند الوداع (وعدم التلاقي من جديد)، ترى عباد الرحمن يسلمون على الجاهلين. كذلك المؤمنون عند سماع اللغو، ممن يجهل عليهم.

٨٨فقه الآيات

١/ (النساء / ٩٤)؛ نستفيد من هذه الآية طائفة من الاحكام الشرعية العامة:

ألف: ان الغاية الأسمى للقتال، تحقيق مرضاة الرب وليس بلوغ الأهداف المادية. فمن هنا فان على المجاهدين ان يتبينوا قبل القتال، ليعرفوا هل يستحق ذلك الطرف ابتداء القتال ام لا؟ وقد قال سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }** (الحجرات / ٦)

باء: ونستفيد من ذلك ضرورة انشاء جهاز للمخابرات العسكرية، لكي نتأكد من عداوة الذين نريد قتالهم. إذ ان من لايملك مثل هذا الجهاز، قد يتورط في عمليات عسكرية بناءً على أخبار كاذبة.

جيم: ان اشاعة السلام هو هدف القتال. فاذا ألقى الطرف الآخر السلام، لايجوز الاستمرار في العمليات العسكرية بهدف الحصول على غنائم، او بهدف تحطيم العدو والانتقام منه، وما اشبه.

٢/ (النور/ ٢٧-٢٨)، (النور/٦١)، (النور/ ٥٨-٥٩)؛ للبيوت حرمة، ومن حق اصحابها

الاحساس بالأمن داخلها. ونستفيد من ذلك الاحكام والوصايا التالية:

ألف: أول حرمات البيوت ألاّ يتم اقتحامها من ظهورها، حيث يقول ربنا سبحانه: **{وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن أَبْوَابِهِا وَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }** (البقرة / ١٨٩)

وهكذا ينبغي ان يحس ساكن البيت بالأمن والطمأنينة، لأن الباب يحرس عادة من قبله، بينما الظهور والثغور المختلفة حول البيت يصعب حراستها جميعاً.

باء: والحق الثاني للبيت الاستيناس، بحيث يجعل اصحابها على معرفة بمن قد يدخل عليهم، وقد يتم ذلك مثلاً بدق الباب او بالصوت او بالمخابرة او ما أشبه، وقد يكون اصحاب البيت في وضع يحتاجون الى بعض الوقت استعداداً لاستقبال الضيف.

جيم: اما الحق الثالث فهو الاستيذان؛ والسلام أحد مصاديقه. فان لم يأذن اهل البيت، فلابد من الرجوع بلا تردد.

دال: ومن آداب الدخول في البيت، القاء التحية؛ سواءً بالسلام او بغيره كرامة لأهل البيت؛ حتى ولو لم يكن الداخل بحاجة الى الاستيذان، كأن يكون من اصحاب البيت.

هاء: ومن الآداب ان يستأذن التابعون المتواجدون مع أهل البيت للدخول في غرف البيت، التي يضع أهلها ثيابهم فيها للراحة (مثل غرف النوم)، وذلك في أوقات الاستراحة. بلى؛ الاطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، ليس لهم هذا الحكم حتى يبلغوا الحلم.

٣/ (الفرقان/٦٢)، (القصص/ ٥٥)؛ يستحب هجر الجاهلين بالسلام. والسلام هنا يعكس الفراق، ولكن دون ان يضمر المسلم شراً بالنسبة الى الآخر. ونفهم من ذلك ما يلي:

ألف: إن من السلام ماهو سلام وداع، لان اللقاء بحاجة الى تحية حيث يحتاج الطرفان الى جو من الأمن والارتياح حتى يتبادلوا الحديث ويتعاونوا في الأمور، وما هو سلام وداع يعكس الارتياح الى البعض في الغياب.

باء: ان السكوت عن الجهل يبعث السلام والطمأنينة في البلاد. فاذا كان الجهل من طرف واحد تلاشى أثره، بينما اذا لقح بالجواب انتج الفتنة. فالسلام على الجاهل، هو في الواقع يورث الأمن في النفوس.

جيم: والسلام على الجاهل لايعني القبول بفعله، وانما يكون بعد الاعراض عنه، والبراءة من فعله، وتحميله مسؤولية قوله اللغو.

٤/ (الصافات/ ١٨١)، (الاحزاب/ ٥٦)؛ نستفيد من جملة آيات كريمة استحباب السلام على المرسلين عموماً، وعلى خاتم المرسلين بالخصوص. وهكذا يصلي المؤمن على النبي محمد وآله ويسلم عليهم، ويسلم على سائر المرسلين، اشعاراً باحترامه لهم، وحبّه وايمانه واتباعه لمسيرتهم الايمانية.

٨٨في رحاب الأحاديث

١/ قال أمير المؤمنين عليه السلام: "فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر.. والسلام أمناً من المخاوف". (١)

٢/ قال الامام الصادق عليه السلام: "السلام تحية لملتنا، وأمان لذمتنا". (٢)

٣/ عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام، قال: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرهم بسبع؛ عيادة المرضى، واتباع الجنائز، وابرار القسم، وتسميت العاطس، ونصر المظلوم، وافشاء السلام، واجابة الداعي. (٣)

٤/ عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، يسكنها من أمتي من اطاب الكلام، واطعم الطعام، وافشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام. ثم قال: افشاء السلام ان لايبخل بالسلام على احد من المسلمين. (٤)

---

(١) نهج البلاغة / حكمة ٢٥٢.

(٢) ميزان الحكمة / ج ٤ / ص ٥٣٤ - عن بحار الأنوار / ج ٧٣ / ص ١٢.

(٣) بحار الأنوار/ ج ٧٣ / ص ٢ / ح ١.

(٤) المصدر / ح ٢.

٥/ **{ فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم}** في رواية أبـــي الجارود عن أبي جعفر

عليه السلام قال: يقول: إذا دخل الرجل منكم بيته، فان كان فيه احد يسلّم عليهم، وان لم يكن فيه احد فليقل: السلام علينا من عند ربنا. يقول الله: **{تحية من عند الله مباركة طيبة}**. (١)

٦/ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من التواضع ان تسلّم على من لقيت. (٢)

٧/ عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: يا أنس؛ سلّم على من لقيت، يزيد الله في حسناتك، وسلّم في بيتك يزيد الله في بركتك. (٣)

٨/ عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من بدأ بالكلام قبل السلام، فلا تجيبوه. وقال عليه السلام: لاتدع الى طعامك احداً حتى يسلّم. (٤)

٩/ عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً: يا أنس؛ أسبغ الوضوء تمر على الصراط مرَّ السحاب، أفش السلام يكثر خير بيتك، أكثر من صدقة السر فانها تطفئ غضب الرب عز وجل. (٥)

١٠/ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من يضمن لي اربعة بأربعة أبيات في الجنة؛ من أنفق ولم يخف فقراً، وانصف الناس من نفسه، وأفشى السلام في العالم، وترك المراء وإن كان محقاً. (٦)

---

(١) بحار الأنوار/ ج ٧٣ / ص ٣ / ح ٣.
(٢) المصدر / ح ٤.
(٣) المصدر / ح ٥.
(٤) المصدر / ح ٦.
(٥) المصدر / ص ٤ / ح ٨.
(٦) المصدر / ح ٩.

١١/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أعجز الناس من عجز من الدعاء، وإنّ ابخل الناس من بخل بالسلام. (١)

١٢/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لقي عشرة من المسلمين فسلّم عليهم، كتب الله له عتق رقبة. (٢)

١٣/ عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا تلاقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرّقتم فتفرّقوا بالاستغفار. (٣)

١٤/ عن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: إن للمسلم على أخيه المسلم من المعروف ستّاً؛ يسلّم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، ويسمّته إذا عطس، ويشهده إذا مات، ويجيبه إذا دعاه، ويحبُّ له ما يحبُّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. (٤)

١٥/ عن اسحاق بن عمار الصيرفي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وكنت تركت التسليم على اصحابنا في مسجد الكوفة، وذلك لتقيّة علينا فيها شديدة. فقال لي أبو عبد الله: يا اسحاق؛ متى احدثت هذا الجفاء لاخوانك؟ تمر بهم فلا تسلّم عليهم؟ فقلت له: ذلك لتقيّة كنت فيها. فقال: ليس عليك في التقيّة ترك السلام، وإنما عليك في التقيّة الاذاعة. إنّ المؤمن ليمرُّ بالمؤمنين فيسلّم عليهم، فتردُّ الملائكة: سلام عليك ورحمة الله وبركاته أبداً. (٥)

١٦/ كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أتوه يقولون له: أنعم صباحاً، وأنعم مساءً، وهي تحيّة اهل الجاهلية. فأنزل الله **{وإذا جاؤك حيّوك بما لم**

---

(١) المصدر / ح ١١.
(٢) بحار الأنوار/ ج ٧٣ / ص ٤ / ح ١٢.
(٣) المصدر / ص ٥ / ح ١٣.
(٤) المصدر / ح ١٥.
(٥) المصدر / ص ٥-٦ / ح ١٨.

يحيّك به الله} فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: قد أبدلنا الله بخير من ذلك، تحيّة أهل الجنّة؛ السلام عليكم. (١)

١٧/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا دخل أحدكم بيته فليسلّم، فانه ينزله البركة، وتؤنسه الملائكة. (٢)

١٨/ عن علي بن حمّاد، ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ليسلّم الراكب على الماشي، وإذا سلّم من القوم واحد أجزأ عنهم. (٣)

١٩/ عن الصادق عن أبيه عليهما السلام، قال: إذا دخلت المسجد والقوم يصلّون فلا تسلّم عليهم، وسلّم على النبي صلى الله عليه وآله، ثمَّ أقبل على صلاتك. وإذا دخلت على قوم جلوس يتحدثون، فسلّم عليهم. (٤)

٢٠/ عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام، قال: أن عليّاً عليه السلام كان يكره ردَّ السلام والامام يخطب. (٥)

٢١/ عن الصادق عليه السلام، قال: ثلاثة لا يسلّمون؛ الماشي مع جنازة، والماشي الى الجمعة، وفي بيت حمام. (٦)

٢٢/ عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يسلّم على أربعة؛ على السكران في سكره، وعلى من يعمل التماثيل، وعلى من يلعب بالنرد، وعلى من يلعب بالأربعة عشر. وأنا أزيدكم الخامسة: أنهاكم ان تسلّموا على اصحاب الشطرنج. (٧)

---

(١) المصدر / ص ٦ / ح ٢٠.
(٢) المصدر / ص ٧ / ح ٢٥.
(٣) بحار الأنوار/ ج ٧٣ / ص ٧ / ح ٢٦.
(٤) المصدر / ص ٧-٨ / ح ٢٨.
(٥) المصدر / ص ٨ / ح ٢٩.
(٦) المصدر / ح ٣١.
(٧) المصدر / ح ٣٢.

٢٣/ عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: ستّة لا يسلّم عليهم؛ اليهودي، والمجوسي، والنصراني، والرجل على غائطه وعلى موائد الخمر، وعلى الشاعر الذي يقذف المحصنات، وعلى المتفكّهين بسبِّ الأمّهات. (١)

٢٤/ عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: إذا قام الرجل من مجلسه فليودّع إخوانه بالسلام، فان افاضوا في خير كان شريكهم، وإن افاضوا
في باطل كان عليهم دونه. (٢)

٢٥/ عن الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا تبدؤا أهل الكتاب بالسلام، فان سلّموا عليكم فقولوا: عليكم. (٣)

٢٦/ عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خمس لا أدعهنَّ حتى الممات؛ الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلبي العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان، لتكون سُنّة من بعدي. (٤)

٢٧/ قال أبو عبد الله عليه السلام: البادي بالسلام أولى بالله وبرسوله. (٥)

٢٨/ عن علي عليه السلام، قال: السلام سبعون حسنة، تسعة وستّون للمبتدي وواحدة للرادّ. (٦)

٢٩ / وقال عليه السلام: إنّ من موجبات المغفرة، بذل السلام وحسن الكلام. (٧)

---

(١) المصدر / ص ٩ / ح ٣٣.
(٢) بحار الأنوار / ج ٧٣ / ص ٩ / ح ٣٦.
(٣) المصدر / ح ٣٧.
(٤) المصدر / ص ١٠ / ح ٣٨.
(٥) المصدر / ص ١١ / ح ٤٦.
(٦) المصدر.
(٧) المصدر

٣٠/ أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا دخلت منزلك فقل بسم الله وبالله، وسلّم على أهلك. فان لم يكن فيه احد، فقل بسم الله وسلام على رسول الله وعلى أهل بيته، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فاذا قلت ذلك فرَّ الشيطان من منزلك. (١)

٣١/ وعنه عليه السلام، قال: يسلّم الرجل إذا دخل على أهله، وإذا دخل يضرب بنعليه ويتنحنح يصنع ذلك حتى يؤذنهم أنه قد جاء، حتى لايرى شيئاً يكرهه. (٢)

٣٢/ وقال عليه السلام: السلام للراكب على الراجل، وللقائم على القاعد. وقال عليه السلام: السلام قبل الكلام. (٣)

٣٣/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: إفشاء السلام في العالم. (٤)

٣٤/ قال صلى الله عليه وآله وقد أتاه رجل فقال: السلام عليك يا نبي الله. فقال: وعليك ورحمة ا لله. ثم أتاه آخر فقال: السلام عليك يا نبيَّ الله ورحمة الله [فقال: وعليك ورحمة الله وبركاته. ثمَّ أتاه آخر، فقال: السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله] وبركاته. فقال: وعليك. فقيل له: يا رسول الله؛ لم لم تقل لهذا كما قلت للذين قبله؟ فقال: إنّه تشافّها. (٥)

---

(١) المصدر.
(٢) المصدر.
(٣) المصدر / ص ١٢.
(٤) بحار الأنوار / ج ٧٣ / ص ١٢ / ح ٥٠.
(٥) المصدر / ص ١٢-١٣ / ح ٥١.

٨٨الحكم

٨٨٨ معنى الحكم:

تنظيم العلاقة الاجتماعية على محور الحق هو الاساس لبناء المدينة العادلة، والكتاب النازل من عند الله يهدف هذا النمط من نظم العلاقة. وهكذا كان معنى الحكم قريباً من معنى القضاء وفض الخلاف. والواقع ان الحكم اوسع من القضاء معنى، اذ انه قد يسبق حالة الاختلاف فيكون مانعاً من بروزه. وهكذا نجد الحكم يأتي في سياق بيان القصاص، والقصاص لا يكون إلاّ بعد الجريمة، والجريمة تورث الصراع، والقصاص يمنع نشوء مثل هذا الصراع.

وهكذا نجد كلمة الحكم تستخدم كثيراً مع حرف " بين " مما يدل على انه ينظم العلاقة بين الناس، ولكنه لا يختص به، اذ الحكم قد يستخدم لبيان التشريع الاعم من القضاء. قال الله سبحانه: **{ يـآ أَيُّهَـا الَّذِينَ ءَامَنُـوا أَوْفُـوا بِـالْعُقُودِ أُحِلَّـتْ لَكُـمْ بَهِيمَـةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّـي الصَّيْدِ وَأَنْـتُمْ حُـرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَـا يُرِيـدُ }** (المائدة / ١)

والحكم يقتضي وجود حاكم ومحكوم واداة حكم، وهكذا جاءت آيات " الحكم " التي سوف نتلوها - انشاء الله - في سياق الحديث عن الرسل والربانيين والاحبار.

٨٨٨الكتاب والرسول؛ ميزان الحق:

الحق هو الهدف، اما وسيلة المجتمع المؤمن لبلوغه فهو الرسول الذي يحكم بالكتاب المنزل من عند الله، فهو الميزان (الكتاب والرسول معا).

وباختصار؛ فحكم الله هو حكم الرسول الذي جاء بالكتاب ويحكم بالكتاب، ومن لم يحكم به فهو ليس بمؤمن بالله ولا عامل بشريعة الله، ولا طالب للعدل. وبتعبير آخر؛ انه كافر وفاسق وظالم.

١/ في الآية (٤٢) من سورة المائدة أمر الله رسوله بان يحكم بينهم بالقسط، ثم انذر اليهود بأنهم غير مؤمنين ماداموا لا يجعلون التوراة حاكماً بينهم، حيث قال الله سبحانه: { **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَآ أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ** } (المائدة /٤٢-٤٣)

وهكذا نفى صفة الايمان عنهم ماداموا لا يقيمون التوراة بينهم. أوليس الايمان الحق هو التسليم لحكم الله وللحق الذي فيه؟ وما قيمة التظاهر بالايمان من دون التسليم العملي للحق والذي هو هدف الايمان، وهل للجسد من دون الروح فائدة؟

٢/ والتوراة هدى ونور، والله انزلها على موسى عليه السلام ليحكم بها النبيون والربانيون والاحبار. فهم الحاكمون في المجتمع الاسرائيلي (لا اولاد بنيامين مثلما يزعمون).

والسبب الذي يجعل هؤلاء حكاماً، ليس انتسابهم الى اشخاص، بل تسليمهم التام لله وللحق المنزل في كتاب الله. اما الربانيون فإن علاقتهم بالرب هي حكمة تسلمهم لمنصب الحكم. بينما الاحبار وهم العلماء، لا يحكمون إلاّ بشروط اربع: حفظهم لكتاب الله (العلم)، شهادتهم عليه (تصديهم لاقامة الكتاب)، وعدم خشيتهم الناس على حساب الدين (استقلالهم السياسي عن الانظمة ومراكز القوى في المجتمع)، وانهم لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً (استقلالهم الاقتصادي عن المجتمع والاغنياء بالذات).

قال الله سبحانه: { **إِنَّآ أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ**

شُهَدَآءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِايَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (المائدة / ٤٤)

وهكذا يعتبر الذين يخالفون كتاب الله، ورسول الله، ومن استخلفه الرسول (من الربانيين والاحبار) بحكم الكافر.

٣/ ثم يبين مثلاً لحكم الله (القصاص)، ومن ثم يبين ان من لم يحكم بما انزل الله فهو من الظالمين. (أوليس الذي يعتدي على حقوق الاخرين ظالما؟ وهكذا الذي لا يعترف بالقصاص ظالم). ومن هنا نعرف ان ضمان اقامة القسط في المجتمع، انما هو باقامة الكتاب. قال الله سبحانه: **{ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ اَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }** (المائدة / ٤٥)

وهكذا يجوز التنازل عن القصاص رجاء رحمة الله، وتصديقاً بما وعد للعافين من الاجر. ومن فعل ذلك فهو كفارة لذنوبه، حيث ان الله يعفو عن العافي كما عفى عن اخيه المؤمن. وهذا دليل على ان القصاص حق لصاحبه، وليس بواجب. (وحسب التعبير الفقهي الشائع انه ليس بحكم).

٤/ وبعد ان يذكرنا الله بعيسى بن مريم عليه السلام، الذي ارسله الله بعد الانبياء من بني اسرائيل وانه اتاه الانجيل (المائدة / ٤٦)، أمر اهل الانجيل بأن يحكموا به، لانه مما انزل الله، وانذر الذين لا يحكمون به بأنهم فاسقون. وقال الله سبحانه: **{ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَآ أَنْزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللّهُ فَأُوْلئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }** (المائدة / ٤٧)

ويبدو ان احكام الله ثلاثة:

الف: ما يتصل بأصل الدين (مثل الانتماء السياسي والولاية الالهية)، فمن لم يحكم به فهو كافر.

باء: ما يتصل بالحكم بين الناس (كالقصاص)، ومن لا يعمل به يكون من الظالمين.

جيم: ما يتصل بالسلوك والمواعظ (كالتي في الانجيل)، ومن لم يحكم بها يلحق بالفاسقين.

٥/ وكما يجب على الناس ان يتبعوا القيادة الرسالية في شؤونهم، فإن على تلك القيادة الالتزام بالكتاب في احكامها دون الرضوخ لضغوطهم واهوائهم. قال الله سبحانه: { **وَأَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنْزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الحَقِّ** } (المائدة / ٤٨)

٦/ وامر الله الرسول (كما كل حاكم الهي) ان يحذر الناس (ويراقب حركاتهم ويحصي اساليبهم الضاغطة، حتى لا يقع فريسة مؤامراتهم)، ولا يتبع اهواءهم فيما يرتبط بالدين، (حتى ولو دعاهم ذلك الى التولي عن الرسول). فاذا تولوا عن الرسول او عن بعض احكام الدين، فإنهم بذلك يعاقبون بذنوبهم. قال الله تعالى: { **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَآ أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النّاسِ لَفَاسِقُونَ** } (المائدة / ٤٩)

ولعل تذكير الآية بأن كثيراً من الناس لفاسقون، كان لكي لا تغتر القيادة الرسالية بظاهر الناس فتسمع لهم.

٧/ وفي ختام هذا السياق يستنكر القرآن فعل الذين يريدون استبدال احكام الدين، ويؤكد انه ليس وراء الاسلام إلاّ الجاهلية، وليس هناك احسن من حكم الله الذي يستفيد منه الموقنون حين يطبقونه باخلاص شديد. قال الله سبحانه: { **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** } (المائدة/٥٠)

٨٨٨ ان الحكم إلاّ لله:

لا أحد يشرّع للناس، إلاّ ربهم الذي خلق وهدى ودبر وهيمن سبحانه.

١/ والحكم لله لانه سبحانه يقص الحق، والحق هو محور حياة البشر في الدنيا. (ولعل معنى قص الحق، بيانه فصلاً فصلاً، وفي كل أمر من الأمور). وهو يفصل بين الناس بعدل، فلا يظلم أحداً نقيراً. قال الله تعالى: **{ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ }** (الانعام / ٥٧)

٢/ ولان الحكم لله وحده، فلا يجوز التسليم إلاّ له. وذلك هو الدين القيم الذي لا عوج فيه. (فلا اهواء تتبع، ولا تحزبات تجحف، ولا عصبيات تشط). قال الله تعالى: **{ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}** (يوسف/٤٠)

٣/ ولان الحكم لله، فإن الاستقامة عليه (دون الزيغ مع اهواء الناس) تكون بالتوكل عليه. قال الله سبحانه: **{ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}** (يوسف/٦٧)

٨٨٨ الله يحكم يوم القيامة:

ويوم القيامة حيث تتجلى الحقائق يعرف الجميع ان الحكم لله، وهناك يفصل ربنا بين العباد فيما كانوا فيه يختلفون.

١/ يوم القيامة يوم الفصل، حيث يعرف الحق، وحيث يعاد الى كل ذي حق نصيبه، وحيث تكشف عن البصائر حجب الهوى والعصبيات. (وهكذا فإن الحق يبقى قائماً وثابتاً، بالرغم من انكار بعض الناس له، وحجبهم اياه). قال الله سبحانه: **{ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيَما كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }** (البقرة / ١١٣)

٢/ ويؤكد القرآن هذه الحقيقة المرة بعد الاخرى، (لكي لا يحسب البعض ان كفرهم بالحق ينهيه او يغير منه شيئاً، بل يبقى الحق حقاً وسوف يحاكمون على اساسه). قال الله تعالى: **{ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }** (النحل / ١٢٤)

٣/ والذين يفترون على الله الكذب، ويزعمون انهم لا يعبدون الاولياء من دون الله، إلاّ ليقربوهم الى الله زلفى؛ (وهكذا تراهم يشركون بالله ويفترون عليه الكذب)، انهم سوف يفضحون يوم القيامة حين يحكم الله عليهم). قال الله سبحانه: { **أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** } (الزمر / ٣)

ونستوحي من الآية بصيرتين:

الاولى: ان الذي يفتري على الله، يفتضح في يوم الفصل. ومعرفة هذه الحقيقة كافية لردع الانسان، من اعتبار الاوهام حقائق، وباعثة له الى البحث عن الحقيقة التي هي عند الله، والتي سوف تتجلى عند الله.

الثانية: ان الكاذب الكافر لا يهديه الله. فاذا رأينا شخصاً يمارس الكفر والكذب، فلابد ان نعرف ان ادعاءه بوعي الحقيقة باطل.

٤/ ووعي حكومة الله يوم القيامة، يجعل القلوب الطاهرة في هذه الدار شديدة اليقضة، ألاّ يخطأوا وان يتبعوا سبيل الهدى. قال الله سبحانه: { **ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ** } (الانعام / ٦٢)

فالله يحكم بعد حساب دقيق سريع. (ولانه اسرع الحاسبين، فسوف لا يفوته شيء من حساب الناس صغيرة او كبيرة).

٥/ وعندما يمثلون امام ربهم ويعترفون بخطأهم ويريدون العودة الى الدنيا (ربما لاصلاح ما افسدوه، يرفض طلبهم، لانهم) إذا دعي الله كفروا به، ولأن الحكم انما هو لله الذي لم يتقربوا اليه، ولم يقدروه حق قدره. قال الله سبحانه: { **ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ** } (غافر/١٢)

٦/ حقاً؛ كم هي خسارة الذين ساء مابينهم وبين ربهم، وكم هي حسرتهم يومئذ إذ الحكم لله فيما اختلفوا فيه وهو عالم الغيب والشهادة. قال الله سبحانه: { **قُلِ اللَّهُمَّ**

فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } (الزمر / ٤٦)

٧/ (الشيطان يزين للبشر الاهواء ليحتسبها حقائق يعتقد بها، ولكن اذا عرف البشر ان الله هو فاصل الاختلاف يوم القيامة، يسقط حجاب التزيين، ويكون القلب أقرب الى فهم الحقيقة. ومن هنا يأتي الحديث عن فصل الاختلاف يوم القيامة، عادة عند تذكرة الله ببصائر التوحيد، وتسفيه اوهام الشرك). فالله سبحانه قال لعيسى عليه السلام انه رافعه اليه، وان الذين اختلفوا فيه حتى قالوا انه ابن الله اوقالوا انه كاذب (فكانوا بين افراط وتفريط في حقه) سوف يقضي الله بينهم ربهم بالحق. قال ربنا سبحانه: **{ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }** (آل عمران / ٥٥)

٨/ وعلم الله بالغيب والشهادة وبالاسرار والاعلان يكتمل أثره النفسي عند البشر، إذا عرف ان الله سوف يحكم في يوم الفصل. فالحاكم هو الشاهد، فأين المفر؟ قال عز وجل: **{ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }** (القصص/٦٩-٧٠)

٩/ (وكذلك معرفة بقاء وجه الله يكتمل أثرها في النفس بمعرفة رجوع الانسان اليه ليحاكم وليجازى). قال الله سبحانه: **{ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }** (القصص/ ٨٨)

٨٨٨ لا معقب لحكمه في الدنيا:

دليل حكم الله في الاخرة، انه يعجل الحكم على أمم كافرة في الدنيا. فاذا حكم على أمة بالهلاك، فلا أحد يعقب عليه ويستأنف ذلك الحكم الفصل او يمنع تنفيذه.

١/ فانظر الى الأمم من حولك، وافتح بصيرة ايمانك على واقع فسادهم، وكيف يقضي الله على بعضهم بالهلاك، وانه إذا جاء أجلهم فلا يستأخره أحد أنّى كان. قال

الله تعالى: { **وإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** } (الرعد / ٤٠ - ٤١)

فالارض تنقص من اطرافها، فتزول امة بعد امة بما كسبت ايديهم. وهذا هو وعد الله الذي ينفذ بعد حساب سريع (ودقيق)، وبعد بلاغ المنذر وتمام الحجة على المنذرين (بالفتح).

٢/ وحكم الله سبحانه قائم على اساس احاطته بغيب الخليقة (والسنن الحاكمة عليها)، احاطة علم وقدرة وتدبير. فهو الولي وهو الحكم الذي لا يشرك أحداً في حكمه، (فاذا قضى شيئاً أجراه ومن دون الحاجة الى معين او مشير). قال الله سبحانه (بعد قصة أهل الكهف): { **قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً** } (الكهف / ٢٦)

٨٨٨ الله الحكم والعدل:

والله هو الحكم العدل الذي يقضي بين عباده بالحق في الدنيا والاخرة، تشريعاً عبر آيات الكتاب، وامضاءا عبر سننه الحاكمة. فهو يقضي بين المسلمين إذا اختلفوا بحكمه، ويقضي بين الأمم والانبياء بالحق، وهو المستعان الذي يجأر اليه الرسل عند شدة وقع التكذيب على قلوبهم.

١/ والله قد انزل الكتاب مفصلاً، فهو الأوْلى بالحكومة (والقضاء الفصل) بين عباده. قال الله سبحانه: { **أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** } (الانعام/١١٤)

ونستوحي البصائر التالية من هذه الآية الكريمة:

أولاً: ان الكتاب جاء مفصلاً وفيه كل البينات والاحكام، والكتاب هو وسيلة الحكم الفصل الذي يجب ان نرجع اليه باعتباره كتاب الله، والله هو الحكم.

ثانياً: الكتاب جاء بالحق من عند الله، والحق هو المحور الذي قامت عليه السموات والارض.

ثالثاً: علينا ألاّ نسمح بالشك ان يداخلنا تجاه الكتاب الحق.

٢/ والمسلمون - بدورهم - إذا اختلفوا في شيء، فعليهم ان يردوه الى الله (وكتابه) ليحكم فيه بأمره. وهو الله الرب الذي عليه يتوكل المتوكلون، (فلا يخشون احداً حين يطبقون حكم الله) واليه المصير. (وهكذا يجب اجراء حكمه وتنفيذه، لانه سوف يحاسبهم على ذلك غداً). قال الله سبحانه: **{ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }** (الشورى / ١٠)

ونستلهم من السياق الحقائق التالية:

أولاً: ان أفضل الحكم ما يفصله العليم بالناس، والله هو الرب الذي خلق وهدى، وهو رب الخلق.

ثانياً: ان الحكم الامثل، هو الذي فيه قوة التنفيذ. وفي حكم الله قوة التوكل على الله، وهي قوة تزامن تطبيق الحكم، وقوة المسؤولية امامه عند لقاءه، وهي قوة مستقبلية.

ثالثاً: ان احكام الله في المسائل الخلافية لا تختص بشيء دون شيء، بل في كل الاشياء.

٣/ ويضرب القرآن مثلاً لحكم الله في الاشياء التي يختلف فيها الناس؛ مسألة النكاح والتحاق النساء (الكافرات) بالمسلمين، حيث يقبل اسلامهن بعد امتحانهن (ألاّ يكون اسلامهن -مثلاً- طمعاً في زوج أفضل او فراراً من زوج فاسد). ولكن يعطى لازواجهن المهر الذي انفقوه عليهن، ثم يجوز للمسلمين الزواج منهن. بينما لا يجوز الزواج من الكوافر، (وبالذات اللاتي لازلن في حبالة ازواجهن، اذ لكل قوم نكاحهم المشروع بينهم).

وهكذا اذا لم تهاجر المرأة الكافرة مع زوجها المسلم الى ديار الاسلام، فله الحق ان يطالب الكفار بمهرها الذي انفقه عليها. هكذا حكم الله (بالعدل). قال الله سبحانه: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ**

بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَآ أَنفَقُوا وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْأَلُوا مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَآ أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (الممتحنة / ١٠)

٤/ ولان الله يحكم بالحق، فان من رسل الله وعباده الصالحين يدعونه بأن يحكم بينهم ويستعينون به، (لانهم يعرفون انهم على حق من ربهم). قال الله سبحانه (في ختام سورة الانبياء): **{ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ }** (الانبياء/١١٢)

٥/ وحتى عند عدم وضوح الحكمة عندهم في أمر، تراهم يُسلّمون بحكم الله (لهم او عليهم). فهذا النبي نوح سلام الله عليه سأل ربه عن حكمة غرق ابنه، مع انه وعده بنجاة أهله، (وعرف من الأهل من انتسب اليه من ذرية)، ولكنه أكد انه مُسَلّم بان الله أحكم الحاكمين. فقال الله سبحانه: **{ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ }** (هود / ٤٥)

٦/ وهكذا قال كبير اخوة النبي يوسف، بأنه يعتزم البقاء في مصر وعدم مغادرتها الى فلسطين الى ان يأذن له ابوه او يحكم الله. (وأبدى تسليمه لحكم ربه، حتى ولو خالف رأيه). قال الله سبحانه: **{ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ }** (يوسف/ ٨٠)

٧/ ويقين الانبياء بحاكمية الرب وقضاءه العدل، يجعلهم أشد ثباتاً وعزماً في مواجهة اعداء الدين. قال الله سبحانه: **{ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ }** (التين/ ٧ - ٨)

٨/ لذلك جاء الامر بالتوكل على الله، بعد بيان ان الله يقضي بينهم بالحق. قال الله سبحانه: **{ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ }** (النمل / ٧٨ - ٧٩)

٩/ ويقين المؤمنين بأنهم على حق، وايمانهم بالحق وتسليمهم لله، يجعلهم راضين بحكم الله. قال الله تعالى: { **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** } (النور / ٥١)

١٠/ وقد عاب القرآن على قوم، انهم يعرضون عن حكم الله. قال الله سبحانه: { **وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ** } (النور/ ٤٨)

ولعل الفريق المعرض، هو الفريق الذي يكون حكم الله ضد مصالحه واهواءه. وقد يكون هذا الفريق او ذاك.

٨٨٨ **حتى يحكم الله:**

ويجب الصبر على اذى الكفار بلا خضوع لهم او هزيمة امامهم، حتى يحكم الله وينزل نصره على رسوله.

١/ تلك وصية الانبياء للمسلمين، ان يصبروا حتى يحكم الله بينهم وبين اعداء الدين. قال الله سبحانه: { **وإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُالْحَاكِمِينَ** } (الاعراف / ٨٧)

٢/ وفي ظروف الصبر (لا يبقى المؤمن جامداً، وانما) يتبع أمر الله (ويعمل بكل واجب شرعي عنده). قال الله سبحانه: { **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ**

وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } (يونس/ ١٠٩)

٣/ والصبر انتظاراً لحكم الله لا يستمر الى الأبد، وانما الى أجل مسمى عند الله، (وربما بقدر احتمال الانسان) لانه بعين الله. قال الله سبحانه: { **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ** } (الطور/ ٤٨)

والتسبيح في فترة الصبر، يعطي المؤمن قدرة ايمانية لاحتمال أذى الكفار.

٤/ ومعنى الصبر أمران:

أولاً: عدم الاستجابة لاستفزازات؛ كما ابتلى بذلك النبي يونس، حيث دعا على قومه قبل ان ينتهي أجل الصبر. قال الله تعالى: **{ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ}** (القلم/ ٤٨)

وثانياً: ألاّ يخضع المؤمن للكفار او يطيعهم. قال الله سبحانه: **{ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً }** (الانسان / ٢٤)

٨٨٨ **حكم الرسول حكم الله:**

١/ وحكم الله يتمثل في الارض بحكم الرسول الذي انزل الله اليه الكتاب، ليحكم بين الناس (بالحق) بما أراه الله سبحانه (من الميزان الحق). قال الله سبحانه: **{ إِنَّآ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُن لِلْخَآئِنِينَ خَصِيماً }** (النساء/ ١٠٥)

فالحق هو محور الكتاب وحكم الرسول به، لانه الذي أراه الله (فحكمة حكومته وضوح الرؤية عنده، وبالتالي علمه بالحكم الحق علماً يقيناً). وهذه احدى صفتي القاضي.

وانه لا يكون خصيماً للخائنين، بل هو يخاصم دفاعاً عن أهل الحق وليس عمن خان الحق. وهذه صفة ثانية للقاضي (وهي العدالة).

٢/ ويتمثل الحق في القسط، حيث يجب ان يقود حق كل شخص اليه بلا نقصان. قال الله سبحانه: **{ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }** (المائدة/ ٤٢)

٣/ ولا يجوز للرسول ان يتبع اهواءهم في الاعراض عن بعض الحق (والخضوع لضغط بعضهم). قال الله سبحانه: **{ وَأَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنْزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الحَقِّ}** (المائدة/ ٤٨)

ولعل في قوله سبحانه: { **مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ** } شهادة على ميزان معرفة الحق، وهو تصديق سائر الكتب الحق. (فالحق يشهد بعضه على بعض).

٤/ وهذا محور خلافة الله؛ الحكم بالحق وعدم اتباع اهواء الناس او اهواء النفس بمخالفة الحق. قال الله تعالى: { **يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** } (ص / ٢٦)

٥/ وقصة الخصمين عند داود عليه السلام معروفة، حيث طالباه بان يحكم بينهما بالحق دون ان يشطط (لمصلحة أحد ضد أحد، ودون ان يبتعد عن سواء السبيل). فقال ربنا سبحانه: { **إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَآ إِلَى سَوَآءِ الصِّرَاطِ** } (ص / ٢٢)

٦/ وقد عرض أحد الخصوم قضيتهم، فبادر داود عليه السلام بالحكم قبل ان يستمع الى الاخر وقد أخذته الرقة، (وكان هواه مع من لم يملك إلاّ نعجة واحدة)، فاعتبر ذلك نوعاً من الضعف في قضائه. قال الله سبحانه: { **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ** } (ص / ٢٣ - ٢٤)

٧/ وقد اعتبر ذلك نقصاً في قضاء داود عليه السلام، ولكنه تاب الى الله فغفر له. قال ربنا سبحانه: { **فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَأَبٍ** } (ص / ٢٥)

٨/ والحاكم بأمر الله بعد الرسول، الربانيون والاحبار بشروط اربعة: حفظ كتاب الله، والتصدي لتطبيقه، وعدم خشية الناس، وعدم الطمع في اموالهم. قال الله تعالى: { **إِنَّآ أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِايَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** } (المائدة / ٤٤)

٩/ ويجب رد المنازعات الى الله والرسول. قال الله تعالى: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ** } (النساء / ٥٩)

١٠/ وإذا حكم الرسول (واولي الأمر من بعده)، فعلى المؤمن ان يسلم لحكمه، ولا يجوز ان يضمر في قلبه مخالفة لحكمه او يحس بقلق وحرج مما قضى به. قال ربنا سبحانه: { **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** } (النساء / ٦٥)

١١/ وإذا تحاكم اليهود الى النبي صلى الله عليه وآله، يجوز له ان يحكم بينهم او يعرض عنهم، (لان عندهم التوراة والتي فيها حكم الله، ولكنهم قد اعرضوا عنها). قال الله تعالى: { **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** } (المائدة / ٤٢)

١٢/ والله سبحانه يؤيد عباده الصالحين (بالنور لمعرفة الحق عند القضاء)، كما أيّد سليمان عليه السلام وفهمه للحكم الصحيح. وقال الله تعالى: { **وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمانَ وَكُلاًّ ءَاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً** } (الانبياء / ٧٨ - ٧٩)

١٣/ ولا يجوز التحاكم الى الطاغوت، بل الواجب الكفر به (والتمرد عليه ومقاومته، لا تأييده بالتسليم له والتحاكم اليه). قال الله تعالى: { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً** } (النساء / ٦٠)

٨٨٨ **الحكم حكم الله:**

والحكم ينزل من عند الله عبر كتابه على قلب رسوله، الذي يتميز بالاسلام (والقبول المطلق لله سبحانه).

١/ الله ينزل الحكم في كتابه، وهو القائل سبحانه: { **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ** } (الرعد / ٣٧)

ونستوحي من هذه الآية؛ ان علينا ان نفتش عن حكم الله في كل قضية، من خلال التدبر في كتابه.

٢/ والحكم ينزل الى الرسول (ممن يصطفيهم الرب، فلا ينزل على أي كان من البشر). قال ربنا سبحانه بعد بيان أسماء انبياءه عليهم السلام: { **أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ** } (الانعام / ٨٩)

٣/ وقال الله سبحانه: { **وَلُوطاً ءَاتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً** } (الانبياء / ٧٤)

٤/ وقال الله سبحانه: { **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ** } (الجاثية/١٦)

ونستفيد من الآية؛ ان نزول الكتاب على الانبياء، هو نزول له على قومهم.

٥/ وأهم شرط مسبق على من ينزل عليه الكتاب، (التسليم لله والتجرد عن هوى الذات، بحيث) يدعو الى الله لا الى نفسه. قال الله سبحانه: { **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ** } (آل عمران / ٧٩)

وهكذا فإن تعليم الكتاب، بل ودراسته يدعوان الفرد الى الدعوة الى الله، لا الى نفسه. ومن ذلك نستفيد؛ ان شرط القضاء الالهي، ان يكون القاضي أما نبياً (والله أعلم حيث يجعل رسالته، فهو لا يجعلها في بشر يدعو الناس الى نفسه)، او يكون ربانياً (يدعو الى الرب، لانه حمّل الكتاب دراسة وتعليماً).

٨٨٨ **الحق ميزان الحكم:**

الحق الذي يوزن بالعدل ويحكم به الرجال العدول، هو ميزان حكم الله. ويضرب القرآن امثلة موضحة من واقع الجاهلية، حيث كان يدس البنت في التراب ظلماً، ويعطى مال الله للشركاء بغياً، ويجعل المسلمين كالمجرمين؛ سواءاً محياهم ومماتهم، ويجعل من اهتدى مثل غيره.. كل تلك أمثلة للحكم الظالم الذي يجب اجتنابه.

١/ يتمثل الحكم بالحق في الامانات ان ترد الى أهلها، (وهذا مثل ظاهر لاعطاء كل ذي حق حقه)، كما يتمثل الحكم بالحق في القضاء بالعدل بين طرفي المعادلة. قال ربنا سبحانه: **{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ }** (النساء / ٥٨)

٢/ ولكي نعرف الموضوعات التي تجري عليها الاحكام، فعلينا ان نراجع أهل العدل (الذين منطقهم متعادل وسلوكهم سوي). قال الله سبحانه: **{ فَجَزَآءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنكُمْ }** (المائدة / ٩٥)

٣/ ولكي نعرف العدل، علينا ان نعرف الظلم فنجتنبه. فمن الظلم الفاحش وأد البنات او ابقاءهن على هون، (حيث انه اعتداء على حق حياة الطفلة الضعيفة، وذلك بيد من؟ بيد من يقع عليه واجب المحافظة وهم الابوان والاسرة). قال الله سبحانه: **{ وإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ }** (النحل / ٥٨- ٥٩)

٤/ ومن الظلم والكفر القول بالشريك للبارىء، انه ظلم عظيم. قال الله سبحانه: **{ وَجَعَلُوا لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ }** (الانعام / ١٣٦)

انه حكم سيء (ظالم اشد الظلم)، لان الأمر يتعلق برب العزة والرحمة. ولان القسمة ضيزى، حيث انهم جعلوا لله من خلقه نصيباً، ثم ان كل شيء يصل الى الشركاء.

٥/ ومثل آخر للظلم جعل المحسن والمسيء سواءاً، (بينما المحسن يستحق الثواب والمسيء يستحق العقاب. فالبون شاسع بينهما، وفيه اضاعة لحق الاول لحساب الثاني). قال الله سبحانه: { **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** } (القلم/ ٣٥ - ٣٦)

٦/ وقال تعالى: { **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَآءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَايَحْكُمُونَ** } (الجاثية / ٢١)

ان ذلك مخالف تماماً لفطرة الله، حيث خلق السموات والارض بالحق، والذي يقتضي ان يجزى كل انسان بما اكتسب، كما جاء في قول الله تعالى: { **وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** } (الجاثية / ٢٢)

٧/ ومن الظلم والحكم السيء، جعل من هداه الله سواء والذي لا يهتدي (إلاّ بصعوبة). قال الله تعالى: { **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** } (يونس / ٣٥)

ان الحكم العادل يهدف الوصول الى الحق، والحق يعرف بمن يهدي اليه، وليس بمن لا يعرف عنه شيئاً.

٨/ وهكذا العدل يقتضي اعطاء حق الناس وعدم التساوي بينهم ان كانوا مختلفين بالخلقة او بالعمل. (فلا يجوز التساوي بين المجرم والمسلم)، كما لا يجوز التساوي بين البنات والاولاد (لانهم غير متساويين بالخلقة). قال الله سبحانه: { **أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**} (الصافات / ١٥٣ - ١٥٤)

^^بصائر الآيات

١/ تنظيم العلاقة الاجتماعية على محور الحق، هو أساس مدينة العدل. والحكم يقوم بهذا التنظيم. وعادة يكون الحكم بمعنى القضاء، وقد يكون بمعنى التشريع.

٢/ الحق هو الهدف، ووسيلة بلوغه الرسول الذي يحكم بما انزل الله اليه (فالميزان هو الرسول بما لديه من كتاب). وهكذا هو حكم الله الذي من لم يحكم به فهو ليس بمؤمن به. وهكذا نفى القرآن صفة الايمان عن اولئك الذين لم يحكموا بما أنزل اليهم من التوراة، لأن التوراة قد انزلت ليحكم بها النبيون (لانهم اسلموا لله)، والربانيون والاحبار (لانهم استحفظوا عليه وكانوا عليه شهداء). واشترط عليهم ألاّ يداهنوا ذوي القوة او الثروة.

٣/ والقصاص مثل من حكم الله، ومن لم يحكم به فإنه يكون ظالماً، (لأنه يضيع حق الناس).

٤/ ومن لم يحكم بالانجيل (وفيه مواعظ تتصل اكثر شيء بسلوك الفرد)، فإنه فاسق. وهكذا من لم يحكم بأصول العقائد كافر، ومن لم يحكم بالشرائع ظالم، ومن لم يحكم بالاخلاق فاسق. (وإن كان يطلق على جميعهم ايضاً الصفات الرذيلة بمستويات معينة)، والله العالم.

٥/ ولان ربنا سبحانه يقص الحق ويفصل به، فلا حكم إلاّ له، ولا يجوز التسليم لغيره. وبالتوكل عليه يستقيم المؤمنون على صراطه (والتسليم التام له).

٦/ والله يفصل بين الناس بالحق يوم القيامة. وهناك يفضح الكاذب الكفار، الذي اتخذ من دون الله اولياء، زاعماً انه انما يعبدهم ليقربوه الى الله زلفى. ومن هنا يجدر بالانسان ان يجعل الله عليه شاهداً رقيباً، ولا يتجاوز الحق بعذر او من دون عذر. (وهذه المراقبة أفضل ضامن لإجراء احكام الدين الحنيف).

٧/ ومن اسمى شواهد حكم الله الفصل، وانه لا معقب لحكمه ما قضى على الظالمين من الهلاك في هذه الحياة. فلا ولي من دونه، ولا شريك في حكمه.

٨/ وقد انزل الله الكتاب مفصلاً. فحكمه (في كتابه) الفصل، فهل نتخذ غيره حكماً، (ولماذا؟) أم نهتدي اليه (ولانشك في كتابه)؟ ومن هنا فعلى المسلمين - اذا اختلفوا في شيء - ان يردوه الى الله (والى الرسول)، وان يتوكلوا عليه (حتى لايخشوا أحداً من دونه). ومثلاً على ذلك يضربه القرآن من ازواج الكفار اللاتي يهاجرن الى المسلمين، فلابد من امتحانهن (ليعلم صدقهن). ثم إذا كن مسلمات حقاً لم يجز ارجاعهن الى الكفار، (لان من حق المرأة ان تؤمن)، ولابد من ان يدفع الى ازواجهن ما انفقوا عليهن من المهر، (لانه من حقهم ذلك. ترى كيف كان الحق عدلاً وفصلاً)؟

٩/ وعلى المؤمنين ان يدعو الله أن يحكم بينهم بالحق، (وان يعين المؤمنين على تطبيق الحكم، لانه) المستعان. وعليهم ان يسلموا لحكمه إذا حكم، لأنه احكم الحاكمين. ويقين المسلم بهذه الحقيقة يجعله أشد ثباتاً ويتوكل عليه، ويقول - إذا دعي الى حكم ربه -

سمعاً وطاعةً، (ولا يكون مثل بعضهم الذي يعرض عن حكم الله إذا دعي اليه).

١٠/ والرسول خليفة الله في الارض، وحكمه حكم الله، وقد أمره الله سبحانه ان يحكم بما أراه الله تعالى، وألاّ يدافع عن الخائنين. وحكم الله القسط، وقد أمر النبي بأن يحكم به، وعليه ألاّ يتبع الهوى في الحكم، فإن الهوى يضل عن سبيل الله.

١١/ وعلى الناس ان يردوا الى الرسول ما تنازعوا في شيء، وهذا دليل ايمانهم بالله واليوم الآخر. فإذا حكم الرسول، عليهم أن يسلموا له، ولا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضاه بينهم.

١٢/ ولا يجوز التحاكم الى الطاغوت، لان الله قد أمر بالكفر به، ولأن الشيطان يريد ان يضلهم ضلالاً بعيداً (بالتحاكم الى الطاغوت).

١٣/ والله ينزل الحكم على رسله في كتبه المنزلة. وليس لمن انزل الله عليهم الكتاب ان يدعو الناس الى انفسهم، بل الى الله سبحانه، لأنهم يعلمون الكتاب ويدرسونه.

١٤/ والحق هو محور حكم الله، بينما الجاهلية كانت تحكم بالباطل؛ مثل وأد البنت، واعطاء مال الله للشركاء من دونه، والتساوي بين المجرمين والمتقين في المحيا والممات.

١٥/ ومن أمثلة الحق اداء الأمانات الى أهلها، والحكم بالعدل، وان يحكم في الموضوعات ذوا عدل، (وان يكون الحكم موافقاً للسنن الالهية).

٨٨فقه الآيات

١/ (المائدة / ١)، (المائدة / ٤٣)؛ الحكم (التشريع والقضاء) حكم الله، وينزل من عنده، والانسان يتلقى من رب العزة عبر الرسل حكمه العادل. وبالرغم من ان عقل الانسان قد يفقه اصول الحكم، إلاّ ان البشر لايمكنه ان يستقل في استيعاب احكام الله من دون رسل يتلون كتب الله المطهرة. وهذا يفرض على المؤمن عدة احكام:

ألف: ضرورة البحث عن حكم الله في كل قضية. ولايجوز ان يلتف البشر حول الحكم الالهي، بأن هذه القضية فارغة عن الحكم الالهي. بلى؛ قد تكون قضية ما مجملة، وعلينا ان نستنبط حكمها من اصول الفقه العامة، والمحكمات المبينة.

باء: على كل انسان ان يسلم نفسياً وعملياً لكل احكام الشريعة، ولا يجد في نفسه حرجاً منها. وإذا لم يفقه خلفيات حكم من الاحكام، لايجوز له ان ينكره، فيقول مثلاً: لماذا لايجوز الصيد في الاحرام او عند الحرم.

جيم: وقد لايكون رفض احكام الدين رفضاً واضحاً، بل بطريقة غير مباشرة؛ مثل تفسير او تأويل مالا يتناسب وذهنية الواحد منا. مثلاً: بعض المسلمين استمروا في شرب اقسام من المسكرات بادعاء انها ليست من الخمر الحرام، ولعبوا القمار وعاشقوا الفتيان.. و.. و.. وأولّوا كلّما جاء في الكتاب مخالفاً لأهوائهم. وهكذا فسقوا عن حدود حكم الله.

والبعض ضيقوا على انفسهم، حتى حرموا ما أحل الله لهم من بهيمة الانعام، أو حدّدوا العقود في جملة من المعاملات دون ان يأخذوا بما وسّع الله عليهم من حليّتها بوجه مطلق. وهكذا..

من هنا لايجوز الإفراط ولا التفريط في احكام الله، ولا تفسيرها بما يتناسب وعقلية الانسان المتحررة والمتحللة، او الضيقة والانطوائية.

٢/ (المائدة / ٤٤)؛ الحكم حكم الله. ولكن من يحكم بحكم الله في الأرض؟ إنما خليفة الله هو الذي جعله الله خليفة (وليس كل انسان) وقد جعل الله خلفاءه في الأرض الذين نذكرهم:

ألف: النبيّون؛ وحكمة استخلافهم انهم اسلموا لله، (كما اسلم ابراهيم وبنوه عليهم السلام، وأسلم داود، وأسلم النبيّون الذين حكموا بالتوراة لبني اسرائيل).

باء: الربانيون والاحبار، وهم يحكمون بالتوراة (وبكل كتاب الهي) بشروط أربع؛ أولاً: ان يكونوا مستحفظين للكتاب، (فحفظوا الكتاب، وتفقهوا في الدين، وعرفوا الحلال منه والحرام). ثانياً: أن يكونوا شهداء على الكتاب (عاملين به، شاهدين على تطبيقه في المجتمع، آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر). ثالثاً: ألاّ يشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً (فلا يبيعوا الكتاب بحطام الدنيا، ولا يخضعوا للاغنياء). رابعاً: ألاّ يخافوا غير الله (من أصحاب النفوذ). وهذه الشروط الأربعة تجمعها كلمة التقوى وحقائقها التي تتجلى في الحاكم.

٣/ (المائدة / ٤٥)، (المائدة / ٤٧)، (المائدة / ٤٨)؛ يبدو ان مخالفة حكم الله في الحقوق ظلم، وفي السلوك فسق، وفي الاصول (التولي والتبري) كفر. ونستفيد من ذلك:

الف: إن اقامة العدل في المجتمع، يتوقف على تطبيق احكام الله كاملة في الحقوق الانسانية؛ منها احترام الناس، والقصاص للمظلوم أنّى كان من الظالم أنّى كان، وعدم المداهنة في أحكام الشرع فيما يتصل بحقوق البشر صغيرها وكبيرها (مثل حق الحرية، حق التملك، حق العفو عمن ظلمه، حق التساوي في القضاء).

باء: وان بناء مجتمع سالم بعيد عن الشذوذ والانحراف والفساد، يتم بالتقوى والورع عن محارم الله، والأخذ بمواعظ الانبياء عليهم السلام وخلفاءهم.

جيم: وإن اقامة صرح الحضارة الاسلامية لا يمكن إلاّ بالتمسك باحكام الدين في السياسة؛ من تولي اولياء الله، والتبري من اعدائه.

٤/ (المائدة / ٤٨ - ٥٠)، (ص / ٢٦)، (يوسف / ٦٧)؛ على الحاكم الاسلامي (الرسول وخلفاءه) ان يكون حذراً من إتباع اهواء الناس، وبالذات المترفين والوجهاء منهم. ولا يخشى تفرقهم عنه، لان تفرقهم نقمة عليهم ابتلوا بها بسبب ذنوبهم. وعلى الحاكم ألاّ يتأثر بالفاسقين الذين قد يكونون عدواً كبيراً، وانما معياره في الحكم هو الكتاب.

وهناك حقائق مهمة:

ألف: ومن أجل الاستقامة على الحق، عليه ان يتوكل على الله. وليعلم أنه لولا أن الله يعينه ويثبته، لكاد يركن الى الاهواء شيئاً قليلاً، فيفقد نصر الله ويبتلى بالضعف.

باء: لماذا ينحرف البشر عن الحق، وماهي العقبات التي تعترض سبيل اقامة حكم الله؟ الجهل والمصالح والحمية، هي بعض عوامل الضلالة عن سبيل الحق. ولقد كانت البشرية تزعم أن المرأة حيوان في صورة انسان، وسنت شرائع خاطئة بحقها، وخالفت حكم الله في أمرها (جهلاً). وكانت المصالح عاملاً لتقسيم المشرعين اليونان الناس الى طبقات أربع يستثمر بعضها بعضاً بغير ما أنزل الله، وكانت الحمية سبباً لانتشار الانظمة العنصرية والانظمة القومية والوطنية وغيرها، وكانت التشريعات المخالفة لحقوق الانسان والظالمة لطائفة من البشر وليدة الحمية (العصبية).

ومن هنا فإن تنقية التشريعات عن الجهل والمصلحية والحمية، واستخلاص الحق من بينها، ومقاومة تأثيرات تلك العوامل.. كل ذلك من أصعب مسؤوليات الحاكم الذي يريد تطبيق حكم الله، وعدم عبادة غيره.

جيم: ولا يكون الحكم والتشريع والفتوى خالصاً من شوائب الهوى (اي الجهل والمصلحة والحمية)، إلاّ باستقلال الحاكم (مبلغ الرسالة أو المجتهد) عن قوى الضغط المختلفة، وعدم اعتماده عليهم، والاعتماد على الله وحده.

دال: وعلى المؤمنين ان يستقبلوا حكم الله بكامل وعيهم وحريتهم، وألاّ ينتظروا ضمانات اجرائية نابعة من القوة والمال، لانهما عادة في ايدي قوى الضغط الانفة الذكر، وهي تعكس توجهاتها الخاطئة على الحكم.

٥/ (النحل/ ١٢٤)، (الزمر/ ٣)؛ نستفيد من آيات الذكر ان اختلاف البشر في الحق يبقى الى يوم القيامة، حيث يفصل الله بينهم بالحق. ونستفيد من ذلك عبثية محاولة البعض لحل الاختلافات، إما بالبراهين والحجج التي قد تصبح بعضها مصطنعة وتوقعنا في اخطاء كبيرة؛ مثل اقسام المنطق التي اخترعها الفكر، ولم تزد البشرية إلاّ اختلافاً، وإما بقوة السلاح والإرهاب. إنما على المسلم ان يبين حكم الله، ثم يترك أمر وضوح الحقيقة الى يوم القيامة. كما ان عليه ان يجتهد في سبيل فهم الحق، حتى لا يفتضح امام الله يوم القيامة.

٦/ (الانعام/ ١١٤)، (الشورى/ ١٠)، (النور/ ٥١)، (النور/ ٤١)؛ نفهم من الآيات بصيرتين:

ألف: احكام الله سبحانه بيّنة مفصلة، ولا يحق لنا ان نتركها لأهوائنا، زاعمين ان الكتاب ساكت عن هذا الأمر او ذاك. بلى؛ قد يكون الحكم موجوداً في الكتاب بعينه، وقد يكون موجوداً ضمن أصل عام او حكم كلي. وعلينا ان نستنبطه، فان اشتبه علينا وجب ان نسأل أهل الذكر. اما ان نستعجل وندعي قصور الكتاب عن حكم فيما يتعلق بأمور الدين والدنيا، فإن ذلك تقصير منا، والعياذ بالله.

باء: في القضايا الخلافية اذا دعي الانسان المسلم الى حكم الله وقضاءه (ليحسم الخلاف) لايجوز له ان يعرض، (خشية ان يكون حكم الله مخالفاً لمصلحته او هواه). انما عليه ان يقول: سمعاً (لحكم الله) وطاعةً (له).

٧/ (الاعراف/ ٨٧)، (يونس/ ١٠٩)، (الطور/ ٤٨)، (القلم/ ٤٨)، (الانسان/ ٢٤)؛ الصبر انتظاراً للفرج الذي يحكم به الله سبحانه، انه من احكام المقاومة ضد اذى الكفار. وهناك جملة احكام لهذه الفترة:

ألف: اتباع أمر الله سبحانه في هذه الفترة، وتطبيق ما يستطيع اليه سبيلاً من شرائعه، (مثل اقامة الصلاة، البلاغ، الانفاق، و.. و..).

باء: رفض طاعة الآثمين ممن كفر بنعم الله عليه.

جيم: التسبيح بحمد الله.

٨/ (النساء/ ١٠٥)، (المائدة/٤٢)، (النساء/ ٥٩)، (النساء/ ٦٥)، (النساء/٦٠)، (آل عمران/٧٩)؛ أهم شروط الحاكم الاسلامي إثنان؛ معرفة حكم الله ليحكم بين الناس به، وألاّ يكون خصيماً للخائنين (بل يكون حاكماً بالحق). ويتمثل الحق في القسط، وهو أن يعطي كلاً حقه. وإذا حكم الرسول، فعلى المسلمين ان يسلموا له تسليماً، ولا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضاه. ولا يجوز التحاكم الى الطاغوت، بل يجب الكفر به (والتمرد عليه).

وتطبيق هذه الشروط وغيرها المذكورة في كتاب الله والاحاديث الشريفة على الواقع الخارجي، يجعلنا نقترب كثيراً من حكم الفقهاء العدول. ولكن علينا ألاّ نحوّل هذا الحكم - بدوره - الى صيغة مبتدعة باضافة جملة أمور لا دليل عليها شرعاً. فأهم صفة عند الحاكم بأمر الله التجرد عن هوى الذات، وألاّ يدعو الناس الى نفسه، وألاّ يبتلى بالذاتية والانانية والعصبية - بالوانها -. وبالتالي لايتحول الى طاغوت يعبد من دون الله، فيعلو في الارض باسم الله، ويتجاوز شرائع الله وحقوق الناس. وبالتالي علينا ان نميّز بين المحق والمبطل في هذا الحقل الدقيق. بان نرى ان دعوة الشخص هل هي الى عبادة نفسه، او الى عبادة الله. والله المستعان.

٨٨القصـــاص

تتصل قيمة القصاص بقيمة الأمن والعدل معا. فمن اجل الأمن لابد من وقف المعتدي، ولكن احتراما لحقه لابد ان يقتص منه بقدر جنايته دون زيادة.

١/ والقصاص حياة المجتمع (لأن الجريمة ليست تقضي على حياة فرد فحسب، بل وتقضي على الاحساس بالأمن عند الجميع. فالجريمة اشاعة لموت حاضر على كل فرد في المجتمع، ولو بنسبة معلومة). قال الله تعالى: **{ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَآ أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }** (البقرة / ١٧٩)

وعلاقة القصاص بالتقوى، هي علاقة السبب بالنتيجة. أوليست التقوى هي الكف عن المعاصي؟ والقصاص يكف الانسان عن اخطر المعاصي، وهي الجرائم. واولوا الالباب هم الذين يعرفون مثل هذه العلاقة.

٢/ والقصاص لا يخص جريمة القتل فقط، بل يشمل جرائم الاطراف ايضاً. فمن جدع انفا جُدع أنفه، ومن اسمل عينا أُسملت عينه، ومن تبك اذنا تُبكت اذنه، وهكذا.. قال الله سبحانه: **{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }** (المائدة / ٤٥)

٣/ كذلك القصاص يتسع حتى يشمل كل حق، ومنه الحرمات. فمن كانت له حرمة

(حق محترم) فاعتدى عليه أحد، يجوز للآخر ان يقتص منه. قال الله سبحانه: { **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ** } (البقرة / ١٩٤)

^^بصائر الآيات

١/ اذا كان السلام والحق والعدل هي المثل العليا للمجتمع المسلم، فان القصاص من وسائل تحققها، لأنه يورث الأمن.

٢/ ولا يقتل بالضحية غير المجرم، لكي لايكون اسرافاً. ويجوز العفو عن القود والقبول بالدية، كما يجوز العفو رأساً.

٣/ للقصاص شروط فقهية؛ مثل التماثل في الحرية والاسلام، والاّ يكون الجاني اباً للضحية. وفي كل ذلك يبقى للحاكم الشرعي الحق في قتل الجاني قطعاً لمادة الفساد.

٤/ والجروح قصاص، حيث يجوز لمن تعرض لاعتداء قطع يده او رجله او فضخ رأسه او ما أشبه، يجوز له ان يقتص من الجاني.

٥/ وكذلك الحرمات قصاص. فمن كانت له حرمة انتهكت من قبل غيره، جاز له التعامل بالمثل إلاّ إذا سبب حراماً آخر.

٦/ وكما للأفراد كذلك للأمم حرمات، فاذا انتهكت من قبل قوم آخرين جاز لهؤلاء القصاص. مثلاً لو قامت أمة بتجاوز حدود هذه الأمة او تزوير ماركاتها التجارية او ما أشبه، جاز للثانية العمل بالمثل، والله العالم.

^^فقه الآيات

^^^ **١/ القصاص بين الأمن والعدل**

(البقرة / ١٧٩)؛ وقال سبحانه: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِن رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** } (البقرة / ١٧٨)

العدل هو الهدف الأسمى للمجتمع، ولكن الأمن وسيلة تحققه. ونستفيد من آية كريمة؛ أن ميراث القصاص الحياة، والتقوى. والحياة كما التقوى يتصلان بالسلامة العامة والأمن الاجتماعي..

ولكي يكون القصاص وسيلة العدالة، لابد ان يكون بحجم الجناية، حيث قال سبحانه: { **فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** } (البقرة / ١٩٤)

وقد اثيرت حول القصاص قضايا، نذكر بعضها فيما يلي:

ألف: ان القرآن الكريم عبر عن أمر القصاص بأنه أمر مكتوب، وقد استفاد الفقهاء والمفسرون من ذلك؛ انه لايجوز ان يقتل غير الجاني، فيكون اسرافاً في القتل، حيث قال الله سبحانه: { **وَمَن قُتِلَ مُظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً** } (الاسراء / ٣٣)

وقال سبحانه: { **وإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** } (النحل / ١٢٦)

وجاء في الحديث الشريف المأثور عن أمير المومنين الامام علي عليه السلام، انه قال:

ورثت عن رسول الله صلى الله عليه وآله كتابين؛ كتاب الله وكتاب في قراب سيفي، قيل: يا أمير المؤمنين ومن الكتاب الذي في قراب سيفك؟ قال: من قتل غير قاتله وضرب غير ضاربه فعليه لعنة الله". (١)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٩ / ص ١٢ / ح ٨.

بلى؛ عند اشتراك جماعة في قتل احد، يجوز القود منهم جميعاً، لانهم يعتبرون قتلة فيجوز القصاص. وبهذا جاء الحديث الشريف المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: " لو اجتمعت ربيعة ومضر على قتل أمرء مسلم قيدوا به (او قال: لقتلوا به) ". (١)

باء: وفي خاتمة الآية الكريمة ما يدل على امكانية العفو عن القاتل، تخفيفاً من الله سبحانه ورحمة. والعفو قد يكون بلا عوض، إلاّ ابتغاء رضوان الله، واظهاراً للمروة. وقد يكون بتحويل القصاص الى دية، فإنه عفو عن الاصرار على القصاص الذي هو حق مشروع لولي القتيل.

قال الراوندي: وهذا العفو - كما ذكرنا - على ضربين؛ احدهما عفو عن دم القاتل وعن الدية جميعاً، والآخر عفو عن الدم والرضا بالدية وهو المراد بالآية. (٢)

جيم: ذكر المحقق الحلي في الشرائع أنه يقتل الحر بالحر وبالحرة مع رد فاضل ديته، والحرة بالحرة وبالحر ولا يؤخذ ما فضل على الأشهر. ثم قال ولا يقتل حر بعبد ولا أمة، وقيل ان اعتاد قتل العبيد قتل حسماً للجرأة.

وقال في الجواهر تعليقاً على عدم قتل الحر بالعبد ما يلي: بلا خلاف أجده فيه، بل الاجماع بقسميه عليه مضافاً الى ظاهر الآية (٣)، وقول النبي "لا يقتل حر بعبد" (٤)، وقول أمير المؤمنين عن السنة ان "لا يقتل حر بعبد" (٥)، وقول الصادق عليه السلام في صحيح الحلبي وغيره "لا يقتل الحر بالعبد". (٦)

---

(١) مستدرك الوسائل / ج ٣ / ص ٢٥٠.

(٢) سلسلة الينابيع الفقهية- فقه القرآن / ج ٢٤ / ص ٢١٧).

(٣) أي قوله سبحانه {الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ} (البقرة / ١٧٨).

(٤) عن نيل الأوطار للشوكاني / ج ٧ / ص ١٥٧.

(٥) المصدر.

(٦) وسائل الشيعة / ج ١٩ / ص ٧١ / الحديث ٣.

وقد انتفى في عصرنا قضية العبيد، وفيما سواهم يبقى حكم القصاص سارياً لا فرق بين الطبقات والاعمار وسائر ما يتمايز به الناس.

دال: وقد اشترط اكثر الفقهاء في القصاص كون القتيل مسلماً. فقال المحقق (ره) في الشرائع: (الشرط الثاني) التساوي في الدين. فلا يقتل مسلم بكافر ذمياً كان او مستأمناً او حربياً.

وعلق عليه في الجواهر بالقول: بلا خلاف معتد به أجده بيننا. ولكنه اضاف (و) لايقدح

(أي لايضر) في الأول (الاجماع) خلاف الصدوق في (كتابه) المقنع. (١)

وقد استدل الفقهاء رضوان الله تعالى عليهم بقوله سبحانه: **{ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً }** (النساء / ١٤١)، واستدلوا ايضاً ببعض الأحاديث المأثورة عن النبي وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم. فقد روي عنه صلى الله عليه وآله قوله: "لا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده". (٢)

وجاء في الأثر عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: "لو كنت قاتلت مسلماً بكافر، لقتلت حرا". (٣)

وروي عن الامام الباقر عليه السلام، انه قال: "لايقاد مسلم بذمي في القتل ولا في الجراحات، ولكن يؤخذ من المسلم جنايته للذمي على قدر دية الذمي ثمانمأة درهم". (٤)

وقد بيّن آية الله الشيرازي فلسفة هذا الحكم بقوله: انه نوع تضييق على الكافر، ليترك عقائده الخرافية. واضاف: ان الاسلام جعل الامتيازات حسب العقيدة الصحيحة، حيث تجعل قوانين (التي يضعها المشرعون حسب مبادئ) الوطنية

---

(١) جواهر الكلام / ج ٤١ / ص ١٤٠.

(٢) عن العوالي / ج ١ / ص ٢٣٥ / ح ١٤٠ و ج ٣ / ص ٥٨٨ / ح ٣٩.

(٣) عن المصدر، ص ٥٨٨ / ح ٤٠.

(٤) عن الكافي / ج ٧ / ص ٣١٠ / ح ٩.

والقومية واللونية (العنصرية) الامتيازات حسب هذه المفاهيم (التي يؤمنون بها، و) التي ليست هي بفوارق حقيقية. إذ اللازم ان تكون الفوارق مما يشجع على الاستقامة والكفاءة، لا على أمور وهمية. (١)

وقد ذهب الصدوق في كتابه المقنع الى تساوي الذمي وغيره في القصاص. وجاءت نصوص تؤيده منها ما يلي:

روى ابن مسكان عن أبي عبد الله (الصادق عليه السلام) في رجل قتل رجلاً من أهل الذمة، فقال: هذا حديث شديد لايحتمله الناس، ولكن يعطي الذمي دية المسلم ثم يقتل به المسلم. (٢)

وروى ابو بصير عنه عليه السلام قال: إذا قتل المسلم النصراني فأراد اهل النصراني أن يقتلوه قتلوه، وأدوا فضل ما بين الديتين. (٣)

وبالرغم من أن الأوفق بالأصول العامة للفقه، العمل برأي الشيخ الصدوق، لانه موافق لظاهر الاطلاقات في الكتاب الكريم. إلاّ ان الروايات المخالفة لهذا الرأي كثيرة، مما يجعلنا نحتمل ايكال الأمر الى ما يراه الامام في كل عصر ومصر. فإن رأى انه من دون القصاص ينتشر الفساد وينعدم الأمن، كان له الاقتصاص. ويؤيد ذلك ما ذهب اليه المشهور من ان المسلم يقتل بالذمي إذا تعود قتل اهل الذمة، حيث جاء في الحديث المروي عن سماعة أنه قال: "سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مسلم قتل ذمياً، فقال: هذا شيء شديد لا يحتمله الناس، فليعط أهله دية المسلم حتى ينكل عن قتل أهل السواد، وعن قتل الذمي. ثم قال: لو أن مسلماً غضب على ذمي فأراد ان يقتله ويأخذ أرضه ويؤدي الى أهله ثمانمأة درهم إذاً يكثر القتل في الذميين. (٤)

---

(١) الفقه / ج ٨٩ / ص ١٤٧.

(٢) عن كتاب وسائل الشيعة / ج ١٩ / ص ٧٩ / الباب ٤٧ / ح ٣.

(٣) وسائل الشيعة / ج ١٩ / ص ٨٠ / ح ٤.

(٤) المصدر / ص ١٦٣ / الباب ١٤ من أبواب ديات النفس / ح ١.

نستفيد من الحديث؛ ان قتل الذمي في مثل هذه الحالة، كان بهدف اشاعة الأمن، ومنع قتل أهل الذمة، وهو هدف القصاص الأول. وعلى الامام في كل عصر ان يلاحظ هذا الهدف ويقرر ما ينبغي له ان يحكم به. والله العالم.

هاء: قال المحقق الحلي رحمه الله في الشرائع: (الشرط الثالث من شروط القصاص) ألاّ يكون القاتل أباً، فلو قتل ولده لم يقتل به. وقال في الجواهر: بلا خلاف أجده فيه، بل الاجماع بقسميه عليه، مضافاً الى النصوص منها؛ قول احدهما في خبر حمران: لا يقاد والد بولده، ويقتل الولد إذا ماقتل والده عمداً. (١) ثم قال: وعن كتاب ظريف: قضى أمير المؤمنين أنه لا قود لولد أصابه والده في أمر يعيب عليه فيه فأصابه عيب من قطع وغيره وتكون له الدية ولا يقاد. (٢) ومنه يعلم عدم الفرق بين النفس والاطراف (الاعضاء) الى غير ذلك من النصوص التي يمكن دعوى القطع بذلك منها إن لم تكن متواترة اصطلاحاً. (٣)

وقال المحقق في الشرائع: ويقتل الولد بأبيه وكذا الأم تقتل به ويقتل بها.

وذكر في الجواهر ان هذه الاحكام لا خلاف عليها إلاّ من الاسكافي الذي قال: لا تقتل الأم بولدها. ثم ذكر بعد الاجماع صحيح أبي عبيدة قال: سألت أبا جعفر (الباقر عليه السلام) عن رجل قتل أمه؟ قال: يقتل بها صاغراً ولا أظن قتله كفارة له ولا يرثها. (٤) وأضاف: بل ظاهر النص والفتوى عدم ردّ فاضل ديته عليها، وإن لم اجد مصرحاً به. (٥)

---

(١) المصدر / الباب ٣٢ (من ابواب القصاص في النفس) ح ١.

(٢) المصدر / ح ١٠.

(٣) جواهر الكلام / ج ٤١ / ص ١٥٩.

(٤) وسائل الشيعة / ج ١٩ / ص ٥٧ / الباب ٣٢ / ح ٥.

(٥) جواهر الكلام / ج ٤١ / ص ١٥٩ ـ ١٦٠.

واو: وذكر المحقق في الشرائع عن الشرط الرابع من شروط القصاص (كمال العقل) قال: فلا يقتل المجنون، سواءً كان المقتول عاقلاً او مجنوناً، وتثبت الدية على عاقلته. وكذا الصبي لايقتل بصبي ولا ببالغ.

وجاء في الجواهر في شرحه على الحكمين قول العلامة النجفي: تعليقاً على عدم القصاص من المجنون: اجماعاً بقسميه (١) ونصوصاً عموماً كحديث رفع القلم وغيره وخصوصاً مستفيضاً حد الاستفاضة. وعلق على ثبات الدية قائلاً: لان عمده خطأ. وقال الباقر في صحيح محمد: كان أمير المؤمنين يجعل جناية المعتوه على عاقلته خطأً كان او عمداً. (٢)

وعن الصبي قال في الجواهر: لان البلوغ شرط في المشهور ايضاً، بل عليه عامة المتأخرين. واضاف: للأصل والاحتياط في الدماء ولحديث رفع القلم المجمع عليه كما عن السرائر، وخصوص قول الصادق عليه السلام في صحيح ابن مسلم: عمد الصبي
وخطأه واحد. (٣)

٨٨٨ ٢/ الجروح قصاص

(المائدة / ٤٥)؛ استفاد الفقهاء من الآية الكريمة وما جاء في الأثر من أحاديث. تفاصيل القصاص في الأطراف والجراحات، وفيما يلي بعض التفصيل:

ألف: شروط القصاص هنا مثل شروطه في النفس. فلا قود من المسلم للذمي، ولا من الوالد للولد، ولا من الصبي والمجنون والمكره. ولكن القصاص في الجروح يجوز للمسلم من المسلم والذمي، وللوالد من الولد، وللانثى من الذكر مطلقاً، وللذكر من الأنثى بعد رد الدية ان كانت اكثر من ثلث الدية. وقد جاء في

---

(١) أي على الحكم اجماع الفقهاء وقد نقل الاجماع الفقهاء كما انه قد عرفنا وجود الاجماع بالشواهد والادلة. فالاجماع المنقول والمحصل قائم على هذا الحكم.

(٢) وسائل الشيعة / الباب ١١ من ابواب العاقلة / ح ١.

(٣) جواهر الكلام / ج ٤١ / ص ١٦٧ ـ ١٦٨.

الحديث الشريف عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في رجل قطع اصبعاً من اصابع المرأة، كم فيها؟ قال: عشرة من الابل، قلت: قطع اثنتين. قال: عشرون، قلت: قطع ثلاثاً. قال: ثلاثون، قلت: قطع اربعاً. قال: عشرون، قلت: سبحانه الله، يقطع ثلاثاً فيكون عليه ثلاثون، ويقطع اربعاً فيكون عليه عشرون؟! ان هذا كان يبلغنا ونحن بالعراق، فنبرأ ممن قاله ونقول: الذي جاء به الشيطان، فقال: مهلاً يا أبان، هذا حكم رسول الله صلى الله عليه وآله: أن المرأة تعاقل الرجل الى ثلث الدية، فإذا بلغت الثلث رجعت الى النصف. يا أبان؛ انك اخذتني بالقياس والسنة، إذا قيست محق الدين". (١)

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل فقا عين امرأة. فقال: ان شاؤوا ان يفقؤا عينه، ويؤدوا اليه ربع الدية. وإن شاءت ان تأخذ ربع الدية. وقال: في امرأة فقات عين رجل؛ انه ان شاء فقا عينها، وإلاّ أخذ دية عينه. (٢)

وفيما يتصل باشتراط التساوي في الاسلام، وانه لايقاد من المسلم للذمي في الجروح، كما لا قياد في النفس، فقد جاء في الحديث المأثور عن الامام الباقر عليه السلام، انه قال: "لايقاد مسلم بذمي في القتل ولا في الجراحات، ولكن يؤخذ من المسلم جنايته

للذمي على قدر دية الذمي ثمانمائة درهم". (٣)

وعن انتفاء القصاص من الوالد لولده، جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، انه قال: "وقضى انه لا قود لرجل اصابه والده في أمر يعيب عليه فيه فاصابه عيب من قطع وغيره ويكون له الديه ولايقاد". (٤)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٩ / ص ٢٦٨ / الباب ٤٤ / ح ١.

(٢) المصدر / ج ١٩ / ص ١٢٤ / الباب ٢ / ح ١.

(٣) وسائل الشيعة / ج ١٩ / ص ٨٠ / الباب ٤٧ / ح ٥.

(٤) المصدر / ج ١٩ / ص ٥٨ / الباب ٣٢ / ح ١٠.

باء: ذهب المشهور من فقهائنا الى انه لا تقطع اليد الصحيحة باليد الشلاء. ولعل مصدر هذا الأمر أن الجروح قصاص، ولا تعادل بين اليد الصحيحة واليد الشلاء. ومن هنا فقد استدل في الجواهر على هذا الحكم بقوله تعالى: **{وإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ }** (النحل/١٢٦)

كما انه لو كان الجاني مبتلى بمرض يسبب وفاته بالقصاص (مثل ابتلاءه بالسكري مثلاً) فإنه لايقتص منه. ومن هنا قال في الشرائع: وتقطع (اليد) الشلاء بالصحيحة، إلاّ ان يحكم أهل الخبرة أنها لا تنحسم، فيعدل الى الدية تفصياً من خطر السراية.

وقال في الجواهر تعليقاً عليه: بلا خلاف أجده في شيء من ذلك، بل عن (كتاب) الغنية الاجماع عليه، بل ولا اشكال، ضرورة وجوب المحافظة على النفس مما يزيد على أصل القطع من العوارض التي منها الشلل المزبور. (١)

٨٨٨ ٣/ والحرمات قصاص

لكل بشر حقوق يحرم على الاخرين تجاوزها ومن اعتدى عليها. ومن فعل ذلك يحق لصاحب الحق التقاص منه. ذلك لأن الحرمات قصاص.

ألف: كلما يرتبط بالسلامة والأمن الشخصي للانسان حرمة، يجب على الآخرين رعايتها. فلا يجوز لأحد ان يعتدي على الآخر جسدياً او مالياً او وجاهياً. فإذا جرحه به، حق للآخر ان يقتص منه بالجرح على تفصيل. (٢) وإذا أكل ماله بالباطل، حق له ان يستوفي حقه منه. وإذا حرمه من حق مالي معين (كالسبق في البيع او الشراء) يمكن ان يحرمه منه قصاصاً او يستوفي حقه الضائع منه. وإذا شهره بين الناس ونال من شخصيته، وانتهك بذلك حرمته، جاز له مثل ذلك، إذا لم يؤد الى محرّم آخر مثل اشاعة الفاحشة او الاضرار بالغير..

---

(١) جواهر الكلام / ج ٤١ / ص ٣٢٩.

(٢) يذكر الفقه الاسلامي تفصيل قصاص الاطراف في باب القصاص.

اما إذا كان في القصاص ضرر على الآخرين او محرم شرعاً، فلا يجوز. مثلاً؛ إذا تلصص أحد ونظر الى زوجة الآخر او ابنته لايجوز القصاص، لان النظر الى المرأة الاجنبية غير جائز، سواءً كان ابتداءً او قصاصاً.

باء: وكما في حقوق الافراد كذلك في حرمات الأمم، فلا يجوز ان تنتهك حرمة أمة من الناس؛ مثل حرمة الشهر الحرام عند العرب قبل الاسلام، وحرمة البيت الحرام. اما لو انتهكوا هذه الحرمة أولاً جاز القصاص منهم. وقد جاء في حديث شريف: سألته عن المشركين ايبتدءهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام؟ فقال: إذا كان المشركون يبتدؤونهم باستحلاله ثم رأى المسلمون انهم يظهرون عليهم فيه. وذلك قول الله عز وجل: { **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ** } (البقرة / ١٩٤) والروم في هذا بمنزلة المشركين، لانهم لم يعرفوا للشهر الحرام حرمة ولا حقاً، فهم يبتدؤون بالقتال فيه. وكان المشركون يرون له حقاً وحرمة فاستحلوه، فاستحل منهم. فأهل البغي يبتدؤونهم بالقتال".(١)

وقال المحقق الحلي في الشرائع: ويحرم الغزو في أشهر الحرم، إلاّ ان يبدء الخصم او يكون ممن لايرى للاشهر حرمة. وعلق في الجواهر على ذلك بقوله: بلا خلاف في شيء من ذلك. (٢)

وقال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: ان المراد ان اقدموا على مقاتلتكم فقاتلوهم أنتم ايضاً. قال الزجاج: وعلم الله تعالى بهذه الآية انه ليس للمسلمين ان ينتهكوا هذه الحرمات على سبيل الابتداء، بل على سبيل القصاص. (٣)

جيم: ونستوحي من الآية جواز انتهاك الحرمات التي يراها الناس لبعضهم قصاصاً. مثلاً؛ لو انتهكت دولة العرف السياسي القاضي باحترام السفارة والسفراء، جاز للدولة الأخرى المعاملة معها بالمثل. ولو انتهكت طائراتها او سفنها

---

(١) عن الوسائل / الباب ٢٢ من ابواب جهاد العدو / ح ١.

(٢) جواهر الكلام / ج ٢١ الطبعة الثانية / ص ٣٢.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي / ج ٥ / ص ١٤٧.

الحدود المحترمة، جاز للثانية انتهاك الحرمات كذلك. ولو فرضت دولة رسوماً على تجارة دولة، جاز للثانية ان تفعل مثل ذلك. كما انه لو قامت دولة بتزوير الماركات التجارية لدولة أخرى، جاز للثانية ان تفعل ما يعتبر قصاصاً. كل ذلك، لان الحرمات قصاص.

^^حرمة النفس

الحياة من الحقوق الاساسية للبشر، وهي قيمة ايمانية نابعة من احترام الاخرين والاعتراف بكل حقوقهم. وهكذا كانت حرمة النفس من اعظم الحرمات في القرآن. وقد فصلت آيات كريمة في سورة المائدة هذه الحرمة، من خلال قصة اول جريمة قتل بين بني آدم. والبصائر التي نستفيدها من هذه القصة في القرآن، هي التالية:

١/ ان حس التعالي (والتنافس السلبي) دفع بقابيل الى قتل اخيه، إذ تقبل قربانه من دونه، بينما كان على قابيل ان يبحث في نفسه عن سبب رفض قربانه، وهو انعدام التقوى عنده، وليعلم ان الله يتقبل اعمال المتقين، قال الله سبحانه: { **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَاَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الاَخَرِ قَالَ لاَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** } (المائدة / ٢٧)

٢/ وكان هابيل متقيا فتقبل الله قربانه، ودليل تقواه انه لم يمد يد الجريمة الى أخيه، بالرغم من تهديده له، بل قال انه يخاف الله رب العالمين. (مما نستفيد من ان القتل الوقائي غير وارد، وهو سبب آخر لجريمة القتل، حيث ان خوف احدهم من الثاني قد يدفعه الى المبادرة بقتله). قال الله تعالى: { **لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لاَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** } (المائدة / ٢٨)

٣/ ان القتل لا يحل مشكلة الفرد، بل يعقدها. إذ انه يحمله وزر قتله الى وزره السابق،

(بل ويحتمل اوزار من قتله). قال الله سبحانه: { **إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُواَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَآؤُاْ الظَّالِمِينَ** } (المائدة / ٢٩)

ونستوحي من خاتمة الآية؛ ان القتل من مفردات الظلم، لانه استلاب لحق الحياة من الفرد.

٤/ ان القتل ليس جريمة عادية، اذ انها مخالفة لفطرة البشر. فلذلك ترى قابيل لم يقدم عليها إلاّ بعد ان طوّعت له نفسه ذلك، (حيث قهرت نفسه الامارة بالسوء وجدانه الفطري بعد صراع حتى اقدم على الجريمة). قال الله عز وجل: { **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** } (المائدة/٣٠)

لقد خسر قابيل الموقف بقتله اخيه، وكان يتمنى ان يربح ما ليس عنده، فخسر ما عنده ايضاً.

٥/ ان يخسر الانسان الموقف شيء، وان يعترف بخسارته شيء اخر. وقد اعترف قابيل في النهاية بأنه قد ارتكب جريمة، وندم عليها بعد ان شاهد (اقتتال غرابين، وكيف ان احدهما تغلب على الثاني وقتله، ثم أخذ الغراب يبحث في الارض ليواري جثة الغراب المقتول). وهناك ثارت نفسه اللوامة، فنادى بالويل لنفسه (لماذا قتل اخاه ثم تورط في جثمانه، بحيث لا يعرف كيف يصنع به؟) قال الله سبحانه: { **فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ** } (المائدة / ٣١)

ويبدو ان كل مجرم يواجه وضعاً، يجعله يعترف بجريمته ويندم عليها.

٦/ وهكذا حرم الله القتل، واعتبر من يقتل نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً. وانما يجوز القتل عندما يكون هناك قتل، فيكون قصاصاً عادلاً وحياة للمجتمع، او يكون فساد فيقتلع بذر الفساد بالقتل. (وقد فصلت الآية ٣٣ من سورة المائدة مسألة الفساد في الارض). قال الله تعالى: { **مِن أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الاَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا النَّاسَ**

جَمِيعاً وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} (المائدة/٣٢)

ونستفيد من السياق؛ كرامة الحياة وقيمتها، وان حياة شخص كحياة امة، وان قتله كما قتل امة. ولعل حكمة ذلك؛ ان فقدان الأمن يجعل الحياة نكدا، كما ان اشاعة السلام يجعل للحياة متعة حقيقية.

- ويبدو لي - ان هذه الآية هي الآية المحكمة في حرمة النفس وكرامة الحياة، والتي ترجع اليها سائر الآيات، لانها حرّمت كل نفس باستثناء ما اباحها القصاص او الفساد؛ لا فرق بين قريب وبعيد، او كبير وصغير، او بين مسلم وغير مسلم، او بين ذكر وانثى، او حر وعبد، وهكذا..

٧/ وقد فصلت آيات قرآنية اصول المحرمات، التي حرمها علينا ربنا سبحانه، فجعلت القتل والشرك والفواحش منها. قال ربنا سبحانه: **{ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاتَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }** (الانعام / ١٥١)

وقوله سبحانه { **إِلاَّ بِالْحَقِّ** } قد فسر في الاية السابقة، حيث ان القتل قصاصاً حق، كما ان القتل بهدف اقتلاع الفساد حق.

٨/ وقال الله تعالى: **{ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مُظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً }** (الاسراء / ٣٣)

وهذه الآية جاءت ايضاً في سياق بيان كبائر المحرمات في الدين.

٩/ والكبيرة من المحرمات، هي التي أوعد الله سبحانه عليها النار، وقتل المؤمن منها، حيث قال ربنا سبحانه: **{ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً }** (النساء / ٩٣)

هكذا وبهذه الكلمات الصاعقة حرمت الآية القتل، وبينت جزاء من يقتل مؤمناً؛ الخلود في جهنم، وغضب الرب ولعنته، والعذاب العظيم.

١٠/ ونستفيد من آية كريمة؛ ان القتل من الكبائر، حيث يقول ربنا سبحانه: { **وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً * إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُم وَنُدْخِلْكُم مُدْخَلاً كَرِيماً** } (النساء / ٢٩ - ٣١)

٨٨٨ **الشركاء يزينون قتل الاولاد:**

١/ وقد زين الشركاء قتل الاولاد للمشركين، وكان هدف الشركاء جر الناس الى الردى (والهلاك مادياً)، واضلالهم عن الدين الحق (واهلاكهم معنوياً). قال الله سبحانه: {**وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** } (الانعام / ١٣٧)

ولكن كيف زين الشركاء قتل الاولاد للمشركين بهم؟

انهم شاركوهم في الاولاد والاموال، كما قال ربنا سبحانه في آية كريمة: { **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ وَعِدْهُمْ وَمَايَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً** } (الاسراء / ٦٤)

ومن خلال التدبر في الآية (١٣٦) من سورة الانعام، نستلهم ان الشركاء كانوا يخدعون المشركين بهم، ويزعمون ان لهم نصيباً في اولادهم، ثم يزينون لهم قتل الاولاد. وهكذا كان تقديس المشركين للشركاء (الشيطان والطاغوت وعلماء السوء والجبت) سببا لقتلهم اولادهم. اما الهدف الرئيسي للشركاء، فقد كان تضعيف قوة الناس وتضليلهم. (ونتسائل: هل يشمل هذا الامر محاولات المستكبرين تحديد النسل في الدول المستضعفة؟).

٢/ وكان عاقبة المشركين الخسران والضلالة، (لانهم اتبعوا الشركاء). وقال ربنا سبحانه: { **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ سَفَهَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَآءً عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** } (الانعام / ١٤٠)

وهكذا عالج القرآن عقدة مستعصية كانت علة ازهاق الارواح البريئة، وهي قتل الاولاد، (والتي لا زالت تزهق ارواح الاجنة في بطون امهاتهم، حيث تشجع الجاهلية الحديثة على الاجهاض). وانما علة هذا الخسران واساسه الافتراء على الله بغير علم.

٣/ والانسان لا يملك اولاده حتى يحق له قتلهم، بل ان هناك موقفاً عظيماً يحاكم فيه البشر حين يسئل الله الموؤدة بأي ذنب قتلت. فهنالك يتحسس المشركون بألم الجريمة التي ارتكبوها بحق اولادهم الذين لم يقدروا على الدفاع عن انفسهم، وزعموا ان وأدهم في التراب انهى والى الابد كيانهم ووجودهم. كلا؛ ان الموؤدة التي دست في التراب في الدنيا، جاءت لتحاكم قاتليها عند الله سبحانه. { **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**} (التكوير / ٨ - ٩)

٨٨٨ المحافظة على حرمة الدم:

ومن أجل المحافظة على حرمة الدم واحترام قيمة الحياة، جعل الله سلطانا لولي المقتول ظلما، وجعل ميثاق المجتمع حرمة القتل، كما جعل القصاص حياة للمجتمع.

١/ في الوقت الذي جعل الله ولي الذي قتل ظلماً، متسلطاً على حياة القاتل، فإن شاء اقتص منه وان شاء قبل بالدية وان شاء عفى عنه. في ذات الوقت أمره ألاّ يسرف في القتل، فلا يقتل إلاّ من ثبتت إدانته بجريمة القتل (فرداً كان او جماعة)، فآنئذ يكون منصوراً. قال الله تعالى: { **وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً** } (الاسراء / ٣٣)

ونستوحي من الآية؛ ان لله سنة جارية في خلقه، انه ينصر ولي الذي يقتل ظلماً.

٢/ وقد جعل الله حرمة النفس اول بند من بنود الميثاق الذي أخذه على بني اسرائيل، (وهو أول وأهم بند في الميثاق الاجتماعي، الذي تبنى على أساسه

حضـارة البشـر). قـال الله سـبحانه:{ **وَإِذْ أَخَـذْنَا مِيثَـاقَكُمْ لاَتَسْـفِكُونَ دِمَـآءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ** } (البقرة / ٨٤)

٣/ ولكـن بنـي اسـرائيل نقضـوا هـذا الميثـاق الالهـي، فشـملهم الخـزي فـي الـدنيا والعذاب الشديد في الاخرة، قال ربنا سبحانه: { **ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلآءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** } (البقرة / ٨٥)

ونستوحي من السياق؛ ان من اسباب عزة الامـة احترامها لحق الحياة، وحق المواطـنة بالنسـبة الى ابنائها، (فإنه يوفر الأمن والحرية، وهما سبب التطور والرقي).

٤/ والقصـاص يحمـي المجتمـع مـن غائلـة القتـل. ونسـتفيد مـن آيـة كريمـة؛ ان القصاص كان جارياً في الانظمة القديمة كنظام الاقباط، حيث قال الله سبحانه (حكاية عن موسى بن عمران): { **قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ** } (القصص / ٣٣)

وعند الحديث عن قيمة القصاص، تلونا آياته وتأملنا فيها وعرفنا ان القصاص حياة للأمة.

٥/ (وعلى ابناء المجتمع المشاركة في البحث عن القاتل)، ولا يجوز كتمان الجريمة، والله سبحانه يظهر الحق. (وهكذا كانت من سننه سبحانه، سنة فضح القاتل). قال الله سبحانه: {**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** } (البقرة / ٧٢)

٨٨بصائر الآيات

١/ حرمة النفس من أشد الحرمات. (أوليست الحياة من اعظم حقوق الانسان؟) وأول جريمة قتل وقعت في بني آدم كان وراءها الحسد، حيث لم يتقبل قربان قابيل، فهدد أخاه هابيل الذي تقبل قربانه، وكان عليه ان يعرف ان انعدام التقوى عنده كان سبب رفض قربانه.

ولم يمد هابيل يده الى قتل أخيه (وذلك دليل تقواه)، لأنه اراد ان يبوء قاتله بوزره ووزر من يقتله فيكون من أصحاب النار.

والقتل ظلم، وجزاء الظالم النار. والقتل جريمة كبيرة، فلم يقدم عليها قابيل حتى طوعت له نفسه فأصبح من الخاسرين.

ولكنه لم يندم حتى بعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه، (فلما عرف عجزه اعترف بذنبه).

وهكذا حرّم الله القتل، وجعل (جزاء) قتل نفس واحدة (كجزاء) قتل الناس جميعاً. وجعل احياء نفس واحدة، كاحياء الناس جميعاً. (ونعرف من ذلك قيمة الحياة عند ربنا سبحانه).

٢/ وانما لم يحرم القتل إذا كان بحق (قصاص)، او (لدرء) فساد في الأرض. وجعل القتل في عداد المحرمات الرئيسية؛ مثل الشرك والفواحش. والقتل (من الكبائر التي) جعل الله جزاء القاتل جهنم والغضب واللعنة والعذاب العظيم.

٣/ وقد زين الشركاء قتل الأولاد لمن اشركوا بهم، لكي يردوهم وليضلوهم. (ولعل هذا من مصاديق مشاركة الشيطان فيهم)، وكانت تلك خسارة وضلالة للمشركين وسفاهة (وجهلاً) بغير علم.

(ولعل الاجهاض، بل وتحديد النسل من جملة شرك الشيطان). وسوف تسأل الموؤدة (يوم القيامة) بأي ذنب قتلت، (ولاريب أنها تفضح قاتليها).

٤/ (ومن أجل المحافظة على حرمة الدم)، جعل الله لولي القتيل سلطاناً. وجعل الله أول بند من الميثاق الذي أخذه على بني اسرائيل احترام الحياة، وحرمة الدم؛ فلما نقضوا ذلك الميثاق شملهم الخزي.

٥/ وعلى أبناء المجتمع أن يساهموا جميعاً في استتباب الأمن، (وكشف القاتل والشهادة عليه) والاّ يتستروا على المجرمين.

٨٨فقه الآيات

٨٨٨ ١/ قيمة الحياة

(المائدة/ ٢٧ - ٣٢)؛ يستفاد من الآيات الكريمة التي فصلت القول في فضاعة جريمة القتل؛ يستفاد منها بصائر واحكام، نذكر منها ما يلي:

ألف: ان الصفات السيئة والتي منها رذيلة التعالي وفاحشة الحسد، قد تمسي خطيرة على حياة البشر. وعلى المؤمن ان يسعى جاهداً لتطهير نفسه منها، كما ينبغي ان يسعى المجتمع المؤمن نحو تزكية النفوس من رواسب العصبية والانانية، لكي يقتلع جذر الفساد والجريمة. ومحور التربية السليمة التقوى، ومعرفة ان معيار قبول الطاعة عند الله والفلاح في الدنيا انما هو التقوى، وان التنافس البنّاء والتسارع الى الخيرات بالتقوى، خير من الصراع والتنافس السلبي. والله المستعان.

باء: ليس من الصحيح ان يبادر الانسان الى قتل الآخرين او الحاق الأذى بهم، وذلك عندما يشعر بأنهم يضمرون له شراً. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال لمحمد بن مسلمة: " الق كمك على وجهك، وكن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل ". (١)

ولان كثيراً من الجرائم تقع بسبب هذا الخوف، فإنه إذا التزم الجميع بما قاله ابن آدم لأخيه؛ أنه لن يبسط الى أخيه يده ليقتله، فإن الجرائم تقل بنسبة ملحوظة. ولا يعني ذلك منع الدفاع عن النفس، او الاستسلام التام للقتلة والجناة.

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي / ج ١١ / ص ٢١٦ (طبعة قم).

جيم: كما تستحب المبادرة الى عمل الخير والاستباق فيها والتنافس عليها، كذلك يجب الامتناع عن المبادرة الى الشر. فإن كان الشر يقع بلاريب، فلا تكن فاعله. فمثلاً؛ لو كانت الحرب واقعة فلا تكن المبادر اليها، وإذا كان القتل واقعاً فلا تكن مبادراً إليه، فإن القاتل يتحمل وزره ووزر من يقتله بغير حق. فقد روي عن الامام الباقر عليه السلام، انه قال: من قتل مؤمناً متعمداً، أثبت الله عز وجل على قاتله جميع الذنوب وبرئ المقتول منها، وذلك قول الله عز وجل: **{ إني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار }**. (١)

دال: ان المرحلة السابقة على اتخاذ القرار بالجريمة، هي مرحلة خطيرة. من هنا يجدر بنا ان نستفيد من كل عزمنا وارادتنا، وكل ذخائرنا الروحية والعقلية في تلك المرحلة، من اجل مقاومة الشيطان والنفس الأمارة في سعيها لاضلالنا وتطويع وجداننا..

ان جريمة القتل كبيرة ومخالفة للوجدان ولكل الشرائع، ولذلك فان شياطين الجن والإنس يستخدمون كل وسائلهم في سبيل تمرير هذه الجريمة. ومن هنا ينبغي الاهتمام بما يلي:

١/ اشاعة ثقافة الحياة في المجتمعات بكل وسيلة ممكنة، ومواجهة كل الثقافات الجاهلية التي تستهين بالحياة البشرية وتجعلها بلا حكمة.

٢/ التخويف من عاقبة القتل، ومدى الخسار الذي يلحق بالقتلة في الدنيا والآخرة. فقد جاء في الحديث المأثور عن علي بن الحسين عليه السلام، انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لايغرنكم رحب الذراعين بالدم، فإن له عند الله قاتلاً لا يموت. قالوا: يا رسول الله وما قاتل لا يموت؟! فقال: النار. (٢)

---

(١) بحار الأنوار / ج ١٠١ / ص ٣٧٧.

(٢) بحار الأنوار / ج ١٠١ / ص ٣٧٣.

وفي الرواية المأثورة عن الامام الصادق عليه السلام، أنه قال: اوحى الله عز وجل الى موسى بن عمران؛ أن يا موسى قل للملاء من بني اسرائيل: إياكم وقتل النفس الحرام بغير حق، فانّ من قتل منكم نفساً في الدنيا، قتلته في النار مأة ألف قتلة مثل قتلة صاحبه. (١)

٣/ منع افلام القتل الشائعة التي تجعل القتل عملاً سهلاً، بل ومقبولاً، كما وانها تعلم اساليبه.

٤/ منع الاغاني والاناشيد التي تمجد بالقتل، وتستهزء بالحياة البشرية.

هاء: ينبغي ان يعلن للناس، كل الناس أبعاد ندم القاتل، وليكون ذلك ثقافة عامة في المجتمع؛ - تماماً - بعكس ما نرى في كثير من الافلام والقصص البوليسية من تبرير عمل الجناة واثارة الشفقة عليهم.

واو: جاء في حديث رواه حنان بن سدير عن أبي عبد الله (الصادق عليه السلام) في قول الله: **{ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً }** قال: واد في جهنم لو قتل الناس جميعاً كان فيه، ولو قتل نفساً واحدة كان فيه. (٢)

وفي حديث مأثور عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال: (في قوله تعالى) **{ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً }** لم يقتلها أو أنجى من غرق أو حرق أو أعظم من ذلك كلّه، يخرجها من ضلالة الى هدى. (٣)

نستفيد من الآية الكريمة، والاحاديث المأثورة في تفسيرها وتأويلها؛ أن قيمة الحياة عظيمة، وعلى المؤمنين ان يحافظوا عليها أنّى استطاعوا الى ذلك سبيلاً. وفيما يلي بعض البصائر التي نستوحيها من ذلك:

---

(١) المصدر / ص ٣٧٧.

(٢) المصدر / ص ٣٨٠.

(٣) بحار الأنوار / ج ١٠١ / ص ٣٨٠.

أولاً: على المؤمنين ان يوفروا نظاماً صحياً ممتازاً، يحافظ على الارواح من فتك الفيروسات والجراثيم. فالتطعيم الشامل ضد أمراض معدية خطيرة، ونظام المراقبة على الحدود خشية انتقال المرض من المناطق الموبوئة، والحجر الصحي ضد المبتلين بأمراض خطيرة كالسل والايدز والكوليرا، ونظام مراقبة الاطعمة، ونظام رعاية الأمومة والطفولة، والاهتمام بالتغذية الكاملة.. هذا بالاضافة الى نظام صحي متكامل، يعني بالعلاج ابتداءً من توفير الاطباء والادوية، وانتهاءً بتوفير المصحات والمستشفيات، ومروراً بتوفير الكادر الطبي الممتاز.

ثانياً: وعليهم ان يوفروا نظام المرور الصارم الذي يحافظ على أرواح الناس من مغبة حوادث السير، ويشمل نظام المرور ومراقبة وضع الشوارع الداخلية والخارجية، وبالذات عند الجسور وفي المرتفعات الجبلية.

ثالثاً: كما يجب الاهتمام بالسلامة الصناعية، التي تتصل بالتيار الكهربائي والاجهزة العاملة به، وتيار الغاز والاجهزة المستفيدة منه، وشبكة المياه وشبكة المبازل.. وحيث يكون خطر على الارواح، لابد من التدخل السريع والحاسم من أجل درءه او التقليل منه.

رابعاً: ومن الاخطار التي تهدد السلامة، انظمة البناء. فعلى الدول وضع قوانين مناسبة للبناء المقاوم للاخطار، وذلك بترسيخ قاعدته وجعله ضد الزلازل (في المناطق التي تتعرض للزلزال)، وذات مخارج كافية عند الحريق، وما الى ذلك من انظمة السلامة.

وبكلمة؛ لان الحياة قيمة، فلابد ان يسعى الجميع من أجل المحافظة عليها وبصورة جدية. وفي الختام نقرء معاً حديثاً عن قضاء الامام الحسن السبط عليه السلام، حيث قضى في رجل اتهم بأنه قتل نفساً، فأقرّ بأنه قتل، وجاء آخر فأقر أن الذي قتل هو دون صاحبه، ورجع الأول عن إقراره. (فقضى الامام الحسن) انه درأ عنهما القود والدية، ودفع الى اولياء المقتول الدية من بيت المال. وقرأ هذه

الآية: **{وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً }** ثم قال: هذا ان قتل ذاك، فقد احيا هذا. (١)

٨٨٨ **٢/ لكي تتوقف جريمة القتل**

(النساء/ ٩٣)، (الاسراء/ ٣٣)، (النساء/ ٢٩ - ٣١)، (البقرة/ ٨٤ - ٨٥)، (البقرة/ ٧٢)؛ من أجل المحافظة على الحياة ووقف جرائم القتل، لابد من بيان ان ازهاق الارواح من كبائر الذنوب، وأن جزاء من يقتل مؤمناً جهنم خالداً فيها. وان يكون من بنود ميثاق الأمة منع القتل، وان يوضع قصاص عادل للجاني وإلاّ يتكتم الناس على القاتل.

وفي هذه البصائر شرائع واحكام، نذكر بعضاً منها، بينما يرتبط قسم منها بابواب متفرقة أخرى:

ألف: لقد حرّم الله النفس البشرية، فلا يجوز قتلها إلاّ بالحق. وقد رسمت الشريعة معالم القتل الحل بتفصيل محكم. فالقصاص قتل بالحق، وكذلك لدرء غائلة المحاربين المفسدين في الأرض، وهكذا دفاعاً عن النفس في الحرب، وما أشبه.

ونستوحي من ذلك؛ ان ازهاق الروح البشرية حرام، وانما يجوز ذلك بمسوِّغ شرعي واضح. وذلك مفاد قوله سبحانه: **{ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً }** (المائدة/٣٢) وقوله سبحانه: **{وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ }** (الانعام/١٥١). على ان يكون قوله سبحانه **{الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ}** تأكيداً للنهي الذي بيّنه بقوله سبحانه: **{وَلا تَقْتُلُوا}.**

وهذا ما ذهب اليه بعض المفسرين، حيث قال الفخر الرازي في تفسيره وقوله **{ حَرَّمَ**

---

(١) سلسلة الينابيع الفقهية / ج ٢٤ / ص ٢٢٢ - عن فقه القرآن للراوندي.

اللّهُ} اعادة لذكر التحريم على سبيل التأكيد. (١) واستدل الفخر الرازي ايضاً على اصالة حرمة القتل بأمور، نختصرها بالتالي؛ ان القتل ضرر، وانه يتنافى وحكمة خلق الله الانسان للعبادة، وانه فساد. (٢)

وفرّع على هذا الأصل؛ انه لو أننا ارتبنا في جواز القتل وعدمه؛ (مثلاً قال بعضهم يجب قتل من أتى بهيمة، ولم يستدلوا على ذلك بدليل دامغ). قال: كان علينا تحريم القتل للاصل العام. ثم قال بعد ان ضرب أمثلة في الخلاف حول جواز القتل، مثل الخلاف في جواز قتل مانع الزكاة، قال: حجة القائلين بأنه لايجوز القتل في هذه الصور، هو أن الآية صريحة في منع القتل على الاطلاق، إلاّ لسبب واحد وهو قتل المظلوم. ففيما عدا هذا السبب الواحد، وجب البقاء على اصل الحرمة. ثم قالوا وهذا النص (حرمة القتل) قد تأكد بالدلائل الكثيرة الموجبة لحرمة الدم على الاطلاق. فترك العمل بهذه الدلائل لايكون إلاّ لمعارض، وذلك المعارض اما ان يكون نصاً متواتراً، او نصاً من باب الاحاد (٣) او يكون قياساً. اما النص المتواتر فمفقود، وإلاّ لما بقي الخلاف، واما النص من باب الاحاد فهو مرجوح بالنسبة الى هذه النصوص المتواترة الكثيرة، واما القياس فلا يعارض النص. (٤)

وهناك ملاحظة هامة على كلامه، هي: ان قوله تعالى **{ إِلاَّ بِالْحَقِّ }** يدل على جواز القتل بالحق، وهو مجمل تفسره آيات أخرى (كقتل المحارب والكافر)، أو السنة الموثوقة (كقتل المرتد)، والله العالم.

باء: القتل من كبائر الذنوب، لانه قد انذر الرب من يرتكبه بأن له نار جهنم، ولان الله سبحانه قد عده في عداد الشرك والزنا وسائر الذنوب الكبيرة، ولانه قال

---

(١) التفسير الكبير / ج ٢٠ / ص ٣٠٠ طبعة قم.

(٢) المصدر.

(٣) المتواتر من الاحاديث ذلك الحديث الذي ينقله طوائف من الرواة بحيث يورث نقلهم العلم بمضمون الحديث اما غيره فيعتبر من أحاد الحديث.

(٤) التفسير الكبير / ج ٢٠ / ص ٣٠١.

بعد ان نهى عن القتل: **{إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم}**. وقد بينت السنة الشريفة فضاعة القتل وعدته من الكبائر، حيث روى عبد العظيم الحسني (صاحب المرقد الذي يزار في ري بطهران)، عن أبي جعفر الثاني عن أبيه عن جده عن الصادق عليهم السلام، قال: قتل النفس من الكبائر، لان الله عز وجل يقول: **{ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً أليما }**. (١)

وقد قسمت السنة الشريفة جريمة القتل الى نوعين:

١/ القتل على الدين، حيث روى سماعة قال: قلت له قول الله تبارك وتعالى: **{ ومن يقتل مؤمناً متعمدا فجزاءه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه }** قال: المتعمد الذي يقتله على دينه، فذلك التعمد الذي ذكر الله. (٢)

٢/ القتل للغضب وما أشبه وليس على الدين، حيث جاء في بقية الحديث السابق عن سماعة، عنه عليه السلام قال، قلت له: فرجل جاء الى رجل فضربه بسيفه حتى قتله لغضب، لا لعيب على دينه، قتله وهو يقول بقوله. قال: ليس هذا الذي ذكر في الكتاب، ولكن يقاد به والدية إن قبلت. قلت: فله توبة؟ قال: نعم؛ يعتق رقبة، ويصوم شهرين متتابعين، ويطعم ستّين مسكيناً، ويتوب ويتضرع فأرجو أن يتاب عليه. (٣)

وفي حديث آخر رواه ابن سنان، عن الامام الصادق عليه السلام، انه سئل عن المؤمن يقتل المؤمن متعمداً له توبة؟ قال: إن كان قتله لايمانه فلا توبة له، وإن كان قتله لغضب أو لسبب شيء من أمر الدنيا، فان توبته أن يقاد منه. وإن لم يكن علم به أحد انطلق الى أولياء المقتول فأقرّ عندهم بقتل صاحبهم، فان عفوا عنه فلم

---

(١) بحار الأنوار / ج ١٠١ / ص ٣٧١.
(٢) المصدر / ص ٣٧٩.
(٣) المصدر.

يقتلوه أعطاهم الدية واعتق نسمة وصام شهرين متتابعين وأطعم ستين مسكيناً توبة الى الله. (١)

ويبدو لي ان هذا التقسيم مهم جداً، وذلك لأن ابرز اسباب الفساد في الأمم سلطة الجبابرة، وهي تعتمد بصورة رئيسية على الارهاب بالقتل، وهذا القتل يتم عادة على الدين. فلأن المعارضين للطغاة هم المؤمنون ويتم ارهابهم بالقتل، فكان من الطبيعي ان تكون جريمة القتل على الدين فضيعة، وهي التي أوعد الله عليها نار جهنم خالداً فيها وألحق صاحبها باللعنة والغضب. وبالتالي فإن الجرائم التي وراءها غايات سياسية باطلة، هي أشد ضرراً وأكبر فساداً.

جيم: جزاء من قتل مؤمناً في الدنيا القود والدية، وفي الآخرة عذاب وخزي. وفيما يلي نقرء معاً روايات في هذا الشأن:

١/ عن عبد العظيم الحسني، عن أبي الحسن الثالث (الامام علي الهادي عليه السلام) قال: لما كلّم الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام قال: إلهي ما جزاء من قتل مؤمناً متعمداً؟ قال: لا أنظر إليه يوم القيامة، ولا أقيل عثرته. (٢)

٢/ وجاء في تفسير علي بن ابراهيم (ج ١/ ص ١٤٨) في قوله سبحانه: **{والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاماً}**" قال: اثام وادي من صفر مذاب قوامها حرة في جهنم، يكون فيه من عبد غير الله، ومن قتل النفس التي حرّم الله، ويكون فيه الزناة يضاعف لهم فيه العذاب. (٣)

---

(١) المصدر / ص ٣٧٨.

(٢) بحار الأنوار / ج ١٠١ / ص ٣٦٩.

(٣) المصدر.

٣/ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: ما عجت الأرض الى ربها عز وجل كعجيجها من ثلاثة: من دم حرام يسفك عليها، او اغتسال من زنا، او النوم عليها قبل طلوع الشمس. (١)

٤/ وجاء فيما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله الى علي عليه السلام، أنه قال: يا علي؛ كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة: القتال، والساحر، والدّيوث، وناكح المرأة حراماً في دبرها، وناكح البهيمة، ومن نكح ذات محرم منه، والساعي في الفتنة، وبايع السلاح من أهل الحرب، ومانع الزكاة، ومن وجد سعة فمات ولم يحج. (٢)

٥/ وروي عنه صلى الله عليه وآله، انه قال: لا يغرنكم رحب الذراعين بالدم، فان له عند الله قاتلاً لا يموت. قالوا: يا رسول الله؛ وما قاتل لا يموت؟! فقال: النار. (٣)

٦/ وروي عن الامام محمد بن علي عليه السلام، انه قال: ما من نفس تقتل برة ولا فاجرة إلاّ وهي تحشر يوم القيامة متعلّقاً بقاتله بيده اليمنى ورأسه بيده اليسرى وأوداجه تشخب دماً، يقول: يا رب سل هذا فبم قتلني؟ فان كان قتله في طاعة الله عز وجل، أثيب القاتل الجنة وذهب بالمقتول الى النار. وإن قال: في طاعة فلان، قيل له: اقتله كما قتلك، ثم يفعل الله فيهما بعد مشيّته. (٤)

٧/ وعن أبي عبد الله عليه السلام، انه قال: لايزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دماً حراماً. وقال: لا يوفق قاتل المؤمن متعمداً للتوبة. (٥)

---

(١) المصدر / ج ٧٣ / ص ١٨٤ / ح ١.
(٢) المصدر / ج ٩٦ / ص ٧ / ح ١٤.
(٣) بحار الأنوار / ج ٩٦ / ص ٣٧٣.
(٤) المصدر / ص ٣٧٦.
(٥) المصدر / ص ٣٧٨.

دال: في بحث مفصل -قدم تقدم- بحثنا بتوفيق الله سبحانه القصاص الذي يردع القتلة. وحسبما جاء في حديث الامام العسكري عن الامام زين العابدين عليهما السلام في تفسير الآية الكريمة: **{ولكم في القصاص حياة }**، ولكم - يا أمة محمد - في القصاص حياة، لان من همّ بالقتل فعرف ان يقتص منه فكفّ لذلك عن القتل، كان حياة للذي كان همّ بقتله، وحياة هذا الجاني الذي أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من الناس إذا علموا أنّ القصاص واجب لايجسرون على القتل مخافة القصاص. (١)

ومما يدرء القتل حرمة الإدراء، وكتمان القتل وايواء القتلة.. فإن المجتمع الذي يتستر على القتلة لا يحب السلام، ولن يتمتع بالأمن.

من هنا حرّم الاسلام التكتم على القتلة، وضرب الله مثلاً من قصة بني اسرائيل، الذين أدّارءوا في القتيل الذي وجد بينهم. وجاء في حديث شريف عن الامام الصادق عن ابيه عليهما السلام قال: وجد في غمد سيف رسول الله صحيفة مختومة، ففتحوها فوجدوا فيها: إن اعتى الناس على الله القاتل غير قاتله، والضارب غير ضاربه، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، لايقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، ومن تولّى إلى غير مواليه فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله. (٢)

وفسر حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث جاء فيه: فقيل يا رسول الله ما الحدث؟ قال: من قتل نفساً بغير نفس او فساد، او مثّل مثلة بغير قود، او ابتدع بدعة بغير سنّة، او انتهب نهبة ذات شرف. (٣)

هاء: وقد كان من الميثاق الذي أخذه الله على بني اسرائيل الاّ يسفكوا دماءهم، وألاّ يخرجوا أنفسهم من ديارهم. ولكنهم نقضوا الميثاق، فأصابهم خزي في الحياة

---

(١) المصدر / ص ٣٧٠.
(٢) بحار الأنوار / ج ٩٦ / ص ٣٧١ - ٣٧٢.
(٣) المصدر / ص ٣٧٤.

الدنيا وعذاب شديد في الآخرة. وهكذا على كل أمة تريد العزة والايمان، ان توثق فيما بين ابنائها وطوائفها عهداً لاتنقضه؛ ألاّ يحمل أحد السيف ضد الآخر، وألاّ يزحزحه عن مقره أنى اختلفوا او تناقضت مصالحهم. فإن السيف يوهن النظام، والتهجير يزعزع أسس المدنية.

والأمة المقتدرة التي لاتستخدم العنف لتصفية خلافاتها الداخلية سوف تتقدم، لان صراعاتها وخلافاتها السياسية او الاقتصادية سوف تدعوهم الى التنافس البنّاء، وإلى الاندفاع الى خارج حدود الأمة لكسب القوة والعزة منه.. وقد ضمّن الامام أمير المؤمنين عليه السلام عهده الشريف الى واليه على مصر، مالك الاشتر رحمة الله عليه، هذه الوصية الرائعة: اياك والدماء وسفكها بغير حلّها، فانه ليس شيء ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة. فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله. ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن. (١)

٨٨٨ ٣/ جريمة قتل الأولاد

(الانعام/ ١٣٧)، (الانعام/ ١٤٠)، (التكوير/ ٨ - ٩)؛ قتل الأولاد صورة بشعة من جريمة القتل؛ أولاً: لأن القاتل هو الذي يفترض ان يحمي الضحية، ويحفظه من كل سوء. وثانياً: لان الضحية ضعيف لا يمكنه الدفاع عن نفسه، وقد زيّن الالهة المزيفة (من الطغاة وسدنة الاصنام وعلماء السوء) هذه الجريمة حتى انحرفت فطرة الآباء، فاستساغوا هذا السفه وتحملوا هذه الخسارة. ونستوحي من ذلك عدة حقائق:

---

(١) المصدر / ص ٣٨٢.

ألف: ضرورة مواجهة هذه الثقافة البشعة التي كانت شائعة في الجاهليات الأولى، والتي قضى عليها رجال الوحي بحمد الله سبحانه. ولكن قد نجد بقايا هذه الثقافة عند البعض الذين يظنون انهم يملكون ابناءهم ملكاً مطلقاً، ويضررون بهم.

باء: يبدو ان من صور قتل الاولاد الاجهاض، حيث ان الطفل قد تكوّن بصورة اولية في الرحم. ولاتزال جريمة الاجهاض شائعة في كثير من البلاد، وربما اصبحت قانونية. وعلينا مواجهة هذه الجريمة بكل وسيلة ممكنة.

٨٨أركان الذنب

من السنن الالهية براءة البشر وعدم إدانتهم بذنب الاخرين، وعدم اخذهم قبل اتمام الحجة عليهم، وألاّ يؤخذ البريء بجرم غيره؛ وهذا من تجليات العدل الهي.

١/ فالله سبحانه لم يكن ليهلك قرية حتى يبعث اليها رسولاً شاهدا، او يبعث في امها رسولا، وبالتالي حتى يتم الحجة عليهم. قال ربنا سبحانه: **{ذَلِكَ أَن لَمْ يَكُن رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ }** (الانعام / ١٣١)

٢/ وهكذا لا يحمل الانسان ذنب غيره. قال ربنا سبحانه: **{ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى* وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى }** (النجم / ٣٨ - ٣٩)

٣/ وهكذا اعترض موسى عليه السلام على فعل العبد الصالح، الذي وجد غلاماً فقتله، فقال له (حسب الآية الكريمة): **{ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاَماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً }** (الكهف / ٧٤)

٤/ وهكذا نجد في قصة ابني آدم، ان المتقي منهما، الذي تُقبِّل قربانه رفض الاعتداء على أخيه، فقال الله سبحانه (حكاية عنه): **{ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }** (المائدة / ٢٨)

وهكذا نفى بدعة الأمن الوقائي، الذي يوجب الاقتصاص قبل الجناية.

٥/ ويوسف الصديق عليه السلام استعاذ بالله من أخذ البرىء الذي لم يسرق، بجرم

المتهم بالسرقة. وقال الله سبحانه (حكاية عنه): { **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذاً لَظَالِمُونَ** } (يوسف / ٧٩)

٨٨بصائر الآيات

١/ لكي ينتشر الأمن في ربوع المدينة المؤمنة، لابد من حصانة الانسان أنى كان، وعدم تجريمه إلاّ بدليل قاطع. وهذا هو الحق المشروع لكل بشر، والذي يعلن عنه بالتعبير التالي: "المتهم بريئ حتى تثبت إدانته". ولعل الآية الكريمة تشير الى ذلك: { **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى** } (النجم/٣٩)

٢/ ولان الدين الاسلامي يتسم بالرحمة والحكمة، فإن الجاهل والناسي والخاطئ والمضطر والعاجز يعتبرون أبرياء.

٣/ ويعتبر القانون ايضاً العلم او ما يقوم مقامه (كالنشر في الجريدة الرسمية) شرطاً لنفاذ القانون.

٤/ ومن ابعاد براءة الانسان؛ ان فاعل الجريمة وحده يتحمل وزر عمله، ولا يجوز العقاب الجمعي كوضع شعب كامل في لائحة المقاطعة الاقتصادية لفساد النظام المتسلط عليه بالارهاب، او ملاحقة اقرباء المجرم.

٥/ وللجريمة اركانها القانونية المتمثلة في عدم مشروعية الفعل، وتحقق الفعل الاجرامي، وان يكون المجرم هو الفاعل، وان تتحقق النتيجة الجرمية فعلاً، وأخيراً حرية ارادة الفاعل.

ويبدو ان التشريع الاسلامي قد سبق القانون في بيان هذه الأركان.

٨٨فقه الآيات

٨٨٨ **اولاً: العلم شرط المسؤولية**

(الانعام / ١٣١)؛ التشريع الالهي يتسم بالرحمة، كما يتحلى بالحكمة. ومن هنا فان الله سبحانه لايعاقب أمة حتى يبعث اليهم رسولاً منذراً، ولا يأخذ الغافل حتى يذكِّره. ومن هنا فإن الجاهل معذور حتى يعلم، وبالذات إذا كان مقصرّاً. وقد جاء في الحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: "رفع عن أمتي تسعة: الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه، ومالا يطيقون، ومالا يعلمون، وما اضطروا اليه، والحسد والطيرة، والتفكر في الوسوسة في الخلق مالم ينطق بشفة". (١)

وروى عبد الرحمن بن الحجاج، عن ابي ابراهيم الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألته عن الرجل يتزوج المرأة في عدتها بجهالة، أهي ممن لا تحل له أبداً؟ فقال له: أما إذا كان بجهالة فليتزوجها بعد ما تنقضي عدتها. وقد يعذر الناس في الجهالة بما هو اعظم من ذلك. فقلت: بأي الجهالتين يعذر؛ بجهالته ان يعلم ان ذلك محرّم عليه، أم بجهالته أنها في عدة؟ فقال: احدى الجهالتين اهون من الأخرى؛ الجهالة بأن الله حرّم ذلك عليه، وذلك بأنه لايقدر على الاحتياط معها. فقلت: فهو في الأخرى معذور؟ قال: نعم إذا انقضت عدتها فهو معذور في أن يتزوجها. (٢)

في القانون الحديث يعتبر نشر القانون رسمياً، من شرائط مسؤولية الناس عن محتواه. وفي ذلك يقول الدكتور عبد المنعم فرج الصده: ان الزام الناس بالقواعد القانونية يقتضي عقلاً وعدالة علمهم بها، حتى يوجهوا سلوكهم على مقتضاها. (٣)

وأضاف: ونظراً الى تعذر اعلان التشريع لجميع الناس، فقد اكتفى الشارع في هذا الشأن، بأن هيأ وسيلة معينة للعلم به وهي النشر. فهذه هي الوسيلة التي يعتد بها في تمام نفاذ التشريع، ولو كانت لم تؤد فعلاً الى الاحاطة به. (١)

---

(١) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ٢٨٠.

(٢) المصدر / ص ٢٧٥.

(٣) اصول القانون (دار النهضة العربية بيروت) ص ١٠٥.

(١) المصدر.

ويقول الاستاذ جميل الشرقاوي: اما النشر فهو اجراء لاحق للاصدار، يقصد منه حمل التشريع الى علم الكافة، ولذا يلزم بالنسبة الى التشريع الصادر من مجلس الشعب (البرلمان)، كما يلزم بالنسبة للتشريع الدستوري او اللوائح.

واعلام الناس بالقانون الذي ينظم سلوكهم، قبل مطالبتهم باتباع احكام امر يفرضه المنطق والعدالة. ولكن ليس من الممكن ان يتطلب من الدولة ان تخطر كل فرد بصدور التشريع ليحق لها محاسبته وفقاً لأحكامه، بل يكفي لذلك ان يهيء وسائل العلم به. ولذا فهي تنشر نصوصه في جريدة رسمية مخصصة لذلك، وتجعل هذا النشر قرينة على علم كل الناس باحكامه. (١)

وجهل الناس بالقانون او بالدين انما يعذر قبل توافر النذر. ولكن مسؤولية العلماء آنئذ تكون كبيرة. من هنا وجب على العلماء القيام بالانذار، فإذا توفر الانذار لم يعذر أحد على الجهل.

٨٨٨ **ثانياً: الانسان ذلك البريئ**

(يوسف / ٧٩)، (النجم / ٣٨ - ٣٩)؛ حينما نتحدث عن المسؤولية وعما يستثنى منها، يجري الحديث ايضاً عن براءة المتهم حتى تثبت ادانته، وعن ان كل انسان يتحمل وحده مسؤولية افعاله، ولا يظلم أحد بتحميل وزر غيره عليه إلاّ إذا كان قد صدر منه ما يستوجب تقصيره، فيتحمل وزر نفسه بقدر تقصيره. وما يمكن ان نستوحيه من آيات الذكر في هذا الحقل، بالاضافة الى ما يجري الحديث عنه في فصل المسؤولية، هو ما يلي:

ألف: لا يحمل أحد وزر غيره. فلا يجوز العقاب الجمعي المعمول به في الأنظمة الظالمة، ومنها مايلي:

١ ـ مقاطعة شعب كامل اقتصادياً، لحمل ابناءه على معارضة النظام الحاكم فيه؛ مثل مقاطعة كوبا من قبل امريكا منذ ثلاثين عاماً، او مقاطعة العراق من قبل الدول

---

(١) دروس في اصول القانون (دار النهضة العربية القاهرة) ص ١٣٢.

الغربية منذ سنة ١٩٩١ ميلادية، وغيرها.. لان المتهم في الدول المقاطعة الانظمة، والمعاقب الشعوب. ونحن بانتظار اليوم الذي يدين العالم هذا النوع من العقاب الجمعي، الأكثر شيوعاً، والأشد ظلماً، والأوسع فساداً في الأرض.

٢ ـ ملاحقة ذوي القربى بسبب اتهام قريبهم بجريمة. وبالرغم من منع الأنظمة لمثل هذا العمل الظالم، إلاّ أنه شائع في كثير من الدول.

ومن هنا رفض النبي يوسف عليه السلام ان يُعاقب غير المتهم الذي ثبتت ادانته بوجدان متاعه عنده، واستعاذ بالله من ذلك. والاستعاذة هنا دليل على أن الحاكم قد يتعرض لضغط (اجتماعي او سياسي) من أجل معاقبة غير المتهم. وفي ختام الآية نقرء قوله تعالى **{ إِنَّآ إِذاً لَظَالِمُونَ }**، مما نفهم منه أنه عمل حرام، ولأنه ظلم.

باء: ونستوحي من الآيات؛ أن المتهم بريء حتى تثبت ادانته، حيث قال الصديق يوسف عليه السلام: **{ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ }**. وهذا ما أشار اليه ميثاق حقوق الانسان، الذي اقرته الأمم المتحدة (١٩٤٨ م)، حيث جاء في المادة الحادية عشرة منه ما يلي: كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً الى ان تثبت ادانته قانوناً، بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه. (١)

وكذلك الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية، التي وافقت عليها الأمم المتحدة في (١٩٦٦/١٢/١٦)، حيث جاء في البند الثاني من المادة ١٤ منها: لكل فرد متهم بتهم جنائية الحق في ان يعتبر بريئاً مالم تثبت ادانته طبقاً للقانون. (٢)

جيم: للجريمة حسب القوانين الوضعية ثلاثة أركان رئيسية؛ الركن القانوني، والركن المادي، والركن المعنوي. فالركن القانوني هو الصفة غير المشروعة

---

(١) حقوق الانسان (سلسلة زدني علماً منشورات عويدات ـ لبنان) ص ١٤١.

(٢) المصدر / ص ١٧٠.

للفعل. والركن المادي ذات ثلاث ايضاً، هي الفعل والنتيجة الجرمية وصلة السببية. أما الركن المعنوي فهو الارادة. (١)

وإذا قارنّا هذه الأركان بحديثنا عن أركان الذنب، نجد ما يلي:

١/ لاريب ان الذنب انما هو يعتبر ذنباً إذا نزل به الوحي، وفعل أي شيء لم نعلم بحرمته لايعتبر ذنباً، وفي بحثنا هنا عرفنا اشتراط العلم بحرمة الشيء حتى يعتبر مرتكبه مذنباً.

٢/ أما القصد (الارادة والنية)؛ فمعلوم من الشريعة السمحاء أن المكره والمضطر، ومن لا اعتبار بقصده مثل المجنون والصبي والنائم لايؤاخذون بافعالهم. وقد قرأنا في حديث النبي صلى الله عليه وآله بيان ذلك من رفع تسعة عن أمته المرحومة. وجاء في حديث معروف عنه صلى الله عليه وآله، انه قال: " انما الأعمال بالنيات".

٣/ اما العناصر الثلاثة للركن الثاني، فهي:

أولاً: الفعل، وهذا هو المفهوم من قوله سبحانه: { **أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى* وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى** }. وهكذا يشترط فعل الذنب، حتى يعتبر الفاعل مذنباً. أما غير الفاعل، فلا يعتبر مذنباً بمجرد أنه صديق الفاعل او قريبه او ما أشبه.

ثانياً: النتيجة الجرمية؛ أي حدوث مفعول الفعل. فلو قصد شخص قتل انسان، ولكنه لم يوفق الى ذلك بسبب أو آخر، لايعتبر مجرماً. وكذلك قرأنا في آية قرآنية، أن هابيل قال لأخيه: { **مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ** }، مع انه كان قد قال له **(لاقتلنك)**. ذلك لأن مجرد نية القتل عند قابيل او أي شخص آخر، لا تجعله قاتلاً، ومستحقاً للعقاب.

---

(١) باختصار عن شرح قانون العقوبات اللبناني القسم العام للدكتور محمود نجيب حسني / ص ٥٦.

ثالثاً: صلة السببية؛ حيث أن القتل مثلاً يجب ان يتم بسبب فعل هذا الشخص، حتى يعتبر قاتلاً.

ويبدو ان هذا العنصر متحد مع العنصر الأول، وهو الفعل. فإن الفعل لا يسمى فعلاً، إلاّ إذا تحققت صلة السببية بينه وبين المفعول. والله العالم.

٨٨الاحصـان

على الانسان ان يصون حرماته، ويحصن نفسه وماله من السفه والعدوان، ولعل اول ما يُحصن الفرج وبالذات للمرأة (لأنه الأقرب الى الخطر)، ثم النفس، ثم المال.

وكذا كانت المحافظة على حرمات الانسان، مسؤولية مشتركة بينه وبين الآخرين. فكما لايجوز للاخرين أن ينتهكوا حرمتك، كذلك عليك ان تمنعهم من ذلك.

٨٨٨ معنى الاحصان:

والتأمل في كلمة الاحصان ومشتقاتها وموارد استعمالها، يجعلنا نفقه ثلاثة أبعاد لمعناها:

أولاً: ان يكون هناك شيء ذا قيمة يراد رعايته.

ثانياً: ان يحاط هذا الشيء بما يصونه.

ثالثاً: ان تكون هذه الصيانة مستقرة ومستمرة، بحيث يبعث صاحبها على الطمأنينة والسكينة.

وهكذا يختلف معنى الحصن عن الحفظ؛ فالحفظ هو صيانة الشيء عند بروز الخطر، بينما الحصن جعله في موقع أمن حتى إذا برز الخطر لا يطاله. فقد يدافع

الجند عن نفسهم في الصحراء. فهم يحافظون على انفسهم. ولكنهم انما يكونون في حصن، إذا دخلوا قلعة أو تترسوا بحاجز او ما أشبه.

وفي هذا المعنى يقول الاستاذ حسن المصطفوي: إن الحفظ يطلق في مقابل التعدي وفي معرض التجاوز، بخلاف الحصن فإن مفهومه كالعفة؛ حالة شخصية وملحوظة في نفسها من دون نظر الى خلافها وما يناقضها. فحقيقة معنى أحصنته: أي جعلته ذا حصن، لا حفظته. (١)

٨٨٨ **حصن المجتمع من الفساد الجنسي:**

والذي يحصن هو حرمات الانسان، وأبرزها؛ النفس والمال، وتحصن النفس من الشهوات العاتية، ومن العدوان.

أولاً/ وقد احصنت الصديقة مريم عليها السلام فرجها، (فكانت مثلاً سامياً للعفاف)، وجعلها الله وابنها آية للعالمين. قال الله سبحانه: **{ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ }** (الانبياء / ٩١).

ثانياً/ وقال سبحانه: **{ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ }** (التحريم / ١٢)

ونستوحي من الآية؛ ان الفرج (وهو تعبير يكن به عن حرمات المرأة)، مما يجب صيانته وحياطته بحصن منيع من الحجاب والعفة، واجتناب مواطن الشهوة، والابتعاد عن مثيرات الفتنة، وما أشبه.

ثالثاً/ وقد رغب الاسلام في نكاح المحصنات المؤمنات، وهن اللاتي احطن انفسهن بحائطة منيعة من العفاف والحجاب. فمن لم يقدر على ذلك بسبب عجزه المالي، جاز له ان ينكح من الفتيات المؤمنات وهن الاماء، ولا تؤخذه الحمية في

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم (طباعة بنكاه - ترجمه ونشر كتاب) ج ٢ / ص ٢٥٣.

نكاحه منهن، لان الله أعلم بايمان البشر. فلعل فتاة مملكوة أكثر ايماناً من بنت حرة، ثم إن بعض البشر من بعض، وان اكرم الناس عند الله أتقاهم.

وهكذا لابد ان تكون العلاقة مع الفتاة غير الحرة، علاقة نكاح وليست علاقة سفاح ظاهر او خلة باطنة؛ كما كانت شائعة في الجاهلية، حيث كان الاسياد يكرهون فتياتهم على البغاء. قال الله سبحانه: { **وَمَن لَّم يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** } (النساء / ٢٥)

ونستفيد من الآية:

ألف: ان احصان الحرة المؤمنة يتمثل في تقواها، وعفافها، وحسن حجابها، وابتعادها عن مواطن الريبة.

باء: ان احصان الفتاة المؤمنة يكون بالزواج، وهذا هو الغالب؛ وإلاّ فان كل من التقوى والزواج حصن للفتاة.

رابعاً/ وحرّم الله نكاح المرأة المحصنة التي دخلت بالزواج في حصن العفاف، ولكنه أحل الزواج المؤقت من المؤمنات شريطة ان يكون هدف الزواج المؤقت (المتعة) الاحصان وليس السفاح، وإن يدفع الرجل الأجر للمرأة. قال الله سبحانه: { **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَآءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَا وَرَآءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً** } (النساء/٢٤)

والذي نستفيده من الآية؛ أن من عوامل احصان المجتمع الاسلامي من السفاح (الزنا وسائر ألوان الفساد الجنسي) هو الزواج الموقت، حيث انه يستنفد الطاقة

الجنسية الاضافية التي قد تتوافر عند بعض الرجال. ولابد من وضع قناة سليمة لاستيعابها، حتى لا تنحرف بالمجتمع الى طريق الفساد.

خامساً/ ومرة أخرى يأمر ربنا سبحانه بالزواج من المؤمنات العفيفات، ويجوّز ايضاً الزواج من المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، ويشترط ألاّ تكون العلاقة معهن علاقة سفاح ظاهر او خفي. قال الله سبحانه: **{ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين }** (المائدة/٥)

ونستفيد من الآية؛ ان جواز النكاح من أهل الكتاب، وسيلة أخرى لتحصين المجتمع المسلم المختلط بأهل الذمة. فإن العلاقات الايجابية معهم قد توقع البعض من المسلمين في غرام فتياتهم، فإذا منع من الزواج منهن يخشى من السفاح معهن.

ونستوحي من الآية، وجوب التحفظ من الكفر بعد الايمان عند الزواج من فتيات أهل الكتاب.

سادساً/ والمرأة المحصنة تصان من ألسنة السوء، فإن حرمتها المعنوية كحرمتها المادية محفوظة. من هنا لم يجز اتهام المؤمنة التي أحصنت نفسها بالتقوى بالفاحشة، إلاّ إذا جاء باربعة شهداء. ومن قذفها من دون الاتيان بالشهداء الأربعة، يستحق ثمانين جلدة، واسقاط قيمة شهادته ابداً. قال الله سبحانه: **{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }** (النور/٤)

ونستفيد من الآية؛ ان من عوامل الاحصان، صيانة المجتمع من القذف ومن اشاعة التهم الجنسية.

سابعاً/ وقد لعن الله الذين يرمون المحصنات الغافلات. قال الله سبحانه: { **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** } (النور/٢٣)

ثامناً/ ومما كان يساهم في احصان المجتمع المسلم وصيانته من الفاحشة، منع الموالي من اكراه الفتيات المملوكات لهم على البغاء. قال الله تعالى: { **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** } (النور/ ٣٣)

٨٨٨ **حصن النفس من البأس:**

أولاً/ والنفس تصان من بأس الأعداء بلامة الحرب عموماً وبالذات بالدروع، وقد علّم الله سبحانه نبيه داوود صنعة لبوس لهذا الهدف. قال الله تعالى: { **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ** } (الانبياء/ ٨٠)

ثانياً/ كما ان الحصون والقلاع العالية تصون المجتمع من مباغتة الاعداء، وقد اشتهر اليهود في الجزيرة العربية بحصونهم المنيعة التي اخترقها المسلمون باذن الله. قال الله سبحانه: { **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَآ أُولِي الأَبْصَارِ**} (الحشر/ ٢)

ثالثاً/ وقال الله تعالى: { **لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ** } (الحشر/١٤)

٨٨٨ **حصن المال من التلف:**

وقد أمر الصديق يوسف عليه السلام بحفظ القمح، الذي كان طعاماً رئيسياً لأهل مصر، من أيام الوفرة والرخاء لايام القحط. قال الله سبحانه: { **ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ** } (يوسف/ ٤٨)

^^بصائر الآيات

١/ علـى الانسـان ان يحصـن نفسـه مـن الاخطـار الماديـة (البـأس)، والمعنويـة (الشهوات).

٢/ المجتمع يحصن من الشهوات الجنسية العارمة بوسائل شتى:

أولاً: تقوى المرأة التي تحصن فرجها.

ثانياً: الزواج.

ثالثاً: الزواج المؤقت (المتعة).

رابعاً: الزواج من الاماء عند الضرورة، ومن فتيات أهل الكتاب.

خامساً: صيانة شرف النساء من التهم.

سادساً: عدم اكراه الفتيات على البغاء.

سابعاً: منع السفاح والخدن.

٣/ ويصان الناس من الاعداء (بالدفاع الشخصي و) الثياب الواقية و (بالدفاع العام و) الحصون المنيعة.

٤/ ويصان الطعام (بوضعه في سنبله مثلاً) لايام الحاجة.

^^فقـه الآيـات

^^^ ١/ الدفاع الشرعي:

(الانبياء/ ٩١)، (الانبياء/ ٨٠)؛ وقال الله تعالى: { **وَأَنْفِقُوْا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**} (البقرة/ ١٩٥) وقال سبحانه: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**} (نساء / ٢٩).

الحياة قيمة، والمحافظة عليها واجب، سواءً كانت حياتك او حياة محترمة أخرى.

ومن سبل المحافظة على الحياة؛ الدفاع الشرعي عنها، وعن كرامتها. وهكذا اجاز الفقه، بل وأوجب المحافظة على النفس وعن العرض والكرامة وسائر الحرمات، وفيما يلي بعض التفصيل في ذلك.

٨٨٨٨ **الف: جواز الدفاع عن النفس**

يجوز الدفاع عن النفس وعن سائر الحرمات التي للانسان من عرض ومال وحق. وإذا ألحق ضرر بالمدافع فهو مأجور، وإن قتل مضى شهيداً. أما إذا ألحق ضرر بالمهاجم المعتدي فإنه هدر، وإن قتل ذهب مأثوماً.

قال المحقق (ره): للانسان ان يدفع عن نفسه وحريمه وماله ما استطاع. ثم قال: ويذهب دم المدفوع هدراً؛ جرحاً كان او قتلاً. ويستوي في ذلك الحر والعبد، ولو قتل الدافع كان كالشهيد. وقال العلامة النجفي في الجواهر شرحاً على كلامه ما يلي: لاخلاف ولا إشكال في أنه للانسان ان يدفع المحارب او اللص او غيرهما عن نفسه وحريمه وماله ما استطاع، للاصل والاجماع بقسميه (١) (محصلاً ومنقولاً).

وقال المحقق في موضوع آخر من كتابه، وهو يبين حكم اللص الذي يدخل داراً متغلباً (بالقوة) قال: اللص محارب، فإذا دخل داراً متغلباً كان لصاحبها محاربته.

---

(١) جواهر الكلام / ج ١٤ / ص ٦٦٣ - ٦٦٤.

فإن ادى الدفع الى قتله، كان دمه هدراً ضائعاً لا يضمنه الدافع، ولو جنى اللص عليه ضمن. (١)

٨٨٨٨٨ الدفاع الشرعى في القرآن الكريم:

وما يمكن ان يستدل به لجواز الدفاع الشرعي من آيات الذكر ما يلي:

١/ قال الله سبحانه: { **وَأَنْفِقُوْا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** } (البقرة / ١٩٥) لان الاستسلام للمتغلب نوع من التهلكة، سواءً طالت النفس او العرض او المال.

وقال تعالى: {**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** } (البقرة/١٩٤) لأن استخدام العنف ضدك اعتداء، أنّى استهدف المهاجم نفسك او مالك او عرضك او أي حق من حقوقك، حتى مجرد انتهاك حرمتك بالسب والشتم.

٢/ قال الله تعالى: { **وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** } (الشورى / ٤١ - ٤٢).

٣/ وقال تعالى: { **وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ** } (الشورى/٣٩).

وقال جل وعلا: {**إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ } (الشعراء / ٢٢٧)

ونستوحي من هذه الآيات؛ أن الانتصار للحق المنتهب مرغوب فيه، ولا سبيل على من انتصر، بل على الباغي الظالم. وحيث ان الدفاع الشرعي انتصار فهو جائز. ولا ضمان على المنتصر، لانه لا سبيل عليه.

---

(١) المصدر / ص ٦٢٨.

٤/ واساساً الآيات الدالة على احترام الحق واحترام المال والعرض والنفس، واحترام الدار والمسكن وما أشبه، تدل على جواز الدفاع عنها، لان ذلك هو معنى الحرمة. كما الآيات التي تدل على الاحصان، والتي تلوناها آنفاً تدل هي الأخرى على ذلك، لان معنى الحصن امكانية الدفاع عنه.

٨٨٨٨٨ **الدفاع الشرعي في السنة الشريفة:**

والسنة الشريفة اكدت على جواز الدفاع الشرعي، في نصوص كثيرة قد استفاضت على ألسنة الرواة. وفيما يلي نثبت بعضها، بينما تجد في البحوث القادمة طائفة أخرى منها:

١/ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اللص محارب لله ولرسوله فاقتلوه، فما دخل عليك فعليَّ. (١)

٢/ عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: إذا دخل عليك اللص يريد أهلك ومالك فان استطعت أن تبدره وتضربه فابدره واضربه، وقال: اللص محارب لله ولرسوله فاقتله، فما منك منه فهو عليَّ. (٢)

٣/ عن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: إن الله ليمقت العبد يدخل عليه في بيته فلا يقاتل. وقال ايضاً: إذا دخل عليك رجل يريد اهلك ومالك فابدره بالضربة إن استطعت، فان اللص محارب لله ولرسوله، فما تبعك منه شيء فهو عليَّ. (٣)

٤/ عن جعفر، عن أبيه، عن علي عليه السلام أنه أتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين عليه
السلام إن لصاً دخل على امرأتي فسرق حليّها. فقال: أما أنه لو دخل على ابن صفية لما رضي بذلك حتى يعمه بالسيف. (٤)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٨ / ص ٥٤٣ / الباب ٧ / ح ١.
(٢) المصدر / ح ٢.
(٣) المصدر / ج ١١ / ص ٩١ / الباب ٤٦ / ح ٢و٣.
(٤) وسائل الشيعة / ج ١١/ ص ٩١ / الباب ٤٦ / ح ١.

٥/ عن أبي أيوب قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من دخل على مؤمن داره محارباً له فدمه مباح في تلك الحال للمؤمن وهو في عنقي. (١)

٦/ عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في رجل أمر رجلاً بقتل رجل [فقتله]، فقال: يقتل به الذي قتله، ويحبس الآمر بقتله في الحبس حتى يموت. (٢)

٧/ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا اطلع رجل على قوم يشرف عليهم أو ينظر من خلل شيء لهم فرموه فأصابوه فقتلوه أو فقؤوا عينيه فليس عليهم غرم. وقال: إن رجلاً اطلع من خلل حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بمشقص ليفقأ عينه فوجده قد انطلق، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أي خبيث أما والله لو ثبت لي لفقأت عينك. (٣)

٨٨٨٨ باء: وجوب الدفاع عن النفس

وفيما سبق تحدثنا عن جواز الدفاع الشرعي، وفيما يلي نتحدث عن مدى وجوبه. ولكن لأن الفقهاء قسموا الدفاع الشرعي الى اقسام تتفاوت أحكامها وذلك تبعاً للادلة، فإننا ايضاً ننهج ذات المنهج ونبدء بالبحث عن الدفاع عن النفس، حيث قال الشهيد الثاني في المسالك: والأقوى وجوب الدفع عن النفس والحريم مع الامكان، ولا يجوز الاستسلام. فإن عجز ورجا السلامة بالكف والهرب وجب. (٤)

وقال صاحب الجواهر: اما المدافعة عن النفس فالظاهر وجوبها بما يتمكن، وان علم عدم الدفع عنها، إلا أن الساعة والساعتين، بل الأقل منهما تكفي في ذلك. (٥)

---

(١) المصدر / ج ١٨ / ص ٥٤٣ / الباب ٧ / ح ٣.
(٢) المصدر / ج ١٩ / ص ٣٢ / الباب ١٣ / ح ١.
(٣) المصدر / ج ١٩ / ص ٤٩ / الباب ٢٥ / ح ٦.
(٤) جواهر الكلام / ج ١٤ / ص ٦٦٥.
(٥) المصدر / ص ٦٦٦.

واستدل على ذلك في كشف اللثام بما يلي: بوجوب دفع الضرر عقلاً، والنهي عن المنكر بمراتبه. وقول ابي جعفر عليه السلام في خبر غياث: إذا دخل عليك اللص يريد أهلك ومالك، فإن استطعت ان تبدره وتضربه، فابدره وأضربه. (١)

ومن المعلوم ان الشرع المقدس يحترم حياة البشر، ومنها حياة الفرد نفسه. وقد جاء في الكتاب قوله تعالى: **{وَأَنْفِقُوْا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }** (البقرة / ١٩٥) وأي تهلكة اعظم من الاستسلام للمجرم الذي يريد قتله؟ وهذا حكم العقل الذي يؤيده الشرع. وإذا عرفنا ان الدفاع الشرعي يساهم في اشاعة السلام وبث السكينة وتأمين الأمن الاجتماعي، مساهمة فعالة قد تكون اكثر من النظام السائد نفسه؛ إذا عرفنا ذلك، عرفنا سبب جعله واجباً وليس مجرد حق. يقول (كارون): إن الخوف والرعب من الدفاع الشرعي يفزع الأشرار، ويخيفهم أكثر من التهديد بسجنهم في المستقبل، وهو غالباً ما يكون غير مؤكد. (٢)

وقد جاء في النصوص التالية ما يصلح دليلاً على وجوب الدفاع عن النفس، دعنا نستمع معاً إليها:

١/ جاء في كتاب علاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، قال: سألت (الامام عليه السلام) عن الرجل يقتل دون ماله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قتل دون ماله قتل شهيداً، ولو كنت انا لتركت له المال ولم اقاتله. (٣)

وعن كتاب دعائم الاسلام مثله، وفيه: ولم اقاتل عليه، وإن اراد القتل لم يسع للمرء المسلم إلاّ المدافعة عن نفسه. (٤)

---

(١) جواهر الكلام / ج ١٤ / ص ٦٦٥.

(٢) تجاوز الدفاع الشرعي للدكتور داود العطار / ص ٩.

(٣) مستدرك الوسائل / ج ٢ / ص ٢٤٣ (كتاب الجهاد / ابواب جهاد العدو / الباب ٣٩ / ح ١-٢).

(٤) المصدر.

٢/ وعن صحيفة الرضا عليه السلام باسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله ليبغض من يدخل عليه في بيته، فلا يقاتل. (١)

وفي معنى هذا الحديث روايات أخرى. (٢)

أما آراء فقهاء المذاهب في ذلك، فقال الدكتور العطار: فازاء جرائم الاعتداء على النفس ذهب الجمهور الى وجوب الدفاع مطلقاً. (٣)

ونقل عن ابن حزم قوله: فرض على المظلوم الى ما يمكنه به الدفع عن نفسه، وإن كان في ذلك اتلاف نفس اللص والقاطع من اول وهلة. (٤)

ولكن لم أجد في نصوصهم ما يتبين الأدلة الوافية على الوجوب. ولعل المسألة كانت واضحة لديهم، فلم يستدلوا عليها باسهاب.

وقال الفقهاء؛ انه يجب ان يدافع الانسان عن نفسه بالأخف فالأخف، ولايبادر بالقتل. قال المحقق في الشرائع: ولا يبدءه مالم يعلم قصده اليه، وله دفعه مادام مقبلاً، ويتعين الكف مع ادباره. ولو ضربه فعطل لم يذقن عليه، (٥) لاندفاع ضرره. ولو ضربه مقبلاً فقطع يده، فلا ضمان على الضارب في الجرح، ولا في السراية. ولو ولّى فضربه أخرى، فالثانية مضمونة. (٦)

ولكن صاحب الجواهر شكك في وجوب الترتيب لولم يكن في المسألة اجماع، فقال: ان مقتضى اطلاق النصوص عدم الترتيب المزبور، خصوصاً في المحارب

---

(١) المصدر / ح ٣.

(٢) راجع وسائل الشيعة (كتاب الجهاد / الباب ٤٦ / من ابواب جهاد العدو / ح ٢).

(٣) تجاوز الدفاع الشرعي ص ١٧ / نقلاً عن الزيلعي " تبيين الحقائق" (١٣١٥ هـ) ج ٦ / ص ١١٠ الشر بيني " مغني المحتاج" (١٩٥٥م) ج ٤ / ص ١٩٥ وغيرها من المراجع.

(٤) المصدر / ص ١٥٨.

(٥) لم يجهز عليه ليقتله.

(٦) جواهر الكلام / ج ١٤ / ص ٦٦٧.

واللص المحارب والمطلع على عيال غيره، بل مطلق الدفاع. فإن لم يكن اجماعاً أمكن المناقشة فيه، بل لعل السيرة على خلافه. (١)

وايده في هذا القول آية الله الشيرازي، حيث قال: ولا يخفى انه لا اجماع في المقام.

وأضاف: إن روايات قتل الصعلوك والكردي (قطاع الطرق) ظاهرة في عدم الترتيب. (٢)

ولكن المسألة بحاجة الى مزيد من التفصيل، لان حرمة الدماء واحترام النفس البشرية وضرورة درء الخطر بأقل ما يمكن من الضرر.. كل ذلك يجب ان يوضع الى جنب أدلة امكان البدار الى الدفاع الشرعي، ويستنبط منها قوانين دقيقة او لاأقل من معايير واضحة.

٨٨٨٨ **جيم: الدفاع عن العرض**

والدفاع عن العرض إذا تعرّض لخطر، اعتبره بعض الفقهاء واجباً، بينما اعتبره البعض جائزاً. فقال في ذلك العلامة النجفي في كتابه الجواهر: وأما العرض ففي الرياض هو محل نظر، بل الظاهر جواز الاستسلام كما صرّح به في التحرير وغيره، لأولوية حفظ النفس من حفظ العرض. كما يستفاد من جملة من الاخبار الواردة في درء الحد عن المستكرهة على الزنا، معللة بقوله تعالى: { **فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ** }. (٣)

ولكن صاحب الجواهر استشكل على هذه النظرة، فقال: ان أهمية حفظ النفس من العرض - بعد تسليمها - مع التعارض، لا في الدفاع المعلوم فيه النجاة او المظنون فيه ذلك. والمفروض وجوب العرض - كالنفس - ولا دليل على الإذن في

---

(١) المصدر / ص ٦٦٤.

(٢) الفقه / ج ٨٨ / ص ٣٦٥.

(٣) جواهر الكلام / ج ١٤ / ص ٦٦٥.

الاستسلام كالمال. والاخبار الواردة في سقوط الحد عن المستكرهة المعللة بما ذكر، مساقة لبيان حكم الإكراه الذي لايتمكن معه الدفع كما لو قيد (الكاره) المرأة مثلاً. (١)

ثم نقل عن الشهيد الثاني وجوب الدفاع عن العرض في عبارته التي اسلفناها، واستدل على وجوب الدفاع عن العرض بما ذكره الفاضل الهندي في كشف اللثام بقوله: لوجوب دفع الضرر عقلاً والنهي عن المنكر بمراتبه. (٢)

واستدل ايضاً بذات الروايات التي سبق وان نقلناها في مسألة الدفاع عن النفس، وأضاف: وخروج المال (عن وجوب الدفاع عنه) بالرخصة في ما سمعته من النصوص لا يقتضي آفاق غيره (اي العرض مثلاً) به، بل قد يشعر الاقتصار فيها على المال بعدم ذلك في غيره من النفس والعرض، مضافاً الى وجوب دفع الأقل ضرراً بالأعظم، ولاريب في اهمية العرض من النفس عند ذوي النفوس الأبية. (٣)

وهكذا استدل العلامة النجفي على قوله بوجوب الدفاع عن العرض.

أولاً: بعمومات وجوب دفع المعتدي. انما استثني المعتدي على المال منها لدليل خاص، والمراد من العمومات الاحاديث التي أسلفناها عند الحديث عن الدفاع عن النفس.

ثانياً: بدليل العقل، حيث يوجب العقل دفع الضرر ولأن الاعتداء على العرض، يعتبر ضرراً فانه يجب دفعه. ويصدق هذا عند عدم احتمال الضرر على النفس. أما عند ذاك، فإن الأمر يختلف كما سيأتي الحديث عنه انشاء الله.

ثالثاً: ويمكن ان يستدل ايضاً على وجوب الدفاع عن العرض بالآيات التي سبقت حول حصانة العرض، فاحصان الفرج لا يتحقق عند عدم الدفاع عنه.

---

(١) المصدر.

(٢) المصدر.

(٣) جواهر الكلام / ج ١٤ / ص ٦٦٦.

رابعاً: وبالآيات التي سوف نتحدث عنها انشاء الله لاحقاً، والتي اوجبت اقامة القسط. وإذا ترك الانسان الجاني حراً للاعتداء على العرض، فإنه اعانه على اشاعة الظلم وليس القسط.

خامساً: بكل الأدلة التي تأمر الانسان بحفظ شرفه، كقوله سبحانه: **{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ }** (المؤمنون / ٥)، فان حفظ الفرج لايتحقق من دون الدفاع عنه.

هذا فيما إذا لم يكن احتمال القتل، اما معه فقد احتمل العلامة النجفي وجوب حفظ العرض ايضاً، فقال: نعم لو علم القتل وانه لايدفع عنه شيء، احتمل القول حينئذ بالحرمة حفظاً للنفس مع احتمال المدافعة عنه جوازاً او وجوباً كالنفس. (١)

ولكن آية الله الشيرازي يرى غير ذلك، حيث يقول: نعم الظاهر عدم وجوب ذلك للأصل. وخبر المستكرهة وظهور رواية البرقي في الجواز. (٢)

اقول: أما الأصل فقد عرفت أن أدلة حفظ العرض حاكمة عليه. وأما خبر المستكرهة فهو؛ عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن علياً عليه السلام أُتي بامرأة مع رجل فجر بها فقالت: استكرهني والله يا أمير المؤمنين، فدرأ عنها الحد، ولو سئل هؤلاء عن ذلك لقالوا: لا تصدّق، وقد والله فعله أمير المؤمنين عليه السلام. (٣)

اما رواية البرقي؛ عن الرضا عليه السلام، عن الرجل يكون في السفر ومعه جارية له فيجيء قوم يريدون أخذ جاريته أيمنع جاريته من أن تؤخذ وإن خاف على نفسه القتل؟ قال: نعم. قلت: وكذلك إذا كانت معه امرأة؟ قال: نعم. قلت: وكذلك

---

(١) المصدر.

(٢) الفقه / ج ٨٨ / ص ٣٧١.

(٣) وسائل الشيعة / ج ١٨ / ص ٣٨٢ / الباب ١٨ / ح ١.

الام والبنت وابنة العم والقرابة يمنعهن وإن خاف على نفسه القتل؟ قال: نعم. قلت: وكذلك المال يريدون أخذه في سفر فيمنعه وإن خاف القتل؟ قال: نعم. (١)

وهذه الرواية لاتدل على الجواز، لانها في معرض الحديث عن الجواز بالمعنى الأعم لرد احتمال الحرمة.

بلى؛ اقوى الأدلة على جواز الاستسلام، أدلة الاكراه والاضطرار، وادلة وجوب الحفاظ على النفس، ومنها قوله تعالى: **{ وَأَنْفِقُوْا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }** (البقرة/١٩٥). وإذا قلنا بعدم وجوب الدفاع عن العرض عند خوف القتل، فهل يجوز ذلك أم لا؟

الأدلة التي تحرض على الدفاع عن النفس والعرض والمال، وتؤكد بأن من قتل دون أي واحد منها فهو شهيد، انها تكفي حجة على الجواز، والله العالم.

٨٨٨٨ دال: الدفاع عن المال

أما جواز الدفاع عن المال فقد سبق الحديث عنه، وقد ذهب بعض الفقهاء الى وجوب الدفاع عنه في حالة واحدة، وذلك عندما يتحمل بفقدانه ضرراً بالغاً. يقول في ذلك الشهيد في القواعد: " وللانسان ان يدافع عن المال كما يدافع عن نفسه وإن قل، ولكن لايجب. ووافقه على ذلك الفاضل الهندي في كشف اللثام، ثم قال: إلا مع الاضطرار والتضرر بفقده ضرراً يجب دفعه عقلاً او كان المال لغيره امانة في يده. وربما وجب الدفع عنه مطلقاً، من باب النهي عن المنكر. (٢)

ويجب تقييد كلامه بصورة عدم الخوف على النفس، وعنده يرتفع الوجوب ويبقى الجواز، لأن الخوف يجعله مورداً لادلة نفي الإكراه والاضطرار.

ويمكن ان يقال انه في ظروف الاعتداء على المال، يفضل ترك المال للناهب عند احتمال خطر على النفس، تأسياً برسول الله صلى الله عليه وآله الذي روي

---

(١) المصدر / ج ١١ / ص ٩٣ / الباب ٤٦ / ح ١٢.

(٢) جواهر الكلام / ج ١٤ / ص ٦٦٦.

عنه صلى الله عليه وآله قوله: من قتل دون ماله قتل شهيداً، ولو كنت انا لتركت له المال ولم أقاتله. (١)

والحكيم يوازي بين الخسائر والارباح، ويعمل بحكمته. فقد تكون نسبة الخوف ضعيفة والمال كثير، فالدفاع أفضل. وعند العكس يكون التغاضي عن المال أفضل، إلاّ إذا كان في الدفاع عن المال فائدة أمنية او غيرها.

٨٨٨٨ هاء: الدفاع عن الكرامة

وحرمات الناس كثيرة، والاعتداء عليها يقابل بالقصاص. ولكن هل يجوز الدفاع عنها، وبأية طريقة؟

لقد ذكر الفقهاء طائفة من الحرمات التي يجوز للمرء الدفاع عنها، حتى ولو أدى الى الاضرار بالمعتدي.

١/ قال المحقق الحلي: لو وجد مع زوجته او مملوكته او غلامه من ينال دون الجماع، فله دفعه. فأنى أتى الدفع عليه، فهو هدر.

واضاف في الجواهر زيادة فقال: او ولده او بنته او أحد أرحامه. وشرح النيل بالفاحشة، ثم قال: بلا خلاف ولا اشكال. واضاف: لانه عرض الذي عرفت قوة احتمال مساواته للنفس. (٢)

وهو جيد، لأنه عرض، والاعتداء عليه يدخل عند المسلمين في عداد الاعتداء على الشرف.

٢/ وقال المحقق: من اطلع على قوم، فلهم زجره. فلو أصرّ فرموه بحصاة او عود فجنى ذلك عليه، كانت الجناية هدراً.

---

(١) مستدرك الوسائل / ج ٢ / ص ٤٦٢ / كتاب الجهاد / ابواب جهاد العدو / الباب ٣٩ / ح ١.
(٢) جواهر الكلام / ج ١٤ / ص ٦٦٩.

وعلق على ذلك في الجواهر: بلا خلاف، بل الاجماع بقسمية (محكياً منقولاً ومعلوماً محصلاً). ثم قال: لأنه من المدافعة عن العرض، مضافاً الى النصوص التي قدمناها في المحارب. (١)

وفيما يلي نتلو طائفة من الاحاديث التي تدلنا على ذلك:

أ/ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا اطلع رجل على قوم يشرف عليهم أو ينظر من خلل شيء لهم فرموه فأصابوه فقتلوه أو فقؤوا عينيه فليس عليهم غرم. وقال: إن رجلاً اطلع من خلل حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بمشقص ليفقأ عينه فوجده قد انطلق، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أي خبيث أما والله لو ثبت لي لفقأت عينك. (٢)

ب/ وفي الحديث النبوي قال صلى الله عليه وآله: من اطلع عليك فحذفته بحصاة، ففقأت عينه، فلا جناح عليك. (٣)

ج/ عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: عورة المؤمن على المؤمن حرام. وقال: من اطلع على مؤمن في منزله فعيناه مباحة للمؤمن في تلك الحال، ومن دمر على مؤمن بغير إذنه فدمه مباح للمؤمن في تلك الحالة. (٤)

ولكن يجب ان يكون اطلاع الفرد، بحيث يطلع على عورة. اما اذا كان البيت فارغاً، او كانت النساء في مأمن من نظره وما أشبه، فالأمر يختلف لذلك. قال المحقق: ولو كان المطلع رحماً لنساء صاحب المنزل، اقتصر على زجره. ثم قال: ولو كان من النساء (امرأة) مجردة زجره ورماه، لانه ليس للمحرم هذا الاطلاع. (٥)

---

(١) جواهر الكلام / ج ١٤ / ص ٦٦٩.

(٢) وسائل الشيعة / ج ١٩ / ص ٤٩ / الباب ٢٥ / ح ٦.

(٣) عن البخاري / ج ٩ / ص ٧ و ١١ / (باب من أخذ حقه او اقتص دون السلطان).

(٤) وسائل الشيعة / ج ١٩ / ص ٤٨ / الباب ٢٥ / ح ٢.

(٥) جواهر الكلام / ج ١٤ / ص ٦٧٠.

اقول: للمسكن حرمة(١) وللانسان ان يدافع عن حرماته، حتى ولو لم يؤد التطلع الى المسكن او الدخول فيه الى حرمة أخرى؛ كالتعرض للنفس والعرض والمال. ولكن يبقى السؤال: هل يجوز ان يدافع المرء عن مسكنه او أية حرمة مشابهة له بلا حدود، حتى ولو أدى ذلك الى هلاك أحد الطرفين؟ قد يقال بذلك لاطلاق الحديث المأثور عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من قتل دون مظلمته فهو شهيد. (٢)

وعن أبي مريم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قتل دون مظلمته فهو شهيد، ثم قال: يا أبا مريم هل تدرى ما دون مظلمته؟ قلت: جعلت فداك الرجل يقتل دون أهله ودون ماله وأشباه ذلك. فقال: يا أبا مريم إن من الفقه عرفان الحق. (٣)

والمسألة بحاجة الى مزيد من التأمل، بالرغم من ان اطلاق الآيات الكريمة التي اجازت الانتصار من بعد الظلم تشمله، والله العالم.

٣/ قالت الشافعية: فلمن سبّه شخص ان يسبّه مثل ما سبّه به، بشرط ان لايكون كذباً ولا قذفاً نحو ظالم أحمق، لانه لايخلو أحد عنهما. ولا يجوز سب أصله ولا فرعه، وإذا انتصر بسببه فقد استوفى ظلامته وبرئ الآخر من حقه. ولا تعزير عليهما لكثرة وقوع ذلك، وعلى الأول اثم الابتداء بحق الله تعالى. (٤)

وقد يستدل على كلامهم بالآية الشريفة: { **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ**

---

(١) نتحدث انشاء الله عن حرمة المساكن في هذا الكتاب.

(٢) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ٩٢ / الباب ٤٦ / ح ٨.

(٣) المصدر / الحديث ٩.

(٤) تجاوز الدفاع الشرعي ص ١٥٩ نقلاً عن القليوبي: حاشيته على شرح العلاقة / ج ٤ / ص ١٨٥.

قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } (البقرة / ١٩٤).

ولكن إذا استوجب السب مخالفة شرعية مثل اشاعة الفاحشة، فإنه لايجوز. ومن هنا جاء في الحديث عن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين افترى كل واحد منهما على صاحبه؟ فقال: يدرأ عنهما الحد ويعزران. (١) والتعزير دليل الحرمة، والله العالم.

٨٨٨٨ واو: الدفاع عن حرمات الآخرين

الدفاع عن حرمات الآخرين المؤكدة (النفس والعرض والمال)، كما الدفاع عن حرمات الفرد نفسه سائغ، بل واجب.

وقد نقل الدكتور العطار عن المرجع الخوئي قوله: حفظ نفس الغير لم يثبت (وجوبه) بدليل لفظي وانما ثبت ذلك باهتمام الشارع بالنفس. وقال: حرمة مال المسلم كحرمة دمه، وعليه فيكون التحفظ على مال الغير والدفاع عنه واجباً. (٢)

وقال المرجع الشيرازي (عرف مما سبق حكم ما) إذا أراد المهاجم نفس اقرباءه (المدافع) او غير اقرباءه، وإن للانسان ان يدافع وجوباً لاطلاق الادلة، (٣) وكذلك قال بالنسبة الى عرض الآخرين ومالهم. (٤)

ونقل العطار عن فقهاء المذاهب الاسلامية قولين؛ قولاً بوجوب الدفاع عن حرمات الآخرين، وقولاً بجوازه. والادلة التي تقام على وجوب الدفاع هي التالية:

١/ قول الله سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ**

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٨ / ص ٤٥١ / الباب ١٨ / ح ١.

(٢) تجاوز الدفاع المشروع ص ١٦١ عن رسالة خطية منه (ره).

(٣) الفقه / ج ٨٨ / ص ٣٦٨.

(٤) المصدر / ص ٣٧٠ - ٣٧٤.

تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وإِن تَلْوُو أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} (النساء/١٣٥)

وقد سبق الحديث عن هذه الآية وسائر الآيات التي تأمر باقامة القسط في المجتمع والدفاع عن العدالة، وذلك في بحث العدل. ودلالة هذه الآيات واضحة على ضرورة نصرة المظلوم وردع الظالم بأية وسيلة ممكنة.

٢/ قول الله سبحانه: { **وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَدُنكَ نَصِيراً}** (النساء/٧٥)

والآية تدل على ضرورة ردع المستكبر عن ظلم المستضعف ولو بقوة السلاح، وهي مطلقة وتشمل حال كل مظلوم وظالم.

٣/ وروي عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام، انه قال: يضحك الله إلى رجل في كتيبة يعرض لهم سبع او لص فحماهم أن يحوزوا. أقول: الضحك هنا مجاز، ومعناه إن الله يرضى بفعل هذا الرجل ويحبه ويثيبه عليه. (١)

٤/ وعن جعفر، عن أبيه، عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم. (٢)

٥/ وعن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: إذا قدرت على اللص فابدره وأنا شريكك في دمه. (٣)

٦/ وعن عبد الله بن عامر قال: سمعته يقول وقد تجارينا ذكر الصعاليك: حدثني أحمد بن إسحاق أنه كتب إلى أبي محمد عليه السلام يسأله عنهم فكتب إليه: اقتلهم. (٤)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١١ / ص ١٠٨ / الباب ٥٩ / ح ٣.
(٢) المصدر / ج ١٨ / ص ٥٩١ / ابواب الدفاع / الباب ٧ / ح ١.
(٣) المصدر / ص ٥٨٧ / ابواب الدفاع / الباب ١ / ح ١.
(٤) المصدر / ص ٥٨٨ / ابواب الدفاع / الباب ٢ / ح ١.

وهذه الأحاديث ذات دلالة على جواز الدفاع عن حرمات الناس. وقد وردت بعض الأحاديث النبوية في ذلك ايضاً، وهي أبلغ دلالة، منها ماروي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام قوله: " لا تقفن عند رجل يقتل مظلوماً، فان اللعنة تنزل على من حضر ولم يدفع
عنه ". (١)

وروي عنه، انه قال: " ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوماً، فإن اللعنة تنزل على من حضر ولم يدفع عنه ". (٢)

وربما يستدل بقوله سبحانه: { **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**} (الحج / ٣٠). وقوله سبحانه: { **التَّآئِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الأَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** } (التوبة / ١١٢).

حيث ان النفوس والاعراض والاموال من حرمات الله التي ينبغي تعظيمها، وهي من حدود الله التي يجب حفظها. وقد أمر الاسلام بالنهي عن المنكر، وقد جاء في بعض الأحاديث ضرورة النهي عن المنكر بحد السيف، حيث روي عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام قوله: ايها المؤمنون؛ إنه من رأى عدواناً يعمل به، ومنكراً يدعى اليه، فأنكره بقلبه، فقد سلم وبرئ؛ ومن أنكره بلسانه فقد اجر، وهو أفضل من صاحبه؛ ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الظالمين هي السفلى، فذلك الذي اصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق، ونوّر في قلبه اليقين. (٣)

---

(١) تجاوز الدفاع الشرعي / ص ١٦٠ / عن الغزالي في كتابه احياء العلوم ط سنة ١٣٢٦ هـ / ج ٢ / ص ٢٢٣.

(٢) المصدر.

(٣) نهج البلاغة قصار الحكم / ٣٧٣.

ومثل هذه الرواية الشريفة احاديث أخرى مستفاضة في باب النهي عن المنكر.

٨٨٨٨ زاء: حكمة في البحث المقارن

وكلمة أخيرة في الدفاع الشرعي؛ ان القوانين الوضعية قد أقرت الكثير من مباني الفقه الاسلامي بعد مرورها بمراحل تكاملية، حتى بلغت قريباً من مستوى الفقه الاسلامي. وفيما يلي نستمع الى نصين في هذا الحقل:

النص الأول: يقول الدكتور محمود نجيب حسني عن الدفاع المشروع: الدفاع المشروع هو استعمال القوة اللازمة لصد تعرض غير محق ولامثار يهدد بايذاء حقاً (حق) يحميه القانون. (١)

ويضيف قائلاً: يفترض الدفاع المشروع التهديد بخطر ثم دفعه عن طريق فعل يمس حق الغير. (٢)

ويضيف: فإذا لم يكن ثمة خطر على الاطلاق - لانه لم يرتكب فعل او ارتكب فعل لا يهدد بخطر - فلا محل للدفاع.

ويتوسع القانون في تحديد الخطر الذي يقوم به الدفاع المشروع، فيستوي خطر يهدد المدافع نفسه وخطر يهدد غيره.

ويعني ذلك ان الشارع يبيح لكل شخص ان يدافع عن حقوقه، كما يبيح له ان يدافع عن حقوق غيره، ولا يتطلب القانون صلة تربط بين من يصدر عنه فعل الدفاع وصاحب الحق المتعدى عليه. والدفاع جائز عن النفس وعن المال، والدفاع جائز سواءً أكان الخطر جسيماً ام غير جسيم. (٣)

وهذا النص - كما ترى - قريب جداً من اراء الكثير من فقهائنا، التي سبق الحديث عنها.

---

(١) شرح قانون العقوبات اللبناني / ص ٢٠٩.

(٢) المصدر / ص ٢١٠.

(٣) المصدر / ص ٢١٣ - ٢١٤.

النص الثاني: يقول المرحوم الدكتور العطار الذي ألّف كتاباً رائعاً في هذا الحقل: ان المجرمين لا يقترفون جرائمهم، إلاّ حيث يأمنون سطوة القانون، وبطش السلطة العامة. وقد يرتكبونها دونما اكتراث او مبالاة. (١)

ويضيف قائلاً: فاهمية الدفاع الشرعي تتجلى في تفويت الفرصة التي يعتبرها الأشرار سانحة فيهتبلونها للاجرام بعيداً عن هيمنة الدولة، فيحافظ الدفاع الشرعي على استتباب الأمن قبل الاخلال به. (٢)

ثم يبين موقف القوانين الوضعية من الدفاع الشرعي قائلاً: إذا كان الاتجاه السائد في النظم التشريعية الحديثة، ان يشمل الدفاع الشرعي جرائم الاعتداء على النفس والمال والشرف والاعتبار، سواءً بالنسبة للمعتدى عليه او لغيره ولو كان اجنبياً عنه. فإن هذا الرأي ظل لمدة طويلة مختلفاً فيه، وما تزال حتى اليوم بقايا الخلافات، سواءً في النظم التشريعية او الآراء الفقهية. (٣)

ثم يستعرض باسهاب كيف كان القانون الوضعي في مختلف البلاد متخلفاً عن حاجات الدفاع الشرعي، وبالذات في فرنسا وايطاليا وبلجيكا، وهكذا في مصر والعراق. (٤)

ثم يقول: ويمكن القول ان الفقه الاسلامي قد احرز قصب السبق في اقرار الدفاع مخصصاً طبيعته بحسب الموضوع والظروف، والتوسع في مجاله حتى شمل جميع المصالح الانسانية والحقوق المشروعة. ويشهد على هذه الميزة في العصر الحديث فقهاء القانون الوضعي، فهم إذ يفاضلون بين النظم، يجعلون النظام الذي لايميز بين ما يستهدفه الاعتداء هو النظام الاصوب المعقول، ويطالبون بان تكون كل المصالح القانونية محمية بالدفاع ضد أي خطر غير مشروع.

---

(١) تجاوز الدفاع الشرعي / ص ٩.

(٢) المصدر.

(٣) تجاوز الدفاع الشرعي / ص ١٠.

(٤) راجع ص ١٠ - ١٤.

ومن الفقهاء من يطالب بالتوسع في مجال الدفاع الشرعي، ويرون وجوب ذلك لا لمصلحة المعتدى عليه فحسب، بل وللمصلحة العامة ايضاً. ويؤكدون على ضرورة تيسير ممارسته، وليس التوسع في مجاله فحسب. وهذا كله مما سبق اليه الفقه الاسلامي قبل قرون طويلة. (١)

وفي الختام لنا كلمتان:

الاولى: ان النهي عن المنكر جانب هام من مشروع الدفاع عن حرمات المجتمع. ولو اننا درسناه في افُقه الواسع ثم طبقناه بأمانة واخلاص، لكان الأمن سائداً في بلادنا وبسهولة.

الثانية: إن الدفاع المشروع هو جانب هام من بناء كيان الاحصان كقيمة اجتماعية توفر الأمن والسلام، ولكنه ليس كل شيء. ومن هنا فإننا سوف نستعرض الجانب الآخر من قيمة الاحصان بتوفيق الله تعالى.

٨٨٨ ٢/ بناء الحصون المنيعة:

{ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَآ أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِيْ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً} (النساء / ٣٤)

{ اِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّآئِمِينَ وَالصَّآئِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيمًا } (الاحزاب / ٣٥)

---

(١) المصدر / ص ١٨.

{ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الاَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (المائدة / ٨٩)

{ التَّآئِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الأَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (التوبة / ١١٢)

{ إِنَّآ أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِايَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (المائدة / ٤٤)

لكي تبقى الحياة آمنة، والاعراض والاموال سالمة فيها، فلابد من بناء حصون منيعة تصون الأمن والسلام، وتبعث بالطمأنية والسكينة. والوسائل الأمنية المتبعة في الاسلام،

قد تحدثنا عنها بإذن الله تعالى في فصل الأمن، هي بعض السبل المؤدية الى السلام.

ولكن على ابناء المجتمع ان يكونوا على استعداد تام لدفع ثمن الأمن، وذلك بحفظ انفسهم واعراضهم وثرواتهم وحقوقهم بشتى السبل. وفيما يلي اشارة عابرة الى بعضها:

٨٨٨٨ **ألف: حصانة العرض**

العفاف وحرمة التبرج بزينة، ورعاية احكام وآداب حياة المرأة، ومنهجية علاقاتها مع الرجال، واحكام وآداب العشرة الزوجية.. كلها حصون منيعة تصون المجتمع من هجمات الفساد.

وفقه المرأة في الشريعة الاسلامية واسع، وعلينا تعلمه، والاجتهاد في تطبيقه، والمصابرة عليه. ونحن نشير الى بعض ما يتصل بالحياة العصرية، منها:

١/ لان الحياة اليومية أصبحت تفرض على المرأة في كثير من البلاد المساهمة الجادة فيها، ولأن واجبات الحمل والرضاعة والتربية تتعارض عادة مع عمل المرأة. فلابد من سن تشريعات مناسبة تحصن المرأة من قسوة العمل، وتوفر لها فرصة الاهتمام بشؤونها الانثوية، وبالذات عفافها ونعومتها ووظيفتها كريحانة وليست كقهرمانة.

٢/ ولابد من تثقيف المرأة بما يتناسب وفطرتها الناعمة، ومسؤولياتها الزوجية، خصوصاً وإن الثقافة المفروضة عليها هي ثقافة الرجال. وإن الاهتمام بدروس الجغرافيا والرياضيات في مدارس البنات اكثر من دروس الحمل والرضاعة والتربية، وهذه تتنافى ودورها الأساسي، بل انها ظلم فاضح لها.

٣/ وإن اثارة الغرائز الجنسية عند الفتيات من دون اشباعها بالسبل المناسبة، لهي من أشد المنكرات الشائعة. وعلينا وقف هذه الاثارات، سواءً كانت عبر القصص والافلام، او عبر الاختلاط بالشباب، او التزاحم في الاسواق او ما أشبه.

٤/ الفن المعماري المستورد والذي اشاعته ثقافة التمييع، لا يسمح للمرأة التمتع بحريتها في بيتها، وهو آخر مأوى لها. بينما الاسلام وفر باحكامه وآدابه الرائعة الكثير من الأمن البيتي للمرأة؛ مثل حرمة المسكن، وعدم الدخول في البيوت إلاّ عبر الابواب وبعد الإذن وبعد الاستيناس، وألاّ يدخل حتى أهل البيت غرف النوم في اوقات الراحة، لتأخذ المرأة حريتها في مخدعها، وألاّ يسألها أحد متاعاً إلاّ من وراء حجاب.

وهكذا ينبغي اعادة النظر وبصفة كلية في الفن المعماري المستورد، وابداع فنون معمارية تتناسب وحصانة البيت، وحرية المرأة في أجوائه.

٥/ الأزياء المستوردة التي تهتم فقط بجانب الاثارة والزينة عند النساء، تسبب لهن المزيد من الحرج؛ أولاً: لمخالفتها لعفتها وحصانتها، وثانياً: لاعاقتها لنشاطها

وفاعليتها. وعلينا اعادة النظر فيها، والبحث عن أزياء توفر الى جانب الاناقة العفة، وحرية الحركة عند المرأة.

٦/ كما يجب على المرأة ان تحصن نفسها، وتحافظ على فرجها؛ كذلك على الرجل ان يحفظ فرجه، ويصون شرفه. فالأزياء الشبابية المثيرة للفتيات، والحركات غير المؤدبة التي يمارسها البعض منهم، والملاحقات السيئة التي يؤذون بها الفتيات.. انها مخالفة لحصانة المجتمع، واشاعة الأمن الأسري فيه.

٨٨٨٨ باء: تحصين النفوس

تحصين النفس والمحافظة على الحياة، من الواجبات الفطرية التي وضع الشرع المقدس المئات من الاحكام والآداب لتحقيقها. ولسنا هنا بصدد تعدادها، ولكن نشير فيما يلي الى ما يمكن ان يخفى منها:

١/ على الانسان ان ينظر لنفسه، ويدير حياته الشخصية بدقة وحكمة. فيلاحظ طعامه وشرابه، ومنهجية نومه ونشاطه، ويهتم بقوته ورشاقته وصحته، ويحافظ على سلامة عقله واعصابه، ويعطي لجسمه نصيبه من المتعة والراحة.. ومن أجل كل ذلك، لابد لكل انسان من معرفة حياتية شاملة بما يصلح له وما ينفعه او يضره.

٢/ وعلى كل انسان ان يفرض على نفسه رقابة صحية صارمة؛ من الاهتمام بالنظافة والابتعاد عن مظان الجراثيم والاوبئة، ومراجعة الاطباء في الوقت المناسب، والدقة في تطبيق وصاياهم.

٣/ وعلى المجتمع ان يهتم بابنائه، وبالذات بالنشئ الجديد، وتوفير كل وسائل السلامة البدنية والعصبية لهم.

٤/ على الفقهاء ان يشرعوا الاحكام المستوحاة من المبادئ العامة للدين، فيما يتصل بما يضر الصحة ويهدد السلامة؛ من تلوث البيئة، ومن الضوضاء، وتشديد الرقابة على الطعام والماء.. وكلما يتصل بالسلامة الصحية.

٥/ كما ان على الدول تشديد الرقابة على كل ما يتصل بأسباب الهلاك؛ من حوادث السير، الى اخطار العمل، الى اخطار اللعب الرياضية، وما أشبه.

٦/ على الأمة المؤمنة ان تكافح من أجل أمنها الوطني، وذلك بالاعداد التام للحرب، وتحصين البلاد بكل وسائل الدفاع؛ ابتداءً من الأجهزة الالكترونية التي تراقب حدودها، جواً وبحراً وبراً. ومروراً بحفر الخنادق وتحصين المواقع، وحشد الاسلحة، وبناء المدن الدفاعية، وتزويد القوات المسلحة بافضل الأسلحة، واعداد الشباب لكل انواع الحرب. وانتهاءً بالدفاع المدني، وبناء الملاجئ المفيدة ضد الغارات الجوية أنّى كانت طبيعتها، بأسلحة تقليدية أو اسلحة الدمار الشامل.

٨٨٨٨ جيم: تحصين المال

ولكي تبقى الثروة مصانة من عين اللصوص والسارقين، ومن حيل المافيا الاقتصادية، ولعب الاثرياء الكبار.. لابد من الاهتمام بالتدبر المعيشي. وفي الفقه الاسلامي عشرات الوصايا والاحكام التي تهدف اقامة القسط، وألاّ يظلم أحد أحداً ظلماً ظاهراً (كالسرقة والنهب)، او ظلماً خفياً (كأكل أموال الناس بالباطل والربا).

وفيما يلي نشير الى فروع، نراها ذات أهمية:

١/ بالرغم من ان الانسان مجبول على حفظ ثروته، إلاّ ان المجرمين ومافيا الاقتصاد يخترعون دوماً أساليب للسطو المباشر او غير المباشر على قوت البسطاء. ومن هنا فعلى كل انسان ان يتثقف ثقافة اقتصادية، ليس فقط من أجل معرفة كيف يكتسب الثروة، بل وايضاً كيف يحافظ عليها من التلف والسرقة والابتزاز، ثم كي يصرفها في معيشته بلا سرف ولا سفه ولا سذاجة.

٢/ على العلماء والمفكرين، وعلى أجهزة الاعلام المختلفة؛ ان تجعل التثقيف الاقتصادي جزءً من البرامج التوجيهية العامة.

٣/ وعلى الانظمة الرشيدة ان تراقب بدقة اساليب المافيا في ابتزاز الناس أموالهم لتكافحها، وتشجع على الادخار والاستثمار وترشيد الصرف، والتوازن بين دخل كل فرد واستهلاكه، والله المستعان.

٨٨٨٨ دال: حفظ كتاب الله وحدوده

كتاب الله هو الرصيد الروحي والتربوي والثقافي والقانوني الأمثل لدى الأمة، وفيه حدود الله التي أمرنا ربنا بألاّ نتعداها. ومن حدود الله؛ أيمان البشر التي أمرنا ربنا سبحانه ألاّ نضيعها. والسؤال كيف نحافظ على كل هذه القيم المقدسة؟

الجواب: ينبغي ان نعمل بما يلي:

١/ جعل كتاب الله محور معارفنا، وقطب الرحى في ثقافتنا وتشريعنا، وألاّ نساوي بالقرآن غيره. فإن فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله تعالى على خلقه.

٢/ ان تهتم حوزاتنا الدينية أكثر مما مضى بدراسة القرآن، وألاّ ينتمي أحد اليها إلاّ بعد حفظه لكتاب الله واتقانه للغة القرآن العربية، وان تضع في طليعة دروسها تفسير القرآن، وان تجعل آيات القرآن محور دروسها الفقهية والعقائدية، ولا تشغل المزيد من وقت الطلبة بدروس اضافية لا تنفع كثيراً في الوقت الحاضر.

٣/ وأن نجعل الناس عارفين بكتاب ربهم، يتدبرون في آياته، وينظرون الى الحياة ببصائره، وذلك عبر المزيد من الاهتمام به في الحقول التربوية والاعلامية، والله الموفق.

٨٨الحفـظ

لكي نفي بالحقوق، فعلينا بحفظ ذويها. فإذا سمحت للذئب بألتهام اخيك الصغير، او للنسيان بأن يطوي عنك ما اودعت قلبك من القرآن، او لنظرات السوء بالتسلل الى بيتك وكشف عوراتك.. فإنك لم تحفظ ما وجب عليك حفظه، بل ضيعته..

وهكذا كان الحفظ قيمة متصلة بسائر الحقوق التي يوجبها الايمان.

٨٨٨ معنى الحفظ:

١/ في قصة يوسف الصديق عليه السلام، سأل اخوته اباه بأن يرسل اخاه من امه (بنيامين) الى مصر، وأتوه موثقا بأن يحفظوه (ولا يضيعونه كما ضيعوا اخاه من قبل). وقالوا:**{وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ }** (يوسف/٦٥)

٢/ ويحدق بالانسان الاخطار، التي يدفعها الله سبحانه عنه بمعقبات من امره، يحفظونه من تلك الاخطار. (فالحفظ هنا حماية البشر مما يهدد حياته). قال ربنا سبحانه: **{ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}** (الرعد / ١١)

٣/ ولله تعالى كتاب يحفظ كل ما يتصل بالبشر (من عمل، كما يسجل كل زيادة فيه او نقصان). قال ربنا سبحانه: **{ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ}** (ق/٤)

٤/ والحفيظ هو الذي يقوم بحراسة الفرد، ويكلّف بدرء الاخطار عنه. قال الله تعالى: **{ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ }** (الانعام/ ١٠٤)

٨٨٨ **آفاق الحفظ:**

ماذا يحفظه المؤمن؟ انما يحفظ كتاب الله وما فيه من احكام؛ ومن الاحكام حدود الله فلا يتجاوزها؛ ومنها الصلاة وما يتصل بالعلاقة الزوجية، والايمان والامانات.

١/ لقد عهد الله الى العلماء الذين حملهم الكتاب، بأن يحفظوه من التحريف والضياع ومن اهواء المترفين والطغاة، (وتلك أمانة الهية وعهد في اعناقهم). قال الله سبحانه: **{ إِنَّآ أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِايَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}** (المائدة/ ٤٤)

فهنا شرط الله لولاية الاحبار (والفقهاء) اربعة شروط:

اولاً: ان يكونوا حملة علم الكتاب الذين استحفظوه (وكلفوا بحمايته).

ثانياً: ان يكونوا شهداء (يتصدون لقيادة الناس وفق الكتاب).

ثالثاً: ان يتحدوا طغيان اصحاب القوة، فلا يخشوا الناس.

رابعاً: ان يتطاولوا ضد اغراء اصحاب الثروة، فلا يبيعوا الدين بثمن قليل. (وكل ثمن يدفع بازاء الدين، فهو قليل).

٢/ وكما كلف العلماء بحماية الدين من الطغاة والمترفين (وكل اعداء الدين في الداخل)، كذلك كلف المقاتلون (الذين اشترى الله منهم اموالهم وانفسهم بأن لهم الجنة حملوا مسؤولية حفظ حدود الله (من اعداء الدين في الخارج). هكذا نقرء قوله تعالى (في صفة المقاتلين في سبيل الله): **{ التَّآئِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ**

الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الأَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (التوبة/١١٢)

٣/ والمؤمنون جميعا يحافظون على صلواتهم، (من النسيان او الاهمال والسهو). قال الله سبحانه (في صفة المؤمنين بالكتاب): **{ وَهذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ }** (الانعام/٩٢)

ونستلهم من هذه الآية؛ ان هناك علاقة دقيقة بين المحافظة على الكتاب (والاستقامة عليه)، وبين المحافظة على الصلاة.

٤/ ومن اهم الصلوات التي لابد ان يحافظ عليها المؤمن، الصلاة الوسطى (وهي صلاة الظهر حسبما يبدو)، وكذلك الصلاة في ساحات الحرب. قال الله تعالى: **{ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ }** (البقرة / ٢٣٨ - ٢٣٩)

ونستوحي من السياق؛ ان احد معاني الحفظ اقامة الصلاة في وقتها، (خصوصاً عند وسط النهار، عند انشغال الناس بأمور معاشهم). ومن معاني الحفظ اقامتها بشروطها إلاّ في الحرب، حيث يسقط منها مالا يقدر عليها المقاتل (من الاستقرار واستقبال القبلة). وتبقى حقيقة الصلاة، وهي ذكر الله واجبة على كل حال. وليس اشد على الانسان من حال المعركة، ولا تسقط الصلاة فيها. ومن ذلك نعرف ان احد معاني حفظ الصلاة ايضاً، عدم تركها بأي حال.

٥/ ومن آفاق الحفظ؛ الامانات. وقد طالب يوسف الصديق عليه السلام عزيز مصر بان يجعله على الخزائن (والاموال)، لأنه حفيظ كما هو عليم، (فهو يحافظ على أموال الناس). قال الله سبحانه: **{ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }** (يوسف/٥٥)

وهذا معنى رعاية الامانة، التي امرت بها آيات اخرى في القرآن الحكيم.

٦/ وحفظ الأيمان من حفظ الامانة. أوليس الذي يحلف يجعل ما يتحمله عهداً عليه؟ قال الله سبحانه: { **لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** } (المائدة / ٨٩)

٧/ والمرأة قد استحفظت على نفسها، وعلى حقوق الرجل فيها، وفي امواله عندها. وحفظ المرأة صفة مثلى للصالحات. قال الله سبحانه: **{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَآ أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}** (النساء/٣٤)

ولعل قوله سبحانه **{ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ }** يعني: ما امر الله بحفظه من حجابها وعفتها ومن حقوق الزوجية.

٨/ والمؤمن كما المؤمنة يحفظان الفرج من النظر، كما تحفظ المؤمنة ايضاً زينتها من نظر الاجنبي. قال الله سبحانه: { **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا}** (النور/ ٣٠ -٣١)

٩/ وهكذا كانت من الصفات المثلى للمؤمنين والمؤمنات حفظ الفروج. قال الله سبحانه: { **وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيمًا}** (الاحزاب / ٣٥)

١٠/ وكان من صفات المؤمنين بالذات حفظ الفرج (ولعل هذا يعم النظر وأي اثارة جنسية). قال الله سبحانه: { **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ** } (المؤمنون/ ٥-٦)

^^بصائر الآيات

١/ من اجل اقامة السلام والحق، وتوفير مثل العدل والأمن، لابد ان يتحمل كل انسان مسؤوليته في المحافظة على حرماته.

٢/ فالله سبحانه يحفظ البشر عبر معقبات له من امره، وكان على اخوة يوسف ان يحفظوا اخاهم (كما وعدوا).

٣/ ولقد استحفظ الاحبار والربانيون كتاب الله، (فلم يكن لهم ان يضيعوه خشية من الناس او طمعاً في ثمن قليل).

٤/ والمجاهدون حقاً هم الحافظون لحدود الله، وعلى الناس حفظ الصلوات وحفظ الايمان، وعلى الصالحات حفظ (حقوق الزوج) بالغيب، وعلى المؤمنين والمؤمنات حفظ الفروج إلاّ على ما أحل الله سبحانه.

الرزق

-

الطعام والشراب

الطعام الحاجة الأولى للانسان، ومن هنا فإن الاطعام هي المسؤولية الاساسية تجاه الآخرين. وكل الطعام حل للانسان إلاّ ما حرّم الله (وهو قليل)، ولكن على الانسان ان ينظر الى طعامه فيختار الأزكى منه. والطعام ينتج الطاقة التي يجب ان تصرف في التقوى والاحسان، وعلى الانسان ان يحافظ على الطعام وألاّ يسرف فيه.

٨٨٨ **ألف: الحاجة الأولى**

الرزق شرط الحياة، وآية العبودية، ودليل على أن البشر مخلوق لمن لايحتاج الى طعام.. والانبياء بشر، ولذلك فهم يطعمون الطعام.

١/ ذكّرت آيات قرآنية بالطعام والشراب، وكيف يوفرهما الله للبشر بفضله (ويشير بذلك الى اهميتهما). قال الله سبحانه (وهو يذكر قريش بنعمه): **{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِنْ خَوْفٍ }** (قريش / ٣-٤)

٢/ وقال الله تعالى (حكاية عن النبي ابراهيم عليه السلام، الذي كان يشكر ربه بالعبودية، لانه تعالى اطعمه وسقاه): **{ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ}** (الشعراء / ٧٩)

٣/ وقال الله سبحانه وهو يذكّر بنعمة الماء الذي يشربه البشر، وكيف وفره الله: **{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَآءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ}** (الواقعة/٦٨ ـ ٦٩)

٤/ وأمر ربنا الصديقة مريم بالأكل والشرب (بعد الولادة)، وان تقر عينها. (وكأن الطعام والشراب من شروط العين القريرة). قال الله تعالى: **{ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً }** (مريم/٢٦)

٥/ ولان الطعام والشراب هما الحاجة الماسة لحياة البشر، فإن الله امتحن عباده بتركهما صياماً في ايام معدودات. قال الله سبحانه: **{ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالاَنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ }** (البقرة / ١٨٧)

٦/ والقائد الالهي الذي اصطفاه الله لقيادة بني اسرائيل عسكرياً (طالوت)، ابتلى جنده بالامتناع عن شرب الماء (الاّ غرفة واحدة). وفي ذلك دليل على مدى حاجة الانسان الى الشراب). قال الله سبحانه: **{ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُواْ اللّهِ كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}** (البقرة / ٢٤٩)

٧/ والطعام والشراب وسائر ألوان الرزق، دليل العبودية وآية النقص عند المخلوق، وغنى ربنا سبحانه عنهما آية على أنه الخالق. قال الله تعالى: **{ وَمَا**

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (الذاريات / ٥٦ ـ ٥٨)

إذا تدبرت في هذه الآيات، عرفت أن عبودية الجن والانس لرب العزة هي طريق تساميهم وكسبهم المزيد من الرزق من عنده سبحانه، وأنه غني عنهم فلا يريد رزقاً ولا طعاماً، بل هو الرزاق ذو القوة المتين.

٨/ وقال الله سبحانه (وهو يذكر بالفارق بين الخالق الذي لايطعم والمخلوق الذي يطعم): **{ قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** (الانعام / ١٤)

٩/ ولأن الطعام دليل العبودية، فقد كان الانبياء (وهم عباد الله المقربون) يطعمون كما سائر البشر. وعدم فهم هذه الحقيقة، جعل الكفار يعترضون على رسالتهم. قال الله تعالى: **{ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً}** (الفرقان / ٧)

١٠/ وقال الله سبحانه: **{ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَآءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَآ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ}** (المؤمنون / ٣٣)

١١/ وقد بيّن ربنا هذه الخاصة في الانبياء (للدلالة على انهم عباد مربوبون، وان بعثهم امتحان للبشر). قال الله تعالى: **{ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ}** (الانبياء / ٨)

١٢/ (ولعله لكي لايتخذ الناس الانبياء آلهة جعلهم بشراً، ومع ذلك ترى البعض اتخذعيسى بن مريم الهاً وعبده من دون الله، وفضح القرآن هذه الضلالة)، وبيّن ربنا ان عيسى وأمه كانا يأكلان الطعام. فإذاً؛ هما بشر، ومن عباد الله المخلوقين. قال الله سبحانه: **{ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}** (المائدة / ٧٥)

١٣/ وكذلك كل الانبياء جعلهم الله بشراً لامتحان الناس بهم، وليعلم مدى صبرهم (وقدرتهم على طاعة واحد منهم يشرب ويأكل مثلهم). قال الله تعالى: { **وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً**} (الفرقان / ٢٠)

وكلمة أخيرة؛ جسم البشر وكل مخلوق بحاجة الى ألوان شتى من الرزق، بالاضافة الى الطعام؛ مثل الهواء والاشعة والجاذبية.. وكل تلك الحاجات دليل عبودية البشر، ولكن

الطعام والشراب من اوضح هذه النعم. وهكذا ذكر بها الرب تعالى.

١٤/ وللحاجة الضرورية الى الطعام والشراب، ترى أهل النار وهم معذّبون يطعمون ويشربون، ولكن أي طعام واي شراب؟ انه غصة وحميم. قال الله سبحانه: { **إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الاَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ**} (الدخان/٤٣ ـ ٤٥)

١٥/ وقال الله تعالى: { **لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ * لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ**} (الغاشية / ٦ ـ ٧)

١٦/ وقال الله سبحانه: { **وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ**} (الحاقة / ٣٦)

١٧/ وقال الله عز وجل: { **وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً**} (المزمل / ١٣)

١٨/ وقال عز من قائل: { **فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**} (الواقعة/ ٥٤ ـ ٥٥)

وقد جاء في حديث مأثور عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله: {**يوم تبدل الأرض غير الأرض**} قال: تبدل خبزة نقية يأكل الناس منها، حتى يفرغ من الحساب. فقال له قائل: انهم يومئذ لفي شغل من الأكل والشرب. فقال له:

ابن آدم خلق اجوف، لابد له من الطعام والشراب. أهم أشد شغلاً (أم) هم في النار؟ فقد استغاثوا، فقال: **{وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل}**. (١)

٨٨٨ **باء: الاطعام**

(ولان الطعام حاجة ماسة للبشر، ولان في الناس من هو بحاجة الى الطعام، فقد اصبح الاطعام فريضة). ففي الحج، وبسبب كفارات ترك الصيام، وحنث اليمين، وفي حالات المجاعة، وحتى في الظروف العادية ندب الاسلام الى اطعام الطعام.

١/ في الحج منافع يشهدها الوافدون الى بيت الله، (ولعل منها الانعام التي يتقربون بها،

ويشاهدون نعمة الله فيها)، وهم يذكرون اسم الله (على الانعام حين التقرب بها الى الله)، وفي الايام المعلومات (التي يتواجدون فيها بمنى)، وعليهم ان يأكلوا منها (حيث ينبغي للحاج ان يأكل شيئاً من اضحيته)، وان يطعموا البائس والفقير. قال الله سبحانه: **{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ}** (الحج / ٢٨)

٢/ وقال الله سبحانه وهو يأمر باطعام القانع والمعتر من لحوم البدن، التي جعلها الله من شعائره: **{ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوامِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }** (الحج /٣٦)

والقانع والمعتر (هما الفقير والمسكين)، وقد جاء في حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام: القانع الذي يرضى بما اعطيته ولا يسخط ولا يكلم ولا يلوي شدقه غضباً، والمعتر المار بك لتطعمه. (٢)

---

(١) مستدرك الوسائل (الطبعة الحجرية) الجزء الثالث الصفحة ٩٠ (كتاب الأطعمة والأشربة ابواب آداب المائدة الباب ٣٦ / ح ٦).

(٢) تفسير نور الثقلين / ج ٣ / ص ٤٩٨.

٣/ وقد جعل الله كفارة حنث اليمين، اطعام عشرة مساكين او كسوتهم، وحدد مقدار الاطعام باوسط ما يطعمه الفرد أهله. قال الله تعالى: { **لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** (المائدة / ٨٩)

٤/ وهكذا جعل ربنا مقابل صوم كل يوم من شهر رمضان لمن يطيقه الصوم جعل عليه طعام مسكين، (مما نعرف ان عدل كل يوم صوم فدية طعام مسكين). قال الله تعالى: **{أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنْكُم مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** (البقرة / ١٨٤)

٥/ وجعل إطعام الطعام (بالرغم من الحاجة اليه) عملاً صالحاً، ومثلاً سامياً للمؤمنين. قال الله سبحانه: { **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً}** (الانسان / ٨)

وورد في الحديث المأثور عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، في قول الله: **{ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً}** (قال الراوي) قلت: حب الله او حب الطعام؟ قال: حب الطعام. (١)

وهكذا يدخل هذا الحديث في إطار الايثار على النفس، حيث قال الله سبحانه: **{ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوْا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** (الحشر/٩)

ونفهم من الآية أفضل الموارد لانفاق الطعام، وهم المسكين واليتيم والأسير.

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٣٦٧.

٦/ كما نعرف من الآية التالية أهمية اطعام الطعام في المجاعة، حيث تزداد الحاجة اليه. قال الله سبحانه: **{ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ }** (البلد / ١٤)

وقد ورد في حديث شريف مأثور عن الامام الصادق عليه السلام: من موجبات المغفرة، اطعام المسلم السغبان. (١)

وقد وردت السنة باستحباب الاطعام، وفيما يلي نذكر بعضاً من الاحاديث في ذلك:

فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أربع من أتى بواحدة منهنَّ دخل الجنّة؛ من سقى هامة ظامئة، أو أشبع كبداً جائعة، او كسا جلدة عارية، أو أعتق رقبة عانية. (٢)

وروي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحبُّ الأعمال إلى الله ثلاثة؛ إشباع جوعة المسلم، وقضاء دينه، وتنفيس كربته. (٣)

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: المنجيات إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة باللّيل والناس نيام. (٤)

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من أطعم مسلماً حتى يشبعه، لم يدر أحد من خلق الله ما له من الأجر في الآخرة؛ لا ملك مقرَّب، ولا نبيٌّ مرسل، إلاّ الله ربُّ العالمين. ثم قال: من موجبات الجنة والمغفرة، إطعام الطعام السغبان. ثم تلا قول الله تعالى **{إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا }**. (٥)

---

(١) الكافي / ج ٢ / ص ٢٠١ / ح ٦.
(٢) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٣٦٠ / رواية ١.
(٣) المصدر / رواية ٢.
(٤) المصدر / رواية ٣.
(٥) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٣٦١ / رواية ١١.

وعن أبي الحسن عليه السلام، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من موجبات مغفرة الربّ إطعام الطعام. (١)

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرزق أسرع الى من يطعم الطعام، من السكّين في السنام. (٢)

وروي عن حسين بن نعيم الصحّاف، قال: قال لي ابو عبد الله عليه السلام: أتحبُّ إخوانك يا حسين ؟ قلت: نعم. قال: تنفع فقراءهم ؟ قلت: نعم. قال: أما إنه يحقُّ عليك أن تحبَّ من يحبُّ الله، أما والله لا تنفع منهم أحداً حتى تحبّه. تدعوهم الى منزلك ؟ قلت: ما آكل إلاّ ومعي منهم الرَّجلان والثلاثة، وأقلُّ وأكثر. فقال أبو عبد الله عليه السلام: فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم. فقلت: أدعوهم إلى منزلي وأُطعمهم طعامي وأسقيهم وأوطئهم رحلي ويكونون عليَّ أفضل منّا ؟ قال: نعم؛ إنهم إذا دخلوا منزلك، دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك. وإذا خرجوا من منزلك، خرجوا بذنوبك، وذنوب عيالك. (٣)

وقد وردت احاديث في استحباب الأخوة في الدين:

فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لأكلة أُطعمها أخاً لي في الله، أحبُّ إليَّ من أن أُشبع مسكيناً. ولأن أُشبع أخاً في الله، أحبُّ إليَّ من أن أُشبع عشرة مساكين. ولأن أُعطيه عشرة دراهم، أحبُّ إليَّ من أن أُعطي مائة درهم في المساكين. (٤)

---

(١) المصدر / رواية ١٢.

(٢) المصدر / ص ٣٦٢ / رواية ١٧.

(٣) المصدر / رواية ٢٠.

(٤) المصدر / ص ٣٦٣ / رواية ٢٦.

وروي عن سدير الصيرفي، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما يمنعك من أن تعتق كل يوم نسمة. فقلت: لا يحتمل ذلك مالي. فقال: أطعم كلَّ يوم رجلاً مسلماً. فقلت: موسراً أو معسراً ؟ فقال: إنَّ الموسر قد يشتهي الطعام. (١)

وروي عن حسين ابن علي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أطعم عشرة من المسلمين أوجب الله له الجنّة. (٢)

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: قال الله عزّ وجلّ: يا ابن آدم؛ مرضت فلم تعدني. قال: يا ربِّ؛كيف أعودك وأنت ربُّ العالمين ؟ قال: مرض فلان عبدي، فلو عدته لوجدتني عنده. واستسقيتك فلم تسقني ؟ فقال: كيف وأنت ربُّ العالمين ؟ فقال: استسقاك عبدي، ولو سقيته لوجدت ذلك عندي. واستطعمتك فلم تطعمني ؟ قال: كيف وأنت ربُّ العالمين؟ قال: استطعمك عبدي فلان، ولو أطعمته لوجدت ذلك عندي. (٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ أهون أهل النار عذاباً ابن جذعان. فقيل: يا رسول الله؛ وما بال ابن جذعان أهون أهل النار عذاباً ؟ قال: إنّه كان يطعم الطعام. (٤)

٧/ والكفار (والمنافقون) يبررون امساكهم عن اطعام ذوي الحاجة (بالقدرية، ويقولون) هل نطعم من قدر الله عليه رزقه؟ قال الله سبحانه: **{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَوْ يَشَآءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ}** (يس / ٤٧)

كلاّ؛ إن هذا ضلال مبين وقعوا فيه. فان ربنا سبحانه قد ابتلى البشر بعضهم ببعض، فجعل على الاغنياء اطعام الفقراء ليمتحنهم بهم.

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٣٦٤ / رواية ٢٩.

(٢) المصدر / ص ٣٦٧ / رواية ٥٠.

(٣) المصدر / ص ٣٦٨ / رواية ٥٦.

(٤) المصدر / رواية ٥٧.

٨/ وحين سئل أهل النار، لماذا ادخلوا فيها، اعترفوا أنهم لم يكونوا يطعمون المسكين. قال ربنا تعالىعلى لسانهم: **{ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ }** (المدثر / ٤٤)

٩/ وقد بيّن القرآن الكريم أن ترك الحض على طعام المسكين، عمل مشين. قال الله سبحانه: **{ وَلاَ تَحَآضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}** (الفجر/ ١٨)

١٠/ وقال الله تعالى: **{ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}** (الماعون/ ٣)

١١/ ونستفيد من آية كريمة؛ أن الضيافة خلق كريم، وان القرية التي لا تستضيف روادها لا تستحق الإكرام. قال الله سبحانه: **{ فَانطَلَقَا حتَّى إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً }** (الكهف / ٧٧)

١٢/ ونستوحي من آية مباركة؛ إن اطعام الحيوانات الاليفة أمر مرغوب فيه (وقد يصبح واجباً حسب ما يقول الفقهاء). قال الله تعالى: **{ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لاَيَاتٍ لأُولِي النُّهَى}** (طه / ٥٤)

٨٨٨ **جيم: إباحة الطعام**

والأصل في الطعام ان يكون حلالاً، إلاّ ما دل على حرمته برهان مبين من الوحي (كالذي لم يسم عليه اسم الله)، أو من العقل (كالخبائث).

١/ وقد بيّن ربنا ان الطيبات كلها أحلت للمسلمين، وحتى طعام الذين أوتوا الكتاب من قبل. قال الله سبحانه: **{ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** (المائدة / ٥)

٢/ بلى؛ حرّم الله بعض ألوان الطعام، وحددها في الكتاب، وأباح غيرها. قال الله تعالى: { **قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** } (الانعام / ١٤٥)

والآية تدل:

أولاً: على حلية كل طعام غير ما بيّن، حتى ولو كان محرّماً في الشرائع السابقة لظروف خاصة بأهلها، او كان الجاهليون يحرمونها على أنفسهم بغير علم.

ثانياً: على حرمة الأمور التي ذكرت في الآية، يضاف اليها الكلب لانه نجس، والخبائث لانها رجس.

ثالثاً: على حلية ما حرّم في الظروف الاستثنائية، وقد جاء في الأحاديث تبيان حلية كل طعام إلاّ ما حرّمه القرآن. وفيما يلي نقرء بعضاً منها:

جاء في حديث محمد بن مسلم وزرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: "وانما الحرام ما حرم الله في القرآن." (١)

وفي حديث محمد الحلبي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: " لايكره شيء من الحيتان إلا الجري". (٢)

وعن محمد بن عذافر، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: لم حرم الله الخمر والميتة ولحم الخنزير والدم ؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لم يحرم ذلك على عباده و أحل لهم ما وراء ذلك من رغبة فيما أحل لهم، ولا زهد فيماحرمه عليهم، ولكنه خلق الخلق فعلم ماتقوم به أبدانهم وما يصلحهم فأحله لهم

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٧ / ص ٢ / (ابواب الاطعمة المباحة) / الباب ١ / ح ٢.

(٢) المصدر / ح ٣.

وأباحه لهم وعلم ما يضرهم فنهاهم عنه، ثم أحله للمضطر في الوقت الذي لا يقوم بدنه إلا به. (١)

٣/ وقال ربنا سبحانه (وهو يبيّن أصل حلية كل طعام): **{ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَااضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّون بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ}** (الانعام / ١١٩)

٤/ وقال الله تعالى: **{ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}** (البقرة/ ٦٠)

٥/ وقال الله سبحانه: **{ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُم يَظْلِمُونَ}** (البقرة/ ٥٧)

٦/ وقد حرّم ربنا سبحانه صيد البرّ في حالة الاحرام الى الحج والعمرة. قال الله سبحانه: **{ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}** (المائدة / ٩٦)

٧/ كما حرّم ربنا سبحانه على بني اسرائيل في ظروف خاصة بعض الطعام. قال الله تعالى: **{ كُلُّ الطَّعامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَآئِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَآئِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَآ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ}** (آل عمران / ٩٣)

وإذا كان الأمر كذلك، فقد أحل ربنا تعالى تلك الأمور على الأمة المرحومة، لان حرمتها لم تكن في الاصل حرمة دائمة.

٨/ وهكذا أحل الاسلام ما حرّمته الجاهلية، (وكانت الجاهلية قد اعتمدت مبدء الشرك في التحريم، وقد طهر الدين الحنيف العقيدة والشريعة والاخلاق من آثار

---

(١) المصدر / ح ١.

الشرك). قال ربنا سبحانه: { **وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَيَطْعَمُهَا اِلاَّ مَن نَشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَيَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}** (الانعام/ ١٣٨)

وقد جاء في الحديث حول ما حرمته الجاهلية وأحلها الله سبحانه، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: **{ ما جعل الله من بحيرة ولاسائبة ولا وصيلة ولاحام}**، قال: إن أهل الجاهلية كانوا إذا ولدت الناقة ولدين في بطن قالوا: وصلت ولا يستحلون ذبحها ولا أكلها، وإذا ولدت عشراً جعلوها سائبة ولايستحلون ظهرها ولا أكلها، والحام فحل الابل لم يكونوا يستحلونه فأنزل الله عزوجل أنه لم يكن يحرم شيئا من ذا. (١)

٨٨٨ **دال: خير الطعام والشراب**

١/ على الانسان ان ينظر في طعامه، (ليعرف انه من عند الله فيشكره ويتهنأ به، وليعرف ماذا يختار من الطعام والشراب). قال الله سبحانه: { **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً}** (عبس/٢٤ - ٢٨)

٢/ وعليه ان يختار الأزكى من الطعام، كما فعل أصحاب الكهف، حينما بعثوا أحدهم الى المدينة لينظر فيختار أزكى الطعام (حلالاً طيباً). قال الله تعالى: { **وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً}** (الكهف / ١٩)

٣/ وعليه ألاّ يختار الأدنى (لاعتبارات عاطفية) على الأفضل، كما فعل بنوا اسرائيل. وقص الله لنا قصتهم (عبرة). فقال تعالى: { **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا**

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٧ / ص ٤٢ / ابواب الاطعمة الباب ٢٦ / ح ١.

وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (البقرة / ٦١)

٤/ ثم يأكل الطعام ويشرب الشراب هنيئاً (بكل رضا وسكينة وراحة بال)، حيث يقول سبحانه: **{ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}** (الطور / ١٩)

٥/ ومن الطعام الزكي الذي رزقه الله عباده اللبن، حيث يقول تعالى: **{ وإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ}** (النحل/ ٦٦)

٦/ ومن الطعام الجيد لحم الانعام، حيث قال الله سبحانه: **{ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ }** (النحل/٥)

٧/ ومنه لحم الاسماك، حيث قال الله سبحانه: **{ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** (فاطر/١٢)

٨/ ومنه الحب الذي يخرج من الأرض. قال الله سبحانه: **{ وَءَايَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ}** (يس/ ٣٣)

٩/ ومنه الفاكهة. قال الله تعالى: **{ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ}** (زخرف/ ٧٣)

١٠/ ومنه الزيتون. قال الله تعالى: **{ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ}** (المؤمنون/ ٢٠)

١١/ ومن الشراب الزكي، الماء الذي ينزله الرب من السماء (لانه شراب طهور). قال الله تعالى: **{ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ}** (النحل/١٠)

وقد جاء في الحديث، في صفة الماء:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " سيد الشراب في الدنيا والآخرة الماء وأنا سيد ولد آدم ولا فخر." (١)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: " قال أمير المؤمنين عليه السلام: اشربوا ماء السماء فانه يطهر البدن ويدفع الاسقام، قال الله تبارك وتعالى: **{وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم و يثبت به الاقدام}**." (٢)

١٢/ ومن الشراب الهنيء ما تتفجر عنه العيون، وهو الماء الذي اختاره الله سبحانه لبني اسرائيل. قال الله تعالى: **{ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}** (البقرة/ ٦٠)

١٣/ ومنه العسل الذي هو شراب جعل الله فيه شفاء للناس. (ولانه مختلف ألوانه، فهو مفيد لمختلف الأمراض. كل لون منه مفيد لمرض، بإذن الله). قال الله سبحانه: **{ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** (النحل/٦٩)

وقد ورد في السنة بفضل العسل، ونذكر هنا بعضاً من الروايات المأثورة فيه:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " لا تردّوا شربة عسل على من أتاكم بها." (٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: " إن يكن في شيء شفاء، ففي شرطة حجّام أو في شربة عسل." (٤)

---

(١) الوسائل / ج ١٧ / ص ١٢ / ابواب الأطعمة الباب ١٠ / ح ٤.

(٢) المصدر / ص ٢١٠ / الباب ٢٢ / ح ٢).

(٣) وسائل الشيعة / ج ١٧ / ص ١٣ / ابواب الأطعمة / الباب ١٠ /ح ١١.

(٤) المصدر / ح ١٠.

وقال علي بن ابي طالب عليه السلام: " ثلاثة يزدن في الحفظ ويذهبن بالبلغم: قرائة القرآن والعسل واللبان." (١)

١٤/ والشراب البارد الذي تتفجر عنه العيون، هو الآخر مفيد وطيب، (وهو الذي شافى به الرب عبده ايوب عليه السلام بعد ان ابتلي في جسده). قال الله سبحانه: **{ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}** (ص/ ٤٢)

وجاء في حديث مأثور عن الماء البارد:

قال علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى: **{ولتسألن يومئذ عن النعيم}**، قال: الرطب والماء البارد. (٢)

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: "من تلذذ بالماء في الدنيا لذذه الله من أشربه الجنة". (٣)

١٥/ وفي الجنة أربعة ألوان من الشراب، الذي يبشر به عباده الصالحين. (ولعلها ايضاً افضل انواع الشراب لأهل الأرض، إلاّ الخمرة المسكرة). قال الله تعالى: **{ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَارٌ مِنْ مَآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِن رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ}** (محمد / ١٥)

قال أبو عبدالله عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "سيد شراب الجنة الماء." (٤)

وهكذا ينبغي ان يكون الماء غير آسن، وان يكون اللبن لم يتغير طعمه، وأن يكون العسل مصفى.

---

(١) المصدر / ح ١٧.

(٢) المصدر / ح ١٦.

(٣) المصدر / ص ١٨٧ ابواب الاشربة المباحة / الباب ٢ / ح ٢.

(٤) وسائل الشيعة / ج ١٧ / ص ١٨٧ / ابواب الأشربة المباحة/ الباب ١ / ح ٤.

١٦/ ومن الشراب النافع، العذب الفرات السائغ، حيث يقول عنه الرب تعالى: { **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** (فاطر/ ١٢)

وقد ورد في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: "أول ما يسأل الرب العبد أن يقول له: أو لم أروك عن عذب الفرات." (١)

١٧/ ولعل من أفضل الشراب، هو الذي يشرب منه المقربون؛ (سواءً كان سؤرهم، وسؤر المؤمن شفاء. أو ما يختارونه، ولا يختار المقربون إلاّ افضل ألوان الشراب بما رزقهم الله من ذوق سليم وهدى). قال ربنا تعالى: { **وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}** (المطففين / ٢٧ -٢٨)

وقد ورد في الحديث عن أبو عبدالله عليه السلام قال: "في سؤر المؤمن شفاء من سبعين داء." (٢)

١٨/ ومن الشراب الطيب، الذي يكون مزاجه من كافور (او مزاجه من طيب او نبات مفيد). قال الله سبحانه: { **إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً}** (الانسان / ٥-٦)

وجاء في الحديث عن أبي عبدالله، عن آبائه عليهم السلام قال: " قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله؛ أي الشراب أحب إليك ؟ قال: الحلو البارد." (٣)

٨٨٨ **هاء: كيف نطعم ؟**

للطعام منهجه، فالطعام يهدف اكتساب القوة من أجل التقوى والاحسان. وهكذا ليس الطعام للاستهلاك والاسراف، وعلى الانسان ان يطعم ثم ينتشر (من أجل العمل).

---

(١) المصدر / ص ١٨٦ / ابواب الأشربة المباحة / الباب ١ / ح ٢.

(٢) المصدر / ص ٢٠٨ / ابواب الأشربة / الباب ١٨ / ح ١.

(٣) المصدر / ص ٢١٨ / الباب ٣١ / ح ١.

١/ ليس التحرج من الطعام صحيحاً. فمادام الطعام يهدف التقوى والاحسان، فهو عمل شرعي، لا جناح على من مارسه، (بل هو أمر مرغوب فيه. وهكذا النية في الطعام كما في كل نشاط آخر للبشر، هو الذي يصبغ ذلك النشاط بصبغته؛ ان كانت النية حسنة فصبغته الهية، وإن كانت النية شريرة فصبغته شيطانية.

ولعل البعض من الناس تحرجوا من الطعام، كما تحرجوا من الجنس وزينة الحياة، وزعموا ان لذّات الدنيا تخالف درجات الآخرة. وكان ذلك من وساوس الشيطان، التي غرت المترهبنة وبعض المتصوفة.

ونفى الكتاب الجناح في الطعام، و(ذكر بأن الطعام إذا كان للتقوّي على عبادة الله، فلا جناح فيه). وثلاثة هي محددات الطعام الذي لاجناح فيه؛ أولاً: (ان تصبح وقوداً للنشاط الايجابي و) يعمل المؤمن الصالحات. ثانياً: ان يتقي صاحبه ربه في الطعام. فلا يأكل أموال الناس بالباطل، ولا يطعم ما حرّم الله من الرجس والخبائث، ولا يسرف في الطعام. ثالثاً: ان يؤدي حق الطعام للناس، وذلك بالاحسان (فلا يشبع وجاره جائع). قال ربنا سبحانه: **{ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ امَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}** (المائدة / ٩٣)

وهكذا جاء في الحديث الشريف، عن الامام الصادق عليه السلام، قال: ثلاثة اشياء لا يحاسب الله عليها المؤمن؛ طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه وتحصن فرجه. (١)

وجاء في حديث آخر عنه عليه السلام: لو أن رجلاً أنفق على طعام ألف درهم وأكل منه مؤمن، لم يعد مسرفاً. (٢)

---

(١) مستدرك الوسائل / ج ١٦ / ص ٢٤٨ / كتاب الاطعمة والأشربة / ابواب المائدة / الباب ٢٤ / ح ٥.

(٢) المصدر / ص ٢٥٠ / الباب ٢٥ / ح ٣.

٢/ ومن حدود الطعام تجنب الاسراف. (فاللذة قد تقود البشر الى الهلاك، وقد امتلأت أكثر المقابر من موتى المسرفين في الطعام)، قال ربنا سبحانه: { **يَا بَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**} (الاعراف/٣١)

ومن هنا فقد وردت احاديث تنهى عن السرف والشبع وعن الأكل على الشبع، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: أبعد الخلق من الله إذا ما امتلأ بطنه. وقال صلى الله عليه وآله: لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلوب تموت كالزرع إذا كثر عليه الماء. (١)

٣/ ومن الحدود الاساسية للطعام، آداب الضيافة. فقد نهى ربنا دخول بيوت النبي إلاّ بعد الاذن الى طعام. (وهكذا لا ينبغي ان يتطفل الفرد على موائد الناس من دون دعوة صريحة او بالفحوى)، ونهى من النظر الى إناه (والتلصص على ما في البيت لمعرفة خباياه)، ونهى عن المكث في بيوت النبي صلى الله عليه وآله مستأنسين لحديث بحيث يؤذيه (وهكذا المكث في بيوت المضيفين اكثر من الحاجة)، كما نهى (بالمناسبة) عن التخاطب مع نساء النبي إلاّ من وراء الحجاب.(ونستفيد من ذلك؛ إنه لايجوز تجاوز الحد في الضيافة، وان تكون للضيف عين خائنة الى عرض صاحب البيت. وهكذا نستوحي من الآية؛ انه ينبغي الانتشار بعد الطعام للنشاط والعمل، فالطعام كما سبق وسيلة للعمل الصالح والاحسان). قال الله تعالى: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْأَلُوهُنَّ مِن**

---

(١) مستدرك الوسائل (الطبعة الحجرية) ص ٨٠ / ابواب الأطعمة والأشربة / ابواب المائدة / الباب ١ / ح ٣-٤.

وَرآءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلآ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً اِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا } (الاحزاب/ ٥٣)

٤/ ومن أهداف الأكل الحميدة، العمل الصالح، حيث يقول ربنا سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}** (المؤمنون/ ٥١)

٥/ ومن أهداف الأكل، الشكر. قال الله تعالى: **{ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ}** (سبأ/١٥)

٨٨٨ واو: كيف نحصل على الطعام ؟

بالسعي والصيد والزراعة والاغتنام يحصل الناس على الطعام، ويزيدهم رزقاً التقوى.

١/ على الانسان ان يسعى في مناكب الأرض لطلب الرزق، حيث قال الله تعالى: **{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}** (ملك/ ١٥)

٢/ وعليه ان ينتشر في الأرض طلباً لفضل الله سبحانه، حيث يقول تعالى: **{ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** (الجمعة/ ١٠)

٣/ وبالزراعة يحصل البشر على رزقه، حيث يقول الله سبحانه: **{ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ* ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}** (الواقعة/٦٣ - ٦٤)

٤/ وكذلك عبر الصيد، حيث يقول الله سبحانه: **{ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُوا مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** (المائدة/ ٤)

٥/ وبالاغتنام (في الحرب)، قال الله سبحانه: { **فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**} (الانفال/ ٦٩)

٦/ وبالكسب والتجارة، قال الله تعالى: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**} (النساء/ ٢٩)

٧/ وبحيازة المباحات، حيث جعل الله كل شيء حلالاً لابناء آدم، فقال سبحانه: { **وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**} (المائدة / ٨٨)

٨/ وبالتقوى يزداد رزق البشر، حيث يقول الله تعالى: { **وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**} (المائدة / ٦٦)

٨٨ بصائر الآيات

١/ الرزق من نعم الله ودليل عبودية الخلق وآية غنى الرب، وحتى الأنبياء يطعمون لانهم بشر ممن خلق الرب.

٢/ وعلينا ان نشكر الله (بالعبودية)، لأنه أطعمنا وسقانا، حيث انزل من السماء ماء.

٣/ والكف موقتاً عن الطعام والشراب صياماً، عبادة (لانهما حاجة ماسة)، وقد يكون وسيلة امتحان القادة لجندهم.

٤/ واطعام الطعام قد يكون فريضة، كما في الحج حيث يتقرب المؤمن بأضحية، فيأكل منها ويطعم القانع والمعتر، وفي كفارة اليمين يُطعم من يحنث عشرة مساكين، ومن يطيقه الصوم يطعم عن كل يوم مسكيناً.

٥/ وعند الحاجة الى الطعام وحبه يكون الانفاق به ايثاراً، وهكذا في ايام المجاعة.

٦/ ومن خصال الكفار الرذيلة -امتناعهم عن الاطعام بحجة ان الله لو شاء أطعمهم-، كما ان ترك الحض على طعام المسكين رذيلة من خصال أهل النار.

٧/ وكل الطعام حل إلاّ ما حرّمه الله من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أشبه.

٨/ وعلى الانسان ان ينظر الى طعامه (ليعتبر وليشكر وليختار)، وينبغي ان يختار الأزكى، ولا يستبدل الأدنى بالذي هو خير، وليأكل وليشرب هنيئاً مريئاً من دون سرف.

٩/ ومن الشراب الهنيء؛ ما أنزل الله من ماء، وما إمتزج بما يطيبه.

١٠/ وإذا طعم المؤمن العامل بالصالحات طعاماً، فلا جناح عليه إذا اتقى وعمل صالحاً وأحسن الى الناس. وهكذا ينبغي ان ينتشر الضيوف من حول مائدة الضيافة (في الأرض لاداء واجباتهم) ولا يثقلوا على صاحب البيت.

٨٨فقه الآيات

٨٨٨ ١/ الطعام وقيمة الحياة

(يس/ ٤٦- ٤٧)، (المدثر/ ٤٤)، (البلد/ ١٤)، (الحاقة/ ٣٤)، (الفجر/ ١٨)، (يوسف/٤٧)؛ الطعام حاجة اولية لكل البشر، ويبدو أن البحث عنه واكتسابه وتناوله واجب. كما ان إطعام من يعجز عنه واجب على الناس، وهكذا ادخاره ليوم العوز مهم. وفيما يلي بعض الحديث حول هذه الأصول الأساسية للطعام:

ألف: لقد أمر الله سبحانه بالسعي من أجل الرزق، فقال تعالى: { **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** } (الملك / ١٥)

كما أمر بالاستفادة من رزق الله، فقال تعالى: { **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**} (البقرة / ٦٠)

وقال تعالى: { **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** } (سبأ / ١٥)

ودعا البشر الى ابتغاء الرزق من عند الله، فقال سبحانه: **{ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** (العنكبوت / ١٧)

وهذه النصوص كافية للدلالة على وجوب اكتساب الرزق، بالاضافة الى النصوص التي حرمت السؤال بالكف، والقاء الكل على الآخرين، وما أشبه.

باء: والآيات الدالة على وجوب الأكل والشرب كثيرة، كقوله سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ }** (البقرة/ ١٦٨) و**{ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ }** (المائدة/ ٨٨) و**{ يَا بَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }** (الاعراف / ٣١) و**{ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ }** (سبأ / ١٥).

ودلالة الآيات الكريمة على وجوب الأكل والشرب بما يحافظ على الحياة دلالة بالغة، كما ان العقل يهدينا الى ذلك ايضاً. وقد قال المحقق الحلي في مسألة المضطر الى أكل الميتة، قال: وهل يجب التناول للحفظ ؟ قيل: نعم. وقال في الجواهر في شرحه: بل قد يظهر من بعض الاجماع عليه. وقال المحقق: وهو الحق. واضاف في الجواهر: لوجوب دفع الضرر وحفظ النفس. (١)

قال الصادق عليه السلام : من اضطر إلى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل شيئا من ذلك حتى يموت فهو كافر. (٢)

بل نستفيد من الآيات جملة احكام أخرى، مثل ما يلي:

---

(١) جواهر الكلام / الطبعة السادسة / ج ٣٦ / ص ٤٣٢.

(٢) وسائل الشيعة / ج ١٦ / ص ٤٧٩ / كتاب الأطعمة الباب ٥٦ / ح ٣.

١/ استحباب أكل الطيبات من الرزق، دون تخصيص بعضها دون بعض، حيث ان الله سبحانه قد جعل في كل رزق فائدة ولذة، والاستفادة منها جميعاً تتناسب وحكمة خلقها. كما نستوحي ذلك من الأمر المطلق بأكل الطيبات ومن الرزق الالهي.

٢/ الأكل من الثمر إذا أثمر.

٣/ ألا يجعل الانسان الطاقة التي تتولد بالأكل وسيلة للافساد واتباع خطوات الشيطان، بل يشكر ربه ويعمل صالحاً.

٤/ ان يعطي حق الطعام بالانفاق.

٥/ ان يراعي حدود الأكل والشرب، فلا يسرف، ولا يأكل السحت، وما أشبه.

جيم: المحافظة على حياة الناس بالطعام. هل تجب المحافظة على نفوس البشر، بحيث لو قصر الفرد في ذلك يعد مذنباً ؟ وهل يجب شرعاً إطعام الجائع وارواء العطشان، الذين بدون ذلك يهلكان ؟ وما هي الحجة على ذلك ؟

يرى البعض انه ليست لدينا نصوص لفظية كافية تدل على ذلك، بقدر ما يمكننا ان نستفيده من مجمل النصوص الواردة في ابواب متفرقة، ومن شدة اهتمام الدين بالنفس البشرية. (١)

حقاً؛ لم نجد نصاً قرآنياً يمثل هذه الصيغة: حافظوا على النفوس، أو لاتجعلوا أحداً يموت ما استطعتم أو ما أشبه. ولكن في النصوص التالية دلالة كافية:

أولاً: الروايات المأثورة عن النبي وأهل بيته عليه وعليهم السلام حول اطعام الجائع، مثل قوله صلى الله عليه وآله: "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع، قال : وما من أهل قرية يبيت فيهم جائع ينظر الله إليهم يوم القيامة." (٢)

وقال صلى الله عليه وآله: "ما آمن بي شبعان وجاره جائع". (٣)

---

(١) سبق وأن حكينا كلاماً للمرجع الخوئي عند البحث عن الدفاع عن النفس في فصل الاحصان.

(٢) وسائل الشيعة / ج ٨ / ص ٤٩٠ / كتاب الحج ابواب احكام العشرة الباب ٨٨ ح ١.

(٣) مستدرك الوسائل / ج ٣ الطبعة القديمة / ص ٩٠ (ابواب آداب المائدة) / الباب ٣٨ / ح ١.

وقال ايضاً: "ما آمن بي من بات شبعان واخوه المسلم طاوياً". (١)

في الغرر عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: "لا يشبع المؤمن واخوه جائع". (٢)

النصوص التي تدعو الى الاطعام وبتعبيرات بالغة الشدة، او تدعو الى الانفاق مما رزق الله وتوبخ الممسكين والبخلاء، وتجعل النار مصير الذين لايطعمون المسكين، او حتى الذين لايحضون على طعام المسكين، ذات دلالة كافية، لان الاطعام والانفاق والسقاية لو كانت واجبة، لكان المضطر الذي يخشى عليه من الموت محلها بالتأكيد؛ بدليل انه حتى ولولم تصرح الآيات بالاطعام في المسغبة مسكيناً أو يتيماً، لكنا نعرف من اطلاق الأمر بالاطعام ان ايام المجاعة هي الأولى، وأن المساكين والأيتام هم الأحق، وان المضطر هو مورد اليقين.

وهذا النمط من الاستنباط واستفادة الحكم من الأدلة المتفرقة، يشبه الاستفادة من دليل نسبي (كالاجماع والعقل). ولابد من الاقتصار فيه على مجرد اليقين، إذ لا عموم له ولا اطلاق. فعند الشك نعود الى عمومات البراءة. والله العالم.

ثانياً: النصوص التي دلت على حرمة النفس وقيمة الحياة، وان من احيا نفساً فكأنه أحيا الناس جميعاً، وأن كثيراً من الفرائض تسقط عند الخوف على حياة شخص سواءً كان المكلف نفسه أو قريبه. (فالتطهر يتبدل من الماء الى التيمم، إذا كان يحتاج الى الماء شخص حي، بل حتى حيوان ذا كبد حرى، لأن لكل كبد أجر..).

وهكذا النصوص التي دلت على حرمة القتل باعتبار ترك مساعدة المضطر، قد يجعل القتل منسوباً الى الشخص.

---

(١) المصدر / ح ٣.

(٢) المصدر / ح ٦.

ويؤيدها الأدلة التي دلت على ضرورة مساعدة المظلوم الذي يهدد حياته، وعدم جواز النظر الى شخص يقتل بحضرته دون ان يقوم بمساعدته.

فقد روي عن الامام جعفر الصادق، عن أبيه عليهما السلام، قال: لا يحضرن أحدكم رجلاً يضربه سلطان جائر ظلماً وعدواناً ولا مقتولاً ولا مظلوماً إذا لم ينصره، لأن نصرة المسلم على المسلم فريضة واجبة إذا هو حضره، والعافية اوسع مالم تلزمك الحجة الظاهرة. (١)

وقال المرجع الشيرازي: وقد قال الامام الحسين لبعض من لم ينصره (أبعد عن المحل لـ) أن لايبقى هناك، وإلاّ أكبه الله على منخره في النار. (٢)

قال المحقق الحلي في الشرائع: ولو اضطر الى طعام الغير وليس له الثمن، وجب على صاحبه بذله، لان في الامتناع اعانة على قتل المسلم. وقال العلامة النجفي في شرح ذلك: وقد قال عليه السلام: من اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله. (٣)

واضاف: ولأنه يجب عليه حفظ النفس المحترمة ولو لغيره. (٤)

ثم قال: خلافاً لمحكي (الشيخ في) الخلاف و (ابن ادريس في) السرائر، فلم يوجباه للأصل. (فإن الأصل البراءة من وجوب تقديم العون لمن حياته في خطر من الجوع).

(وانما استدلوا بالأصل) بعد منع كونه اعانة (على القتل)، وعدم دليل يدل على وجوب حفظ نفس الغير مطلقاً، حتى لو توقف على بذل المال. إذ ليس إلاّ الاجماع، وهو في الفرض ممنوع، بل لعل السيرة في الاعصار والامصار على خلافه في

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٨ / ص ٣١٣ / الباب ٤ / ح ١.

(٢) الفقه / ج ٨٨ / ص ٤٠٤ / عن سفينة البحار / ج ٢ / ص ٥٩٠ مادة (نصب).

(٣) وسائل الشيعة / كتاب القصاص / ابواب القصاص في النفس / الباب ٢/ ح ٤.

(٤) جواهر الكلام (الطبعة السادسة) / ج ٣٦ / ص ٤٣٢ -٤٣٣.

المقتولين ظلماً مع امكان دفعه بالمال، وفي المرضى إذا توقف علاجهم المقتضي حياتهم بأخبار أهل الخبرة على بذل المال. (١)

وخلاصة دليل الشيخين (الطوسي وابن ادريس) على عدم وجوب الاعانة: السيرة، وعدم دليل مقنع على وجوب الإعانة. ولكن العلامة النجفي يرد بقوة على هذا الدليل ويقول: لايخفى عليك ما في ذلك كله ضرورة المفروغية من وجوب حفظ نفس المؤمن المحترمة. وربما يشهد لذلك ما تقدم في النفقات التي اوجبوها على الناس كفاية على العاجز، مضافاً الى النصوص الدالة على المواساة وغيرها، بل لعله من الأمور التي استغنت - بضرورتها - عن الدليل المخصوص. (٢)

وخلاصة دليل الجواهر؛ اولاً: ان حفظ النفس أمر ضروري مفروغ منه، فلا حاجة الى دليل خاص. ثانياً: ادلة المواساة وغيرها.

أما المقدس الأردبيلي فقد استدل على عموم اطعام المسكين بالآيات التي دلت على وجوب ذلك، فقال في تفسير قوله سبحانه **{ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ }** (المدثر/ ٤٤) ويمكن في الاطعام كونه شاملاً للكفارات، والاطعام حال الضرورة. (٣)

واضاف: وبالجملة ينبغي العمل بالعمومات (عمومات الأمر باطعام المسكين) غير ما استثني بدليل، ويؤيده التأكيد في حال الاطعام في قوله تعالى: **{ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}** (الماعون / ٣). فان ترك الترغيب والتحريض والحض على اطعامهم، جعل قرين عدم الايمان بالله والموجب لدخول الجحيم. ثم قال: فكيف تارك فعله، فلا ينبغي ترك اطعام مسكين ان قدر خصوصاً إذا سأل. والله الموفق. (٤)

---

(١) جواهر الكلام (الطبعة السادسة) / ج ٣٦ / ص ٤٣٢ -٤٣٣.

(٢) المصدر.

(٣) زبدة البيان في احكام القرآن / ص ٤٢١.

(٤) المصدر / ص ٤٢٦.

ثالثاً: حقاً استدلال المقدس الاردبيلي متين. ويمكن ان نستدل على ذلك ايضاً بالأدلة الشرعية التي تأمر بالإنفاق عموماً، حيث أن الانفاق على المضطر البائس هو القدر المتيقن منه. قال الله تعالى: { **قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلاَلٌ**} (ابراهيم / ٣١)

وقال الله تعالى: { **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَآ ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً**} (الطلاق / ٧)

وقال الله تعالى: { **وَأَنْفِقُوْا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**} (البقرة / ١٩٥)

وقال الله تعالى: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**} (البقرة / ٢٥٤)

وقال الله تعالى: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنْفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**} (البقرة / ٢٦٧)

وقال الله تعالى: { **ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**} (الحديد / ٧)

والانفاق واجب بوجه مطلق، وقد حددت الشريعة مواردها في الحالات الطبيعية (كالزوجة والابوين والأولاد وهكذا). يقول العلامة النجفي عند شرحه لكلام المحقق الحلي: لا تجب النفقة إلاّ بأحد اسباب ثلاثة؛ الزوجية والقرابة والملك. يقول في شرحه ما يلي: من حيث كونها (أي النفقة) نفقةً، لا من حيث توقف حفظ النفس المحترمة. (١)

---

(١) جواهر الكلام / الطبعة السادسة / ج ٣١ / ص ٣٠١.

وعموماً؛ دلالة آيات الانفاق هي ذاتها دلالة آيات الاطعام على المساكين، في ان الانفاق بقدر سد الرمق وحفظ النفس القدر المتيقن منها حسب الظاهر. والله العالم.

رابعاً: وسائر الأدلة التي تدعو الى التكافل الاجتماعي، مثل قوله سبحانه **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلآئِدَ وَلآ ءَآمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِن رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ اَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }** (المائدة/٢)، وقوله سبحانه: **{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }** (النحل/٩٠) وقوله تعالى: **{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَولِيَآءُ بَعْضٍ}** (التوبة/ ٧١)، وقول النبي صلى الله عليه وآله: مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

كل هذه الادلة تدعونا الى الاحسان الى المضطر، الذي يهدد البؤس حياته دلالة فحوى (١) فلو وجب الاحسان، فكيف لاتجب المحافظة على الحياة؟

خامساً: الأدلة التي تدل على ان المال أساساً هو لله سبحانه، وانما الناس مستخلفون فيه، وعليهم ان يبذلوه فيما أمر الله تعالى،كقوله سبحانه: **{ وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَآءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً }** (النساء/ ٥)

فان قيام المجتمع بالمال، ولذلك جعله الله سبحانه للناس. ولا تتحقق هذه الحكمة من دون بذله، لحفظ النفس المحترمة وحفظ سائر شؤون المجتمع.

---

(١) الدلالة بالفحوى: تعني الدلالة بالاولوية ومثل ذلك ان الله حرّم على الولد ان يقول لوالديه "أفاً" فعرفنا بالفحوى والأولوية انه لايجوز ان يضربهما.

وهكذا نعرف ان حفظ النفس بالطعام واجب شرعاً؛ نعرف ذلك من خلال مختلف الأدلة الشرعية، وهو - كما قال صاحب الجواهر - من الضروريات التي لا تحتاج الى نص خاص. والله العالم.

وقد اهتم القانون الوضعي بهذا الجانب، حيث جاء في الاعلان العالمي لحقوق الانسان، وهو الذي اصبح مصدر إلهام لسائر الدساتير الوضعية، جاء ما يلي: المادة الثالثة: لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.(١) وجاء في المادة الثانية والعشرين: لكل شخص بصفته عضواً في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية وفي ان تحقق بوساطة المجهود القومي والتعاون الدولي، وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته وللنمو الحر لشخصيته. (٢)

واضاف في المادة الخامسة والعشرين: لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية. وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة. وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش، نتيجة لظروف خارجة عن ارادته. (٣)

وجاء في الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية التي وافقت عليها الجمعية العمومية للأمم المتحدة في (١٩٦٦/١٢/١٦ م) جاء في المادة السادسة: لكل انسان الحق

---

(١) حقوق الانسان الشخصية والسياسية (منشورات عويدات بيروت سلسلة زدني علماً) / ص١٤٠.

(٢) حقوق الانسان الشخصية والسياسية (منشورات عويدات بيروت سلسلة زدني علماً) / ص ١٤٣.

(٣) المصدر / ص ١٤٤.

الطبيعي في الحياة، ويحمي القانون هذا الحق، ولا يجوز حرمان أي فرد من حياته بشكل تعسفي. (١)

وفي مختلف الدساتير الوضعية الحديثة نجد ما يدل على هذا الحق، تحت بند التكافل الاجتماعي (او ما أشبهه من الاسماء). ولأن بحثنا هنا خاص بالطعام، فقد اعرضنا عن التفصيل في ذلك.

سادساً: تختلف الأدلة الشرعية التي سقناها لوجوب الاطعام، تختلف سعة وضيقاً. ولذلك يستفاد من كل طائفة منها احكام خاصة، حسب التفصيل التالي:

١/ اذا اعتمدنا في وجوب الاطعام على أدلة حفظ النفس وقيمة الحياة، فان الواجب من الاطعام سد الرمق. ويجوز للمنفق ان يطالب بالثمن، كما يجوز للمعوز انتزاع الطعام بالقوة، لانه من الدفاع عن النفس. ولو قتل في هذا السبيل، كان له أجر الشهداء. ويجوز له ايضاً ان يسرق، لانه مضطر. كما يجوز له ان يأكل الميتة والخنزير وما أشبه.

٢/ وإذا اعتمدنا في الاستدلال على وجوب الاطعام على نصوص اطعام المسكين، حسبما استفاد المقدس الأردبيلي؛ فإن المسكين قد لايحتاج الى الطعام تلك الحاجة الفورية، ولكنه -بالتالي- لايستطيع ان يوفر لنفسه الطعام. فإطعامه واجب حتى ولو لم يكن مشرفاً على الوفاة.

٣/ وإذا فهمنا من نصوص الانفاق على الفقراء، وما ورد في الانفاق بوجه عام (وفي حكمة المال الذي جعله الله للناس قياماً) وما أشبه من الأدلة، إذا فهمنا منها جميعاً التضامن الاجتماعي، فإن الأمر يتجاوز حدود الاطعام، ويصبح في إطار الضمان الاجتماعي ومحاربة الفقر ومواجهة الطبقية الفاحشة. ويكون الانفاق الى حد الارتفاع بمستوى الفقير الى ان يعيش بكرامة في حدود العرف الاجتماعي المتوسط.

---

(١) المصدر / ص ١٦٦.

ويظهر من مختلف احكام الشرع في أبواب الانفاق والزكاة والخمس والكفارات وما أشبه، ان مراد الشارع حذف الفقر من المجتمع الاسلامي، ومواجهة الفحش في التفاوت الطبقي. ولكن هذا البحث يختلف عن موضوعنا في هذا الفصل الخاص بالطعام والاطعام. ونسأل الله ان يوفقنا لبحثه في الوقت المناسب بإذنه تعالى.

٤/ ادخار الطعام. في قصة يوسف الصديق عليه السلام، الذي استقدمه عزيز مصر لتعبير رؤياه، التي أولها يوسف بالقحط الذي سوف يصيب بلادهم، وضرورة تخزين المؤن في هذه القصة التي نقرءها في القرآن (يوسف/ ٤٦- ٤٨) عبرة كافية لضرورة ادخار الطعام لايام الحاجة. ونستفيد من آية كريمة؛ ان بني اسرائيل كانوا يدخرون الطعام في بيوتهم (النساء / ٤٩)، وكانت البشرية قد طوّرت - منذ عصور قديمة - تقنية الادخار، مثل صنع صوامع الغلال او تجفيف اللحوم والفواكه لايام الحاجة.

٥/ نستفيد من هذه الأصول العامة وصايا وشرائع، نذكر فيما يلي طائفة منها:

أ- على كل فرد ان ينظم برنامجه الاقتصادي على اساس توفير حقوق المساكين والفقراء، فيقبض يده قليلاً عن مصاريفه الشخصية ليبسطها الى ذوي الحاجة، وبالذات في الشؤون الكمالية وفي القضايا الترفية. فلعل فتات الخبز التي تتجمع على موائد دولة متوسطة الغنى، تكفي لتغذية شعب فقير كامل. وما يصرفه الاغنياء في التدخين وفي مقبلات الطعام وانواع الأشربة، وزينة البيوت وتبديل السيارات بغير ما حاجة.. قد تكفي لتشغيل كل الأيادي العاطلة في بلادهم. وقد صدق الامام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: ما رأيت نعمة موفورة إلاّ وبجانبها حق مضيع.

ب - على كل فرد ان يتفقد جيرانه وذوي قرابته وأهل بلده، لكي لايكون فيهم مسكين جائع، فإذا وجده بادر الى اشباعه.

ج - على الدول ان تنظم اقتصادها بطريقة تمنع الحرمان والفقر والمسكنة، وتضيّق الفجوة بين الطبقات، وتزيد من التكافل الاجتماعي.

د - لان البشر هم أسرة واحدة، ولان في العالم مناطق محرومة أو منكوبة، وتحتاج الى معونات غذائية، فلابد من اهتمام كل الناس بهذا الأمر وتنظيم المساعدة لها بطرق مختلفة. ولا تكتفي بالمنظمات الانسانية القائمة (كالصليب الأحمر والهلال الأحمر الدوليين)، لان وجودها حتى الآن لم يملأ الحاجة المتزايدة الى المعونات.

هـ - على العالم الاسلامي ان يسعى بجد في طريق الأمن الغذائي، لأن الطعام أول ضرورات الحياة، واهماله يعد خطراً على حياة البشر.

٨٨٨ ٢/ أصل حلية الطعام

(المائدة / ٥)، (الانعام / ١٤٥)، (المائدة / ٦٥)، (آل عمران / ٩٣)، (الانعام / ١٣٨)؛ الاسلام شريعة سمحاء، فك الله بها الاغلال عن عقل البشرية، والآصار عن كاهل الناس، واعاد اليهم حريتهم التي خلقهم عليها. ومن أبعاد سماحة الشريعة، اصولها العامة في حلية الاشياء حتى يرد فيها نص قاطع، وطهارتها حتى يتبين قذرها بدليل واضح. وأصل حلية الطعام الذي رزقنا الله اياه مالم يرد فيه نص ظاهر، أصل مفيد.

ونستفيد من الآيات القرآنية التي اشرنا اليها ومن غيرها عدة بصائر:

الاولى: ان الله أباح للبشر الانتفاع بكل ما في الأرض، ولايجوز للبشر ان يحرموا ذلك على أنفسهم او على بعضهم البعض، مما يقيد حركة الانسان ونشاطه.

الثانية: ان كل رزق طيب حلال، ولا يحرم الدين إلاّ ما عيّنت واشارت اليه النصوص الخاصة.

الثالثة: فإن الله لم يحرم من الطعام إلاّ ما بينته الآيات الكريمة، أما غيرها فهو حلال طيب. وإذا ورد نص في السنة على تحريم اشياء من الطعام، فإنما هو تحريم تنزيه، وليس تحريم تشريع. وبتعبير آخر؛ أنه مكروه وليس بحرام. وهذه البصيرة الثالثة مختلف فهمها عند الفقهاء، وتفسيرها كما يأتي انشاء الله الحديث عنها.

٨٨٨٨ ألف: الانتفاع بما في الأرض

كثيرة الآيات التي ذكر فيها القرآن جعل الأرض للبشر؛ مثل قول الله سبحانه: { **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الاَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِن نَبَاتٍ شَتَّى}** (طه / ٥٣)

نستفيد من الآية؛ ان لكل انسان ان يستفيد من الأرض التي مهّدها الله سبحانه للبشر، ويطرق السبل التي سلكها لهم بلا فرق بين بشر وآخر.

وقال الله تعالى: { **وَمِن رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** (القصص / ٧٣)

ان الزمان ملك للانسان؛ فالليل للسبات، والنهار للنشور، ولا أحد يقدر على منع أحد من الانتفاع بوقته وابتغاء فضل الله بطاقته ونشاطه، بل الناس أحرار في تحديد وقتهم، واحرار في انتخاب أعمالهم.

وقال الله عز وجل: { **الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَآ أَنتُم مِنْهُ تُوقِدُونَ}** (يس/ ٨٠)

نستوحي من الآية؛ ان الطاقة المولدة من النار التي يحصل عليها البشر من خلال الشجر الأخضر، انها ملك الجميع. وقد ورد الحديث عن أبي الحسن عليه السلام، أنه قال: إن المسلمين شركاء في الماء والنار والكلاء. (١)

وقال الله تعالى: { **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}** (الملك / ١٥)

وتدل الآية على حرية الاستفادة مما في الأرض، ومن مناكبها، ورزق الله فيها.

قال المقدس الأردبيلي بعد بيان بعض هذه الآيات: ففيها وفيما تقدم دلالة على إباحة الأرض والماء والنبات كلها لكل انسان بالتصرف فيها لنفسه ولانعامه. (٢)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٧ / ص ٣٣١ / ح ١.

(٢) زبدة البيان في احكام القرآن / ص ٦٢٣.

وقال عز من قائل: **{ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}** (المائدة / ٨٨)

وبهذا التعبير آيات كريمة أخرى أمرت البشرية بالأكل مما رزقهم الله حلالاً طيباً؛ فلا خبث فيها ولا حرج، وهي تدل على تخويل ملكية الرزق ولو بقدر الحاجة الى كل فرد فرد من البشر، بحيث لايستطيع أحد أن يمنع سواه من ذلك.

هذه البصيرة تهدينا الى الأحكام الشرعية التي تجمعها حرية حيازة المباحات، وتساوي الناس فيها. وفيما يلي اشارة الى بعضها:

١/ لايجوز لدولة أو أمة او طائفة او شخص من البشر منع الناس من الانتفاع بما في الأرض، من مساحات زراعية او مياه جارية أو مراعي أو معادن ظاهرة أو مستورة.

٢/ يجوز لكل الناس استخراج ما يشاؤون من منافع الأرض، شريطة ألاّ يحرموا الآخرين منها، لأنها ليست لهم خاصة، بل للجميع.

٣/ يجوز للمجتمع وضع قوانين لتنظيم الانتفاع من الموارد الطبيعية، شريطة ألاّ يضيع حق أحد لحساب الآخر، وذلك بقدر الحاجة الضرورية، لأن الحريات الاساسية للبشر لايجوز مساسها إلاّ بقدر الضرورة.

٤/ لايجوز قطع الطرق وسد السبل أمام حركة الناس في الأرض إلاّ لضرورة بالغة، سواءً كانت الحركة بهدف اقتصادي (كالتجارة او الاستثمار الزراعي والصناعي)، او السياحة او الاهتداء والتعلم..

^^^^ باء: حلية الرزق

لقد أحلت الآيات التي تليت آنفاً ما رزقنا الله، وأمرتنا بأن نأكل منها حلالاً طيباً. وجاء في آية كريمة الأمر بأن نأكل من طيبات ما رزقنا الله سبحانه، فقال ربنا سبحانه: **{ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُم يَظْلِمُونَ}** (البقرة / ٥٧)، وقال تعالى: **{**

يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (البقرة / ١٧٢)

والمفهوم من هذه الآية؛ ان الرزق الطيب فقط هو الذي حلّله الله، أما الخبيث فلا. وقد قال

ربنا تعالى: **{ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّورَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالاَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** (الأعراف / ١٥٧)، وقال تعالى: **{ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُوا مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** (المائدة / ٤)

فماهي الطيبات، وماهي الخبائث؟

يقول المقدس الأردبيلي: والأمر (في قوله تعالى: **كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ**) للترغيب، او لاباحة أكل ما يستلذه المؤمنون ويستطيبونه ويعدونه طيباً، لا خبثاً ينفر عنه الطبع، ويجزم العقل بقبح اكله مثل الدم والبول والمني والحشرات وغيرها. (١)

ولكن السؤال: إذا اختلفت الطباع؛ فاستقذرت جماعة أكلاً كالضب واستطابته أخرى، فأي طبع المقياس ؟

يقول صاحب الجواهر: المراد ردّهم (الناس) الى ما يستطيبونه ولا يستخبثونه، فردهم الى عادتهم وماهو مقزز في طبائعهم. ولان ذلك هو المتبادر من معنى الطيب عرفاً، وسيأتي في الأخبار ما ينبه عليه. وأضاف: والمراد بالعرف - الذي يرجع اليه في الاستطابة - عرف الاوساط من أهل اليسار في حالة الاختيار، دون أهل البوادي وذوي الأضطرار. (٢)

---

(١) زبدة البيان في احكام القرآن / ص ٦٢٠.

(٢) جواهر الكلام / الطبعة السادسة / ج ٣٦ / ص ٢٣٨.

وناقش ـ اعتماداً على فكرته هذه ـ ما جاء في مجمع البرهان من اجمال لفظة الطيب، فقال: ومنه يعلم ما في مجمع البرهان قال: معنى الخبيث غير ظاهر، إذ الشرع ما بيّنه، واللغة غير مراده، والعرف غير منضبط. فيمكن ان يقال: المراد عرف اوساط الناس، وأكثرهم حال الاختيار من أهل المدن والدور، لا أهل البادية، لأنه لا خبث عندهم، بل يستطيبون جميع ما يمكن أكله، فلا اعتداد بهم. (١)

وقال صاحب الجواهر معقباً على كلامه هذا: مع ان طباع اكثر المدن العظيمة ايضاً مختلفة في التنفر وعدمه جداً، كما لا يخفى على من اطلع على احوال سكان بلاد الهند والترك والأفرنج والعجم والعرب في مطاعمهم ومشاربهم. (٢)

ولحل هذه المعضلة، وهي اختلاف الطباع في معرفة الطيب، قال: عنوان التحريم هو ما يستخبثه الانسان بطبعه السليم (النظيف) من آفة، من حيث ذاته، وينفر منه ويشمئز منه، من غير فرق بين العرب والعجم، وأهل المدن والبادية، وزمان اليسار وغيره. (٣)

وهكذا افترض العلامة النجفي وجود معيار واحد عند جميع البشر في الطيب والخبيث، لأن الخبيث عنده معنى قائم في المستخبث، لايختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والناس، ويقابله الطيب الذي هو كذلك. فلا عبرة بنفرة بعض الطباع (من بعض الوان الطيب) لعدم تعود، او لعدم ملائمة لخصوص ذلك الطبع، او لغير ذلك مما يكون سبباً للنفرة، لا من حيث الطبع الانساني المشترك بين غالب افراده. (٤)

اقول: في حقل العرف، وانه معيار لكثير من الاحكام الشرعية، وبالذات في مثل المعاشرة بالمعروف، يرى الفقهاء ان المراد هو العرف الذي يعايشه الفرد، وليس أي عرف، ولم يحددوا معياراً واحداً مشتركاً للعرف في كل زمان ومكان. وهناك أمور

---

(١) المصدر.

(٢) جواهر الكلام / الطبعة السادسة / ج ٣٦ / ص ٢٣٨.

(٣) المصدر / ص ٢٣٩.

(٤) المصدر.

مشابهة مثل الزينة (للنساء)، والاستطاعة (للحج)، والاسراف وغيره (في أبواب الحقوق الشرعية). ولعل في الآية الكريمة التي يقول الله فيها: { **بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**} (القيامة/ ١٤-١٥) دلالة على ان بعض الأمور ترجع الى المعيار الذاتي، لا الموضوعي.

وتفصيل ذلك؛ إن هناك بعض الخبائث والطيبات معروفة عند البشر، لا يتفاوتون فيها مثل فضلات البشر، وبعضها يختلفون فيها. فنرجع فيما اتفقوا الى المعيار الموضوعي، كما نرجع فيما حدده الشرع من الخبائث والطيبات الى الوحي. وفيما عداهما يرجع اهل كل عرف الى عرفهم، فما رأوه طيباً أكلوه، وما وجدوه خبيثاً اجتنبوه..

^^^^^ **القرآن يحدد الطيب:**

والشرع المقدس جاء ببصائر وشرائع وآداب هذبت نفوس البشر، وزكتها، وجعلتهم أرق طباعاً، وأجلى رؤىً، حتى اكتشفوا جمال الخلقة وروعة الفطرة، وميّزوا بين الحق والباطل، وبين الطيب والخبيث، والحسن والسيء. وبالإضافة الى ذلك اشارت آيات الذكر الى بعض مصاديق الطيب والخبيث مما يقربنا الى فهم أعمق لمعانيهما، وفيما يلي نطوف بالموارد التي ذكرت فيها هاتان الكلمتان، لعلنا نهتدي الى عمق معناهما:

أ- قال الله سبحانه: { **وإِنْ خِفْتُمْ اَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَآءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ اَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى اَلاَّ تَعُولُوا** } (النساء / ٣)

لعل المعنى انكحوا ما استطبتم من النساء، وهنا المرأة الطيبة تختلف باختلاف الطباع من ناحية خصالها النفسية والاجتماعية والجسدية.

ب - قال الله تعالى: { **وءَاتُوا النِّسَآءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً**} (النساء / ٤)

وطيب النفس هنا ايضاً يرتبط بمعيار ذاتي يختلف حسب الناس، وليس بمعيار موضوعي شامل لكل البشر.

ج - اما قوله عز وجل: { **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَن يَشَآءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** } (آل عمران/ ١٧٩)

فان المراد من الطيب والخبيث - حسب الظاهر - هو الذي يحدد الشرع طيبه او خبثه.

د - والبلد الطيب هو المنتج، بينما الخبيث الذي لا ينتج. هذا ما نستوحيه من قوله سبحانه: { **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَيَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الاَيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ** } (الاعراف / ٥٨)

وهذا معيار موضوعي، وليس معياراً ذاتياً.

هـ - أما التيمم من الصعيد الطيب، فالظاهر أنه المرتفع من الأرض الذي لا قذر فيه. قال الله سبحانه: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وإِن كُنتُم مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِنكُم مِنَ الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً**} (النساء / ٤٣)

وهذا معيار قد يكون ذاتياً، وقد يكون موضوعياً، حيث ان القذر قد يكون بحكم الشرع والعقل، او بحكم الطبع.

و - والذين يتوفون طيبين، هم الذين لم يظلموا انفسهم بالسيئات وبالخضوع للطغاة. قال الله سبحانه: { **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْملاَئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ**} (النحل / ٣٢)

ز - والريح الطيبة في البحر، هي التي تقود السفينة الى هدفها، بينما غيرها الريح التي تعصف بها. فالطيب هنا النافع غير الضار. قال الله سبحانه: { **هُوَ الَّذِي**

يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } (يونس / ٢٢)

ح - والذين هم مبرؤون من التهم، هم الطيبون. قال الله تعالى: **{ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}** (النور / ٢٦)

ط - والطيبات هي المتع التي يستفيد منها البشر في الدنيا. قال الله تعالى: **{ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ}** (الاحقاف / ٢٠)

إذاً؛ الطيب هو الذي يستطيبه الطبع، وهو الذي أمر به الشرع، وهو النافع الممتع والمنتج والزكي (الطاهر)، والانسان الطيب العدل الذي لايظلم نفسه او غيره.

هذا ما نفهمه من الآيات القرآنية، وهذا كما ترى يتصل بالوحي والعقل والطبع. فاذا حرّم الوحي شيئاً، فهو غير طيب (كالخنزير). وإذا كان شيء مضراً او نكداً او ناقصاً، وفهمنا ذلك من عقولنا ومعارفنا، فهو غير طيب (كالريح الضارة او كالسم والمخدرات والاشياء العفنة، وحتى الميتة والدم والغائط). وإذا كان الشيء غير ملائم لطبع الانسان (مثل المرأة الدميمة او الريح النتنة او ما أشبه)، فهو ايضاً غير طيب بالنسبة الى الشخص نفسه.

ويمكن ان نستفيد هذا المعيار الذاتي لكلمتي الطيب والخبيث من قوله سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنْفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}** (البقرة/ ٢٦٧)

حيث ان المعلوم أن الخبيث هنا ليس الميتة او الدم، وإلاّ لم يكن قابلاً للانفاق، بل المعيوب والناقص وما أشبه.

قال الفخر الرازي: اختلفوا في المراد بالطيب في هذه الآية على قولين؛ (القول الأول): انه الجيد من المال دون الرديء. فاطلق لفظ الطيب على الجيد على سبيل الاستعارة. ثم قال: (القول الثاني): الطيب هو الحلال، والخبيث هو الحرام. ثم قال: ويمكن ان يذكر فيه قول ثالث، وهو ان المراد من الطيب هنا ما يكون طيباً من كل الوجوه، فيكون طيباً بمعنى الحلال، ويكون طيباً بمعنى الجودة. (١)

وفي احاديث أهل البيت عليهم السلام تفسير الطيب مرة بالجيد ومرة بالحلال، حيث روي عن الامام الصادق عليه السلام ما محتواه؛ ان البعض من المسلمين كان يأتي بأردئ التمر للزكاة (فنزلت الآية). وفي رواية اخرى عنه عليه السلام، ما مضمونه؛ ان القوم كانوا قد كسبوا مكاسب سوء في الجاهلية، فلما اسلموا ارادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدقوا بها (فنزلت الآية). (٢)

وهكذا نستفيد من الآية؛ ان الطيب قد يختلف كما الخبيث، وان المعيار في تحديدهما؛ اما هو الوحي او العقل او الطبع الخاص. ولكن المسألة لاتزال بحاجة الى المزيد من التأمل والبحث. والله المستعان.

وحتى لو كان معنى الطيب والخبيث غير ظاهر، فان أدلة حلية ما في الارض تكفي بياناً لأصل الحلية. يقول في ذلك العلامة النجفي، وهو يذهب الى اجمال معنى الخبيث، ولكنه لايرى انه يضر باصل حلية الاشياء. قال: وبالجملة لا يتحصل لنا اليوم من الخبائث معنى منضبطاً يرجع اليه، فيجب الاقتصار فيها على ما علم صدقها عليه قطعاً كفضلة الانسان. ثم قال: والرجوع في البواقي الى الأصل الأول (أي اصل الحلية) ولا عدم حجية بعض العمومات المبيحة للاشياء لتخصيصها بالمجمل، إذ الأصل العقلي والشرعي في حلية مالم يعلم حرمته كاف في المطلوب. (٣)

---

(١) التفسير الكبير / ج ٧ / ص ٦٦.

(٢) راجع تفسير الميزان / ج ٣ / ص ٤٠٣.

(٣) جواهر الكلام / ج ٣٦ / ص ٢٣٩.

وفي ختام هذا البحث، نقرء معاً حديثاً شريفاً مأثوراً عن الامام الصادق عليه السلام، حيث يسأله الراوي فيه: لم حرّم الله الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير؟ قال : ان الله تبارك وتعالى لم يحرّم ذلك على عباده واحلّ لهم ما سواه من رغبة منه فيما حرّم عليهم، ولا زهد فيما احلّ لهم، ولكنه خلق الخلق فعلم ما تقوم به ابدانهم وما يصلحهم، فاحلّه لهم واباحه تفضّلاً عليهم [به] لمصلحتهم، وعلم ما يضرّهم فنهاهم عنه وحرّمه عليهم، ثم اباحه للمضطر واحلّه له في الوقت الذى لا يقوم بدنه إلاّ به فأمره ان ينال منه بقدر البلغة لا غير ذلك، ثم قال : اما الميتة فانه لا يدمنها احد إلاّ ضعف بدنه ونحل جسمه وذهبت قوته وانقطع نسله ولا يموت آكل الميتة إلاّ فجأة، واما الدم فانه يورث أكله الماء الاصفر ويبخر الفم وينتن الرّيح ويسيء الخلق ويورث الكلف والقسوة في القلب وقلة الرأفة والرحمة حتى لا يؤمن ان يقتل ولده ووالديه ولا يؤمن على حميمه ولا يؤمن على من يصحبه، واما لحم الخنزير فان الله تبارك وتعالى مسخ قوماً في صور شتى شبه الخنزير والقرد والدبّ وما كان من المسوخ ثم نهى عن أكل المثلة [مثله] لكيلا ينتفع الناس به ولا يستخفوا بعقوبته، واما الخمر فان الله حرّمها لفعلها وفسادها وقال: مدمن الخمر كعابد وثن يورثه الارتعاش ويذهب بنوره ويهدم مروءته ويحمله على ان يجسر على المحارم من سفك الدماء وركوب الزنا ولا يؤمن اذا سكر ان يثب على حرمه وهو لا يعقل ذلك، والخمر لا يزداد شاربها إلاّ كلّ شر . (١)

٨٨٨٨ جيم: الحرام ما حرّمه الله في القرآن

في آيات كثيرة قرأنا ان الحرام ليس إلاّ اشياء مخصوصة ذكرت في القرآن، ومنها الخبائث. وبالتأمل في السياق القرآني عند الحديث عن هذه المحرمات، نجد تأنيباً وتوبيخاً لبني اسرائيل الذين حرّموا على انفسهم اشياء كثيرة، وهي لم تكن

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٦ / ص ٣٧٦ / ابواب الاطعمة المحرّمة / الباب ١ / ح ١.

محرّمة عليهم. كما نقرء في سياق آيات أخرى ذكر لبعض ما حرمته الجاهلية، وتشديداً على من افتروا على الله كذباً فحرّموا ما أحل الله.

وفي روايات أهل البيت عليهم السلام بيان لسماحة الشريعة، وتحذير من التضييق على النفس كما فعلت بنوا اسرائيل، وتعريض ببعض الناس الذين كانوا يحرمون على انفسهم ما حلّله الله سبحانه.

وفي باب الأطعمة، هناك جملة روايات تؤكد على هذه الحقيقة نقرء جملة منها:

روي عن أبي جعفر عليه السلام قال : "وانما الحرام ما حرم الله في القرآن". (١)

وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: "انه ليس الحرام إلاّ ما حرّم الله في كتابه ثم قال: اقرأ هذه الآية: **{قل لا أجد فيما أوحى اليَّ محرّماً على طاعم يطعمه إلاّ ان يكون ميتة او دماً مسفوحاً او لحم خنزير فانه رجس او فسقاً اهلَّ لغير الله به}**. (٢)

وعن أبي جعفر عليه السلام انه قال في قول الله تعالى : **{ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير}** قال : الميتة والدم ولحم الخنزير معروف ، وما اهلَّ به لغير الله، يعنى ما ذبح للاصنام، و اما المنخنقة فان المجوس كانوا لا يأكلون الذبائح ويأكلون الميتة ، وكانوا يخنقون البقر والغنم فاذا انخنقت وماتت اكلوها ، والمتردية كانوا يشدون اعينها ويلقونها من السطح فاذا ماتت اكلوها، والنطيحة كانوا يناطحون بالكباش فاذا ماتت احداها اكلوها ، وما أكل السبع الا ما ذكيتم فكانوا يأكلون ما يقتله الذئب والاسد فحرم الله ذلك وما ذبح على النصب، كانوا يذبحون لبيوت النيران وقريش كانوا يعبدون الشجر والصخرة فيذبحون لهما ، وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق، قال : كانوا يعمدون إلى الجزور فيجزونه عشرة

---

(١) المصدر / ج ١٧ / ص ٢ / ابواب الاطعمة والاشربة / الباب ١ / ح ٢.

(٢) المصدر / ص ٣ / ح ٤.

اجزاء ثم يجتمعون فيخرجون السهام ويدفعونها إلى رجل والسهام عشرة ، سبعة لها انصباء وثلاثة لا انصباء لها، فالتى لها انصباء الفذّ والتوأم، والمسيل، والنافس، والحليس، والرقيب، والمعلى، فالفذّ له سهم، والتوأم له سهمان، والمسيل له ثلاثة أسهم، والنافس له اربعة اسهم، والحليس له خمسة اسهم، والرقيب له ستة اسهم، والمعلى له سبعة اسهم، واما التى لا انصباء لها: السميح، والمنيح، والوغد، وثمن الجزور على من يخرج له من الانصباء شيء وهو القمار فحرّمه الله عز وجل. (١)

وفي مقابل الروايات التي تليت والتي تؤكد ان الحرام من الأطعمة ليس سوى ما حرّمته آيات الكتاب، هناك أحاديث تحرم طائفة من اللحوم؛ منها:

^^^^^ **أولاً: عن حيوان البحر**

وردت أحاديث في حرمة صيد البحر، نذكر منها مايلي:

عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال : قلت له : رحمك الله إنّا نؤتى بسمك ليس له قشر، فقال : كل ما له قشر من السمك وما ليس له قشر فلا تأكله. (٢)

عن الصادق عليه السلام، قال: كل من السمك ما كان له فلوس، ولا تأكل منه ما ليس له فلس. (٣)

وفي الرواية التالية، كراهة هذا النوع من اللحم.

عن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجريث، فقال : وما الجريث؟ فنعتّه

له، فقال : { **قل لا أجد فيما اوحى إلىَّ محرماً على طاعم يطعمه**} إلى آخر الآية ثم قال : لم يحرم الله شيئا من الحيوان في القرآن إلاّ الخنزير بعينه، ويكره كل شيء من البحر ليس له قشر مثل الورق وليس بحرام انما هو مكروه. (١)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٦ / ص ٣٣٤ / الباب ١٩ / ح ٧.

(٢) المصدر / ص ٣٩٧ / ابواب الأطعمة المحرّمة / الباب ١٨ / ح ١.

(٣) المصدر / ص ٣٩٨ / ح ٧.

وعن محمد بن مسلم قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الجري والمار ماهى والزمير وما ليس له قشر من السمك حرام هو ؟ قال لي: يا محمد اقرأ هذه الآية التى في الانعام : **{ قل لا أجد فيما اوحى الي محرّماً عليَّ}** قال : فقرأتها حتى فرغت منها، فقال: إنما الحرام ما حرّم الله ورسوله في كتابه ولكنهم قد كانوا يعافون أشياء فنحن نعافها. (٢)

وقد ذهب اكثر الفقهاء الى حرمة الحيوانات البحرية إلاّ ذات الفلس، استناداً الى روايات التحريم، وحملاً لغيرها على الكراهة. وقال العلامة النجفي: بلا خلاف أجده فيه بيننا. كما اعترف به في المسالك، بل عن الخلاف والغنية والسرائر والمعتبر والذكرى وفوائد الشرائع؛ الاجماع عليه، وهو الحجة. (٣)

وبعد ان استدل ببعض الأحاديث، قال: وبذلك كله ينقطع أصل البراءة والاباحة، بل ويخص عموم حل الصيد. (٤)

ثم قال: فوسوسة بعض متأخر المتأخرين في الحكم المزبور او ميله الى الحل في الجملة -بل ربما حكي عن الصدوق ايضاً وإن كنا لم نتحققه- في غير محله. (٥)

ولكن المرجع الشيرازي ناقش في أدلة التحريم، فقال: فالاجماع مردود بالمناقشة؛ كبرى (لأنه ليس بحجة لاحتمال استناده)، وصغرى (لانه لا اجماع في البين) خصوصاً وانه محتمل الاستناد، وقد حقق في الأصول عدم حجية مثله. ثم قال: أما الأخبار (الدالة على التحريم) انها معارضة من الجانبين، واخبار الحل نص، واخبار التحريم ظاهر. فيلزم حمل الظاهر على النص، فإن بعض اخبار

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٦ / ص ٤٠٤ / الباب ٩ / ح ١٩.

(٢) المصدر / ح ٢٠.

(٣) جواهر الكلام / ج ٣٦ / الطبعة السادسة / ص ٢٤١.

(٤) المصدر.

(٥) المصدر / ص ٢٤٣.

التحريم - وان كان بلفظ الحرام - إلاّ ان استعمال هذا اللفظ في شدة الكراهة محتمل، بخلاف نص انه ليس بحرام الذي لا محل له إلاّ الطرح. (١)

اقول: لو رجعنا الى القواعد التي اثبتها العلماء في الأصول، لكانت ادلة الحلية اقوى؛ أولاً: لانها موافقة للكتاب. ثانياً: لانها نص. ثالثاً: لانها اقرب الى روح الشريعة السمحاء. رابعاً: لاحتمال ان تكون اخبار التحريم تهدف تزكية الناس وتأديبهم بترك المكروهات، وبالذات تلك التي ترتبط بعادات الناس في المأكل والمشرب، وبالتالي ليس من السهل ان يتركوها.

ولكن فتوى اكثر الفقهاء، بل كلّهم بالحرمة يجعلنا نشك في وجه صدور روايات الحلية، إذ نحتمل انها كانت موضع تقية. والله العالم.

٨٨٨٨٨ **ثانياً: عن السباع**

جاء في طائفة من الأحاديث حرمة السباع، ونذكر منها ما يلي:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : كل ذى ناب من السباع او مخلب من الطير حرام، وقال : لا تأكل من السباع شيئا. (٢)

وقال ايضاً : لا يصلح اكل شيء من السباع، اني لاكره واقذّره . (٣)

وعن سماعة قال: سألته (الامام المعصوم) عن لحوم السباع وجلودها، فقال: اما لحوم السباع والسباع من الطير والدواب فانّا نكرهه، واما جلودها فاركبوا عليها ولا تلبسوا منها شيئا تصلّون فيه. (٤)

وعلق في الجواهر على هذا الحديث بالقول: وفي النهي عن الصلاة فيه دلالة على ارادة الحرمة من الكراهة. (٥)

---

(١) الفقه / ج ٧٦ / ص ١٨.

(٢) وسائل الشيعة / ج ١٦ / ص ٣٨٨ (ابواب الأطعمة المحرّمة) / الباب ٣ / ح ٢.

(٣) المصدر / ح ٥.

(٤) المصدر / ح ٤.

(٥) جواهر الكلام / ج ٣٦ / ص ٢٩٤.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كلّ ذى ناب من السباع ومخلب من الطير حرام. (١)

وعن سماعة بن مهران، قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن المأكول من الطير والوحش، فقال : حرّم رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ ذي مخلب من الطير وكلّ ذى ناب من الوحش، فقلت : ان الناس يقولون من السبع، فقال لي: يا سماعة السبع كلّه حرام وان كان سبعاً لا ناب له، وانما قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا تفضلاً إلى ان قال: وكل ما صفّ وهو ذو مخلب فهو حرام. (٢)

واعتماداً على هذه الأحاديث، أفتى الفقهاء بحرمة كل السباع. فقال المحقق: ويحرم منها ما كان سبعاً، وهو ما كان له ظفر او ناب يفترس به؛ قوياً كان كالأسد والنمر والفهد والذئب، او ضعيفاً كالثعلب والضبع وابن آوى. وعلق في الجواهر عليه قائلاً: الاجماع بقسميه (منقولاً محكياً ومحصلاً مشهوداً) عليه. (٣)

ولكن البعض ناقش في ذلك اعتماداً على اصل الحلية المفهوم من الآية الكريمة، وبالذات من كلمة الحصر فيها **{ قل لا أجد فيما أوحي اليَّ محرّماً}**، والنصوص التي سبقت بان الحرام ما حرّمه الله في كتابه وفي بعضها استدلال بذات الآية. وحملوا كل النصوص الناهية على الكراهة، باعتبار وجود التعبير بكلمة الكراهة فيها. (٤)

اما العلامة النجفي، فقد حمل نصوص الحلية الواردة في السنة على التقية. (٥)

ويبقى لنا سؤال عن الآية التي استدل بها الأئمة عليهم السلام، والتي حصرت المحرمات في اشياء معروفة. فقد قال بعضهم: ان الحصر فيها اضافي؛ أي بالنسبة

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٦ / الباب ٣ / ص ٣٨٧ / ح ١.

(٢) المصدر / ص ٣٨٨ / ح ٣.

(٣) جواهر الكلام / ج ٣٦ / ص ٢٩٥.

(٤) المصدر.

(٥) المصدر / ص ٢٩٦.

الى الطيبات التي حرّمها اليهود على انفسهم لا أجد شيئاً منها، او التي حرمتها الجاهلية. ولكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا استشهد بالآية الأئمة عليهم السلام ؟

وقال المرجع الشيرازي في معرض حديثه عن الحصر في الآية: إن الآية بضميمة الروايات معناها، لا أجد الحرام إلاّ ما في الشريعة. فليست ثمانية الازواج وما أشبه حراماً، وانما (الحرام) ما ذكر في القرآن والشريعة (فانهما معاً) حرام. ولكنه استدرك قائلاً: وهذا التوجيه - وان كان بتكلف - إلاّ انه لابد منه. (١)

والشيء الذي لم يقله المرجع الشيرازي؛ لماذا لابد من هذا التوجيه المتكلف، وهو لايرى الاجماع حجة، وبالذات المحتمل الاستناد؟

٨٨٨٨٨ **ثالثاً: عن الحشرات**

بالنسبة الى الوان الحشرات، قال الفقهاء بحرمتها بضرس قاطع. فقال المحقق الحلي: ويحرم الأرنب والضب، والحشرات كلها؛ كالحية والفارة والعقرب والجرذان والخنافس والصراصر وبنات وردان والبراغيث والقمل.

وقال في الجواهر: لا خلاف، بل الاجماع بقسميه عليه. وفسر الحشرات، بأنها صغار دواب الأرض او التي تأوي نقب الأرض. (٢)

اما الدليل على الحرمة، فهو الاجماع، وانها من الخبائث التي نهانا عنها ربنا سبحانه، وانها مسوخ، وان بعضها سباع. وفي الأحاديث التالية شهادة على ذلك:

روي في كتاب الدعائم عن الامام علي عليه السلام، انه نهى عن الضب والقنفذ وغيره من حشرات الأرض. (٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن اكل الضب، فقال : إنّ الضب والفارة والقردة والخنازير مسوخ. (١)

---

(١) الفقه الجزء ٧٦ / الصفحة ١٠٩.

(٢) جواهر الكلام / ج ٣٦ / ص ٢٩٦.

(٣) مستدرك الوسائل (الطبعة الحجرية) / ج ٣ / ص ٧٢ / الباب ٢ عن الأطعمة المحرّمة / ح ٦.

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : الفيل مسخ كان ملكاً زنا، والذئب مسخ كان اعرابياً ديوثاً، والارنب مسخ كانت امرأة تخون زوجها ولا تغتسل من حيضها، والوطواط مسخ كان يسرق تمور الناس، والقردة والخنازير قوم من بنى اسرائيل اعتدوا في السبت، والجريث والضب فرقة من بنى اسرائيل لم يؤمنوا حين نزلت المائدة على عيسى بن مريم فتاهوا فوقعت فرقة في البحر وفرقة في البرّ، والفارة وهى الفويسقة والعقرب كان نمّاماً، والدّبّ والوزغ والزنبور كان لحّاماً يسرق في الميزان. (٢)

وعن أبي عبدالله عليه السلام ، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، قال : المسوخ من بنى آدم ثلاثة عشر صنفاً: منهم القردة، والخنازير والخفاش، والضّبّ، والفيل، والدّبّ، والدعموص، والجريث، والعقرب وسهيل، والقنفذ، والزهرة، والعنكبوت ثم ذكر سبب مسخهم. (٣)

وفي غير الحشرات التي يعتبرها الطبع من الخبائث، تناقش أدلة الحرمة باصل الحلية، وبالروايات التالية:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله عزوف النفس وكان يكره الشيء ولا يحرِّمه فأُتي بالارنب فكرهها ولم يحرِّمها . (٤)

وعن زكريا بن آدم قال: سألت أبا الحسن عليه السلام: فقلت إنَّ اصحابنا يصطادون الخزَّ فآكل من لحمه؟ قال : فقال : ان كان له ناب فلا تأكله، قال : ثم مكث ساعة فلمّا هممت بالقيام قال : اما انت فاتّي اكره لك أكله فلا تأكله. (٥)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٦ / ص ٣٧٩ / الاطعمة المحرمة / الباب ٢ / ح ١.

(٢) وسائل الشيعة / ج ١٦ / ص ٣٨١ / ح ٧.

(٣) المصدر / ص ٣٨٣ / ح ١٢.

(٤) المصدر / ص ٣٨٧ / الباب ٢ / ح ٢١.

(٥) المصدر / ص ٤٥٩ / الباب ٣٩ من الأطعمة المحرمة / ح ١.

وعن حمران بن اعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الخزِّ فقال: سبع يرعى في البرِّ ويأوى الماء. (١)

وقد ناقش العلامة النجفي في هذه الأحاديث، وحملها على التقية. (٢)

ويبدو ان اقوى أدلة فقهائنا في هذه الأبواب الاجماع، وإلاّ فان الادلة المعارضة أقوى سنداً ودلالة. والله العالم.

٨٨٨٨٨ **رابعاً: عن الطير**

وقال المحقق الحلي عن الطير: والحرام منه اصناف؛ الأول ما كان ذا مخلاب قوي يعدو به على الطير؛ كالبازي والصقر والعقاب والشاهين والباشق، او ضعيف كالنسر والرخمة والببغاء. وقال في الجواهر تعليقاً عليه: بلا خلاف اجده فيه، بل الاجماع بقسميه عليه. (٣)

وقال المحقق: وفي الغراب روايتان، وقيل يحرم الابقع والكبير الذي يسكن الجبال. ويحل الزاغ وهو غراب الزرع، والعذاف وهو اصغر منه يميل الى الغبرة ماهو. وفسر في الجواهر كلمة ماهو، بانه يعني ميلاً يسيراً كالرماد. (٤)

وفي عموم الطير يجري أصل الحلية، والاحاديث التي سبقت أدلة عليه. ولكن ذلك الأصل وتلك الروايات تقابلها احاديث أخرى تنهى عن الطيور المفترسة، والفقهاء عملوا بها، وتجاوزوا أصل الحلية بها. وفيما يلي نذكر بعضاً منها:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كلّ ذى ناب من السباع ومخلب عن الطير حرام. (٥)

وعنه عليه السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : كلّ ذى ناب من السباع او مخلب من الطير حرام، وقال : لا تأكل من السباع شيئا. (١)

---

(١) المصدر / ح ٢.

(٢) جواهر الكلام / ج ٣٦ / ص ٢٩٦.

(٣) جواهر الكلام / ج ٣٦ / ص ٢٩٨.

(٤) المصدر / ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٥) وسائل الشيعة / ج ١٦ / ص ٣٨٧ / الباب ٣ / ح ١.

وعن سماعة بن مهران قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن المأكول من الطير والوحش، فقال : حرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ ذى مخلب من الطير وكلّ ذى ناب من الوحش، فقلت : ان الناس يقولون من السبع، فقال لي: يا سماعة السبع كلّه حرام وان كان سبعاً لا ناب له، وانما قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا تفضلاً إلى ان قال: وكلّ ما صفّ وهو ذو مخلب فهو حرام. (٢)

وفي الحديث التالي بيان حكمة تحريم سباع الطير، حيث روي عن الامام الرضا عليه السلام فيما كتب اليه من جواب مسائله : وحرّم سباع الطير والوحش كلها لأكلها من الجيف ولحوم الناس والعذرة وما اشبه ذلك، فجعل الله عز و جل دلائل ما احلّ من الطير والوحش وما حرّم كما قال [أبي] علي عليه السلام : كل ذى ناب من السباع وذى مخلب من الطير حرام، وكل ما كانت له قانصة من الطير فحلال، وعلة اخرى تفرق بين ما احلّ وما حرّم قوله عليه السلام : كل ما دفّ، ولا تأكل ما صفّ. (٣)

وفي بعض الأحاديث تصريح بحرمة مثل هذه الطيور، وعن الامام الرضا عليه السلام ايضاً في كتابه إلى المأمون : محض الاسلام شهادة ان لا اله الا الله، إلى ان قال : وتحريم كلّ ذى ناب من السباع و[كلّ] ذى مخلب من الطير. (٤)

وفي خصوص الغراب وردت روايات بالحرمة، فقد روى على ابن جعفر، عن أخيه أبي الحسن عليه السلام قال : سألته عن الغراب الأبقع والاسود أيحلُّ أكلهما ؟ فقال : لا يحلّ أكل شيء من الغربان زاغ ولا غيره . (٥)

وجاء في الحديث المرسل؛ ان النبي صلى الله عليه وآله أتى بغراب فسمّاه فاسقاً. وقال: والله ما هو من الطيبات. (١)

---

(١) المصدر / ص ٣٨٨ / ح ٢.
(٢) المصدر / ح ٣.
(٣) وسائل الشيعة / ج ١٦ / ص ٣٨٩ / الباب ٣ / ح ٧.
(٤) المصدر / ح ٨.
(٥) المصدر / ص ٣٩٦ / الباب ٧ / ح ٣.

وفي بعض الاحاديث السابقة؛ ان الغراب ليس بمحرم، ولكن الانفس تتنزه عن ذلك تقززاً.

وحرمة هذه الطيور اقرب الى الاحتياط، ولكن اصل الحلية يقتضي الكراهة الشديدة فيها. والله العالم.

٨٨٨٨ دال: آداب الطعام

في السنة الشريفة وصايا كثيرة بشأن الطعام، ترجع في الأغلب الى الحقول التالية: نية الطعام وما يتصل بالتقوى والتزكية، ثم الهدف من الطعام وما يرتبط بصحة الانسان وقوته، ثم الجانب الاجتماعي، وأخيراً البعد الاقتصادي.

ولأن الحديث يطول لو أننا استعرضنا كل هذه الجوانب تفصيلاً، فاننا نقتصر على نبذ منها:

٨٨٨٨٨ أولاً / الطعام تقوى واحسان

النية تصبغ عمل البشر، وصبغة المؤمن النية الصالحة، ونيته من الطعام التقوي على طاعة الله. وقد قال سبحانه: **{ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }** (الانعام /١٦٢). وقد تلونا آيات كريمة حول نية المؤمن الطعام، وكيف ان طعامه قوة على التقوى والعمل الصالح والاحسان الى الناس.

أ- وهكذا المؤمن يسمي اول الطعام، ويحمد آخره. فقد روي عن جعفر بن محمد عليهما السلام، انه قال: إذا وضع الطعام فسمّوا، فان الشيطان يقول لاصحابه أخرجوا فليس لكم فيه نصيب. ومن لم يسمّ على طعامه، كان للشيطان معه فيه نصيب. (٢)

ب- كما أنه يدعو الله اول الطعام وآخره. فقد كان صلى الله عليه وآله إذا وضع يده في الطعام قال: بسم الله، بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفه.

---

(١) مستدرك الوسائل / الباب ٦ من ابواب الاطعمة المحرمة / ح ١.

(٢) مستدرك الوسائل / ابواب آداب المائدة / باب ٤٩ / ص ٩٢.

وروي عن الصادق عليه السلام، إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمنا في جائعين، وسقانا في ظمآنين، وكسانا في عارين، وهدانا في ضالين، وحملنا في راجلين، وآوانا في ضاجين، وأخدمنا في عانين، وفضلنا على كثير من العالمين. (١)

ج- ولأن مائدة الطعام قد تكون مظنة الفخر والغرور، فان المؤمن يجلس عليها جلسة العبد ليكسر في نفسه سورة الغرور والحمية والانانية. قال أمير المؤمنين عليه السلام: فتأس بنبيك الأطهر الاطيب صلى الله عليه وآله.. (الى ان قال) ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري ويردف خلفه .. (٢)

د- والمؤمن لا يبقي شيئاً من الطعام في قصعته، بل يلطعها لطعاً ويمص اصابعه. قال أمير المؤمنين عليه السلام،: من لعق قصعة صلّت عليه الملائكة، ودعت له بالسّعــة في

الرزق، ويكتب له حسنات مضاعفة. (٣)

هـ- كما يستحب للمؤمن ان يمص أصابعه بعد الطعام. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، انه قال: من أكل طعاماً فليمصّ اصابعه فإن في مصّ أحدها بركة. (٤)

و- والمؤمن يكرم ما انعم الله عليه من خبز وحنطة وشعير.. ويتحاشى اهانتها. حيث روي عن الامام الصادق جعفر ابن محمد عليها السلام، انه سئل عن الصلاة، على كدس الحنطة فنهى عن ذلك فقيل له: فإذا افترش وكان على السطح، فقال: لا يصلّى على شيء من الطعام، فإنما هو رزق الله لخلقه ونعمته عليهم، فعظموه ولا تطأوه ولا تهاونوا به فإن قوماً ممن كان قبلكم وسّع الله عليهم في ارزاقهم، فاتخذوا

---

(١) المصدر / الباب ٥٢ / ص ٩٣.

(٢) المصدر / الباب ٨ / ص ٨٣.

(٣) مستدرك الوسائل / الباب ٥٩ / ص ٩٤.

(٤) المصدر .

من الخبز النقي مثل الافهار فجعلوا يستنجون به فابتلاهم الله عز وجل بالسنين والجوع، فجعلوا يتتبّعون ما كانوا يستنجون به فيأكلونه وفيهم نزلت هذه الآية **{وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون}**. (١)

ز- وهكذا المؤمن تتمتع روحه بالطعام، فيشكر الله عليه وعلى العافية والأمن، قبل ان يطعَم واثناء الطعام وآخره. ويتذكر المؤمن عند الطعام انه كم نعمة يفقدها الآخرون ووفرها الله له، فله الحمد والشكر. وهذا ما يقرءه عند الدعاء بالمأثور. حيث روي عن أبي عبدالله عليه السلام، إنه قال : كان أبي عليه السلام يقول : الحمد لله الذى أشبعنا في جائعين وأروانا في ظامئين وآوانا في ضاحين وحملنا في راجلين وأمننا في خائفين وأخدمنا في عانين. (٢)

^^^^^ **ثانياً / الطعام لذة وصحة**

لعل كلمتي الهنيئ والمريء تعكسان حاجة الانسان الى اللذة العاجلة عند الطعام، والى العافية بعده. وعلى الانسان ان يختار طعامه اختياراً دقيقاً، اولاً ليتهنأ به. فلا يأكل كما تأكل الانعام، التي لا تهدف إلاّ امتلاء البطن واداء وظيفة فيسيولوجية. وثانياً لينتفع بها في المستقبل صحة وقوة ونشاطاً.

وهكذا المؤمن يتفنن في أصل الطعام، وفي مائدته وظروفه وأوانيه بأناقة وجمال ودون اسراف وترف.

أ - إنه يأكل باليمين، لان في اليمين الشرف والاحترام. فقد روي عن جعفر بن محمد عليهما السلام، أنه قال: لا يأكل الرجل بشماله ولا يشرب بها ولا يتناول بها إلاّ من علّة. (٣)

---

(١) مستدرك الوسائل / ج ٣ -الطبعة القديمة-/ الباب ٧١ / ص ٩٦ / ح ١.

(٢) وسائل الشيعة / ج ١٦ / ص ٥٨٨ / الباب ٥٩ من أبواب آداب المائدة / ح ١.

(٣) مستدرك الوسائل / ج ٣ / ص ٨٣ ابواب آداب المائدة / الباب ١٠.

ب - والمؤمن يأكل مجتمعاً مع أهله واخوانه، لان لذة الطعام أهنأ بالاجتماع. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحب الطعام الى الله، ما كثرت عليه ايدي المؤمنين.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، انه قال: اكثر الطعام بركة، ما كثرت عليه الايدي. (١)

ج - انه يتجنب الأكل في السوق. فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: الأكل في السوق دناءة. (٢)

د - ولا يأكل الطعام الحار. روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: أتى النبي صلى الله عليه وآله بطعام حار جداً، فقال صلى الله عليه وآله: ما كان الله ليطعمنا النار، اقروه حتى يسكن (ظ). فان الطعام الحار جداً ممحوق البركة، للشيطان فيه شرك. (٣)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: اقروا الحار حتى يبرد ويمكن أكله. ما كان الله ليطعمنا النار، والبركة في البارد. (٤)

ز - وإنه يجيد الطعام اجادة. فقد روي عن جعفر بن محمد عليهما السلام، أنه قال لبعض اصحابه وهو يأكل معه: يعرف مودة الرجل لاخيه بجودة أكله، وانه ليعجبني الرجل يأكل من طعامي فيجيد في الأكل، يسرني بذلك. (٥)

وهناك تعاليم أخرى كثيرة في الالتذاذ بها، يجمعها قوله سبحانه: **{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}** (الاعراف/ ٣٢)

فالزينة والطيبات من رزق الله للمؤمنين، ولهم ان ينتفعوا بها بالتمام والكمال.

---

(١) المصدر / الباب ١٢ / ص ٨٤.
(٢) المصدر / الباب ٧٧ / ص ٩٨.
(٣) المصدر / الباب ٨١ / ص ٩٨.
(٤) المصدر.
(٥) المصدر / الباب ٢٢ / ص ٨٦.

واما ما يتصل بالصحة، فإن جانباً كبيراً من وصايا الاسلام وتعاليم الكتاب والسنة يرتبط بها. وانما نستعرض فيما يلي بعض الأمثلة فقط:

أ ـ يكره الشبع وكثرة الأكل، كما يكره الأكل على الشبع. فقد روي عن رسول الله، انه قال: لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فان القلوب تموت كالزرع إذا كثر عليه الماء. (١)

وقال صلى الله عليه وآله: اياكم والبطنة، فانها مفسدة البطن ومورثة للسقم ومكسلة عن العبادة. (٢)

وعن النبي صلى الله عليه وآله ايضاً، قال: من تعود كثرة الطعام والشراب قسى قلبه. (٣)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: من كثر أكله، قلت صحته، وثقلت على نفسه موتته. (٤)

ب ـ ويستحب الاقتصار في الأكل على الطعام غدوة وعشاء، اول النهار وأول الليل. فقد روي عن علي بن أبي الصلت ابن اخي شهاب بن عبد ربه قال: شكوت الى أبي عبد الله عليه السلام ما القى من الاوجاع والتخم، فقال: تغدّ وتعشّ ولا تأكل بينهما، فان فيه فساد البدن. اما سمعت الله عز وجل يقول: **{ لهم رزقهم فيها بكرة وعشياً}**. (٥)

ويكره ترك العشاء خصوصاً للشيخ والكهل. فقد روي عن جعفر بن محمد عليهما السلام، انه قال: وينبغي للرجل إذا سنّ ان لا يبيت إلاّ وجوفه مملؤ طعاماً. (٦)

---

(١) مستدرك الوسائل / ج ٣ / الباب ١ـ ٢ / ص ٨٠ ـ ٨١.
(٢) المصدر.
(٣) المصدر.
(٤) المصدر.
(٥) المصدر / الباب ٣٩ / ص ٩٠.
(٦) المصدر / الباب ٤١ / ص ٩٠.

ويستحب اكل شيء ولو خبزاً وملحاً قبل الخروج من البيت. فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: إذا صلّيت الفجر فكل كسرة تطيب بها نكهتك، وتطفى بها حرارتك، وتقوم بها اضراسك، وتشد بها لثتك، وتجلب بها رزقك، وتحسن بها خلقك. (١)

بهذه التعاليم نظم الاسلام وجبات الطعام.

ج - اما عن طبيعة المائدة وما فيها، فقد وردت أخبار عنها كثيرة، فمن المستحب اجادة الطعام. روي عن الصادق عليه السلام، قال: لو أن رجلاً انفق على طعام الف درهم وأكل منه مؤمن، لم يعدّ سرفاً. (٢)

كما يستحب ان يكون عليها البقل. فقد قال أبو عبد الله عليه السلام: لكل شيء حلية، وحلية الخوان البقل. (٣)

ويستحب ان يكون فيها اللحم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيد طعام الدنيا والآخرة اللحم. (٤)

ويستحب تفضيل خبز الشعير على القمح. وقد روي عن أبي الحسن عليه السلام، قال: فضل خبز الشعير على البرّ كفضلنا على الناس. ما من نبي إلاّ وقد دعا لأكل الشعير وبارك عليه، وما دخل جوفاً إلاّ وقد خرج كل داء فيه، وهو قوت الانبياء وطعام الابرار، أبى الله ان يجعل قوت الانبياء للاشقياء. (٥)

ويستحب ان يختار لحم الضأن. وروى كل اللحم النضيج من الضأن الفتى اسمنه لا القديد ولا الجرور ولا البقر. (٦)

---

(١) مستدرك الوسائل / ج ٣ / الباب ٥٤ / ص ٩٣.

(٢) المصدر / الباب ٢٥ / ص ٨٧.

(٣) المصدر / الباب ٩١ / ص ١٠٠.

(٤) المصدر / ابواب الأطعمة المباحة / الباب ٧ / ص ١٠٤.

(٥) المصدر / الباب ٢ / ص ١٠٣.

(٦) المصدر / الباب ١١ / ص ١٠٥.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ان الله عز وجل اختـار من كل شيء.. الى ان
قال: واختار من الغنم الضأن. (١)

ولا بأس بلحم البقر على كراهته. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: من أكل لقمة سمينة نزل من الداء مثلها من جسده، ولحم البقر داء وسمنها شفاء ولبنها دواء، وما دخل الجوف مثل السمن. (٢)

ويستحب اكل الفراخ. فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: اطيب اللحم، لحم فراخ نهض او كاد ينهض. (٣)

ويستحب اختيار الذراع والكتف. وقد روي عن الرضا عليه السلام، قال: اشتر لنا من اللحم المقاديم ولا تشتر المآخير، فإن المقاديم أقرب من المرعى وابعد من الاذى. (٤)

ويستحب أكل الكباب لمواجهة الضعف. روي عن موسى بن بكر الواسطي قال: ارسل الي ابو الحسن عليه السلام، فاتيته، فقال: مالي اراك مصفراً؟ وقال: ألم آمرك بأكل اللحم؟ قال: فقلت؛ ما أكلت غيره منذ أمرتني. فقال: كيف تأكله؟ قلت: طبيخاً. قال: كله كباباً. فاكلت، فارسل اليّ بعد جمعة، فاذا الدم قد عاد في وجهي. (٥)

---

(١) مستدرك الوسائل / ج ٣ / الباب ١١ / ص ١٠٥.
(٢) المصدر / الباب ١٣ / ص ١٠٦.
(٣) المصدر / الباب ١٤ / ص ١٠٦.
(٤) المصدر / الباب ١٨ / ص ١٠٦.
(٥) المصدر / الباب ٢٣ / ص ١٠٧.

وكذلك أكل الخل والزيت لذات السبب. روي عن جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: نعم الادام الخل، ونعم الادام الزيت، وهو طيب الانبياء وادامهم وهو مبارك. (١)

ويستحب ألاّ يخلو البيت من الخل. قال ابو عبد الله عليه السلام: وادمنوا الخل والزيت في منازلكم، فما افتقر أهل بيت كان ذلك ادمهم. (٢)

ويستحب أكل تمرات على الريق (صباحاً). قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من اصبح

بتمرات من عجوة، لم يضرّه ذلك اليوم سمّ ولا سحر. (٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلوا التمر على الريق، فانه يقتل الدود. (٤)

ويستحب أكل التفاح والتداوي به. قال أبو عبد الله عليه السلام: لو يعلم الناس ما في التفاح ماداووا مرضاهم إلاّ به، ألا وانه اسرع شيء منفعة للفؤاد خاصة وانه نضوحه. (٥)

كما يستحب تناول الهندباء. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: كل الهندباء، فما من صباح إلاّ ويقطر عليه من قطر الجنة. (٦)

وعن الصادق عليه السلام، قال: من أكل الهندباء، كتب من الآمنين يومه ذلك وليلته. (٧)

وهكذا يستحب التداوي بالكراث. روي عن الصادق، عن الباقر عليهما السلام، قال: شكا اليه رجل من اوليائه وجع الطحال، وقد عالجه بكل علاج، وانه يزداد كل

---

(١) المصدر / الباب ٣٣ / ص ١٠٨.
(٢) المصدر / الباب ٣٤ / ص ١٠٩.
(٣) مستدرك الوسائل / ج ٣ / الباب ٥٧ / ص ١١٤.
(٤) المصدر.
(٥) المصدر / الباب ٦٧ / ص ١١٥.
(٦) المصدر / الباب ٨٠ / ص ١١٨.
(٧) المصدر.

يوم شراً، حتى اشرف على الهلكة. فقال عليه السلام: اشتر بقطعة فضة كراث واقله قلياً جيداً بسمن عربي، واطعم من به هذا الوجع ثلاثة ايام، فانه إذا فعل ذلك برئ انشاء الله تعالى. (١)

وهناك تعاليم كثيرة أخرى في طبيعة الأكل، لا يسعنا استقصاءها، ويجمعها الاهتمام بالمائدة من الناحية الصحية لتكون متكاملة، سواءً من ناحية الفواكه والبقول او من ناحية الخبز والادام، وان تكون غنية بكافة المواد التي يحتاجها جسم الانسان، والتي تزيد الانسان صحة ونشاطاً.

د ـ اما عن طريقة الأكل، فهناك تعاليم كثيرة ايضاً، منها غسل اليدين قبل الطعام وبعده. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، انه قال: من غسل يديه قبل الطعام وبعده، بورك له في أول الطعام وآخره. (٢)

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: غسل اليدين قبل الطعام وبعده ينفي الفقر ويجلب الرزق. (٣)

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم، فقدمنا اليه طعاماً واهدت الينا امّ ايمن صحفة من تمر وقعباً من لبن وزبد، فقدمنا اليه فاكل منه، فلما فرغ منه قمت فسكبت على يديه ماء، فلما غسل يده مسح وجهه ولحيته ببلّة يديه. (٤)

وعن الصادق عليه السلام، أنه قال: إذا غسلت يدك من الطعام فامسح بهما وجهك من قبل ان تمسحهما بالمنديل، وقل اللهم اني اسألك الرتبة والمحبة واعوذ بك من المقت والمغضبة. (٥)

---

(١) المصدر / الباب ٨٤ / ص ١١٩.
(٢) المصدر / الباب ٤٢ / ص ٩٠.
(٣) مستدرك الوسائل / ج ٣ / الباب ٤٢ / ص ٩١.
(٤) المصدر / الباب ٤٧ / ص ٩١.
(٥) المصدر.

كراهة الأكل متكئاً ومنبطحاً. فقد روي عن علي صلوات الله عليه، أنه قال: لا تأكل متكئاً كما يأكل الجبارون، ولا تربّع. (١)

وعن الصادق عليه السلام، أنه قال: لا تأكل متكئاً، وان كنت منبطحاً هو شرّ من الاتكاء. (٢)

ويكره ان يضع رجلاً على رجل عند الطعام. روي عن أبي عبد الله عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام، انه قال: اذا جلس احدكم على الطعام فليجلس جلسة العبد، ولا يضعن احدكم احدى رجليه على الاخرى، ولا يتربع فانها جلسة يبغضها الله عز وجل ويمقت صاحبها. (٣)

كذلك يكره الأكل ماشياً. روي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لا تأكل وانت ماش،

إلاّ ان تضطر الى ذلك. (٤)

ويستحب بعد الأكل ان يستلقي ويضع رجله اليمنى على الأخرى. روي عن الصادق عليه السلام، انه قال: الاستلقاء بعد الشبع يسمن البدن، ويمرئ الطعام، ويسلّ الداء. (٥)

وعن الرضا عليه السلام: ومن اراد ان يستمرء طعامه، فليستلق بعد الأكل على شقّه الايمن، ثم ينقلب (ذلك) على شقّة الايسر حتى ينام. (٦)

---

(١) المصدر / ابواب آداب المائدة / الباب ٦ / ص ٨٢.

(٢) المصدر / ص ٨٣.

(٣) المصدر / الباب ٩ / ص ٨٣.

(٤) مستدرك الوسائل / ج ٣ / الباب ١١ / ص ٨٤.

(٥) المصدر / الباب ٦٦ / ص ٩٥.

(٦) المصدر.

ويستحب ان يبدء بالملح ويختم به. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: من افتتح طعامه بالملح وختم به، عوفي من اثنين وسبعين داء، منها الجدام. (١)

ويكره ان ينفخ في الطعام. روي عن علي عليه السلام، قال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن اربع نفخات؛ في موضع السجود، وفي الرقا، وفي الطعام، والشراب. (٢)

ويستحب عند الأكل ان يلاحظ عدم الأكل من رأس الطعام، وان يأكل مما يليه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا اكلتم الثريد فكلوا من جوانبه، فان الذروة فيها البركة. (٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا وضعت المائدة فليأكل احدكم مما يليه ولا يناول ذروة الطعام فان البركة تأتيها من اعلاها، ولا يقوم احدكم ولا يرفع يده وان شبع حتى يرفع القوم ايديهم، فان ذلك يخجل جليسه. (٤)

وأن يأكل بثلاث أصابع. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأكل باصبع واحد اكل الشيطان، وبالاثنين اكل الجبابرة، وبالثلاث أكل الانبياء عليهم السلام. (٥)

ويستتحب تخليل الاسنان بعد الأكل. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تخللوا على اثر الطعام، فانه صحة للناب والنواجد، ويجلب على العبد الرزق. (٦)

---

(١) المصدر / الباب ٨٤ / ص ٩٩.

(٢) المصدر / الباب ٨٢ / ص ٩٩.

(٣) المصدر / الباب ٥٧ / ص ٩٤.

(٤) المصدر / الباب ٥٨ / ص ٩٤.

(٥) المصدر / الباب ٦٠ / ص ٩٤.

(٦) مستدرك الوسائل / ج ٣ / الباب ٩٢ / ص ١٠٠.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: نقّوا افواهكم بالخلال، فانه مسكن الملكين الحافظين الكاتبين وان مدادهما الريق وقلمهما اللسان وليس شيء أشد عليهما من فضل الطعام في الفم. (١)

ويستحب ان يغسل الفم بالسعد بعد الطعام (للتطيب)، وربما يستحب كل طيب. روي عن الباقر عليه السلام كان اذا توضأ بالاشنان ادخله فاه فتطاعمه ثم رمى به. (٢)

ويستحب غسل خارج الفم بالاشنان (او بكل منظف كالصابون).

٨٨٨٨٨ **ثالثاً / الطعام صلة اجتماعية**

بالطعام تنشرح النفس، وهو نشرة من الانقباض والضيق. وهكذا فهو مناسبة للعلاقة الاجتماعية، سواءً في اطار العائلة او خارجها. من هنا أدب الاسلام المؤمنين بجملة آداب في الطعام، تزيد من علاقاتهم ببعضهم؛ منها ما يلي:

أ- يكره ان يأكل الانسان زاده وحده. روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه لعن ثلاثة؛ آكل زاده وحده، وراكب الفلاة وحده، والنائم في بيت وحده. (٣)

ب - ويستحب الاجتماع على الطعام. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحب الطعام الى الله ما كثرت عليه ايدي المؤمنين. (٤)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: أكثر الطعام بركة ما كثرت عليه الأيدي. (٥)

ج - ويستحب اقراء الضيف. روي عن علي بن ابي طالب عليه السلام، قال: ان من مكارم الاخلاق اقراء الضيف. (١)

---

(١) المصدر.

(٢) المصدر / الباب ٩٥ / ص ١٠١.

(٣) المصدر / الباب ٨٩ / ص ١٠٠.

(٤) المصدر / الباب ١٢ / ص ٨٤.

(٥) المصدر.

د - وتستحب اجابة دعوة المؤمن. روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: من لم يجب الدعوة، فقد عصى الله ورسوله. (٢)

هـ - ويستحب مؤكداً اطعام الطعام. روي عن علي عليه السلام، انه قال: لئن اجمع نفراً من اخواني على صاع او صاعين، أحبّ اليَّ من ان اخرج الى سوقكم هذه فاعتق نسمة. (٣)

وعن جعفر بن محمد عليهما السلام، انه قال: اطعام مؤمن يعدل عتق رقبة. (٤)

و - وحتى يستحب تناول المؤمن اللقمة، إذ روي عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: من القم في فم اخيه المؤمن لقمة حلو لا يرجو لها رشوة ولا يخاف بها من شرة ولا يريد إلاّ وجهه تعالى، صرف الله عنه بها مرارة الموقف يوم القيامة. (٥)

ز - ويستحب لأهل البلد استضافة من يرد عليهم من اخوانهم. روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: إذا دخل رجل بلدة فهو ضيف على من بها من أهل دينه حتى يرحل عنهم، ولا ينبغي للضيف ان يصوم إلاّ باذنهم لئلا يعملون له الشيء فيفسد عليهم، ولا ينبغي لهم ان يصوموا إلاّ باذنه لئلا يحتشمهم فيترك لمكانهم. (٦)

ح - ويستحب اكرام الضيف وتوقيره. روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، انه قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. (٧)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، انه قال: اكرم ضيفك وإن كان حقيراً. (٨)

---

(١) مستدرك الوسائل / ج ٣ / الباب ٢٠ / ص ٨٦.
(٢) المصدر / الباب ١٥ / ص ٨٤.
(٣) المصدر / الباب ٢٦ / ص ٨٧.
(٤) المصدر.
(٥) المصدر / الباب ٦٣ / ص ٩٤.
(٦) المصدر / الباب ٣١ / ص ٨٨.
(٧) المصدر / الباب ٣٤ / ص ٨٩.
(٨) المصدر.

وهناك تعاليم كثيرة في طريقة اكرام الضيف، وآداب الضيافة تزيد المؤمن علاقة بأخيه، ويتحول الطعام الى مناسبة اجتماعية بهيجة..

٨٨٨٨٨ رابعاً / الطعام وتدبير المعيشة

وعلى الانسان ان يقتصد في معيشته، ويهتم بطعامه بقدر سعته، فلا يتكلف ما ليس له. وقد وفّر الله سبحانه أكثر ما يحتاجه البشر من الطعام، بحيث يمكن ان يدبر المؤمن نفسه دون تكلف ودون ان يتضرر بشيء. وفيما يلي بعض التعاليم في هذا الشأن:

أ - يستحب ان يقدر الانسان الطعام بقدر سعته. روي عن جعفر بن محمد عليهما السلام، انه قال: ليس في الطعام سرف. (١)

ب - وعادة تكون مناسبة الضيافة وسيلة للتكلف في الطعام، وقد نهى الاسلام من ذلك، حيث يستحب للضيف ألاّ يكلف صاحب المنزل شيئاً. روي عن الحسين بن علي عليهما السلام، قال: دعا رجل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال له: أجبت على ان تضمن لي ثلاث خصال. قال: وماهي يا أمير المؤمنين؟ قال: ان لا تدخل على شيئاً من خارج، ولا تدّخر عني شيئاً في البيت، ولاتجحف بالعيال. قال: ذلك لك. فاجابه علي عليه السلام. (٢)

ومن جهة أخرى يستحب الاّ يستقل الضيف ما يقدمه له من نعم الله. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، انه قال: ومن احتقر ما يقرب اليه اخوه، لم يزل في مقت الله يومه وليلته. (٣)

كما يستحب ألاّ يحتشم منه. روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، انه قال: اكرم اخلاق النبيين والصديقين والشهداء والصالحين التزاور في الله، وحق على

---

(١) مستدرك الوسائل / ج ٣ / الباب ٢٤ / ص ٨٧.

(٢) المصدر / الباب ١٩ / ص ٨٥.

(٣) المصدر / الباب ١٨ / ص ٨٥.

المزور ان يقرب الى اخيه ما تيسّر عنده، ولو لم يكن إلا جرعة من ماء. فمن احتشم ان يقرب الى أخيه ما تيسّر عنده، لم يزل في مقت الله يومه وليلته. (١)

ج - ولا يجوز ان يبتغي المرء بطعامه الرياء والسمعة، مما يكلفه فوق طاقته عادة. روي عن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: من أطعم طعاماً رئاء وسمعة، أطعمه الله من صديد جهنم، وجعل ذلك الطعام ناراً في بطنه حتى يقضي بين الناس يوم القيامة. (٢)

د - وقد يسبب التساهل في الانتفاع بالطعام الاسراف. وهكذا وردت تعاليم اسلامية للاهتمام بالطعام، فيكره رمي الفاكهة قبل استقصاء اكلها. روي عن جعفر بن محمد عليهما السلام، انه نظر الى فاكهة قد رميت في داره لم يستقص اكلها فغضب. فقال: ما هذا؟! ان كنتم شبعتم، فان كثيراً من الناس لم يشبعوا، فاطعموه من يحتاج اليه. (٣)

ويستحب إذا حضر الخبز، ألاّ ينتظر به غيره. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: اكرموا الخبز، فان الله تبارك وتعالى انزل له بركات السماء. قيل: وما اكرامه؟ قال: اذا حضر لم ينتظر به غيره. (٤)

ويستحب تصغير الرغيف. روي عن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: صغّروا رغافكم، فان مع كل رغيف بركة. (٥)

ويستحب اكرام الخبز. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، انه قال: من وجد كسرة خبز ملقاة على الطريق، فاخذها فمسحها ثم جعلها في كوّة، كتب الله له حسنة، والحسنة بعشر امثالها، فان اكلها كتب الله له حسنتين مضاعفتين. (١)

---

(١) المصدر / الباب ١٧ / ص ٨٥.
(٢) مستدرك الوسائل / ج ٣ / الباب ٣٠ / ص ٨٨.
(٣) المصدر / الباب ٦١ / ص ٩٤.
(٤) المصدر / الباب ٧٣ / ص ٩٨.
(٥) المصدر / الباب ٧٦ / ص ٩٨.

نسـأل الله ان يوفقنـا للتفقـه فـي الـدين، والانتفـاع بتعاليمـه التـي هـي حيـاة القلـب والجسم، انه ولي التوفيق.

---

(١) المصدر / الباب ٦٩ / ص ٩٥.

٨٨السكــن

٨٨٨ معنى السكن:

في كتاب ربنا جملة عبارات حول مأوى الانسان؛ فالدار والبلد والقرية والسكن ، كلها تعني المنطقة التي يأوي اليها البشر، ولكن لكل واحد من هذه الكلمات ظلالها وابعادها وميزاتها. فالدار مجمع يحاط به السور او الزمان، او ما اشبه . ولان محتوى السور ومركز الدوران هو المعني بهذه الكلمة، فان الدار أعم من البيت. فالمدينة دار لانها يحيط بها السور، والدولة ايضاً دار لانها محاطة بالحدود المحروسة، والوطن دار لانه محمي بما يحفظه ، والدنيا دار لانها محل إقامة يدور بها وحدودها من الولادة حتى الوفاة، والاخرة دار لأنها كذلك وحدودها من الوفاة حتى الخلود. (١)

ولا يطلق على شيء من ذلك البيت. بلى؛ السكن يطلق على محل سكن الانسان، حتى ولو كان نهارا فقط. فالمدرسة سكن، والنادي سكن، ولكنهما ليسا بيتين الا مجازاً. (٢)

اما القرية؛ فأصل الكلمة تدل على الاجتماع، وانما سميت القرية قريــة، لاجتماع الناس فيها. ويقولون: قريت الماء في المقراة :جمعته. (١)

---

(١) لمزيد من التفصيل يمكنك ان تراجع التحقيق في كلمات القرآن الكريم للاستاذ حسن المصطفوي/ ج٣/ ص٢٧٧-٢٨٠.

(٢) حول معنى البيت راجع المصدر /ج١ /ص٣٣٩-٣٤١.

ويبدو ان الدار أعم من القرية، والقرية أعم من السكن، والسكن أعم من البيت. فالبيت حيث ينام الانسان وهو اخص مواقع تواجد البشر، فأهله هم الاقربون اليه. والسكن حيث يستقر بيتاً كان او محل عمل. اما الدار حيث يجتمع الناس، وهم اكثر عدداً من اهل قرية. اما البلد فهو على قول اصله الصدر، ويقال لصدر القرى (ومركز مجموعة قرى). (٢) وعلى قول اخر؛ انه قطعة محدودة من الارض، مطلقاً عامرة او غيرها. (٣)

وحكي عن الراغب في مفرداته؛ ان البلد هو المكان المختط المحدود، المتآنس باجتماع قطانه، واقامتهم فيه. وسميت المفازة بلداً، لكونها موطن الوحشيات. (٤)

والقول الاول؛ هو الاقرب الى موارد استخدام الكلمة في القرآن، وفي اصطلاح العرب اليوم. ومن هنا فإن البلد يشمل المنطقة التي فيها القرية، بما فيها من حقول ومزارع .

وهكذا كانت القرية اقل قيمة من البلد، حتى قيل ان موارد استعمال كلمة القرية في القرآن، هي القرية الظالمة، بينما البلد هو البلد الطيب. والله العالم .

٨٨٨ **حكمة السكن والتمدن:**

لماذا السكن في البيوت وفي اطار القرى والمدن ، (البلاد)؟ نستفيد من القرآن؛ ان الغاية المثلى للسكن هي التالية:

أ - التحصن بالمساكن (في البلاد) عن الاعتداء على الحرمات؛ الانفس والاموال والاعراض.

---

(١) معجم مقاييس اللغة /ج٦ /ص٧٨ (مادة قري).

(٢) معجم مقاييس اللغة / ج١ / ص٢٩٨.

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم / ج١ / ص٣١٠ .

(٤) المصدر .

ب - والتستر بها عن الاعين، وكتمان السوءات، والحفاظ على الاسرار، والاختلاء بالنفس، وبمن تسكن اليه النفس من الاهل .

ج - تكوين محيط سليم للتعاون والتكافل والعيش المشترك (في الاغلب بين ابناء الاسرة الواحدة).

د - التطهر والابتعاد عن الرذائل والفواحش، والاختلاء للذكر والعبادة بعيداً عن الرياء والسمعة، وعن االضوضاء والتلصص.

وفيما يلي نستعرض معاً الآيات القرآنية التي تهدينا الى هذه الاهداف، التي نجدها في سياق كلمات السكن والبيت والقرية والبلد . علماً بان البيت الذي يسكن فيه المؤمن (والاطار الشامل له من القرية والبلد)، انما هو موقع لتطبيق كثير من الاحكام الشرعية؛ كالأمن، والحصانة، والتقوى، والتعاون، والاحسان، والطهر، والذكر، وما اشبه .. وحسب تعبير القرآن في آية النور، انه مشكاة لنور الله. فعلينا ان ندرس تفاصيل هذه الاحكام الشرعية في سائر فصول هذه الموسوعة. اما هنا نشير اليها اشارة حسب ذكر القرآن الكريم لها، والله المستعان .

٨٨٨ **البيت؛ سكينة وسلام:**

اول ما ابتغاه الانسان من السكنى؛ السكينة النفسية، والسلام من عوامل الخطر .

١- وقد امر الله سبحانه بني اسرائيل بان يسكنوا الارض، فقال :{ **وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَآئِيلَ اسْكُنُوا الاَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً**} (الاسراء/١٠٤)

ومعنى سكنى الارض، الاستقرار فيها .

٢- وجعل البيوت سكناً (تبعث الطمأنينة في النفس). قال الله سبحانه: { **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِن جُلُودِ الاَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ**} (النحل/٨٠)

٣- وفي قصة النمل التي مر بها ركب سليمان النبي عليه السلام، ذكر الله الفائدة من مساكن النمل؛ الحفاظ عليها من خطر تحطيم سليمان. قال الله سبحانه : **{ حَتَّى إِذَآ أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَآ أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَيَشْعُرُونَ}** (النمل/١٨)

٤- وحرمة البيت تتجلى في وجود الباب له، والباب علامة الحصن، ودليل على وجوب الاستيذان. ولذلك ذكر الله ان للبيوت ابواباً. فقال سبحانه: **{ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرراً عَلَيْهَا يتَّكِئُونَ}** (الزخرف/٣٤)

وبالرغم من ان الآية بيّنت هذا الامر في اطار الحديث عن زخرف الحياة الدنيا، الا ان الظاهر انها في صدد بيان البيت النموذجي.

٥- وقد نهى الاسلام من دخول البيوت من ظهورها، انما من ابوابها. فقال سبحانه: **{ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِاَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن أَبْوَابِهِا وَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** (البقرة/١٨٩)

والآية كما تدل على وجود الابواب، دلت على حرمة البيوت.

وقد جاء في الحديث عن الامام جعفر بن محمد الباقر، عن ابيه، عن الامام علي عليهم السلام؛ انه كره ان يبيت الرجل في بيت ليس له باب ولا ستر. (١)

٦- وقد نهى الاسلام عن دخول البيوت من دون استيذان، فقال عز وجل: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}** (النور/٢٧ - ٢٨)

٧- وبالذات نهى من دخول بيوت النبي (واهل بيته) عليهم السلام من دون استيذان. قال الله تعالى : **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ اِلَى**

---

(١) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٥٧ / ح ١.

طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلآ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا} (الاحزاب/٥٣)

٨- وافضل البيوت هي التي تتخذ في كنف الجبال، لانها امنع من غيرها. قال الله سبحانه: **{ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ}** (الشعراء/١٤٩)

٩- ومن اسباب منعة البيوت تقابلها، بحيث يسهل الدفاع عنها. ولعله لذلك امر الله بني اسرائيل ان يجعلوا بيوتهم قبلة. قال الله تعالى : **{ وَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}** (يونس/٨٧)

٨٨٨ **البلد؛ أمن وايمان:**

وافضل البلاد هي الأمنة المؤمّنة، التي لها منعة جغرافية، وكتاب مسطور، وامام عادل، وسور منيع ذات ابواب محكمة.

١- ولقد اقسم الكتاب بالطور، وكتاب مسطور، في رق منشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور. فقال عز من قائل: **{وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}** (الطورِ/١-٦)

ويبدو هذا التصوير أروع مثل للبلد المتكامل. فهناك الطور (الجبل)، والكتاب (الشريعة والقانون)، والبيت (العمارة والبناء)، والبحر (الماء الطافح).

٢- وقد امر الله قريشاً بعبادته سبحانه، لانه وفر لهم الأمن عند بيته الحرام. قال الله سبحانه: **{ لإِيلاَفِ قُرَيشٍ * إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ}** (قريش/١-٣)

٣- ولقد كان البلد الحرام موضع اجلال واحترام، لانه كان يتشرف بالنبي الكريم. قال الله تعالى: **{لآ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}** (البلد/١-٢)

مما نستوحي؛ ان الامام العادل يشرّف المدينة، ويجعلها صالحة للاستقرار .

٤- وكان الميثاق الذي اخذه الله على بني اسرائيل متضمناً لبند هام؛ هو احترام حق الناس بالسكن في البلاد، وعدم تهجيرهم. قال الله تعالى: **{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ اَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَآ اَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}** (البقرة/٢٤٦)

٥- وقد اذن الله للذين ظلموا بان يقاتلوا دون حقهم، لانهم اخرجوا من ديارهم بغير حق، الا ان يقولوا ربنا الله. قال الله تعالى: **{ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}** (الحج/٤٠)

٦- ونستفيد من آية كريمة؛ ان القرى كانت لها ابواب، وان الدخول كان عبرها، حيث قال سبحانه: **{ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوْا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ}** (البقرة/٥٨)

٧- كما نستفيد من آية اخرى؛ ان الذي كان يستولي على الباب، كان يسيطر على القرية، حيث قال تعالى: **{ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ}** (المائدة/٢٣)

وهكذا صلابة القرية بسورها، وبحصانة ابوابها.

٨- والذي يؤمن السلام في البلد هو الايمان، حيث قال الله تعالى: { **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**} (البقرة/١٢٥)

فالبيت الذي رفعه الله سبحانه وحرّمه، كان اساس حرمة البلد الامين.

٩- والايمان هو حصن البلاد حقاً، حيث قال سبحانه: { **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوْا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**} (الحشر/٩)

فالدار من دون الايمان بناء منهار. وسوف نقرء بإذن الله قريباً الآيات التي ذكرتنا بمصير القرى الظالمة التي انهارت، لانها لم تكن مؤمنة.

٨٨٨ البيت؛ ستر وسكن:

البيت الامثل يورثك السكن ، ويستر سوءتك، ويصون عرضك، ويكتم اسرارك.

١- عرض الانسان اهم ما يستر في البيت. وقد امر الله سبحانه زوجات النبي من ان يقرن في بيوتهن، ولا يتبرجن تبرج الجاهلية. قال الله تعالى: { **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**} (الاحزاب/٣٣)

٢- وقد أدّب ربنا سبحانه عباده بآداب رفيعة، حتى في داخل البيت، ألاّ يدخلوا على بعضهم في خلواتهم في اوقات الراحة، حفاظاً للستر وحصانة للعورات. قال الله تعالى: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاَثَ مَرّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِن الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَآءِ ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وإِذَا بَلَغَ الاَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ**

فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِـه وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (النور/٥٨-٥٩)

وهذه الأوقات، هي اوقات الراحة التي قد يكون الزوجان في حالة لا يصلح الدخول عليهما. ونستفيد من ذلك؛ ان من اهم اهداف الانسان من البيت؛ الستر وعدم التبرج. فاحسن البيوت استرها .

٣- وقد نهى القرآن زوار النبي عن التلصص باعينهم، اذا دخلوا بيته. قال الله تعالى: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ اِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ اِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَاِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ اِنَّ ذَلِكُـمْ كَـانَ يُـؤْذِي النَّبِـيَّ فَيَسْـتَحْيِي مِـنكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْـتَحْيِي مِـنَ الْحَـقِّ وَإِذَا سَأَلْتُـمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْـأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَـابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَـا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلآ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَـهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً اِنَّ ذَلِكُمْ كَـانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا}** (الاحزاب/٥٣)

٤- كما امر ربنا سبحانه ان تمسك الزانية في البيوت، لكي لاينتشر الفساد من خلالها، ولا تشيع الفاحشة. قال الله تعالى: **{ وَاللاَّتِي يَـأْتِينَ الْفَاحِشَـةَ مِن نِسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّـاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً}** (النساء/١٥)

٥- وحتى امرأة العزيز التي راودت يوسف عن نفسه، غلّقت الابواب ثم قالت هيت لك. قال الله تعالى: **{ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَفْسِـهِ وَغَلَّقَتِ الاَبْوَابَ وَقَالَـتْ هَيْـتَ لَـكَ قَـالَ مَعَـاذَ اللَّهِ إِنَّـهُ رَبِّـي أَحْسَـنَ مَثْـوَايَ إِنَّـهُ لاَ يُفْلِـحُ الظَّـالِمُونَ}** (يوسف/٢٣)

وقد جاء في الحديث الشريف المأثـور عن الامام الصـادق عليه السلام، انـه قال: "ثلاثة

للمؤمن فيهن راحة؛ دار واسعة تواري عورته وسوء حاله من الناس، وامرأة صالحة تعينه على امر الدنيا والاخرة، وابنت او اخت يخرجها من منزله بموت او بتزويج". (١)

من هنا نعرف ان البيت المتكامل هو الذي يستر عورات الانسان؛ سواء الصورة او الصوت والجلبة، او الذهب والذهاب .

٨٨٨ **البيت؛ تعايش وتعاون:**

الاسرة هي الوحدة الاجتماعية التي تحصن القيم الاجتماعية في المجتمع المسلم، وابرزها التعارف والتعايش والتعاون والتكافل. والبيت الامثل، هو الذي يوفر هذه القيم -ضمن سور الاسرة- بأقصى قدر .

١- واول ابعاد العيش الطعام، وقد احل الله الاكل من بيوت من ذكرت في الآية التالية. (باعتبار الطعام يورث الالفة والتكافل). قال الله سبحانه: **{ لَيْسَ عَلَى الاَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الاَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْبُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْبُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْأَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** (النور/٦١)

٢- والادخار وحفظ الاطعمة المناسبة، من سمات البيت المثالي. قال الله سبحانه: **{ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ**

(١) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٤٩ / ح ٢.

وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران/٤٩)

من هنا ينبغي ان يكون في كل بيت محل لادخار الطعام لحالة الطوارئ، والله العالم.

٣- (والكفالة من سمات البيت. فابناء العائلة الواحدة يتكفل بعضهم بعضاً، بالذات عند الحاجة؛ كالضعف والمرض والغيبة عن البيت وما اشبه).

ومن هنا نجد ان اخت النبي موسى دعت آل فرعون الى تسليم موسى عليه السلام رضيعاً الى اهل بيت يكفلونه. (ولم تقل الى امرأة تكفله، لان الكفالة أعم من مجرد الرضاعة، وهي بحاجة الى اهل بيت او الى اسرة). قال ربنا سبحانه: **{وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ}** (القصص/١٢)

٤- وحينما تحدت آسية امرأة فرعون طغيان زوجها، دعت ربها لكي يعوّضها ببيت في الجنة. (لعلها ارادت اسرة كاملة). فقال ربنا سبحانه عنها: **{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}** (التحريم/١١)

٥- والاستقرار في البيت من ابعاد التعايش، وبالذات للمطلّقات، حيث ان على الزوج وأهله ألاّ يخرجوا المطلقة من البيت حتى تنقضي عدتها. قال ربنا سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً}** (الطلاق/١)

٦- وكما البيت سور التكافل ومحور التعاون، كذلك البلد سور التعارف والسعي المشترك نحو تأمين الحاجات. والبلد الطيب، هو البلد المعطاء الذي يوفر الغذاء

الكافي لاهله. قال الله سبحانه: { **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَيَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ}** (الاعراف/٥٨)

٧- وحينما دعا إبراهيم عليه السلام ربه الرحمن، بأن يجعل مكة بلداً آمناً، طلب منه ان يجعله كذلك بلداً معطاءً فيه رزق من كل الثمرات. قال الله تعالى : **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً ءَامِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}** (البقرة/١٢٦)

وهكذا يكون البيت الامثل هو بيت التعاون، والبلد الامثل بلد الطيبات. وما اسمى مثل هذا البيت، في مثل هذا البلد.

٨٨٨ **البيت؛ طهر وذكر:**

البيت حصن الاسرة من الرذائل الشائعة في المجتمع، ومحل استراحة المؤمن الى ذكر الله، واقامة الصلاة والتبتل الى الله والضراعة اليه، وتلاوة آيات الله .

١- حين تنتظم الاسرة حول محور التقوى، وتصبح اهل بيت الايمان، فإن رحمة الله وبركاته تتنزل عليه. (لان اعضاء الاسرة يتواصون بالحق والصبر، ويتعاونون على البر والتقوى). قال ربنا تعالى اسمه: { **قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** } (هود/٧٣)

٢- وقد اذهب الله الرجس من اهل البيت ويطهرهم تطهيراً، فقال تعالى: { **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}** (الاحزاب/٣٣)

واهل البيت هم آل الرسول، وهم القدوة المثلى لكل بيت ايماني، وبقدرما تقتدي سائر البيوت بهم يتحلون -بذلك القدر- بفضائلهم بإذن الله .

٣- ومشكاة نور الله، هو البيت الايماني، بيت الذكر، بيت الصلاة والزكاة، بيت الخشية من الله. قال الله تعالى: { **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالاَبْصَارُ**} (النور/٣٦-٣٧)

واهل البيت عليهم السلام هم المثل الاجلى لبيت الذكر، واهل البيت هم اهل الذكر الذين أمرنا الله بالسؤال منهم. وكل بيت يسبح لله فيه بالغدو والآصال، رجال هذه صفاتهم، فإنه يقتبس من بيت الرسالة قبساً ويتجلى فيه نور الله سبحانه.

٤- وقد امر الله سبحانه نساء النبي بالذكر، وذلك بتلاوة آيات الله. قال الله تعالى: { **وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً**} (الاحزاب/٣٤)

وهكذا البيت الرسالي بيت الطهر والذكر، بيت النور والمعرفة، بيت البركة والرحمة .

٨٨٨ **التقوى اساس المدنية الاسلامية:**

البيت الاسلامي محور المدنية المؤمنة، وبالبيوت الاسلامية المجتمعة حول بيت الله (المسجد) تنشأ المدنية الاسلامية، والتي تتميز بالطهر من الفواحش الظاهرة والباطنة، وبإقامة الصلاة، ووفرة الثمرات، وبالمغفرة الالهية.

١- وقد حدد الله تعالى ذكره لابراهيم عليه السلام مكان بيته الحرام، وأمره بألاّ يشرك به شيئا، وان يطهّر بيته للطائفين (من الحجاج) والقائمين (من العبّاد) والركوع السجود. قال الله تعالى: { **وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**} (الحج/٢٦)

نستلهم البصائر التالية من هذه الآية :

أولاً: ان محور المدينة المؤمنة المسجد، فانه اول بناء يعمر فيها، ويكون مركزاً لسائر البيوت. وقد كانت المدن الاسلامية تبنى سابقاً حول المنطقة المختارة للمسجد،

لان المسجد اساس المدنية الاسلامية؛ ففيه الحكم والقضاء والشورى، والتعبئة لدرء الاخطار والتعليم..

ثانيا: تحديد موقع المسجد مهم، حيث ان المسجد يبنى لما فيه مصلحة الجميع، فلا يلاحظ مصلحة قوم دون آخرين، ولا حكمة معينة دون غيرها. فمثلا ينبغي ان يختار المسجد بحيث يستطيع الناس ان يعمروا حوله، وان يكون قريباً من الماء، ومن السبل الرئيسية المؤدية الى البلد، وما اشبه .

ثالثاً: الشرك اصل كل رذيلة، والمدنية الاسلامية تنفي الشرك في السلطة، فلا تخضع للجبابرة والمتسلطين على الناس بأي اسم كان، كما ترفض الشرك في التشريع. فإن الحاكمية في المدنية الاسلامية لله ودينه ورسوله، ومن ينطق بحق عن الله والرسول . كما ترفض الشرك في القيم والسلوك، وبالتالي ترفض كل فاحشة مما ظهرت او بطنت .

رابعاً: الطهر والنقاء الظاهري والمعنوي من معالم المدنية الاسلامية. فالبيت طاهر من الاصنام، ومن الدعوة الى غير الله، ومن الطاغوت، ومن الحميات الجاهلية ورموزها، ومن مظاهر الفحشاء وإثاراتها. وهكذا ينبغي ان يشعر المؤمن وهو داخل الى المسجد انه في حضرة رب العزة، وليس لاحد عليه نفوذ او سلطة او تأثير..

وهكذا لابد من تطهير المساجد من الغيبة والنميمة، ومن ذكر العصبيات الجاهلية، ومن التحزبات السياسية، ومن كل ألوان الرجس الظاهرية. فالقذارات التي قد تطرء على المسجد تنظف فوراً، وينبغي ان ينقى من الغبار والوسخ وما اشبه.

خامساً: المدنية الاسلامية منفتحة للناس. فالمسجد ليس لطائفة دون اخرى، ولا لعرق بشري دون آخر. ومن هنا فإن المسجد يدعو البشر كلهم الى الله، وفيه محل مناسب للطائفين والقائمين والركع السجود.

صحيح ان هذه الآية وآيات اخرى مشابهة قد وردت في المسجد الحرام، حيث قال سبحانه فيه **{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}** (الحج/٢٥). وقال ايضاً : **{ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}** (الحج/٢٧). الا ان المتدبر في آيات الذكر يمكنه ان يستفيد منها هذا المبدء الحكيم؛ ان المساجد (وهي مراكز المدنية الاسلامية) منفتحة للناس جميعاً، وثم يستلهم منه ان المدنية الاسلامية تستهوي الناس ولا تنغلق على نفسها. وهذا المبدء يتناسب وسائر المبادئ الالهية المعروفة.

٢- والمدنية الاسلامية تتطلع الى اقامة الصلاة (ودعوة الناس اليها)، والوفرة في الثمرات والشكر عليها. قال الله تعالى: **{ رَبَّنَآ إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}** (إبراهيم/٣٧)

والبصائر التي نستوحيها من الآية هي:

أولاً: البيت المحرّم هو ركيزة المدنية المؤمنة، وفي مكة المكرمة المسجد الحرام والكعبة -بالذات البيت المحرم-. وفي سائر المدن المسجد. هو الآخر ركيزتها الايمانية.

ثانياً: الصلاة؛ وهي الصلة المباشرة بين العبد وربه. هي هدف المدنية المؤمنة، حيث ان

الصلاة عمود الدين، وان إقامتها رمز العمل بسائر العبادات الروحية. وهكذا كانت المدنية الاسلامية ذات طابع روحي قبل ان تكون ذات طابع مادي. فالروح التي تشد الناس الى عالم الغيب والقيم، تضبط المادة، بل وتوفرها .

ثالثاً: المدنية الاسلامية منفتحة، لانها تستهوي افئدة الناس بما فيها من صفاء التقوى، والطهر من الحميات الجاهلية، والترفع عن المصالح الذاتية.

رابعاً: انها تصبح القلب في سائر المجتمعات، فتكون مركز التعارف والثقة والتعاون، وبالتالي التبادل التجاري، فإذا بالثمرات تتوافر فيها، وهي فيما يبدو كل المنتجات الاقتصادية سواءً الفاكهة وغيرها .

خامساً: تطلع البشر لا يحُد، ونهم الحرص عنده لا يشبع، وهذا قد يدعوه الى السخط والتوتر. والمؤمن هو الاخر يتطلع، ولكنه لا يتذمر اذا توقف تطلعه بسبب او آخر، لانه يشكر ربه على ما اعطاه. فعينه ليست فقط على المستقبل الذي لم يتحقق، وقد لا يتحقق ابداً، بل على الماضي والحاضر الذين يرويان -الى حد معين- عطش التقدم عنده، ويحدّان من توتره. فإذا بنفسه تطمئن، وإذا بأخلاقه تتوازن حتى يشكر ربه على ما اعطاه فيرضى، ويحسن خلقه ويفكر في اداء حقوق الناس اليهم.. وهكذا تصبح فضيلة الشكر عنده محوراً لسائر الخلقيات الفاضلة، وهكذا المدنية الاسلامية تصطبغ بالشكر وبسائر الفضائل .

٣- (كما البيت الاسلامي مهبط الرحمة والبركة، كذلك المدنية الاسلامية مهبط المغفرة).

وقد دعا نوح عليه السلام ربه ان يغفر لمن دخل بيته مؤمناً، فقال الله سبحانه: **{ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارَا}** (نوح/٢٨)

ونستفيد من الآية؛ ان المدنية المؤمنة والتجمع الايماني يتمحور حول القيادة الالهية، وان الله سبحانه يغفر لهم ببركة ذلك القائد وبشفاعته، وبسبب تسليم الناس له، وتعبدهم بشرائع الله التي بشرها لهم. وقد قال سبحانه في صفة الرسول صلى الله عليه وآله: **{ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}** (الانفال/٣٣)

وقال تعالى: **{ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً}** (النساء/٦٤)

وهكذا الرحمة الالهية تتنزل على بيت الرسالة، وبسبب وجود الرسول فيه. وهذا يهدينا الى ان المحور المعنوي للمدنية الاسلامية، هو النبي المبعوث من عند الله، حيث قال سبحانه: **{لآ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}** (البلد/١-٢)

ولعل العالم الرباني الذي يسير على نهج الرسالة، هو الاخر مبعث رحمة ومغفرة لأهل البلد، حيث جاء في الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: "علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل". (١)

وجاء في حديث مروي عنه صلى الله عليه وآله ايضاً: " ثلاثة يشفعون الى الله يوم القيامة فيشفعهم؛ الانبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء". (٢)

٨٨٨ **الظلم يهدم البيت ويبيد المدنية:**

إذا مررت باطلال البلاد الخاوية على عروشها، واحسست بخوار البيوت، فاعلم بأن عاصفة الظلم هي التي اتت عليها فخربت البيوت وابادت الحضارة.

١- (الظلم يجعل الانسان في مواجهة سنن الله، فإذا بالخليقة تصطدم به، وإذا بالناس يضرب بعضهم بعضاً، وإذا بأساس المدنية ينهار. من هنا) دمر الله الظالمين، فإذا بيوتهم خاوية بما ظلموا، وإذا بهم عبرة لمن اراد الاعتبار. قال ربنا سبحانه: **{ وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ}** (النمل/٥٠-٥١)

والظلم قد يكون ظلم الذات كانتشار الفحشاء، وقد يكون ظلم الناس كالتطفيف في المكيال والميزان، وقد يكون الاستعلاء في الارض كما يفعل الجبارون.. وكل ألوانه يهدم البيت ويبيد المدنية.

---

(١) بحار الانوار / ج٢ / ص٢٢.

(٢) المصدر /ص١٥.

٢- وهكذا تجد ثمود (قوم صالح) انهارت مدنيتهم التي بنوا في السهول قصورهم، ونحتوا
الجبال بيوتاً منيعة؛ انهارت بسبب نشر هم الفساد (في الارض)، وتعالي بعضهم على البعض. قال الله تعالى: { **فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** } (الاعراف/٧٧-٧٨)

٣- ويسلط الله على الظالمين من يخرب بيوتهم، كما فعل باليهود حين نصر المسلمين عليهم. قال الله تعالى: { **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَآ أُولِي الأَبْصَارِ}** (الحشر/٢)

٤- ويجمع القرآن في سورة العنكبوت حكمة عقبى الظلم، وكيف انهارت به الحضارات في كلمات بيّنات، وشبه البيت القائم على الظلم ببيت العنكبوت. قال الله سبحانه: { **فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الاَرْضَ وَمِنْهُم مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا انفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْكَانُوا يَعْلَمُونَ}** (العنكبوت/٤٠-٤١)

وهكذا نعرف ان الظلم يعود بالتالي الى صاحبه، فيهدم بنيانه اما بحاصب أو بصيحة او بخسف او بغرق.

٨٨بصائر الآيات

١- الدار محل اقامة البشر ذات الحدود المعينة. فالدنيا دار فناء والاخرة دار بقاء، وللمسلمين دار الاسلام ولغيرهم دار الكفر، والوطن دار والبيت ايضاً دار .

٢- البلد مجمع القرى، والقرية مجتمع البيت، والبيت محل سكن الانسان حيث يبيت فيه، وقد يسكن الانسان في غير بيته كالفندق.

٣- وللبيت حكم بالغة ابرزها :

أولاً: التحصن للمحافظة على حرمة النفس والعرض والمال.

ثانياً: التستر وكتمان السوءات والاسرار، والانفراد بالنفس وبالأهل وذوي القرابة.

ثالثاً: التطهر وحماية الاسرة من الثقافة الدخيلة او الاخلاق والعادات السيئة.

رابعاً: التبتل والانقطاع الى الله سبحانه، والى ذكره وعبادته.

خامساً: التعارف والتعاون والتكافل بين اعضاء الاسرة .

سادساً: التعلم وتبادل الاخبار والخبرات.

٤- وافضل البلاد ما كانت اطاراً للقيم الالهية، وهي :

أولاً: الامن والسلام والسكينة.

ثانياً: التشريع الصائب والامام العادل .

ثالثاً: الوفرة في الثمرات .

رابعاً: وأهم منها الايمان.

٥- والمدنية الاسلامية:

أولاً: تتمحور حول بيت الله (المسجد) .

ثانياً: تتميز بالتوحيد الخالص، بعيداً عن سلطة الطاغوت .

ثالثاً: تتجلى بالطهر من الفواحش والرذائل؛ كالحميات وما تفرزها من الحسد والحقد والكبر والغرور وسائر الرذائل.

رابعاً: تتسم بالنقاء والنظافة من المفاسد الخلقية (كالتبرج)، والمفاسد الصحية (كالقذارات)، والمفاسد الاقتصادية (كالتطفيف) .

خامساً: انها النموذج الامثل، التي تدعو سائر البشر الى الاقتداء بها .

٦- ودعامتا المدنية الاسلامية؛ اقامة الصلاة، والوفرة من الثمرات التي تجبى اليها. فبسبب التعارف والثقة والتعاون يجد سائر الناس في المسلمين الشريك الامثل، فتكون المدنية الاسلامية قلب التبادل التجاري .

٧- وتطلع المؤمنين في المدنية الاسلامية الى الرقي، لا يدعوهم الى البغي والاستكبار، بل الى العدالة والشكر. (وشكرهم لربهم يدعوهم الى اداء حقوق سائر الناس في رقيهم، والمبادرة الى مساعدة الاخرين اذا اقتضى الامر).

٨- ومن ابعاد المدنية المؤمنة تمحورها حول القائد الالهي، الذي يغفر الله للمسلمين ذنوبهم بشفاعته ودعائه.

٩- والظلم يخرب البيوت ويدع البلاد بلاقع، سواءً كان ظلم الذات مثل الفحشاء، او ظلم الاخرين مثل الاعتداء. وهكذا بادت حضارات كانت قائمة على اساس الظلم، كعاد وثمود وآل فرعون والمؤتفكات.

٨٨فقه الآيات

٨٨٨ **البناء الامثل:**

نستوحي من الآيات والاحاديث ان البناء الامثل، هو البناء الذي يوفر مايلي:

أ- المتانة والتحصن امام الاخطار.

ب- السعة واالهواء النقي وضوء الشمس.

ج- الستر والسكينة.

د- الجمال والزينة.

هـ- البساطة والابتعاد عن الاسراف.

و- الموقع المناسب.

ز- الذكر والطهر.

ح- النفع والبركة.

ط- التعاون والرحمة.

ي- معهد العلم ودار الذكر.
ك- الآداب الرفيعة.
وفيما يلي نستعرض تفصيل ما أجملناه آنفاً:

٨٨٨٨ الف: المتانة والحصانة

عند الحديث عن الحصانة، بيّنا ضرورة كون البنيان حافظاً لنفس الانسان وماله وعرضه من الاخطار، وقد بين ربنا سبحانه قصة الامم الغابرة، وكيف كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً فارهين. قال الله سبحانه عن قوم ثمود: { **وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الاَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا ءَالآءَ اللّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الاَرْضِ مُفْسِدِينَ**} (الاعراف/٧٤)

وقال تعالى عن اصحاب الحجر: { **وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً ءَامِنِينَ**} (الحجر/٨٠-٨٢)

ونستوحي من الآية؛ ان الهدف من البناء في الجبل الأمن. وقد استوحينا من آية كريمة في سورة الطور؛ أن البلد الامثل هو الذي يحصنه الطور.

وقد بين ربنا قصة اليهود وكيف كانوا يحاربون في قرى محصنة، وبين ان الموت يدرك المرء ولو كان في برج مشيّد.

وبالرغم من ان اكثر الآيات الواردة في باب تحصين القرية، او تشييد البيت، او توفير أمنه، انما وردت في مقام بيان ضعف البناء عن مقاومة امر الله او عذابه الذي يحيط بالكافرين والظالمين. الا انها تدل دلالة ضمنية الى طريقة تحصين الانسان نفسه من الاخطار العادية، وبيان ان امر الله وعذابه هما فوق الاخطار العادية؛ فلذلك لا يمكن مقاومتها بهذه الوسائل التي وضعت للتحصين من الاخطار الطبيعية، والله العالم.

وفي الروايات اشارات الى هذه المسألة .

١- فقد جاء في الحديث: ان من الشؤم كثرة عيوب الدار.

فقد روى خالد نجيح، عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: تذاكروا الشؤوم عنده، فقال: الشؤم في ثلاثة؛ في المرأة والدابة والدار. فأما شؤم المرأة فكثرة مهرها وعقوق زوجها، واما الدابة فسوء خلقها ومنعها ظهرها، واما الدار فضيق ساحتها وشر جيرانها وكثرة عيوبها. (١)

وتشمل العيوب عدم تناسبها وحاجة السكان، كما تشمل العيوب البنائية .

٢- وروي عن ابي عبد الله الامام الصادق عليه السلام، انه قال: من بنى فاقتصد في بنائه،

لم يوجر. (٢)

والاقتصاد في البناء هو -حسب الظاهر- تقليل مواد البناء، بحيث يؤثر في كيفية البناء. وهكذا نستفيد من الحديث ضرورة تمتين البناء.

٣- ونهى الاسلام النزول في بيت خرب، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: ثلاثة لا يتقبل الله عز وجل لهم بالحفظ (٣): رجل نزل في بيت خرب، ورجل صلى على قارعة الطريق، ورجل ارسل راحلته ولم يستوثق منها. (٤)

٤- وفي اكثر من حديث، ان النبي صلى الله عليه وآله نزل في قبر فسواه. فقيل له في ذلك، فقال: "ولكن الله يحب عبداً اذا عمل عملاً أحكمه"(٥) "رحم الله امرءً عمل عملاً فأتقنه". "إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن". (٦)

---

(١) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٥٠.

(٢) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٥٠.

(٣) لعل معناه؛ انه لايستجيب دعاءهم بالحفظ، لانهم قصروا في وسائل الحفظ.

(٤) المصدر /ص١٥٧.

(٥) بحار الانوار / ج٦ / ص٢٢٠ / ح١٤ .

(٦) المصدر / ج٢٢ / ص١٥٧ / ح ١٦.

٥- وجاء في الحديث حول اجراءات السلامة في البيت، ما يدل على مدى اهتمام الدين -بالاضافة الى متانة البيت وخلوه عن العيوب- بما يحفظ أهله من الاخطار. فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: "اطفئوا المصابيح بالليل، لا تجرها الفويسقة، (١) فتحرق البيت وما فيه". (٢)

٦- وروي عن الامام الصادق، عن آبائه عليه وعليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ان الله كره لكم اربعاً وعشرين خصلة ونهاكم عنها، فقال: وكره النوم قبل العشاء الاخرة، وكره الحديث بعد العشاء الاخرة، وكره النوم فوق سطح ليس بمحجر، وقال: من نام على سطح غير محجر فبرءت منه الذمة. (٣) وكره ان ينام الرجل في بيت
وحده. (٤)

٧- وكذلك نهى الاسلام عن نقص الحيطان، فقد روى العيص قال: سألت ابا عبد الله (الامام الصادق عليه السلام) عن السطح، ينام عليه بغير حجرة؟ فقال: نهى النبي صلى الله عليه وآله عنه. فسألته عن ثلاثة حيطان(٥) فقال: لا؛ إلاّ أربع. فقلت: كم طول الحائط؟ (٦) قال: اقصره ذراع او شبر. (٧)

٨- ومن اجراءات السلامة التي امرنا بها؛ التأكد من عدم وجود حشرة مضرة في الفراش، وذلك قبل الايواء الى النوم عليه، حيث روى السكوني عن (الامام)

---

(١) لعل المراد منها الجرذان والفيران.
(٢) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٦٤ / ح ١.
(٣) فاذا اصابه شي، فلا يلوم الا نفسه.
(٤) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٧٨ / ح ٢.
(٥) يبدو انه سأل الامام عن بيت فيه حيطان من ثلاثة اطراف، ويترك طرف منه لعدم الحاجة اليه، لانه في مشرف على داخل البيت العربي. فنهى عنه .
(٦) يبدو ان المراد من الطول هنا الارتفاع، فجاء الجواب بأن اقصر الحائط ذراع وشبر، وهو يكفي عادة للحفظ.
(٧) المصدر / ص ١٨٨.

الصادق عن ابيه عليهما السلام، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: اذا أوى أحدكم الى فراشه، فليمسحه بطرف إزاره، فانه لا يدري ما يحدث عليه، ثم ليقل: "اللهم ان امسكت نفسي في منامي فاغفر لها، وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين". (١)

٩- ومن اجراءات السلامة التأكد من خلو الثياب من الهوام الضاره قبل ارتداءها، فقد روي عن ابن عباس، ان النبي صلى الله عليه وآله خلع خفيه وقت المسح، فلما اراد ان يلبسهما تصوب عقاب من الهواء وسلبه وحلق في الهواء، ثم ارسله فوقعت من بينه حيّة. فقال النبي صلى الله عليه وآله: "اعوذ بالله من شر من يمشي على بطنه، ومن شر من يمشي على رجلين". ثم نهى صلى الله عليه وآله ان يلبس الا ان يستبرئ. (٢)

١٠- ومن اجراء ات السلامة، الانتقال من بيت شؤم. (٣) فقد روي محمد بن مسلم، عن ابي جعفر الامام الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل اخبره

انه كان في دار فيها اخوته، فماتوا ولم يبق غيره: "ارتحل منها، وهي ذميمة". (٤)

وكلمة اخيرة؛ إذا كانت المحافظة على النفس واجبة وجوباً شرعياً وعقلياً، كما بينا عند الحديث عن الحصانة والاحسان، فإن من الضروري الاهتمام بالبناء من هذه الناحية. والموارد التي ذكرت في النصوص الانفة الذكر، مصاديق لهذه الضرورة والتي يختلف مدى تأكدها (ووجوباً او ندباً) حسب درجات الخطر. فإذا كانت نسبة الخطر شديدة، بحيث اعتبر التهاون فيها القاءً للنفس في التهلكة، يكون الالتزام بها واجباً، ويكون التساهل فيها محرماً . كما اذا كان البيت في بلد الزلازل

---

(١) المصدر / ص١٨٦ / ح ٢.

(٢) أي يتأكد من خلو ما يلبسه من الخطر (مستدرك الوسائل / ج٣ / ص٤٦٩).

(٣) لعل في البيت خطر غير معروف.

(٤) بحار الانوار / ص٤٦٨.

وبنى الفرد بيته بناءً ضعيفاً، بحيث يرى العرف انه عرّض نفسه بذلك لخطر الهلاك. اما اذا كان نسبة الخطر محدودة او ضعيفة، فإن التحفظ منه يكون مستحباً، وعدم التحفظ مكروها.

واليوم حيث تنوعت اسباب الهلاك واختلفت عن السابق، فان من الضروري الاهتمام الجدي بمتانة البناء واجراءات السلامة فيه. ونحن اذ نستعرض جانباً منها، انما نهدف ذكر الامثلة لبلورة القاعدة العامة التي هي، ضرورة المحافظة على السلامة عند البناء .

أ: علينا ان نضع معايير لكل منطقة، نحدد بها مدى الحاجة الضرورية لمتانة البناء، بل ونحدد العمر المفيد لهذا البناء. ويكون هناك نظام لمعرفة ذلك، لكل من يريد سكناه. وهذا يعني اختلاف المناطق في الحاجة الى المتانة وفي تفاصيلها. (المناطق الجبلية او السهلة، والجافة او الرطبة، والاراضي الرخوة او الصلبة، وهكذا..) وتعتبر هذه من مسؤوليات البلدية في كل منطقة.

ب: ومن ذلك التحصن ضد احتمالات اصابة المنطقة بالهزات الارضية، والانهيارات الارضية. فإذا كانت منطقة ما ذات زلازل، فعلينا تشديد الانظمة في طبيعة البناء والمواد المستخدمة فيه.

ج: وإذا كانت دولة تتعرض لحروب، فإن علينا ان نضيف الى انظمة البناء، انظمة الوقاية ضد الغارات الجوية والصاروخية. وذلك بفرض استحداث الملاجئ الكافية، واعانة الذين

لا يمكنهم ذلك بتسهيلات من خزينة الدولة.

د: وعلينا الاهتمام بانظمة السلامة في تمديدات الماء والكهرباء والغاز السائل، بما يحفظ سكان البيت وبالذات الاطفال من الاصابات.

هـ: ومن انظمة السلامة؛ الانظمة الخاصة باطفاء الحرائق، من وجود السلالم الجانبية، والاشارات الكافية لتحرك الناس في حالات الطوارئ، وما اشبه.

و: ومنها التحجير في الاسطح التي يراودها الناس، وعلى النوافذ، وفي اطراف السلالم الداخلية، وبالتالي حفظ الساكنين من احتمال السقوط في المهاوي.

٨٨٨٨ باء: السعة والشمس والنقاء

لقد حفظ الله اصحاب الكهف، ثلاث مأة سنين وازدادوا تسعاً. (١) ولعل من اسباب حفظهم، طبيعة كهفهم الذي قدر لهم ان يناموا فيه، حيث قال الله سبحانه فيه: **{ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً}** (الكهف/١٧-١٨)

لقد عاشوا في كنف جبل (ويتميز عادة كنف الجبال بنقاوة الهواء)، وكانت الشمس تشرق عليهم عند مطلعها ومغربها (مما وفر لهم دفئاً كافياً لسلامة ابدانهم من الجراثيم)، وكان رب العزة يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال (فيصونهم ذلك من تخثر الدم او انتشار الجراثيم تحت اعضاءهم) .

وهكذا نستوحي من السياق؛ فوائد نقاء الهواء وضياء الشمس لمحل السكن .

وفي احاديث النبي واهل بيته صلى الله عليه وعليهم، جملة تفاصيل حول سعة البيت ونقاءه، نذكرها فيما يلي.

١- لقد روى سعيد بن جناح عن غير واحد؛ ان ابا الحسن عليه السلام سئل عن افضل عيش الدنيا؟ فقال: "سعة المنزل، وكثرة المحبين". (٢)

---

(١) قيل ان الزيادة كانت حسب التقويم القمري، حيث ان كل مأة سنة شمسية يضاف اليها ثلاث سنوات حسب السنة القمرية، والله العالم.

(٢) مستدرك الوسائل / ج٣ / ص٤٥١ / ح ٣.

٢- وقد جاء في حديث آخر، انه كان فيما اوصى به النبي علياً عليهما صلوات الله: "يا علي؛ العيش في ثلاثة: دار قوراء، (١) وجارية حسناء، وفرس قباء". (٢)

٣- عن ابي عبد الله، عن ابيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "من سعادة المرء ان يتسع منزله". (٣)

٤- عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: "للمؤمن راحة في سعة المنزل". (٤)

٥- عن معمر بن خلاّد قال: ان أبا الحسن عليه السلام اشترى داراً وأمر مولى له يتحول اليها، وقال: "ان منزلك ضيق". فقال اجزأت، هذه الدار لأبي. فقال ابو الحسن عليه السلام: "ان كان ابوك احمق، ينبغي ان تكون مثله"! (٥)

٦- عن ابي جعفر عليه السلام، قال: "من شقاء العيش، ضيق المنزل". (٦)

٧- وعن ابي عبد الله، عن آبائه، عن علي عليهم السلام، قال: "ان للدار شرفاً، وشرفها الساحة الواسعة، والخلطاء الصالحون. وان لها بركة، وبركتها جودة موضعها، وسعة ساحتها، وحسن جوار جيرانها". (٧)

وهكذا نجد ان سعة الدار تعني فيما تعني سعة ساحتها، كما نجد تأكيد الاسلام على حسن انتخاب موضع الدار، لتكون انسب الى حاجات الفرد واهدافه الدينية والدنيوية.

---

(١) أي واسعة.

(٢) أي دقيق الخصر الضامر البطن. بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٤٨ / ح ١.

(٣) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٥٢ / ح ٢٢.

(٤) المصدر / ح ٢٦.

(٥) المصدر / ص١٥٢-١٥٣ / ح ٣٠.

(٦) المصدر / ص١٥٣ / ح ٣١.

(٧) المصدر / ص ١٥٤ / ح ٣٤.

٨- وفيما يتصل بنقاء الهواء، ونظافة البيت، واجراءات السلامة فيه، جاء في الحديث عن ابي عبد الله عليه السلام، عن ابيه، عن جابر بن عبد الله الانصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "أجيفوا أبوابكم، (١) وخمّروا آنيتكم، وأوكؤا أسقيتكم، فان الشيطان لا يكشف غطاء ولا يحل وكاء. وأطفؤا سرجكم، فان الفويسقة تضرم البيت على اهله. واحبسوا مواشيكم واهليكم من حين تجب الشمس الى ان تذهب فحمة العشاء". (٢)

٩- عن الصادق عليه السلام عن ابيه، عن امير المؤمنين عليه السلام، قال: "نظفوا بيوتكم من حوك العنكبوت، فان تركه في البيت يورث الفقر". (٣)

١٠- في مناهي النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: "لا تبيتوا القمامة في بيوتكم، واخرجوها نهاراً فانها مقعد الشيطان". (٤)

وهكذا النظافة تصبح وسيلة لنقاء الهواء ومنع التلوث .

١١- وجاء في حديث استحباب كنس الفناء الخارجي للبيت، عن امير المؤمنين عليه السلام، قال: "ترك نسج العنكبوت في البيت يورث الفقر، وترك القمامة في البيت يورث الفقر". وقال عليه السلام: "كسح الفناء، يزيد في الرزق". (٥)

١٢- وقد امر الاسلام بغسل الاناء (لتوفير النظافة وتقليل نسبة التلوث). عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: "غسل الاناء وكسح الفناء مجلبة للرزق". (٦)

---

(١) اجيفوا ابوابكم أي ردوها، وخمّروا آنيتكم أي غطّوها، وايكاء القربة ربط رأسها، ووجوب الشمس أي سقوط قرصها.

(٢) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٧٤ / ح ١.

(٣) المصدر / ص١٧٥ / ح ٣.

(٤) المصدر / ح ٤ .

(٥) المصدر / ص١٧٦ / ح ٦.

(٦) المصدر / ح ٧.

١٣- كما امر باخراج المنديل المتسخ من البيت. رفع الى علي بن ابي طالب عليه السلام، انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "لا تذروا منديل الغمر في البيت، فانه مربض للشيطان". (١)

١٤- ونهى عن ايواء التراب خلف الباب. عن يعقوب بن سالم رفعه الى علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "لا تؤوا التراب خلف الباب، فانه مأوى الشيطان". (٢)

وكلمة اخيرة؛ ما قرأناه في النصوص، كانت مصاديق للقيم العامة التي تدعو الى الطهر والنظافة، والى الصحة والعافية، والى الصلاح والاصلاح.. وبالتالي يمكن ان نجعل الروايات التي سلفت اشارة الى مفردات تلك القيم، ومصاديق تلك الاصول العامة، وبالتالي تفسيراً لها. وهكذا يجوز للفقيه ان يستفيد طائفة من الفروع الجديدة، حسب الحاجة من تلك الاصول وتلك القيم.

أ: فمثلا اليوم ابتلينا بتلوث البيئة بسبب المحروقات الجديدة، وبالذات المنتجات النفطية. فعلينا ابعاد البيوت عن مواضع التلوث ما استطعنا . كما ان المصانع المختلفة، وبالذات مصانع الاسمنت والاسمدة الكيماوية وما اشبه، تلوث البيئة تلوثاً خطيراً. فعلينا ابعادها عن المناطق السكنية .

ب: كما ان نعيش اليوم عصر المدن الكبيرة، ذات الكثافة السكانية، وذات العمارات المرتفعة. فلو لم نهتم بالفواصل الضرورية بين البنايات، لحرمنا ابناءنا من فوائد اشراق الشمس. وهكذا ينبغي ان نجعل مساحة البناء محدودة، بحيث لا تضر بالشمس التي تعد في الشريعة الاسلامية من المطهرات .

ج: كما ان التلوث الصوتي لا يقل خطورة من التلوث الهوائي، وعلينا منعه بقدر المستطاع لينعم الجميع بالسكن والراحة والسلامة.

---

(١) المصدر / ح ٨.

(٢) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٧٧ / ح ١٣.

٨٨٨٨ جيم: الستر والسكينة

لقد تلونا في آيات كريمة ما يهدينا الى حرمة المساكن، وعدم جواز اقتحامها من دون اذن سكانها، ولا تسلق جدرانها دون ابوابها. وقد امر الاسلام بأن يستأذن حتى الطائفون بالبيوت من اهلها عند دخول غرفات بعضهم في اوقات الراحة والاختلاء. وجاء في آية كريمة ضرورة وجود الحجاب عند سؤال نساء النبي، فقال تعالى: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ اِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ اِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَاِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ اِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرآءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلآ أَن تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً اِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا}** (الاحزاب/٥٣)

ونستفيد من هذه البصيرة، الفروع التالية:

١- ينبغي ان يبني البيت بحيث يكون اقرب الى الستر، وقد كانت البيوت الاسلامية قسمين؛ قسم لاهل البيت يسمى (بالدخلاني)، وقسم للزوار والضيوف يسمى بـ(البراني). وكان القسمان مفصولين تماماً عن بعضهما، بحيث لا يطلع الغريب على ما يجري في البيت من الصوت، فضلاً عن رؤية الاشخاص .

٢- وينبغي ان يكون المنور والنوافذ في وسط البيت، لا على الجوانب التي يشرف عليها الجيران او المارة على الطريق. فإن كانت على الطريق، فالافضل ان تفصل بينها وبين الطريق .

٣- ينبغي ان تكون غرف النوم ابعد ما يكون عن محيط البيت، حتى يمكن الستر، حتى على من هم داخل البيت من الاطفال والخدم و..و..

٤- لا يجوز الاطلاع على البيوت، ولا استراق السمع، سواء بالطرق العادية او عبر الناظور او مراقبة التليفون عبر اجهزة التجسس الالكترونية.. وقد سبق بعض احكام الاطلاع على البيوت عند الحديث عن قيمة الاحصان .

وقد جاء في حديث شريف عن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: "من ادخل بصره في حريم قوم قبل رجليه، فلا أتم الله له، وهو آثم وهو آثم". (١)

وجاء في حديث آخر، قال صلى الله عليه وآله: "ثلاث يطفين نور العبد؛ (الى ان قال): او وضع بصره في الحجرات من غير ان يؤذن له". (٢)

٨٨٨٨ **دال: جمال البيت وزينته**

١- لم يحرم الله سبحانه زينة الحياة الدنيا على المؤمنين. قال الله تعالى: **{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}** (الاعراف/٣٢)

٢- بل أمر بها عند زيارة المسجد، (حيث ان الزينة تحبب الناس الى بعضهم). قال الله سبحانه: **{ يَا بَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}** (الاعراف/٣١)

٣- وانما حرم على المرأة ان تبدي زينتها للغريب، ولم يحرمها في البيت وعلى اهل البيت من المحارم. قال الله تعالى: **{ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْإِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَآءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** (النور/٣١)

---

(١) مستدرك الوسائل / ج١ / ص٢٤٥ - كتاب الصلاة - ابواب احكام المساكن- الباب ١٦ / ص٣.

(٢) المصدر / ح٢ .

٤- وعدّ ربنا سبحانه من زخرف الحياة الدنيا؛ البيوت ذات الابواب والسرر والزخرف. قال الله تعالى: { **وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرراً عَلَيْهَا يتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ** } (الزخرف/ ٣٤-٣٥)

٥- ومن الزينة؛ النجوم والكواكب التي قال عنها تعالى: { **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُالْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**} (فصلت/١٢)

٦- ومنها الارض الخضراء، التي قال عنها عز وجل: { **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَآ أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} (يونس/٢٤)

٧- ومن الزيتة؛ الحيوانات الاليفة، التي قال عنها ربنا تعالى: { **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**} (النحل/٦)

وهكذا نستوحي من هذه النصوص وغيرها؛ ان تزيين البيت وتجميله امر مرغوب فيه (في الحدود الشرعية التي سوف نتحدث عنها قريباً انشاء الله).

وجاء في الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام: ان الله تعالى يحب الجمال والتجمل، ويكره البؤس والتباؤس. فان الله عز وجل إذا انعم على عبد نعمة، احب ان يرى عليه اثرها. قيل: وكيف ذلك؟ قال: ينظّف ثوبه، ويطيّب ريحه، ويحسّن داره، ويكنس افنيته، حتى ان السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر، ويزيد في الرزق. (١)

وجاء في حديث آخر عن عبد الله بن خالد الكناني، قال: استقبلني ابو الحسن موسى ابن جعفر عليه السلام، وقد علّقت سمكة بيدي. قال: اقذفها؛ إني لأكره

---

(١) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٤١ / ح ٥.

للرجل السري ان يحمل الشيء الدني بنفسه. ثم قال: إنكم قوم اعداؤكم كثير، عاداكم الخلق يا معشر الشيعة، فتزينوا لهم ما قدرتم عليه. (١)

وزينة البيت في الامور التالية:

١- الاستشراف على الطبيعة، بما فيها من نجم وكواكب في الليل، وخضرة وماء في النهار.

٢- وجود حيوانات أليفة في البيت؛ مثل الطيور والدواجن . وهكذا وردت احاديث شريفة في استحباب اقتناءها في البيت، واليك بعضاً منها :

روي عن ابي سلمة قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: الحمام طير من طيور الانبياء، التي كانوا يمسكون في بيوتهم. وليس من بيت فيه حمام، الا لم يصب ذلك البيت آفة من الجن. ان سفهاء الجن يعبثون بالبيت، فيعبثون بالحمام و يدعون الناس. قال: ورأيت في بيت ابي عبد الله عليه السلام حماما لابنه اسماعيل. (٢)

وروي عن محمد بن علي بن الحسين قال: شكا رجل الى النبي صلى الله عليه وآله الوحدة، فأمره باتخاذ زوج حمام. (٣)

وروي عن محمد بن كرامة، عن ابي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: انه رأى في منزله زوج حمام، اما الذكر فانه كان اخضر شيء به شيء من السمر، و اما الانثى فسوداء. و رأيته يفت لهما الخبز و هو على الخوان، و يقول انهما ليتحركان من الليل فيؤنساني، و ما من انتفاضة ينتفضانها من الليل الا دفع الله بها من دخل البيت من الارواح. (٤)

---

(١) المصدر / ص٣٢٤ / الباب ٦٤ / ح ١.

(٢) وسائل الشيعة / ج ٨ / الباب ٣١ / ص ٣٧٧ / ح ٧.

(٣) وسائل الشيعة / ج ٨ / الباب ٣١/ ص٣٧٨ / ح ١٥.

(٤) المصدر / ص٣٨٠ / الباب ٣٤ / الحديث ٣.

وقال ابو جعفر عليه السلام: اكثروا من الدواجن في بيوتكم، يتشاغل بها الشياطين عن صبيانكم. (١)

وروي عن ابي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: صياح الديك صلاته، وضربه بجناحه ركوعه و سجوده. (٢)

وروي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ديك افرق ابيض يحرس دويرة اهله، وسبع دويرات حوله. (٣)

٣- في الخضرة والرياحين والزهور. وقد جاء في حديث شريف ان النشرة (الانبساط والانشراح) في عدة امور؛ منها النظر الى الخضرة.

فقد روي عن الامام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام: الطيب نشرة، والعسل نشرة، والركوب نشرة، والنظر الى الخضرة نشرة. (٤)

وجاء في حديث آخر عن ابي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الريح الطيبة تشد القلب، وتزيد في الجماع. (٥)

وجاء في حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: شمّوا النرجس في اليوم مرة، ولو في الاسبوع مرة، ولو في الشهر مرة، ولو في السنة مرة، ولو في الدهر مرة. فإن في القلب جهة من الجنون والجذام والبرص، وشمه يقلعها. (٦)

وجاء في حديث شريف عن الرضا عليه السلام عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: حيّاني رسول الله صلى الله عليه وآله بالورد بكلتا يديه، فلما أدنيته الى انفي قال: اما إنه سيد ريحان الجنة بعد الآس. (٧)

---

(١) المصدر / ص٣٨١ / ح ٥ .
(٢) المصدر / ص٣٨٣ / ح ١.
(٣) المصدر / ص٣٨٤ / الباب ٣٩ / ح ١.
(٤) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٤١ / ح ٤.
(٥) المصدر / ص١٤٠ / ح ١.
(٦) مستدرك الوسائل / ج ١ / ص٦٥ / ح ٢٧.
(٧) بحار الانوار / ج ٧٣ / ص ١٤٦ / ح ١.

٤- في الماء وبالذات الماء الجاري. وإننا نستوحي من الآيات التي تصف لنا الجنة؛ ان جمال بيوتها في اشجارها، التي تجري من تحتها الانهار. وجاء في حديث شريف عن النشرة (والانشراح انها في عشرة)، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام، انه قال: النشرة في عشرة أشياء: المشي، والركوب، والارتماس في الماء، والنظر الى الخضرة، والاكل، والشرب، والنظر الى المرأة الحسناء، والجماع، والسواك، ومحادثة الرجال. (١)

٥- في النظافة والبخور، والضياء بالليل والمرآة. فقدجاء في احاديث شريفة التأكيد على نظافة البيت، نذكر بعضاً منها:

رفع الى ابي جعفر عليه السلام، انه قال: كنس البيت ينفي الفقر. (٢)

قال امير المؤمنين عليه السلام: نظّفوا أفنيتكم من حوك العنكبوت، فان تركه في البيوت يورث الفقر. (٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تؤوا التراب خلف الباب، فانه مأوى الشيطان. (٤)

وروي عن حسين بن عثمان قال: رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام قال: كنس الفناء يجلب الرزق. وروى بعض اصحابنا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اكنسوا أفنيتكم ولا تشبّهوا باليهود. (٥)

اما عن البخور والتجمير الذي يطيّب فضاء البيت، فقد ورد في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله، انه كان يستجمر بالعود القماري. وروي عنه صلى

---

(١) المصدر / ج٧٣ / ص٣٢٢ / ح ٢.

(٢) المصدر / ص١٧٧ / ح ١١.

(٣) المصدر / ح ١٢.

(٤) المصدر / ح ١٣.

(٥) بحار الانوار / ج ٧٣ / ص١٧٦ / ح ١٠.

الله عليه وآله، انه قال: عليكم بهذا العود الهندي، فان فيه سبعة أشفية، وأطيب الطيب المسك.

وعن مرازم قال: دخلت مع ابي الحسن الحمام، فلمّا خرج الى المسلخ دعا بمجمر فتجمّر. ثم قال: جمّروا مرازماً. قال: قلت: من أراد ان يأخذ نصيبه يأخذ؟ قال نعم.

وعن ابي عبد الله عليه السلام قال: ينبغي للرجل ان يدخن ثيابه إذا كان يقدر.

وعن عمير بن مأمون -وكانت ابنة عمير تحت الحسن عليه السلام- قال: قالت: دعا ابن الزبير الحسن عليه السلام الى وليمة، فنهض الحسن عليه السلام وكان صائماً، فقال له ابن الزبير: كما انت حتى نتحفك بتحفة الصائم فدهن لحيته وجمّر ثيابه. قال الحسن عليه السلام: وكذلك تحفة المرأة تمشط وتجمر ثوابها. (١)

ويبدو ان المرآة ايضاً من جمال البيت وزينته، حيث يستحب النظر فيها. وجاء في الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله: ينبغي للعاقل ان يلمح وجهه في المرآة، فإن كان حسناً فلا يخلطه بعمل القبيح، وإن كان قبيحاً فيكون قد جمع بين القبيحين. (٢)

وعن الضياء يؤكد الاسلام عليه، ويقول الحديث الشريف المروي عن الامام الصادق عليه السلام: السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزق. (٣) وقد اشتهر بين المسلمين الحديث الذي يقول: لا اسراف في الضياء.

٦- في كتابة آيات الذكر؛ وتزيين البيت الاسلامي بالقرآن، يزيد البيت جمالاً وروعة، ويحفظه من مس الجن ومن البلاء. وقد ورد في الاحاديث الشريفة النهي عن تزيين البيت بالصور الحيوانية، وامر قادتنا بكتابة آية الكرسي في اطرافه. واليك بعضاً من النصوص الشريفة في ذلك.

---

(١) المصدر / ص١٤٣ / الباب ٢١ / ح ١.

(٢) مستدرك الوسائل / الطبعة القديمة / ج١ / ص٦٤ / ح ٢٢.

(٣) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٦٥ / ح ٥.

روي عن ابي خديحة، انه قال: رأيت مكتوباً في بيت أبي عبد الله عليه السلام آية الكرسي قد أُديرت بالبيت، ورأيت في قبلة مسجده مكتوباً آية الكرسي. (١)

وروي عن ابي عبد الله عليه السلام، انه قال: لا تبنوا على القبور، ولا تصوّروا سقوف البيوت، فان رسول الله صلى الله عليه وآله كرَّه ذلك. (٢)

وعن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تماثيل الشجر والشمس والقمر، قال: لا بأس، ما لم يكن فيه شيء من الحيوان. (٣)

وروي عن ابي جعفر عليه السلام، قال: لا بأس ان يكون التماثيل في البيوت إذا غيرّت رؤوسها وترك ما سوى ذلك. (٤)

هذه مظاهر الزينة التي اشارت النصوص اليها، وهناك اشارات اخرى في صفة بيوت الجنة، يمكن استلهام منها الوان اخرى من الزينة. وعموماً يختلف الناس في الحس الجمالي، وعلى كل جيل وقوم ان يختاروا ما يشاؤون من مظاهر الزينة، التي تنشرح بها نفوسهم، وتلتذ بها اعينهم؛ مثل اختيار الاشكال الهندسية المريحة، والالوان الزاهية المتناسبة، والمصابيح والقناديل والاسرة والامتعة والفرش التي تزيد البيت جمالاً وروعة. انما المهم في الزينة، لذة العين وانشراح الصدر، وآثارهما على حسن الخلق ورفعة الادب وتآلف النفوس .

٨٨٨٨ هاء: البساطة وتجنب السرف

الاسراف تجاوز ما هو المعروف في امور الحياة. والسرف في كل شيء يكون مكروهاً، اذا ادى الى واحد من المساوئ التالية:

---

(١) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٥١ / ح ٢٠.
(٢) المصدر / ص١٥٩ / ح ١.
(٣) المصدر / ص١٦٠ / ح ١١.
(٤) المصدر / ح ٩.

١- إذا ادى الى ضياع المال بلا أية فائدة معقولة؛ مثل الاضاءة مع الشمس، حيث جاء في الحديث الشريف عن أبي الحسن الثالث، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: "خمس تذهب ضياعاً: سراج تقده في شمس؛ الدهن يذهب، والضوء لا ينتفع به. ومطر جود(١) على ارض سبخة؛ المطر يضيع، والارض لا ينتفع بها. وطعام يحكمه طاهية يقدم الى شبعان، فلا ينتفع به. وامرأة حسناء تزف الى عنّين، فلا ينتفع بها. ومعروف تصطنعه الى من لا يشكره". (٢)

٢- إذا كان اكثر من الكفاف. فقد جاء في الحديث الشريف عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: كل بناء ليس بكفاف، فهو وبال على صاحبه يوم القيامة. (٣)

وجاء في حديث آخر عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: إذا بنى الرجل فوق ثمانية أذرع نودي: يا أفسق الفاسقين اين تريد. (٤)

٣- إذا كان سبباً لافساد الرأي العام، والتكبر على الاخرين. فقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: من بنى بنياناً رياءً وسمعةً، حمله يوم القيامة من الارض السابعة، وهو نار تشتعل، ثم يطوّق في عنقه ويلقى في النار، فلا يحبسه شيء منها دون قعرها الا ان يتوب. قيل: يا رسول الله؛ كيف يبني رياءً وسمعة؟ قال: يبني فضلا على ما يكفيه، استطالة منه على جيرانه، ومباهاة لاخوانه. (٥)

وقد ذكّرنا القرآن الحكيم بقصة رجلين اصبحا امثولة وعبرة من اراد اعتباراً؛ احدهما قارون

---

(١) الجود : المطر الغزير، وقد يأتي وصفاً فيقال: هاجت لنا سماء جود، ومطرنا مطراً جوداً .

(٢) بحار الانوار / ج ٧٣ / ص ١٦٤ / الباب ٣٣ / ح ٤.

(٣) المصدر / ص١٥٠ / ح ١٠.

(٤) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٥٠-١٥١ / ح ١٤.

(٥) المصدر / ص١٤٩ / ح ٤.

الذي كان من قوم موسى فبغى عليهم، وكان من أمره ما يقول ربنا سبحانه { **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلآ أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}** (القصص/٧٩-٨٣)

وهكذا استكبر قارون بعد بغيه، واراد علواً في الارض وفساداً، فخسر الدنيا والاخرة.

اما الرجل الثاني يقصص علينا ربنا في سورة الكهف خبره، حيث يقول { **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لاَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَاْ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً}** (الكهف/٣٢-٣٤)

وهكذا ترى الرجل كفر بنعم الله عليه، واستكبر على صاحبه، ولم ينفعه نصحه، وكانت عاقبته الخسران، حيث يقول ربنا تعالى: { **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً}** (الكهف/٤٢-٤٣)

٨٨٨٨ واو: الموقع المناسب

لم اجد نصوصاً كثيرة في اختيار الموقع المناسب للسكن. ولكن امثل المساكن هو الذي يحقق باقصى قدر ممكن اهداف السكن، من الحصانة والمنعة، ومن النقاء والضياء، ومن الستر والحجاب، ومن السكينة والزينة، ومن الثمرات والنفع، ومن الذكر والطهر.

واننا نستوحي بعض هذه الحقائق من الكتاب ومن احاديث النبي واهل بيته صلى الله عليه وعليهم.

١- ابرز الاهداف التي يؤكد عليها الاسلام في اختيار السكن، الطهر والذكر. وقد قال النبي ابراهيم عليه السلام بعد ان اختار لأهله جوار مكة المكرمة، ما قصّ علينا ربنا سبحانه فقال: { **رَبَّنَآ إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**} (إبراهيم/٣٧)

وهكذا يكون من المناسب وقوع سكن المرء في البلاد المؤمنة، وعند مراكز الوعظ والارشاد، وفي المحلة التي يتوافر فيها الجو الديني المناسب .

٢- ومن ذلك ان يكون البيت قريباً من المقبرة، حيث تذكر المرء بالآخرة. وقد روى القطب الراوندي في دعواته، قال ابو ذر: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا ذر؛ اوصيك فاحفظ لعل الله ان ينفعك به. جاور القبور تذكر بها الآخرة. (١)

٣- وجاء في حديث امير المؤمنين عليه السلام، انه قال فيما كتب الى الحارث الهمداني: واسكن الامصار العظام، فانها جماع المسلمين، واحذر منازل الغفلة والجفا. (٢) ونستفيد من هذه الرواية؛ كراهية السكن بين غير المؤمنين، وغير المتواصلين فيما بينهم بالمعروف .

٤- ونستوحي من آية كريمة؛ استحباب السكن في المناطق التي يتواجد اصحاب الانسان فيها، حيث يقول ربنا تعالى: { **وَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**} (يونس/٨٧)

---

(١) مستدرك الوسائل/ الطبعة الثانية / ج٣ / ص٣٧١ / ح ٣ (كتاب الصلاة ابواب المساكن/ الباب ٢٣).

(٢) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٥٦ / ح ٢.

٥ـ ومن هنا فقد اكد الدين الحنيف على البحث عن الجار قبل الدار، حيث قال الامام امير المؤمنين في وصيته للامام الحسن عليه السلام: سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار . (١)

٦- وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله (اني) اردت شراء دار، اين تأمرني ان اشتري، في جهينة ام في مزينة ام في ثقيف ام في قريش؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: الجوار ثم الدار. (٢)

ونستفيد من هذه الرواية؛ ان المراد بالجار ليس فقط الجيران المباشرين، بل المنطقة. فالجوار كان يطلق على البيوت القريبة، وربما الى اربعين بيتاً.

٧- ونستفيد من بعض الاحاديث؛ ان الامثل وجود بيت الانسان بين بيوت متقاربة البناء، بحيث لا يرتفع بيت على بيت الانسان (لكي لا يشرف عليه). وقد جاء رجل من الانصار يشتكي الى رسول الله صلى الله عليه وآله: ان الدور قد اكتنفته. فقال رسول الله: ارفع ما استطعت، واسأل الله ان يوسع عليك. (٣)

٨- ونستفيد من حديث شريف؛ ان البيت الذي يوفر مصلحة الانسان، فيكون مثلا قريباً من محل عمله هو الامثل. فقد روي عن الامام امير المؤمنين عليه السلام: ليس بلد بأحق بك من بلد، خير البلاد ما حملك. (٤)

فلعل البلد او المسكن الذي اختاره السابقون لك لا يوفر حاجاتك، ولا يحقق تطلعاتك، بل لا يتناسب وظروفك.

٩- ومن ذلك امر الاسلام بالتحول من المسكن الذي اختاره الاب، اذا كان ضيقاً وغير مناسب لك، ولاتقل انه محل سكن والدي وفيه ذكرياته. وفي ذلك نقرء

---

(١) المصدر / ج٧٣ / ص١٥٥ / ح ٣٦.

(٢) مستدرك الوسائل / ج٣ / الطبعة الثانية / ص٤٧١ / ح ٢ (كتاب الصلاة ابواب احكام المساكن / الباب ٢٣).

(٣) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٥٥.

(٤) نهج البلاغة / قصار الحكم / رقم ٤٤٢.

الحديث عن معمر بن خلاد قال: ان ابا الحسن عليه السلام اشترى داراً وامر مولى له يتحول اليها، وقال: إن منزلك ضيق. فقال: اجزأت، هذه الدار لأبي. فقال ابو الحسن عليه السلام: ان كان ابوك احمق، ينبغي ان تكون مثله. (١)

١٠- وجاء في حديث آخر روي عن ابي جعفر (الامام الباقر عليه السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل اخبره انه كان في دار فيها اخوته فماتوا ولم يبق غيره: ارتحل منها وهي ذميمة. (٢)

١١- ونستفيد من آية مباركة؛ ان البيت الامثل هو الذي يكون في طرفية جنتان، حيث

قال سبحانه: **{ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ}** (سبأ/١٥)

وعادة يستقبل البيت الشمس جنوباً، فيكون طرفاها (الغرب والشرق) افضل موقع لزراعة الاشجار. والله العالم.

١٢- ونستفيد من حديث شريف؛ كراهة السكن في بيوت الظالمين، حيث روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله مر على الحجر، فقال لأصحابه: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين، حذراً ان يصيبكم مثل ما اصابهم. (٣)

٨٨٨٨ زاء: الذكر والطهر

في آيةكريمة نقرء؛ ان البيوت التي أذن الله لها ان ترفع، هي البيوت التي يذكر فيها الله رجال. ونستفيد من ذلك؛ ان البيت المثالي هو الذي يرتفع منه ذكر الله، وقد

---

(١) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٥٣ / ح ٣٠ .

(٢) مستدرك الوسائل / الطبعة الثانية / ج٣ / ص٤٦٨ / ح ١ (كتاب الصلاة ابواب احكام المساكن / الباب ١٩).

(٣) مستدرك الوسائل / الطبعة الاولى / ج١ / ص٢٤٧ / الباب ٢٣ / ح ٨.

وردت احاديث في انتخاب الامام امير المؤمنين عليه السلام في بيته موقعاً للصلاة، مما يهدينا الى حسن تخصيص موقع في المسكن للصلاة والذكر.

١- وقد قال ربنا سبحانه: **{ وَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}** (يونس/٨٧)

حيث نستفيد من كلمة **{ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ}** بعد قوله تعالى **{ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً}**، استحباب اقامة الصلاة في البيت.

٢- عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: كان علي عليه السلام قد جعل بيتاً في داره، ليس بالصغير ولا بالكبير لصلاته، وكان إذا كان الليل ذهب معه بصبي ليبيت معه فيصلي فيه. (١)

٨٨٨٨ حاء: النفع والبركة

لقد ندب الدين الى طلب الرزق الحلال، واعتبره من آكد المستحبات، وقد يصبح واجباً شرعياً. وكما ندب الى تدبير المعيشة، والاقتصاد فيها. ومن مفردات ذلك ان الاسلام رغّب في اتخاذ المواشي والدواجن في البيوت، كما رغّب في غزل النساء . كل ذلك يهدينا الى امكانية تحويل البيت الى وحدة انتاجية في اقتصاد البلاد، لكي لا يكون مجرد موقع للاستهلاك؛ سواء كان انتاجه زراعياً كتربية المواشي والدواجن وغرس الاشجار المثمرة وانتاج الخضروات والزهور وما اشبه، او كان انتاجه صناعياً مثل الغزل والحياكة وانتاج الصناعات الخفيفة.

نستعرض فيما يلي بعضاً من النصوص التي نستهدي بها الى هذه الحقائق:

١- فيما يرتبط بالتكسب وطلب الحلال؛ جاء في الحديث المأثور عن الامام الكاظم عليه السلام: استثمار المال من تمام المروة. (٢) وروي: ان الكاد على

---

(١) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٦١ / ح ٢.

(٢) مستدرك الوسائل / الطبعة الاولى / ج٢ / ص٤٢٣ (كتاب التجارة ابواب مقدمات التجارة/ الباب ١٨ ح ١).

عياله من حلال كالمجاهد في سبيل الله. (١) وقال الامام علي عليه السلام: من اقتصد في الغنى والفقر، فقد استعد لنوائب الدهر. وقال عليه السلام: الاقتصاد نصف المؤنة. (٢)

٢- وفيما يتصل بالعمل اليدوي؛ جاء في الحديث النبوي الشريف: من اكل من كد يده، نظر الله اليه بالرحمة، ثم لا يعذبه ابداً. (٣)

٣- وعن الغزل في البيت؛ جاء في خاتمة حديث مفصل عن النبي صلى الله عليه وآله قوله : ونعم اللهو المغزل للمرأة الصالحة. (٤)

٤- وعن اتخاذ الماشية في البيت؛ نقرء الحديث المأثور عن الامام الباقر عليه السلام، انه قال: ما من اهل بيت يكون عندهم شاة لبون الا قدسوا كل يوم مرتين. قلت: وكيف يقال لهم؟ قال: يقال لهم: بوركتم بوركتم. (٥)

وروي عنه عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمته: ما يمنعك ان

تتخذي في بيتك بركة؟ قالت: يا رسول الله؛ ما البركة؟ قال: شاة تحلب. فإنه من كان في منزله شاة تحلب او نعجة او بقرة، فبركات كلهن. (٦)

٥- وعن الزرع؛ جاء في رواية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل: أي المال خير؟ قال زرع زرعه صاحبه، واصلحه، وادى حقه يوم حصاده. (٧)

---

(١) المصدر / ص٤٢٤ / الباب ٢٠ / ح ٢.

(٢) المصدر / الباب ١٩ / ح ١٣.

(٣) المصدر / ص٤١٧ / الباب ٨ / ح ٧.

(٤) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٧٥ / ح ٢.

(٥) وسائل الشيعة / ج٥ / ص٣٧٣ (كتاب الحج ابواب احكام الدواب / الباب ٣٠ / ح ١).

(٦) وسائل الشيعة / ج٥ / ص٣٧٣ (كتاب الحج ابواب احكام الدواب / الباب ٣٠ / ح ٣).

(٧) المصدر / ص٣٩٢ / الباب ٤٨ / ح ١.

وكلمة اخيرة؛ حين يعمل اهل بيت بروح جمعية في سبيل الانتاج، تتنامى فيهم الصفات الحميدة التالية:

أولاً: صفة التعاون والانسجام، حيث ان هذه الصفة اذا تبلورت في البيت اليوم، تنامت غداً في المجتمع ايضاً .

ثانياً: صفة الانتاجية، حيث يتعلم الطفل ان عليه ان يعمل حتى يأكل، وان يجتهد حتى يتقدم.

ثالثاً: خبرة العمل في المجال الذي يختارونه لانتاجهم، فإذا خرج الطفل من البيت الى المجتمع خرج خبيراً.

ونحن اليوم نجد هذه الحالة في كثير من القرى المسلمة، وقد استفادت دول كثيرة من هذه الحالة في نهضتها الاقتصادية الحديثة؛ مثل الصين واندونيسيا .

٨٨٨٨ طاء : التعاون والرحمة

من صفات الانسجام العائلي والالفة، ان لا يجد أبناء العائلة الواحدة حرج في ان يأكلوا من بيوت بعضهم جميعاً او اشتاتاً. وقد قال ربنا سبحانه: { **لَيْسَ عَلَى الاَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الاَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْبُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْبُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْأَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الاَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** (النور/٦١)

لقد أمر القرآن بالتعاون على البر والتقوى، فقال سبحانه: { **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**} (المائدة/٢)

وامر بالتراحم، فقال جل وعلا في صفة اصحاب النبي: { **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ**

لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} (الفتح/٢٩)

وتتجلى قيمة التعاون والتراحم في البيت الاسلامي، باعتباره اول وحدة في بنيان المجتمع المسلم. وفيما يلي نقرء جملة مفردات من هذا التعاون:

١- في البيت الاسلامي، وضمن حدود الاسرة الكبيرة التي تشمل الاخوال والاعمام؛ نجد الطعام مباحاً للافراد حسب الآية الكريمة في سورة النور. وقد ورد في تفسير الفخر الرازي ما يلي: روى الزهري عن سعيد بن المسيب وعبيد بن عبد الله في هذه الآية: ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم، وكانوا يسلمون اليهم مفاتيح ابوابهم ويقولون لهم: قد أحللنا لكم ان تأكلوا مما في بيوتنا. فكانوا يتحرجون من ذلك، قالوا لا ندخلها وهم غائبون. فنزلت هذه رخصة لهم. (١)

وقال المحقق الحلي: لا يجوز ان يأكل الانسان من مال غيره إلا بإذنه، وقد رخص مع عدم الاذن في التناول من بيوت من تضمنته الآية اذا لم يعلم منه الكراهية. (٢)

واكد في الجواهر على ذلك بقوله: كتاباً وسنة، بل واجماعاً. (٣) ثم سرد الاحاديث الشريفة التي تدل على ذلك، منها ما يلي:

روي عن الحلبي، قال: سألت ابا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية: **{ من بيوتكم او بيوت آبائكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا }** الى آخر الآية. قلت: ما يعني بقوله: **{ او صديقكم}؟** قال: هو والله الرجل يدخل بيت صديقه فيأكل بغير اذنه. (٤)

---

(١) التفسير الكبير / طبعة قم / الجزء ٢٤ / ص٣٥.

(٢) جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام / كتاب الاطعمة والاشربة (طبعة بيروت) / ج١٢ / ص٧٦١.

(٣) المصدر .

(٤) وسائل الشيعة / ج١٦/ الباب ٢٤ / ص ٥٢٨ / ح ١.

وعن زرارة، عن ابي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل **{ او صديقكم}** فقال: هؤلاء الذين سمى الله عز وجل في هذه الآية، تأكل بغير اذنهم من التمر والمادوم، وكذلك تأكل المرأة بغير اذن زوجها، وأما ماخلا ذلك من الطعام فلا. (١)

وعن زرارة، قال: سألت احدهما عليهما السلام عن هذه الآية **{ من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا}** الآية. فقال: ليس عليك جناح فيما أطعمت او أكلت مما ملكت مفاتحه ما لم تفسد. (٢)

وروي عن علي بن ابراهيم في تفسيره رفعه قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين اصحابه، فكان بعد ذلك اذا بعث احدا من اصحابه في غزاة او سرية، يدفع الرجل مفتاح بيته الى أخيه في الدين و يقول: خذ ما شئت، وكل ما شئت، وكانوا يمتنعون من ذلك، حتى ربما فسد الطعام في البيت. فأنزل الله **{ ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او أشتاتا} يعني حضر او لم يحضر، اذا { ملكتم مفاتحه}**. (٣)

وقد قيد المحقق فيما مضى من كلامه حلية الطعام بما إذا لم يعلم منه (صاحب البيت) الكراهية. فاحتج صاحب الجواهر على هذا القيد بقوله: اقتصاراً فيما خالف الاصل على المتيقن. واضاف: بل لعل الاطلاق المزبور كتاباً وسنة منصرف الى غيره. (٤)

ونقل عن كشف اللثام (للفاضل الهندي) ان هذا الشرط معلوم بالاجماع والنصوص. (٥)

---

(١) المصدر / ص ٥٢٩ / ح ٢.
(٢) المصدر / ص٥٢٩ / ح ٤.
(٣) المصدر / ص٥٣٠ / ح ٨.
(٤) جواهر الكلام / (طبعة بيروت) ١ / ج١٢ / ص٧٦٢ .
(٥) المصدر .

ولم يوضح الفاضل الهندي مراده من النصوص. وقد تلوناها آنفاً فلم نجد فيها ذلك القيد، اللهم الا ان يكون القيد مفهوماً من قوله سبحانه: **{ وَلا تَـأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}** (البقرة /٨٨). وقول الرسول صلى الله عليه وآله: لا يحل لمؤمن مال اخيه إلاّ عن طيبة نفسه منه. (١)

الا ان هذه الآية حاكمة على تلك الادلة، وهي مطلقة. ويبدو منها؛ ان مراد الدين الحنيف ايجاد روح التكافل والانسجام بين من ذكرتهم الآية، وهم الذين يشكلون الاسرة الكبيرة التي كانت سابقاً تتعايش -عادة- في محيط واحد، كما ان الله سبحانه قد قال في آية كريمة: **{ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ}** (الذاريات /١٩). وقال تعالى: **{وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً}** (النساء /٨)

والله هو المالك الحق، وهو قد سوّغ الاكل، فكيف نحرمه؟ بل لا يجوز لصاحب البيت ان يكره اكل من ذكرتهم الآية الكريمة. والله العالم.

٢- وصلة الرحم من اركان التكافل الاجتماعي في الشريعة الغراء. وقد قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: لايعدلن احدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة، ان يسدها بالذي لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه. ومن يقبض يده عن عشيرته، فانما تقبض منه عنهم يد واحدة، وتقبض منهم عنه ايدٍ كثيرة. ومن تَلِن حاشيته، يستدم من قومه المودة. (٢)

وروي عن الامام الباقر عليه السلام، انه قال: صلة الارحام، وحسن الجوار، زيادة في المال. (٣)

---

(١) بحار الانوار / ج٨٠ / ص٢٨٣ / ح ٧.

(٢) مستدرك الوسائل / الطبعة الاولى / ج٢ / ص٦٤١ / (كتاب النكاح / ابواب النفقات / الباب ١٠ / ح ٤٠ - عن نهج البلاغة).

(٣) المصدر / ح ٣٧.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: كل اهل بيت اذا تواصلوا كانوا في كنف الرحمن، وما من اهل بيت يتواصلون فيحتاجون ابداً. (١)

ومن مظاهر التكافل والتعاون؛ ادارة البيت وأعماله بصورة جمعية. فليست ربة البيت وحدها المسؤولة عما في البيت. وقد قسم النبي صلى الله عليه وآله أعمال البيت بين الامام أمير المؤمنين وزوجته الصديقة فاطمة الزهراء عليهما السلام. فقد روي عن ابي عبد الله الصادق عن آبائه عليهم السلام، قال: تقاضا علي وفاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وآله في الخدمة، فقضى (النبي صلى الله عليه وآله) على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي عليه السلام بما خلفه.

قال: فقالت فاطمة عليها السلام: فلا يعلم ماداخلني من السرور الا الله، باكفائي رسول الله صلى الله عليه وآله تحمل رقاب الناس. (٢)

وقد ورد في حديث آخر عن علي عليه السلام، قال: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر، وانا انقي العدس. قال: يا أبا الحسن. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: اسمع ما اقول -الا ما امر ربي-: مامن رجل يعين امرأته في بيتها الا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة؛ صيام نهارها، وقيام ليلها. واعطاه من الثواب ما أعطاه الصابرين؛ داود النبي ويعقوب وعيسى عليهم السلام. يا علي: من كان في خدمة عياله في البيت ولم يأنف، كتب الله اسمه في ديوان الشهداء. (٣)

واستلهاماً من هذه النصوص ينبغي:

---

(١) المصدر / ح ٣٣.

(٢) مستدرك الوسائل/ الطبعة الاولى / ج٢ / كتاب التجارة / ابواب مقدمات التجارة / الباب ١٧ / ح ١.

(٣) المصدر / ص ٤٢٣ / ح ٢.

أولاً: ايجاد مجالس الاسرة؛ حيث يتشاورون في امورهم، ويتعاونون فيما بينهم لحل مشاكلهم.

ثانياً: انشاء صندوق التعاون لدعم او اقراض المحتاج منهم، ولتوفير الحاجات المشتركة فيما بينهم؛ مثل حفر بئر، وشراء ارض، وبناء بيت للاصطياف، او بناء مدرسة لابنائهم او مسجداً أوحسينية او ما اشبه ..

ثالثاً: تأسيس شركات استثمارية مغلقة على العائلة، وتوفير فرص العمل للشباب، والتعاون الاقتصادي في حقل العائلة.

رابعاً: تكوين هيئة خيرية تقوم بدعم المحتاجين من ابناء المجتمع، ونشر الفضيلة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨٨٨٨ ياء : معهد علم ودار ذكر

في سورة النور وفي آية النور، نقرء قوله سبحانه: **{ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ}** (النور/ ٤٥) ثم نقرء قوله سبحانه: **{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}** (النور /٣٦) .

ويهدينا هذا التقارن بين المشكاة والبيت؛ ان البيت الالهي مشكاة نور الرب. وهكذا كانت بركات الله ورحمته على اهل بيت الايمان .

وإذا كان البيت معهداً للعلم وداراً للذكر، فإن الذرية تكون طيبة. كما قال الله سبحانه: **{ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ}** (الاعراف/٥٨)

والمدرسة الاولى للتربية الايمانية، رحم الام وحضنها، ثم ظلال الاب وتعاليمه. وإذا كان الجو السائد في البيت مؤطراً بشذى الذكر، ومنوراً بضياء المعرفة، فإن الناشئة تضحى من اهل الذكر والعلم.

١- لقد كانت مريم الصدّيقة قدوة للام الربانية، التي قال عنها رب العزة سبحانه: **{ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَآءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ}** (آل عمران/٤٢-٤٣)

٢- ومن رحم هذه المرأة ولدت كلمة الله، التي قال عنها سبحانه: { **إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الْدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِين}** (آل عمران/٤٥)

٣- وفي هذه الامة كانت فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، انها كانت اعبد الناس. فقد روى الامام الحسن المجتبى، قال: رأيت امي فاطمة قائمة في محرابها ليلة الجمعة، فلم تزل راكعة ساجدة حتى انغلق عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء. فقلت: يا أماه لِمَ لم تدعي لنفسك كما تدعين لغيرك؟ قالت: يا بني؛ الجار ثم الدار. (١)

وقد قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله: ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها ايماناً الى مشاشها. (٢)

٤- والمثل الاعلى للتربية؛ رسول الله ووصيه امير المؤمنين عليهما السلام، الذين اضاءا مشكاة بيت الرسالة بنور العلم والايمان.

وكان علي عليه السلام ربيّ رسول الله، الذي صب في روعه كل ما أوحى اليه من الهدى. وحسبما يقول الامام علي عن نفسه: ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري. ولم يجتمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا ثالثهما، ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة. (٣)

وإذا تصفحت كتاب "تحف العقول" او المجلد الخاص بالمواعظ في كتب الحديث، لرأيت الوصايا المفصلة التي القاها النبي الى الامام أمير المؤمنين، أوصى بها الامام

---

(١) فاطمة عليها السلام بهجة قلب المصطفى للحجة الشيخ احمد الرحماني الهمداني ص ٧٩.
(٢) أي رأس العظم اللين . المصدر / ص٢١٤.
(٣) نهج البلاغة / الخطبة رقم ١٩٢.

الى ابنه الحسن او الى ابنائه عموماً. وبالتأمل في هذه المواعظ المفصلة وما فيها من حكم ومعارف، نفهم كيف كانت التربية الاسلامية تتخذ من البيت المدرسة الاولى والمعراج الاول لعقل الناشئة وروحها. ونحن -بدورنا- نقدم التوصيات التالية التي قد تنفع في هذا الجو:

أولاً: على الام ان تعرف معنى تربية الذرية الطيبة، وتتطهر من كل دنس عند الحمل، ثم في ايام الرضاعة، ثم تتحلى بكل فضيلة لتغذي طفلها مع اللبن اسمى الاخلاق واشرفها .

ثانياً: على الاب ان يسعى جاهداً لتحصيل الحلال من الرزق، ويهتم بتزكية نفسه، ليكون قدوة صالحة لذريته.

ثالثاً: ان يكون في البيت برامج عائلية هادفة، يسعى الوالدان من خلالها تنمية روح الطفل وعقله.

رابعاً: علينا ان نصرف على تربية ابنائنا اكثر مما نصرف على تغذيتهم المادية، وذلك بشراء كتب، وانتخاب مدرسة جيدة، واستضافة موجهين ممتازين، والله الموفق.

^^^^ كاف: الآداب الرفيعة

وفي البيت الاسلامي يتجلى الادب الرفيع للمؤمن، الذي ينشر عطره في ارجاء البيت، فيملأها حباً وحناناً ورحمة. وفيما يلي نستعرض معاً طائفة مختارة من النصوص الدينية في هذا الحقل:

^^^ آداب دخول البيت:

قال امير المؤمنين عليه السلام: إذا دخل احدكم منزله، فليسلم على اهله، يقول: السلام عليكم. فان لم يكن له اهل، فليقل: السلام علينا من ربنا، وليقرأ قل هو الله احد حين يدخل منزله، فانه ينفي الفقر .

وقال عليه السلام: وليقرأ إذا خرج من بيته الآيات من آخر آل عمران وآية الكرسي وانا أنزلناه وأم الكتاب، فان فيها قضاء حوائج الدنيا والآخرة. (١)

وروي عن يعقوب بن سالم، رفعه الى ابي عبد الله عليه السلام قال: قال امير المؤمنين عليه السلام: اتقوا الخروج بعد نومة، فان لله دُوّاراً يبثها يفعلون ما يؤمرون. (٢)

وروي عن الصادق عن آبائه عليهم السلام: ان النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله، قالت الملائكة له: سلمت. فإذا قال: لاحول ولا قوة الا بالله، قالت الملائكة له: كفيت. فإذا قال: توكلت على الله، قالت الملائكة له: وُقيت. (٣)

٨٨٨ **آداب النوم والسهر:**

وعن آداب النوم والسهر، جاء في الحديث عن الصادق عن ابيه عليهما السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا سهر إلا في ثلاث؛ متهجد بالقرآن، وفي طلب العلم، او عروس تهدى الى زوجها. (٤)

وروي عن امير المؤمنين عليه السلام، قال: من خاف البيات قلَّ نومه. (٥)

وروي عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قالت ام سليمان بن داود لسليمان عليه السلام: إياك وكثرة النوم بالليل، فإن كثرة النوم تدع الرجل فقيراً يوم القيامة. (٦)

---

(١) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٦٦ / الباب ٣٤ / ح ١.
(٢) المصدر / ص١٦٧ / ح ٥.
(٣) المصدر / ص١٦٨ / ح ١٠.
(٤) المصدر / ص١٧٨ / ح ٣.
(٥) المصدر / ص١٧٩ / ح ١.
(٦) بحار الانوار / ج٧٣ / ص١٧٩-١٨٠ / ح ٣.

وروي عن ابي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أول ما عصي الله تبارك وتعالى بست خصال؛ حب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الطعام، وحب النساء، وحب النوم، وحب الراحة. (١)

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ينام المسلم وهو جنب، ولا ينام إلا على طهور، فإن لم يجد الماء فليتيمم بالصعيد. فإن روح المؤمن ترفع الى الله تبارك وتعالى فيقبلها ويبارك عليها، فإن كان اجلها قد حضر جعلها في كنوز رحمته، وان لم يكن اجلها قد حضر بعث بها مع أُمنائه من ملائكته فيردونها في جسدها. (٢)

٨٨٨٨ متى يصح النوم؟

النوم قبل شروق الشمس من اشد اوقات النوم كراهة، حتى جاء في الحديث عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما عجّت الارض الى ربها عز وجل كعجيجها من ثلاثة؛ من دم حرام يسفك عليها، او اغتسال من زنا، او النوم عليها قبل طلوع الشمس. وعن النبي صلى الله عليه وآله: أن الله كره النوم قبل العشاء الاخرة. (٣)

وكذلك النوم بعد صلاة المغرب وقبل صلاة العشاء، حيث يقول الحديث الشريف المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: النوم بين العشائين يورث الفقر، والنوم قبل طلوع الشمس يورث الفقر. (٤)

والنوم بعد العصر حمق، حسب الرواية عن الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النوم من أول النهار خرق، والقائلة نعمة، والنوم بعد العصر حمق، وبين العشائين يحرم الرزق. (٥)

---

(١) المصدر / ص١٨٠ / ح ٥.
(٢) المصدر / ص١٨٢ / ح ٢.
(٣) المصدر / ص١٨٤ / ح ١.
(٤) المصدر / ح ٢.
(٥) بحار الانوار / ج٧٣ / ص ١٨٥ / ح ٦.

اما الوقت المناسب جداً للنوم في النهار قبل الظهر ويسمى بالقيلولة، حيث جاء في الاثر عن زين العابدين عليه السلام انه كان يصلي صلاة الغداة، ثم يعقب في مصلاه حتى تطلع الشمس، ثم يقوم فيصلي صلاة طويلة، ثم يرقد رقدة، ثم يستيقظ فيدعو بالسواك فيستنّ، ثم يدعو بالغداة. (١)

٨٨٨٨ كيف ننام؟

وكره الاسلام النوم منبطحاً، ورغّب في سائر انحاء النوم. فقد روي في خبر الشامي انه سأل امير المؤمنين عليه السلام عن النوم على كم وجه هو؟ فقال امير المؤمنين عليه السلام: النوم على اربعة اصناف؛ الانبياء تنام على اقفيتها مستلقية، واعينها لا تنام متوقعة لوحي ربها عز وجل، والمؤمن ينام على يمينه مستقبل القبلة، والملوك وأبناؤها على شمائلها ليستمرؤا ما يأكلون، وإبليس وإخوانه وكل مجنون وذو عاهة ينامون على وجوههم منبطحين. (٢)

ويستحب ان يمسح الفراش ليتأكد من عدم وجود حشرة عليه، او شيء يضر، وليدع ربه بالدعاء الماثور عن الصادق، عن ابيه عليهما السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: إذا أوى احدكم الى فراشه فليمسحه بطرف إزاره، فانه لا يدري مايحدث عليه، ثم ليقل " اللهم إن امسكت نفسي في منامي فاغفر لها، وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين". (٣)

ويكره النوم قبل ان يغسل يده من الغمر، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا

يبيتن احدكم ويده غمرة، فان فعل فأصابه لمم الشيطان فلا يلومن الا نفسه. (٤)

---

(١) المصدر / ص١٨٦ / الباب ٤٢ / ح ٢.

(٢) المصدر / ح ٤.

(٣) المصدر / ح ٢.

(٤) بحار الانوار / ج ٧٣ / ص١٨٧ / ح ٩.

ويكره النوم في بيت منفرداً او في سطح غير محجر، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ان الله كره النوم في سطح ليس بمحجر. وقال: من نام على سطح غير محجر فقد برئت منه الذمة. وكره ان ينام الرجل في بيت وحده. (١)

ومن اضطر النوم وحده، فليقرء الدعاء المروي عن ابي الحسن عليه السلام، قال: من بات في بيت وحده او في دار او في قرية وحده، فليقل: "اللهم آنس وحشتي وأعني على وحدتي". (٢)

ونختم حديثنا بشذى من عطر رسول الله وأدبه عند نومه. فقد روي؛ كان النبي صلى الله عليه وآله ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره، وكان يستاك إذا اراد ان ينام ويأخذ مضجعه، وكان إذا اوى الى فراشه اضطجع على شقّه الأيمن، ووضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، ثم يقول: "اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك".

في دعائه عنده مضجعه : وكان له أصناف من الأقاويل يقولها إذا أخذ مضجعه فمنها أنه كان يقول: "اللهم إني أعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك اللهم إني لا أستطيع أن أُبلّغ في الثناء عليك، ولو حرصت، أنت كما أثنيت على نفسك" وكان عليه السلام يقول عند منامه: " بسم الله أموت وأحيا وإلى الله المصير، اللهم آمن روعتي، واستر عورتي، وأدِّ عني أمانتي".

ما يقول عند نومه : كان صلى الله عليه وآله يقرء آية الكرسي عند منامه ويقول : أتاني جبرئيل فقال : يا محمد إن عفريتاً من الجن يكيدك في منامك فعليك بآية الكرسي.

---

(١) المصدر / ح ٧.

(٢) المصدر / ص٢٠١ / ح ١٨.

عن أبي جعفر عليه السلام قال : ما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله من نوم قط إلاّ خرَّ لله عز وجل ساجداً .

وروي أنه لاينـام إلا والسواك عند رأسه، فاذا نهض بدء بالسواك، وقال صلى الله عليه

وآله : لقد امرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب عليَّ.

وكان صلى الله عليه وآله مما يقول إذا استيقظ : " الحمد لله الذي أحياني بعد موتي إن ربي لغفور شكور" وكان يقول صلى الله عليه واله: "اللهم إني أسألك خير هذا اليوم ونوره وهداه وبركته وطهوره ومعافاته اللهم إني أسألك خيره وخير مافيه وأعوذ بك من شره وشر مابعده . (١)

(١) بحار الانوار / ج٧٣ / ص ٢٠١ -٢٠٢ / ح ١٩.

٨٨الصحـة

الحياة الطيبة احدى قيم الايمان، وتحقيقها يكون بالوقاية والعلاج، وسكينة النفس.
ومن الوقاية؛ هجر الرجز والتطهر وتجنب الاسراف في الشراب والطعام ، ونبذ الخبائث وانتخاب الطيبات.
ومن العلاج؛ الصيام واقامة الصلاة وحج بيت الله الحرام، والاستشفاء بالعسل.
وسكينة النفس تقي الانسان من امراض كثيرة، وتساهم في الاستشفاء من غيرها.

٨٨٨ **الحياة الطيبة:**

١/ دعوة الاسلام الى الحياة، هي ضد كل ما يهدد الحياة من ضراء أوبأساء (من مرض او حرب)، وقد امرنا الله ان نستجيب للرسول حين يدعونا الى الحياة، فقال سبحانه وتعالى: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَاَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُون}** (الانفال/٢٤)

٢/ وقد جعل الله السبيل الى الحياة الطيبة التي هي قيمة سامية، العمل بالصالحات. قال الله تعالى: { **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِاَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** (النحل/٩٧)

٣/ قال الله سبحانه: **{الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَأَبٍ}** (الرعد/٢٩)

ويبدو ان الطوبى هي الحياة التي تبلغ غاية الطيب، والتي يوفرها الايمان والعمل الصالح.

٤/ وجعلت الحياة الحسنة من تطلعات المرسلين، حيث قال الله سبحانه: { **وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**} (البقرة/٢٠١)

ومن كل هذه الآيات نستفيد؛ ان الحياة الطيبة قيمة ايمانية، والعافية من شروط هذه الحياة، حيث جاء في الدعاء: "وارزقني العافية الى منتهى اجلي حتى تهنئني المعيشة"، (١) وفي دعاء مأثور آخر نجد كيف يتطلع المؤمنون الى العافية: "واليك ارغب في لباس العافية وتمامها، وشمول السلامة ودوامها". (٢)

٨٨٨ سكينة الايمان:

من العوامل الهامة للمرض، التوتر النفسي الذي يتسبب في طائفة من الامراض بصورة مباشرة (كامراض القلب والاعصاب وضغط الدم) . كما وتؤثر على بعضها بصورة غير مباشرة، (كسائر الامراض تقريباً). كما وتؤثر سلباً على شفاء الانسان من المرض.

١/ وهكذا يوفر الايمان اطمئنان القلب بذكر الله سبحانه، حتى يستريح الانسان على شاطئ السلام، بعيداً عن امواج الهموم واعاصير الشدائد. قال الله سبحانه: { **الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**} (الرعد/٢٨)

٢/ ومن ابرز اسباب التوتر، الصراعات التي توقد نارها الحميات الجاهلية وأنانيات الهوى وحب الذات. اما المؤمنون فإن افئدتهم تعمر بسكينة الايمان، فإذا هي واحة خضراء ندية معشوشبة بالحب والامل . قال الله سبحانه: { **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى**

---

(١) من دعاء ابي حمزة الثمالي.

(٢) من الادعية النهارية للايام.

الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً} (الفتح/٢٦)

٣/ وهكذا كان القرآن شفاءً لما في الصدور، حيث قال الله سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}** (يونس/٥٧)

وأي شفاء افضل من القرآن، الذي يقتلع به المؤمن جذور الكبر والحسد والحميات والتي تورث الكآبة والقلق، وأي راحة نفسية اعظم من تلك النفسية التي تصوغها آيات الذكر فتعيش الرضا في الرخاء والشدة، وتعيش التوكل والتفويض في منعطفات الحياة الخطيرة. فلا خير يورثها المنع، ولا شر يصيبها بالجزع.

وإذا اطمأنت النفس، فانها تصبح اقدر على تنظيم الحياة في الطعام والشراب، وفي النشاط والراحة، وفي العلاقات والممارسات الجنسية.. وهذا التنظيم لا ريب من اعظم عوامل الصحة، لان الافراط في الطعام او في الجنس او في النوم او في الحركة، انما هو في العادة وليد التوتر العصبي ، والنهم النفسي، والاضطراب الروحي.

٨٨٨ **تجنب الخبائث:**

من عوامل المرض، الخبائث من الطعام والشراب؛ مثل الميتة ولحم الخنزير والخمر، وسائر الخبائث. كالحشرات والنجاسات، وكلما يضر بالانسان كالطعام الملوث بالميكروب والفيروس، وهكذا الاكل والشرب الذين يضران بالصحة في وقت المرض. ومن هنا فقد حرم الله الخبائث، وعندما يجتنبها المؤمن يتخلص من العديد من اسباب المرض.

١/ وقد اجمل القرآن القول في تحريم الخبائث في آية كريمة، فقال ربنا سبحانه: **{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّورَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ**

الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالاَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الاعراف/١٥٧)

٢/ ثم فصل في آية آخرى القول في بعض المحرمات، فقال الله سبحانه : **{ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** (البقرة/١٧٣)

٣/ وقال الله سبحانه: **{ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌرَحِيمٌ}** (النحل/١١٥)

٤/ وقال الله تعالى : **{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** (المائدة/٣)

وكما حرم الخبائث، احل الطيبات، وشدد النكير على اولئك الذين يحرمونها بغير علم .

٨٨٨ **تجنب المحرمات:**

وقد حرم ربنا طائفة من الممارسات التي تضر بصحة الانسان، كما تضر بسائر جوانب حياته مثل الشذوذ الجنسي، والاباحة الجنسية ، وممارسة الجنس في أيام العادة (الحيض)، والزواج قبل انتهاء العدة.

كما احل النكاح ورغب فيه، واحل تعدد الزوجات في حدود معقولة، ونظّم العلاقات الجنسية في اطار الاحكام الشرعية.

كل ذلك يمنع المزيد من الامراض الخطيرة، التي يورثها الاسراف او الاقتار في الجنس او الاباحية والشذوذ فيه .

١/ فقد حرم الله الفواحش ما ظهر منها (مثل الزنا والشذوذ الجنسي)، وما بطن (مثل الكيد وسوء الظن). قال الله سبحانه: { **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** } (الاعراف/٣٣)

إن الامراض الخطيرة التي منشؤها الاباحية الجنسية، تفتك بالبشرية منذ انفلاتها من حدود التقوى، ولقد طهر الاسلام المجتمع البشري من كثير منها. (١)

٢/ ولقد حرّم الله طائفة من النساء، حسب التفصيل المذكور في الآية الاتية. ويبدو ان السبب في تحريم بعضهن، الضعف الذي يورثه ذلك الزواج في الابناء، مما يهدد حياتهم بالخطر، الى جانب سائر الحكم مثل تفكك الاسرة وازدياد الصراعات الداخلية. قال الله سبحانه: { **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَآئِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِن نِسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فإِن لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلآئِلُ أَبْنَآئِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً**} (النساء/٢٣)

٨٨٨ تجنب الاضرار:

وكل ما يؤدي الى ضرر بالغ بالجسم حرام شرعاً، والعلم هو الذي يحدد مثل هذه الاضرار. وقد احل الله ما حرّمه عند الاضطرار - كما سبق في آيات كريمة- كما

---

(١) نشر مؤخراً تقرير خطير حول انتشار مرض نقص المناعة (الايدز) في بعض المناطق الافريقية، فهبط معدل العمر فيها من ٥٥ سنة الى ٤٥ تقريباً. هكذا تفتك الامراض الجنسية بالمجتمع الانساني نتيجة الاباحية.

نفى الدين الحرج الذي قد يسببه الضرر. قال الله سبحانه: { **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وءَاتُواْ الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**} (الحج/٧٨)

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: "لا ضرر ولا ضرار".

وهكذا كف عن المؤمنين جملة من الامراض التي يورثها العوامل الموجبة للضرر. فإذا كان التطهر بالماء سبباً للضرر البالغ، وجب التيمم بدلا عنه، مما يقي المؤمن التأثر بالبرد مثلاً.

٨٨٨ **النظر في الطعام:**

النظر في الطعام لمعرفة مدى انعام الله على الانسان به، ومعرفة حكمته ، والبحث عن ازكاه، وعن افضل وسيلة للتمتع به.. كل ذلك يساهم في عافية الانسان.

١/ وقد امر الله سبحانه بان ينظر الانسان الى طعامه، فقال تعالى: { **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ**} (عبس/٢٤)

لماذا النظر؟ لكي يعرف الطعام ويعرف قيمته، حتى يشكر الله عليه ويتقي فيه ربه، فيلتزم بحدوده فيه، فيكون عليه هنيئاً. والتزامه باحكامه وآدابه، يحفظه من الامراض. ومن هنا روي عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: من اكل الطعام على النقاء، واجاد تمضغاً، وترك الطعام وهو يشتهيه، ولم يحبس الغائط اذا اتى، لم يمرض الا مرض الموت. (١)

---

(١) مكارم الاخلاق ص ١٤٦.

٢/ وبالنظر في الطعام، يبحث الانسان عن الطيب منه. وقد ذكرتنا آيات كريمة بالأكل من الطيبات، فقال الله تعالى: { **وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُم يَظْلِمُونَ}** (البقرة/٥٧)

٣/ وقال الله تعالى: { **يَآ أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}** (المؤمنون/٥١)

ولأن الشرع قد أمر بالأكل من الطيبات فلابد ان نبحث عن مصاديق الطيبات ماهي؟ فاذا بيّنها الوحي لنا أخذنا به وإلاّ فعلينا ان نبحث عنها بعقولنا ومعارفنا.

٤/ وفي آية كريمة أمر ربنا بالأكل من كل طيب حلال في الارض. فلا يحرّم الانسان على نفسه من الطيبات شيئاً، اتباعاً لهواه وافتراء على الدين. قال الله سبحانه: { **يَآ أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** } (البقرة/١٦٨)

٥/ ونستلهم من آية كريمة؛ ان الطيب هو ما يخرج من البلد الطيب. قال الله سبحانه: **{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَيَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الاَيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ}** (الاعراف/٥٨)

٦/ ونستفيد من قصة اصحاب الكهف هذه العبرة؛ انهم طلبوا من رسولهم ان ينظر ليختار ازكى الطعام، قال الله سبحانه: { **وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً}** (الكهف/١٩)

٨٨٨ تجنب الأسراف:

١/ نهى الاسلام عن ترك الطعام بزعم حرمته (الا بنص شرعي)، وانما امر باكل الطعام واداء حقه، ونهى في ذات الوقت عن الاسراف في الطعام. فالاعتدال

هو ان يطعم بقدر حاجته، دون سرف. قال الله سبحانه: **{ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وءَاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}** (الانعام/١٤١)

٢/ وقال الله سبحانه: **{ يَا بَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}** (الاعراف/٣١)

ونستفيد من هذه الآية؛ ان الاسراف في الشراب كما الاسراف في الطعام، قد نهي عنه.

ومعلوم ان امراض كثيرة وخطيرة تطرء على البشر، بسبب الاسراف في الطعام. وقد وردت احاديث شريفة في النهي عن الاسراف في الطعام، وقد بينت علاقته بالمرض. فقد روى عمر بن ابراهيم، قال: سمعت ابا الحسن عليه السلام يقول: وان الناس قصدوا في المطعم، لاعتدلت ابدانهم. (١)

وروي عن ابن سنان، عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: كل داء من التخمة الا الحمى، فإنها ترد ورداً. (٢)

وروى اصبغ بن نباته، قال أمير المؤمنين للحسن عليهما السلام: الا اعلمك اربع خصال تستغني بها عن الطب؟ قال: بلى؛ قال عليه السلام: لا تجلس على الطعام الا وانت جائع، ولا تقم عن الطعام الا وانت تشتهيه، وجوّد المضغ، وإذا نمت فأعرض نفسك على الخلاء، فإذا استعملت هذا استغنيت عن الطب. (٣)

٨٨٨ **تتبع الشفاء:**

---

(١) عن المحاسن / ص٤٤٦ / وعن وسائل الشيعة / ج١٦ / ص٤٠٧ / ح ٩.

(٢) المصدر / ص٤٤٧ - وعن وسائل الشيعة /ج١٦ / ص ٤١١ / الباب ٤/ من اداب المائدة / ح ١.

(٣) عن وسائل الشيعة / ج١٦ / ص٤٠٩/ الباب ٢/ من آداب المائدة / ح٨.

الشفاء من الله سبحانه، ولكل داء دواء، ومن الدواء الوقاية من اسباب الداء. وقد يسر ربنا سبل المعرفة بكتابه، وأمر بالسير والتفكر والاعتبار، وجعل في ذلك سبيلاً لرحمته. ومن الدواء العسل، الذي جعل الله فيه الشفاء.

١/ لقد عرف النبي ابراهيم عليه السلام بفطرته وبالوحي ان الشفاء من عند الله، فقال تعالى عنه: **{ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}** (الشعراء/٨٠)

ونستوحي من ذلك البصائر التالية:

أولاً:ان لكل مرض شفاء الا ما شاء الله. فلابد ان نبحث عن الادوية، ولا نستسلم للمرض. وقد ورد في الحديث المأثور عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: ان نبياً من الانبياء مرض، فقال لا اتداوى حتى يكون الذي امرضني هو الذي يشفيني. فاوحى الله تعالى اليه؛ لا أشفيك حتى تتداوى ، فإن الشفاء مني. (١)

وعن ابي عبد الله عليه السلام في حديث، انه قال: انزل الله الداء وانزل الشفاء، وما خلق الله داءً إلاّ جعل له دواءً، فاشرب وسم الله تعالى. (٢)

ثانياً: ان لجسم البشر مناعة وقدرة وهبها الله له لمقاومة الامراض. فلا يستعجل احد بالدواء، بل يدع الجسم يطرد المرض بنفسه في المراحل الاولية. ومن هنا جاء في الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: تجنب الدواء ما احتمل بدنك الداء، فإذا لم يحتمل الداء فالدواء. (٣)

وجاء في حديث عن الامام الصادق عليه السلام، قال: من ظهرت صحته على سقمه، فيعالج (نفسه) بشيء، فمات فانا الى الله برئ منه. (٤)

ثالثاً: لان الشفاء من الله سبحانه، فعلى المريض الا يكف عن الدعاء، ولا يكتفي بالدواء. وقد ورد في حديث شريف عن الامام الصادق عليه السلام، قال: قال

---

(١) بحار الانوار/ ج٥٩ / ص٦٦.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر.

(٤) بحار الانوار/ ج٥٩ / ص٥٩.

موسى بن عمران؛ يا رب من اين الدواء؟ قال: مني. قال: فالشفاء؟ قال: مني. قال: فما يصنع عبادك بالمعالج؟ قال: يطيب بأنفسهم، فيومئذ سمي المعالج الطبيب. (١)

٢/ والقرآن الحكيم شفاء ورحمة للمؤمنين، حيث قال الله سبحانه: { **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً**} (الاسراء/٨٢)

٣/ وقال الله تعالى: { **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَاناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ**} (فصلَت/٤٤)

ولكن كيف كان القرآن شفاء؟ وكيف نتخذه كذلك؟

لعل في الحقائق التالية بعض الاجابة:

أولاً: إن ربنا سبحانه قد انزل في القرآن آيات الحكمة، وبصائر العلم والعقل. فمن استشفى بالكتاب، تخلص من الخرافة والسحر والوساوس الشيطانية، وكل الحجب التي تمنع البشر من المعرفة؛ مثل الكبر والحمية والعناد على الجهل وما اشبه. وهكذا هدى الله الناس الى سبل السلام، والى معرفة الحقائق بالعقل والعلم وبالسير في الارض والتجربة والاعتبار. وهكذا تنامت قدرة البشر -بعد القرآن- على معرفة حقائق الحياة؛ ومنها حقائق علم الطب. ومما لا شك فيه ان المعرفة صرح متكامل يعتمد بعضه على بعض، وهكذا يُنمّى حقل الطب بسائر حقول المعرفة.

ولا تزال امام البشرية آفاق من المعرفة بالحقائق لم يقتحموها، ولو فعلوا لكانت حياتهم اهدى وأهنأ واغنى .

ثانياً: ان في القرآن احكاماً شرعية وحدوداً إلهية، تقي العاملين بها عن كثير من الامراض، وقد سبق الحديث عن بعضها.

---

(١) المصدر / ص٦٢.

ثالثاً: ان الله سبحانه قد جعل في آياته نوراً ورحمة لشفاء الانسان من امراضه، ويستفيد من هذه المعالجة اهل التقوى والعرفان، والله المستعان.

٤/ ومن امثلة الشفاء التي اشار اليها القرآن؛ العسل الذي يذكر الله عباده بهذه النعمة الكبيرة، التي جعلها شفاءً لكثير من الامراض. قال الله سبحانه: **{ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** (النحل/٦٩)

ولعل معنى الآية؛ ان الالوان المختلفة للعسل شفاء لاقسام مختلفة من الامراض. فلكل مرض خصِّص لون من العسل، وقد تقدم الطب في هذا المجال وحدد ما ينفع كل نوع من المرض بلون من العسل. وهذا ما يدعونا الى التصور التالي؛ ان النحل هو مصنع ادوية لمختلف الامراض، وقد تهدينا البحوث والتجارب في هذا الحقل الى انشاء مزارع مختلفة للورود والازهار والثمار والنباتات الطبية، وارسال النحل فيها ليقوم بامتصاص فوائد العقاقير وصنع العسل المناسب لكل مرض، والله العالم.

٨٨٨ **العافية وشرائع الدين:**

لان الله الحكيم هو الذي أمر بالشرائع، ولانه سبحانه عليم بخلقه وحاجاتهم المختلفة، فقد كانت تلك الشرائع مفيدة لصحة البشر الى جانب فوائدها الاخرى التي قد تكون اهم كالتقوى.

فالصلاة عبادة ، واهم ما فيها انها قربان كل تقي، ومعراج كل مؤمن. ولكنها لم تشرع في صورة ادعية واذكار يتلوها المؤمن بأية صورة، بل في صورة قيام وقعود وركوع وسجود بعد التطهر والوقت والاستقبال وغيرها، مما يورث العافية وتنظيم الحياة. وقد افاضت البحوث الحديثة في منافع الصلاة الصحية.

وهكذا الصيام، فإنه عبادة يورث التقوى، ولكنه في ذات الوقت من افضل البرامج الصحية.

والحج كذلك عبادة وميراثه التقوى، ولكن فيه منافع للناس اجتماعية وفردية، ومن منافعه عافية الحاج.

والقيام ليلاً يزيد في عمر الانسان. وهناك العشرات من الاحكام والآداب التي تورث زيادة في العمر، بالرغم من اننا لما نكتشف سرها، مثل صلة الرحم والصدقة والوضوء قبل وبعد الطعام وغيرها.

وبكلمة؛ ان المؤمن إذا التزم باحكام الدين وواجباته ومندوباته وآدابه وتعاليمه، فإنه يكون اطول عمراً واصح جسماً. وقد ذكر العلامة المجلسي في هذا المجال قائلاً: إنا الفينا جماعة من الشيعة المخلصين، كان مدار علمهم ومعالجتهم على الاخبار المروية عنهم، ولم يكونوا يرجعون الى طبيب، وكانوا اصح ابداناً واطول اعماراً من الذين يرجعون الى الاطباء والمعالجين. (١)

ولعل السبب في طول عمر الفقهاء والصالحين، هو مدى تمسكهم بشرائع الدين وآدابه؛ ومن آدابه الادعية والاذكار التي تطمئن بها انفسهم، ويطوّل الله بها اعمارهم، ويرزقهم العافية والسلامة.

٨٨٨ الاسلام والصحة العامة:

لقد سبق ان تعاليم الدين الوقائية؛ مثل الترغيب في التطهر والنظافة، وتحريم الخبائث والفواحش والمحرمات من الاطعمة والاشربة.. انها جزء هام من نظام الصحة العامة في الاسلام. ولكن الى جانب ذلك هناك مفردات اخرى، نشير اليها في هذا الحقل؛ مثل رعاية حالة المرضى، والاهتمام بهم وتكفلهم.

١/ فلقد اسقط الله سبحانه كثيراً من الواجبات الاساسية عن المرضى، رفقاً بهم ورعاية لحالهم. وهكذا ابدل واجب التطهر بالماء الى التطهر بالتراب (التيمم)، وخفف الصلاة من قيام الى الصلاة بالمستطاع قعوداً او على جنوبهم، واجاز

---

(١) بحار الانوار / ح٥٩/ ص٧٦.

للمريض حلق رأسه في الاحرام قبل ان يبلغ الهدي محله، واسقط الجهاد عن المريض، كما سوّغ للمرضى وضع اسلحتهم اثناء الجهاد.

فقد سمح للمريض الذي يضر به استعمال الماء، وكذلك لمن لايجد الماء للتطهر، ان يستخدم التراب للتطهر (التيمم). قال الله سبحانه: { **وَإِن كُنتُم مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِنكُم مِنَ الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِنْهُ**} (المائدة/٦)

٢/ وقال الله سبحانه: { **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**} (آل عمران/١٩١)

وقد فسرت الآية بالصلاة للمريض بتلك الحالات المختلفة.

٣/ وقال الله تعالى: { **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذلِكَ لِمَن لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**} (البقرة/١٩٦)

وهذا ما يدل على جواز حلق الرأس في حال الاحرام للمريض وان لم يبلغ الهدي محله.

٤/ وقال الله سبحانه عن سقوط الجهاد: { **لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً**} (الفتح/١٧)

٥/ وقال الله تعالى عن وضع الاسلحة اثناء الصلاة في القتال: { **وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِنْهُم مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ**

وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِن مَطَرٍ أَوْ كُنتُم مَرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً} (النساء/١٠٢)

٦/ وهكذا اسقط الصيام عن المريض، حيث قال الله سبحانه: **{ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنْكُم مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** (البقرة/١٨٤)

٧/ وقد نستفيد من آية كريمة؛ ان المجتمع يتكفل برزق الزمنى (المعوقين كالأعمى والاعرج والمريض)، حيث قال الله سبحانه: **{ لَيْسَ عَلَى الاَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الاَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْبُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْبُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْأَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** (النور/٦١)

وقد فسرت الآية بتفسيرات مختلفة، ولكن الاقرب الى سياق الآية ودلالتها الظاهرية، التفسير المروي عن المسيب والزهري، والذي يقول: ان المسلمين كانوا إذا غزوا خلّفوا زمناهم، وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح ابوابهم، ويقولون قد أحللنا لكم ان تأكلوا مما في بيوتنا. فكان اولئك يتحرجون من ذلك، ويقولون لا ندخلها وهم غيب. فنفى الله سبحانه الحرج عن الزمنى في اكلهم من بيت اقاربهم، او من بيت من يدفع اليهم المفتاح إذا خرج للغزو. (١)

---

(١) تفسير مجمع البيان/ ج٧ / ص١٥٦.

وإذا قرأت الآية رأيت ان حكم الاكل من البيوت المذكورة خاصة بالاقارب، وعامة بالنسبة الى الزمنى. وتفسير الآية فيما يرتبط ببيوت الاقارب ما ذكره العلامة الطبرسي، ورواه عن ائمة الهدى عليهم السلام، حيث قال: وهذه الرخصة في اكل مال القرابات وهم لا يعلمون، كالرخصة لمن دخل حائطاً وهو جائع ان يصيب من ثمره، او مرّ في سفره بغنم وهو عطشان ان يشرب من رسله. (١) توسعة منه (سبحانه) على عباده، ورغبة بهم عن دناءة الاخلاق وضيق العطن. (٢) ثم اضاف: والمروي عن ائمة الهدى صلوات الله عليهم انهم قالوا: لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكر الله تعالى بغير اذنهم قدر حاجتهم من غير اسراف. (٣)

واذا صح هذا التفسير فيما يتصل بالمرضى، فإنه يشكل اساساً لكفالة المجتمع للمرضى، ويؤيد ذلك سائر احكام الدين بالنسبة الى ذوي الحاجة (مثل السائل والمحروم والمسكين وابن السبيل والمجاهد في سبيل الله وغيرهم).

^^بصائر الآيات

١/ لقد دعى الدين الحنيف الى الحياة الطوبى، وامرنا الرب ان نستجيب لرسوله إذا دعانا لما يحيينا، وكانت دعوة الصالحين حياة حسنة في الدنيا وفي الآخرة، وجعلت وسيلتها العمل الصالح، والعافية من شروط تلك الحياة الطيبة.

٢/ ولقد حرّم ربنا الخبائث، حيث انها تورث الامراض. فالميتة ولحم الخنزير ومعاقرة الخمر وما يضرك من الطعام والشراب (كالسم والشراب الملوّث بالفيروس القاتل)، كل اولئك اعداء صحتك.

---

(١) أي اللبن.

(٢) تفسير مجمع البيان/ ج٧ / ص١٥٦.

(٣) المصدر.

٣/ وحرّم الله علينا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهي تضر بالصحة. فالشذوذ الجنسي والزنا وممارسة الجنس في العادة ونكاح ما حرّم الله من ذوي الارحام، تضر بالصحة.

٤/ وأمر باجتناب الرجز، والتماس الطهر والتطهر في اوقات مختلفة، رعاية للعافية.

٥/ وأمر بأن ينظر الانسان الى طعامه، لعله يختار ازكاه فيأكل من الطيبات، كالذي يخرج من البلد الطيب.

٦/ ونهى عن الاسراف في الطعام والشراب، وأمر بالقصد في المشرب والمأكل.

٧/ والله انزل لكل داء دواءً، وعلينا البحث عنه والاستشفاء به. ولقد يسّر الله لنا سبل المعرفة بالتفكر والاعتبار وجعل الشفاء في العسل، كما جعله في كتابه.

٨/ وجعل في شرائعه ركائز العافية. فالصلاة عبادة وهي تورث العافية، وكذلك الصيام والحج وكثير من التعاليم الدينية. وإذا رأيت طول عمر المتمسكين بتعاليم الدين، فاعلم بأن فيها الكثير الكثير من التعاليم الصحية.

٩/ والصحة العامة من اهداف التشريع الديني. فلقد رفع الحرج الاجتماعي والفقهي عن المريض، واسقط عنه التكاليف الضارة به والشاقة عليه؛ مثل الصيام والجهاد والتطهر بالماء وحرمة حلق الرأس في الحج. ويستفاد من آية كريمة؛ جواز أكل المريض من البيوت بقدر حاجته، كجوازه للاصحاء من بيوت ذوي الارحام، والله العالم.

٨٨فقه الآيات

نتحدث باذن الله في هذا الفصل عن بعدين اساسيين للصحة.

أولاً: عن الصحة باعتبارها قيمة ايمانية على مستوى الفرد والمجتمع، وما يستتبع ذلك من الاحكام الشرعية.

ثانياً: عن الصحة باعتبارها حقاً انسانياً، يجب التعاون من أجل تحقيقها.

٨٨٨ أولاً: احكام الصحة

يبدو من جملة النصوص، ان الحياة الطوبى من كلمات الايمان (قيمة شرعية)، ومن توابعها العافية (بتمامها ودوامها). وهي على مستويات بعضها واجبة يجب تحقيقها والمحافظة عليها، وبعضها مرغوبة فيها مندوبة اليها، وهي التالية:

ألف: المستوى الأدنى من العافية، ما يحافظ بها على حياة النفس و بقاء الاطراف، وهي واجبة.

باء: المستوى الذي يحافظ على الانسان من خشية الضرر البالغ، المؤدي مثلاً الى الضعف

العام، او نقص كبير في قوى البشر - في سمعه وبصره وقوته الجنسية، ولعلها واجبة ايضاً .

جيم: المستوى الذي يحافظ على الصحة العامة، مما يؤثر فقدها في فساد كبير، مثل نشر الاوبئة الفتاكة، وهي واجبة.

دال: المستوى الذي يصون المجتمع من الاوبئة غير الفتاكة، ولكن التي قد تؤدي الى وفاة البعض بسبب المضاعفات الصحية، مثل المحافظة على البيئة ضد الانفلونزا، ولعلها واجبة ايضاً في بعض الظروف .

هاء: المستوى الأعلى من الوقاية الصحية، التي تضمن سلامة الانسان من مختلف الامراض، وهي مندوبة إلاّ اذا وجبت بأمر الحاكم الشرعي ..

والان نفصل القول فيما أوجزنا ذكره.

٨٨٨٨ **ألف:** حفظ النفس والاطراف

في الشريعة دعوة الى الحياة، وقد قال ربنا سبحانه: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَاَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}** (الانفال/٢٤)

ودعوة الى الحياة الحسنة، حيث قال ربنا سبحانه: { **وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الاَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** } (البقرة/٢٠١)

والمحافظة على الحياة من فطرة البشر، حيث اشارت اليها الآية الكريمة: { **وَجَآءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** } (ق/١٩)

وقد اعتبرت الحياة حكمة القصاص، حيث قال ربنا سبحانه: { **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَآ أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** } (البقرة/١٧٩)

وهناك جملة من المحرمات الشرعية التي بيّن الشرع سبب حرمتها في اضرارها بحياة البشر او بصحته، والفقيه يشرف منها على القطع بأن المحافظة على الحياة واجبة شرعاً . وقد سبق الحديث عن ذلك في فصل الاحصان.

ولاريب ان اتلاف الحياة، وازهاق النفس، وابطال الاطراف والقوى الجسمية يعتبر حراماً، لقوله سبحانه: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً** } (النساء/٢٩) وقال جل وعلا: { **وَأَنْفِقُوْا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** } (البقرة/١٩٥)

وهذه الحرمة تنسحب كثيراً الى حرمة الاسباب المؤدية اليها، ومنها الاهمال المتعمد الذي يؤدي الى الوفاة، او الى نقص عضو او فقد قدرة، وهكذا.

يمكن ان يستدل بهذه الأدلة ايضاً على ضرورة المحافظة على الحياة. وقاعدة الاستدلال الاساسية قائمة على ان عقل البشر، يحكم -لاريب- بان كل انسان مسؤول عن نفسه، ويجب عليه المحافظة عليها. وفي الشرع ما يدل عى ذلك ايضاً. فاذاً؛ إهمال الانسان لهذا الواجب يستتبع مسؤوليته، وهو عين إلقاء النفس في التهلكة. وبتعبير آخر؛ ان حرمة إلقاء النفس في التهلكة، تعني وجوب المحافظة

عليها عرفاً. فمن قصّر في حفظ نفسه، وهو عالم قادر على ذلك، اعتبر مهلكاً لها عرفاً. والله العالم.

وهكذا استنبط الفقهاء وجوب حفظ النفس من مجمل النصوص الشرعية، وبناءاً على ذلك تجب من الصحة ما يحافظ على النفس وعلى الاطراف.

قال في الجواهر في باب التيمم، نقلاً عن الشيخ في المنتهى: لو اجنب مختاراً وخشي البرد تيمم عندنا، وهو الحجة (الاجماع) مضافاً الى اطلاق **{ وإنْ كُنْتُم مَرْضى}**. ونفي العسر والحرج والضرر، وارادة اليسر ورفع الضرر المظنون، والنهي عن الالقاء في التهلكة وقتل النفس. ثم قال: وبأهمية حفظ النفوس والابدان عند الشارع، من حفظ الاديان. (١)

ومثل هذا التعبير تجده في كثير من ابواب الفقه، ويبدو ان فقهاءنا يرسلون ضرورة حفظ النفس، والاطراف ارسال المسلّمات، فلا ينبغي الشك في هذه المسألة.

٨٨٨٨ **باء:** الصحة والضرر البالغ

هناك انواع من المرض قد لا تؤدي الى الوفاة او الى نقص عضو او فقدان قوة ، ولكنها تؤدي الى ضرر بالغ؛ مثلاً الابتلاء بمرض السكري. فقد لا يعني الوفاة، بل يمكن التعايش معه طويلاً إذا كان من الانواع الخفيفة، وإذا استخدم المريض نظام المراقبة بدقة، ولكنه ضرر بالغ عرفاً على الفرد. فهل يجب حفظ النفس عن ان تبتلى بمثل هذا المرض؟ قال الفقهاء: نعم. ويستدل على ذلك بما يلي :

١/ بالحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله: لا ضرر ولا ضرار. (٢) حيث ان هذه الكلمة تدل على حرمة الاضرار بالنفس، كما تدل على حرمة

---

(١) جواهر الكلام (طبعة بيروت)/ ج٢ / ص ٢٧٧.

(٢) راجع كتاب: من لا يحضره الفقيه / ج٣ / ص ٥٩ / ح ٩. وقال في الكفاية وبعد ذكر حديث لا ضرر، وقد ادعى تواترها مع اختلافها لفظاً ومورداً: فليكن المراد تواترها اجمالاً بمعنى القطع

الاضرار بالغير. وكأن الحديث يقول : يجب ان ينتفي الضرر بذاته، انى كان، وكيف وقع. بيد ان استفادة هذا المعنى من الحديث لو تمت، لاقتضت حرمة كل ضرر، حتى ولو كان يسيراً.

٢/ جاء في حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام: كل شيء يكون فيه المضرة على بدن الانسان من الحبوب والثمار حرام اكله إلاّ في حال الضرورة. (١) واطلاق هذا الحديث يشمل الضرر اليسير.

٣/ وقد يستدل على ذلك باطلاق قوله سبحانه: **{ وَلا تَلْقُوا بِأَيْديكُم اِلى التَّهْلُكَة}**. حيث ان الضرر البالغ، نوع من التهلكة، وان لم ينته الى الوفاة. هذا إن لم يكن الضرر البالغ ذات حكمة شرعية (كالاجتهاد في العبادة)، او عقلية (كالفوز بدرجة علمية عالية). اما إذا كان كذلك، فقد يقال إن الادلة النافية للضرر او الناهية عن الالقاء في التهلكة منصرفة عنها، بل قد يقال : ان ادلة تسلط الانسان على نفسه مقدمة عليها، حيث روي عن النبي صلى الله عليه وآله: الناس مسلطون على انفسهم. (٢)

والمسألة عموماً بحاجة الى مزيد من الدراسة، وقد ذكر الشاطبي (من كبار علماء المذهب الشافعي) حول حكم رفع انواع الأذى (الضرر عن النفس، انه قد) فهم من مجموع الشريعة الأذن في رفعها على الاطلاق، رفعاً للمشقة اللاحقة (بالانسان من جرائها) وحفظاً

على الحظوظ (والنعم) التي اذن لهم فيها (والانتفاع بها).

ثم قال: فمن ذلك الاذن في دفع ألم الجوع والعطش والحر والبرد، وفي التداوي عند وقوع الامراض، وفي التوقي من كل مؤذ آدمياً كان او غيره.

بصدور بعضها. (راجع كتاب الكفاية طبعة النجف مع تعليقات المرجع الحكيم / ج ٢ / ص ٣٧٥).

(١) راجع كتاب تحف العقول/ ص ٢٥١ (طبعة بصيرتي قم).

(٢) راجع العوالي / ج ١ / ص ٢٢٢ / ح ٩٩ .

ثم قسم انواع الاذى الى قسمين؛ قسم يجب دفعه، وهو الذي ثبت من الشرع حتمية دفعه. وقسم لا يجب، بل يجوز دفعه، وهو الذي لم يثبت من الشرع انحتام دفعه. وقال: ان هذا الدفع المأذون فيه، ان ثبت انحتامه فلا اشكال في علمنا. ان الشارع قصد رفع تلك المشقة، كما اوجب علينا دفع المحاربين والساعين على الاسلام والمسلمين بالفساد، وجهاد الكفار القاصدين لهدم الاسلام وأهله.

ثم قال: واما ان لم يثبت انحتام الدفع، فيمكن اعتبار جهة التسليط والابتلاء (فيجوز الصبر على المحنة دون دفعها)، وإن ذلك الشاق مرسل (لا حكم فيه)، (من قبل الله) المسلّط المبلي فيستسلم العبد للقضاء (ان شاء)، ولذلك لم يكن التداوي محتماً. و (قد) تركه كثير من السلف الصالح، واذن عليه الصلاة والسلام في البقاء على حكم المرض، كما في حديث السوداء المجنونة (اي المبتلاة بالصرع) التي سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يدعو لها، فخيّرها في الأجر مع البقاء على حالتها، او زوال ذلك. وكما في الحديث (يدخل الجنة من امتي سبعون الفاً بغير حساب. قيل من هم يا رسول الله؟ قال:) الذين لايكتوون (ولا يسترقون، ولا يتطيرون) وعلى ربهم يتوكلون. ويمكن اعتبار جهة الحظ (والانتفاع بالنعمة، فيلزم دفع الضرر) بمقتضى الاذن. ويتأيد بالندب كما في التداوي، حيث قال عليه الصلاة والسلام: تداووا فان الذي انزل الداء انزل الدواء. (١)

ولنا ملاحظات حول كلام الشاطبي:

اولاً: إن المفهوم من مقاصد الشريعة تحقيق الحياة الحسنة والطيبة للبشر، وانه يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، وانه نهى عن الاضرار في عدة مواقع، وحرم ما حرم على العباد لمصالحهم. ومن كل ذلك نستوحي؛ انه لم يأذن لنا بالحاق الاضرار بانفسنا اعتباطاً، وانه سبحانه قد أمر بالحجر على السفيه إذا تصرف في امواله بلا حكمة. فكيف لا يحصر عليه إذا فعل مثل ذلك في جسمه، والجسم أهم من المال؟ وانه سبحانه قد بيّن في كتابه، ان الالهة التي تعبد من دون الله تضر

---

(١) الموافقات / ج ٢ / ص ١٥٢.

المشركين، فقال سبحانه: { **يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ** } (الحج/١٣)، وقال سبحانه فيما يرتبط بتعليم السحر { **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الاَخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** } (البقرة/١٠٢)، وقال تعالى مخاطباً رسوله: { **وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**} (النساء/١١٣)

ونستفيد من جملة هذه الآيات وسائر الكلمات القرآنية التي دارت حول الضر والضرار والاضطرار؛ ان تجنب الضرر امر فطري عند البشر، لا يحتاج الى مزيد دليل او برهان، حتى أصبح محوراً لحكم الشريعة الغراء.

ثم ان الله سبحانه خاطب النبي صلى الله عليه وآله، بأنه لم ينزل عليه الذكر ليشقى (لما بالغ النبي صلى الله عليه وآله في العبادة، حسب التفاسير). فقال سبحانه: { **طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَن يَخْشَى**} (طه/١-٣). مما يدل على ان الافراط في العبادة الى حد الضرر، ليس من الدين.

وقد وردت النصوص تترى في ضرورة الاستشفاء، وقد سبق بعضها وهي تدل على حسن المبادرة الى الطبيب والدواء، وفي بعضها البراءة ممن يموت بسوء تقديره والاستفادة من المعالجة مع الصحة.

فقد روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من ظهرت صحته على سقمه فيعالج نفسه بشيء فمات، فأنا إلى الله بريء منه. (١)

---

(١) بحار الانوار / ج ٥٩ / ص ٦٤ / ح٥.

وقد ورد حديث حول الاكتواء على عهد الرسول صلى الله عليه وآله، فقد روي عن ابي الحسن العسكري قال: سمعت الرضا عليه السلام يحدث عن أبيه قال: سأل يونس بن يعقوب الرجل الصادق - يعني جعفر بن محمد عليهما السلام - قال: يابن رسول الله؛ الرجل يكتوي بالنار، وربما قتل، وربما تخلص. قال: (قد) اكتوى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله قائم على رأسه. (١)

وعن ابن ادريس (ره) في السرائر، قال: قد ورد الأمر عن رسول الله و وردت الأخبار عن الأئمة من ذريته بالتداوي. فقالوا: تداووا، فما أنزل الله داءاً إلاّ انزل معه دواءً، إلاّ السام فإنه لا دواء له. (٢)

وقد وردت احاديث كثيرة في حق البدن على صاحبه، وهل يمكن ان نخذل البدن في مواجهة المرض حتى يتضرر ثم لا يخدم اهدافنا بما ينبغي؟

وهكذا يقوى في النظر وجوب المبادرة الى دفع الضرر البالغ، إلاّ إذا كانت هناك حكمة أهم.

٨٨٨٨ **جيم:** الصحة العامة والفساد

لقد حرّم الله سبحانه نشر الفساد في الأرض، تحريماً شديداً. قال الله سبحانه: { **وإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الاَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** } (الاعراف/٨٥). واعتبر تجنب الفساد الكبير، حكمة للنهي عن ولاية الكفار. قال الله تعالى: { **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الاَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** } (الانفال/٧٣)

وهكذا يجب الاهتمام بالصحة، لكي لاينتشر الفساد في القضايا التالية:

---

(١) بحار الأنوار / ج ٥٩ / ص ٦٤ / ح ٦.

(٢) المصدر / ص ٦٥ / بعد ح ٩.

١/ منع تداول الاطعمة الفاسدة، بالرقابة على بائعي الاطعمة على كل المستويات؛ ابتداءً من الفلاحين، وانتهاءً بالمطاعم، ومروراً بالطحانين والخبازين ومن أشبه.

٢/ وكذلك يجب الاشراف على منابع المياه، للمحافظة عليها من التلوث بالميكروبات او المواد المشعة او سائر المواد الضارة.

٣/ ويجب التوقي من الأوبئة الخطيرة بالتلقيح، وبمنع انتقال الناس من المناطق الملوثة بها الى المناطق النظيفة.

٤/ وكذلك الرقابة على النظام الصحي العام في المدارس والدوائر والمصانع وسائر مناطق التجمع، منعاً لانتشار الأوبئة.

٥/ كما يجب توفير الملاجيء لحجر المبتلين بالأمراض السارية؛ مثل الجدري والجذام والسل والايدز وما أشبه، توقياً للاصحاء من الابتلاء بها.

٦/ وينبغي مراقبة عمليات الازدواج، لمنع انتشار الامراض الجنسية الخطيرة، وكذلك لحفظ النسل الناشيء من العاهات الناشئة من الجينات.

إن الدليل الشرعي الذي يمكن الاستناد اليه في هذه الانظمة الوقائية، هو منع انتشار الفساد. وقد اشتهر الحديث حول نهي النبي صلى الله عليه وآله التحول من البلاد الموبوءة بالطاعون، ولعل السبب اتقاء انتشاره.

وجاء في الرواية المأثورة عن علي بن جعفر، عن أخيه الامام موسى بن جعفر عليه السلام، قال: سألته عن الوباء يقع في الأرض، هل يصلح للرجل ان يهرب منه؟ قال: يهرب منه مالم يقع في مسجده الذي يصلي فيه. فاذا وقع في أهل مسجده الذي يصلي فيه، فلا يصلح له الهرب منه. (١)

---

(١) وسائل الشيعة/ ج١ / ص ٦٤٦ /كتاب الطهارة - ابواب الاحتضار- الباب ٢٠ / ح ٥.

وقد وردت روايات اجازت ذلك ، ولعل الجمع المنطقي بين الروايات المختلفة، الرجوع الى ظروف الملابسات التي تحيط بالأشخاص، والتي يحددها الفقيه في كل زمان.

ويبدو من الكتب التي ألّفت حول الحسبة (والقوانين الادارية التي كانت تنظم المجتمع الاسلامي)؛ ان المسلمين كانوا قد وضعوا انظمة للصحة العامة، كان الواجب رعايتها، وكان المسؤول عنها المحتسب (المكلف بادارة الشئون البلدية). وفيما يلي نذكر بعض النماذج لهذه الانظمة، (١) والهدف بيان مدى اهتمام المسلمين بالصحة العامة في القرون الأولى، وتقدمهم فيها على سائر الأمم. ولا ريب ان ذلك كان من آثار التعاليم الاسلامية.

١/ الطب علم نظري وعملي، اباحت الشريعة تعلمه لما فيه من حفظ الصحة ودفع العلل والامراض عن هذه البنية الشريفة.. ثم قال: وهو من فروض الكفاية (وانتقد قلة المسلمين المهتمّين به، وقال:) ولا قائم به من المسلمين، وكم من بلد ليس فيه طبيب إلاّ من أهل الذمة. واضاف: وينبغي ان يكون لهم مقدم من أهل صناعتهم ... ثم يعرضون عليه بقية اطباء البلد فيمتحنهم. فمن وجده مقصراً في علمه، أمره بالاشتغال وقراءة العلم، ونهاه عن المداواة. واضاف: وينبغي للمحتسب ان يأخذ عليهم عهد ابقراط الذي اخذه على سائر الاطباء. (٢)

٢/ وبالنسبة الى الطعام (والانظمة الصحية فيها، قال:) يحرم عليهم (الطحانيين) احتكار القلة، ولا يخلطوا رديء الحنطة بجيدها، ولا عتيقها بجديدها، فانه تدليس على الناس. ويلزم (المحتسب من قبل الدولة) الطحانيين بغربلة الغلّة من التراب

---

(١) انقل هذه النماذج من سماحة المرجع المنتظري حفظه الله، في كتابه دراسات في ولاية الفقيه (الجزء الثاني ابتداءاً من ص ٢٧٢)، حيث قال سماحته: اقول (وان المؤلف) ابن الاخوة محمد بن محمد بن احمد القرشي المتوفي في (سنة) ٧٢٩ هـ قد ألف كتاباً جامعاً في الحسبة سماه "معالم القربة في احكام الحسبة". ثم قال: واوصى الفضلاء بمطالعة هذا الكتاب.

(٢) دراسات في ولاية الفقيه / الجزء الثاني/ ص ٢٩٢.

وتنقيتها من الطين، وتنظيفها من الغبار قبل طحنها. واضاف: ويغير (ويبدل المحتسب) عليهم مناخل الدقيق في كل ثلاثة أشهر او اقل، ويختبر المحتسب الدقيق، فإنهم ربما خلطوا فيه دقيق الحمص او الفول حتى يزيده زهرة، وهذا غش. ثم قال: ويمنعهم ان لا يطحنوا على إثر نقر الحجر، فانه يضر بالناس اذا نزل مع الدقيق، ويلزمهم بنقاء الغلّة وكثرة دوسها. (١)

٣/ وقال (عن انظمة الأفران والمخابز واصحابها): ينبغي ان يأمرهم المحتسب برفع سقائف افرانهم، ويجعل في سقوفها منافس واسعة للدخان، ويأمرهم بكنس بين النار في كل تعميرة، وغسل البسليت، وتنظيف مائه، وغسل المعاجن وتنظيفها... ولا يعجن العجان بقدميه ولا بركبتيه ولا بمرفقيه، لان في ذلك مهانة للطعام، وربما قطر في العجين شيء من عرق ابطيه او بدنه. ولا يعجن إلاّ وعليه ملعبة ضيقة الكمين، ويكون ملثماً ايضاً، لانه ربما عطس او تكلم فقطر شيء من بصاقه او مخاطه في العجين. ويشد على جبينه عصابة بيضاء، لئلا يعرق فيقطر منه شيء. ويحلق شعر ذراعيه، لئلا يسقط منه شيء في العجين. وإذا عجن في النهار، فليكن عنده انسان على يده مذيّة يطرد عنه الذباب. ويعتبر عليهم المحتسب ما يغشون به الخبز من الكركم والزعفران ... ويلزمهم ان لايخبزوه حتى يختمر، فان الفطير يثقل في الميزان والمعدة... واضاف: ولا يخرجون الخبز من بيت النار، حتى ينضج نضجاً جيداً من غير احتراق. وقال: والمصلحة ان يجعل (المحتسب) على كلّ حانوت وظيفة رسماً يخبزونه في كل يوم (اي كمية معينة من الخبز) لئلا يختل البلد عند قلة الخبز، ويتفقد الافران في آخر النهار. (٢)

---

(١) المصدر / ص ٢٨٥.

(٢) دراسات في ولاية الفقيه / الجزء الثاني/ ص ٢٨٦.

٤/ وعن وظائف القصابين يقول: ويمنعهم المحتسب من الذبح على ابواب دكاكينهم، فانهم يلوثون الطريق بالدم والروث، فان في ذلك تضييقاً للطريق واضراراً بالناس. (١)

وهكذا تجد المسلمين قد سبقوا الدول المتحضرة في القوانين البلدية، التي تحافظ على الصحة العامة. وبالرغم من ان القوانين الصحية الحديثة كثيرة ومتنوعة وانفع من تلك القديمة، إلاّ ان الفضل للسابق، وبالذات إذا عرفنا مدى تخلف العالم في تلك الأيام.

وإذا توجه المشرّعون اليوم الى روح القيم الاسلامية في مختلف المسائل، وفي الصحة العامة بالذات، إذاً استوجدا منها قوانين جديدة وجيدة..

٨٨٨٨ **دال:** الصحة العامة والحياة الطيبة

لاريب ان الصحة العامة التي ينشدها الشعب في دولة افريقية، تختلف عنها في دولة أوربية. فبينما تجد الافريقي يطالب بأدنى مستوى من الصحة، يطالب الأوروبي بالأعلى.

والمستوى الأعلى هو الذي يحارب التلوث بكل ألوانه، ولذلك تكون الرقابة شاملة وصارمة على كافة المرافق العامة، لضمان النظافة من مختلف الجراثيم. فهل يعتبر الدين ذلك واجباً؟

الجواب؛ التعاليم الدينية التي تحرم الخبائث **{ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ }** (الاعراف/١٥٧)، وتأمر بالطهارة وتجنب الرجس **{ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ }** (المدثر/٤-٥)، وتحبب التطهير بكل مستوياته **{إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }** (البقرة/٢٢٢)، وتجعل النظافة من قيم الايمان " النظافة من الايمان" . اقول هذه التعاليم وامثالها مطلقة وعامة، وعلى كل انسان ان يطبق ما يستطيع منها حسب قدرته، حيث قال الله سبحانه: **{ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ }** (التغابن/١٦).

---

(١) المصدر / ص ٢٨٧.

ومن هنا فان استطاعت الدولة ان تحافظ على نظافة الشوارع والحدائق والمرافق العامة من كل ما يلوثها من غبار او قتار او جرثومة، وتحافظ على طهر الاطعمة والاشربة منذ انتاجها وحتى تسليمها بيد المستهلك، وتصون البلد من دخول الأمراض السارية.. فان ذلك تحقيق جانباً من تلك التعاليم الالهية.

ولكن الدولة الحاكمة في بلد غارق في المشاكل الصحية، كما هو الحال في بعض الدول الافريقية مثلاً، يجب عليها ان تصون البلاد من الاوبئة الفتاكة ومما يفسد البيئة فساداً كبيراً.

فالأمر يختلف حسب الظروف، والمرجع فيه فتاوى الفقهاء وقرارات اولياء الأمور الشرعيين، والله العالم.

٨٨٨٨ **هاء:** اعلى مستويات الصحة الفردية

هل يجب عليك ان تحافظ على سلامتك حسب اعلى المقائيس الصحية، حتى يكون معدل ضغط الدم عندك وطبيعة تركيبة المواد في دمك وقدرة عينك واذنك ونبضات قلبك.. كلها حسب المقياس الافضل طبياً، وألاّ تصاب بتلوث من أي نوع، وان تحافظ على نشاطك بنظام طعام امثل ونشاط رياضي او عملي كاف؟؟

لاريب ان ذلك هو المطلوب شرعاً، ولكنه ليس بواجب؟

١/ إنه ليس بواجب، لان الشريعة سمحاء، والتقيد بنظام صحي صارم ليس بيسير، بل قد يكون امراً حرجياً. ولأن الناس مسلطون على انفسهم، واحرار في حدود احكام الشريعة، ولم تدل نصوص كافية دلالة ظاهرة على حرمة كل مستويات الضرر الذاتي. وسيرة المتشرعة لا تدل على اتباعهم الانظمة الصحية الصارمة، إلاّ قليل منهم. وقد يكون للانسان من الاهداف المثلى، ماهو اعظم من هذا المستوى من الصحة. وقد قال الشاعر:

لولا المشقة ساد الناس كلهم فالجود يفقر والاقدام قتال

٢/ بلى؛ كلمة الصحة (العافية) قيمة مثلى، رغّب فيها الدين. وهناك في نصوص الشريعة المأثورة في أبواب المندوبات والآداب، نجد الكثير الكثير من التعاليم التي

تورث العافية؛ ابتداءً من مقياس اختيار القرين والقرينة للحياة الزوجية، ومروراً بآداب المضاجعة، وتعاليم الحمل ونظام الطعام اثناءه، والرضاع واختيار المرضعة، وانتهاءً بآداب الطعام والشراب والمنام والعشرة..

ولعل خمس التعاليم الدينية تتناول ابعاد العافية في الجسم، وترغب فيها باعتبارها قيمة سامية. وتجدها في مختلف الابواب الفقهية، وهي بمجموعها تورث -بمشيئة الله سبحانه - طول العمر وسلامة الجسم وقوته. اليك بعضاً من نصوصها:

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: العافية اهنأ النعيم. وقال عليه السلام: العافية اشرف اللباسين. وقال عليه السلام أيضاً: بالعافية توجد لذة الحياة. (١)

والدعاء من مناهج الاسلام في تربية النفوس المؤمنة على القيم المثلى، وانك تجد الأمر به بطلب العافية من الله سبحانه. فقد جاء في الحديث: دخل النبي صلى الله عليه وآله على مريض، فقال: ما شأنك؟ قال: صليت بنا صلاة المغرب فقرأت القارعة، فقلت: اللهم ان كان لي عندك ذنب تريد ان تعذبني به في الآخرة، فعجل ذلك في الدنيا. فصرت كما ترى.

فقال صلى الله عليه وآله: بئسما قلت. الا قلت. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟ فدعا له حتى أفاق.

ورأى علي بن الحسين عليهما السلام رجلاً يطوف بالكعبة، وهو يقول: اللهم اني اسالك الصبر. فضرب على كتفه، وقال: سألت البلاء ؟ قل: اللهم اني اسألك العافية، والشكر على العافية. (٢)

وكان من دعاء علي بن الحسين عليه السلام، إذا سأل الله العافية وشكرها، قال: اللهم صل على محمد وآله وألبسني عافيتك... عافية الدنيا والآخرة، وامنن عليَّ

---

(١) راجع ميزان الحكمة / ج ٦ / ص ٣٨٠.

(٢) راجع ميزان الحكمة / ج ٦ / ص ٣٨٢ - ٣٨٣.

بالصحة والأمن والسلامة في ديني وبدني والبصيرة في قلبي والنفاذ في أموري. (١)

وثمة كلمة أخيرة؛ لان الصحة من القيم المثلى، فعلينا الاهتمام الجدي بها من خلال تنفيذ التعاليم التالية:

١/ الاهتمام الدائم بالانظمة الوقائية في البلاد حسب القدرة، وبالذات فيما يرتبط بنظام الرقابة على الطعام والشراب والادوات المستخدمة، وانظمة الأمن (السلامة) في كافة المنتوجات حسب اعلى المقاييس الدولية.

٢/ التوعية الصحية للمجتمع، التي تهدف بيان أقل ما يحتاجه الفرد من التعاليم للمحافظة على صحته؛ من معرفة قواه وكيفية المحافظة عليها عن الامراض، وكيفية تنميتها بالطعام والشراب وممارسة الرياضة وغيرها. وهكذا معرفة الامراض واسبابها، وكيفية التوقي منها وعلاجها و.. و..

وهذه التوعية ينبغي ان تكون عبر المدارس، منذ اول صف دراسي وحتى آخر مرحلة جامعية، كما تكون عبر اجهزة الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

٣/ الاهتمام بالعلاج بتوفير الاطباء والممرضين والادوية والمستشفيات والمصحات، وجعل الصحة حقاً لكل انسان.

٤/ على الفقهاء ان يصدروا فتاوى شرعية محددة في القضايا الصحية الحادة؛ مثل الأمر بالتلقيح عند انتشار وباء مهلك، وذلك بعد استشارة الخبراء والاجهزة المسؤولة.

٥/ على المحسنين الاهتمام بتوفير الخدمات الصحية، وجعلها مما ينفقونه في سبيل الله سبحانه.

٦/ على أفراد الأمة ان يساهموا جميعاً في محاربة الفساد الصحي، إذا داهمت الوطن نازلة صحية خطيرة، كالاوبئة الخطيرة.

---

(١) المصدر / ص ٣٨٥.

٨٨٨ **ثانياً : الصحة حق انساني**

من حقوق البشر على بعضهم والتي لابد ان تتكافل عليها الأمم، وتتعاون الأمة فيما بينها وتضمن السلطة السياسية تحقيقها، هي حق الحياة، وهي اصل سائر الحقوق. واعتراف الناس ببعضهم ضمانة هذا الحق، وقد قال الله سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }** (الحجرات/١٣)

ويبدو ان التعارف هنا بمعنى الاعتراف المتبادل. ومن حق الحياة يتشعب حق الأمن، وحق الضمان (الطعام والشراب والسكن و. و.). وحق الصحة.

والنصوص التي أمرت بالانفاق، تشمل الانفاق على المحرومين في الشئون الصحية. ومن هنا نستنبط من مختلف النصوص العامة، وجوب التكافل في أمر الصحة بالقدر الممكن والضروري.

وقد اكدت وثائق حقوق الانسان المختلفة على هذا الحق، مما جعلت هذا الحق جزءً من الدساتير المختلفة في العالم.

ففي المادة التالية لوثيقة الاعلان العالمي لحقوق الانسان جاء هذا النص : لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه. (١)

وجاء في المادة الخامسة والعشرون: لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية، وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة. وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش، نتيجة لظروف خارجة عن ارادته. (٢)

---

(١) حقوق الانسان الشخصية والسياسية / عبد الله لحود - جوزف مغيزل / منشورات عويدان / ص ١٤٠.

(٢) حقوق الانسان الشخصية والسياسية / عبد الله لحود - جوزف مغيزل / منشورات عويدان / ص ١٤٤.

وجاء في الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي اقرتها الجمعية العمومية للامم المتحدة بتاريخ ١٩٦٦/١٢/١٦ م، جاء في المادة (١٢) منها:

١/ تقر الدول الاطراف في الاتفاقية الحالية بحق كل فرد في التمتع بأعلى مستوى ممكن من الصحة البدنية والعقلية.

٢/ تشتمل الخطوات التي تتخذها الدول الاطراف في الاتفاقية للوصول الى تحقيق كلي لهذا الحقل ماهو ضروري، من أجل:

أ- العمل على خفض نسبة الوفيات في المواليد، وفي وفيات الاطفال، ومن اجل التنمية الصحية للطفل.

ب- تحسين شتى جوانب البيئة والصناعية (هكذا..)

ج- الوقاية من الأمراض المعدية والمتفشية ومعالجتها وحصرها.

د- خلق ظروف من شأنها ان تؤمن الخدمات الطبية والعناية الطبية في حالة المرض. (١)

وهكذا ينبغي ان تكون الصحة هدفاً، يسعى الناس والدولة لتحقيقها بالنسبة الى كل شخص، وتوفير كل الوسائل الممكنة. وعلى المشرعين وضع القوانين الضرورية، لتوفير هذا الحق باذن الله سبحانه.

---

(١) المصدر / ١٥٣.

٨٨التعلم حق مفروض

تكامل حياة البشر فوق البسيطة - بل بقاؤها واستمرارها - رهين تعاونهم على البر والتقوى، واحسانهم بعضهم الى بعض، وانفاقهم فيما يصلح شؤونهم، وأمر بعضهم بعضاً بالمعروف، وتناهيهم عن الفواحش والمنكرات. قال الله سبحانه:

١/ **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلآئِدَ وَلآ ءَآمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِن رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ اَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }** (المائدة/٢)

٢/ **{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** (النحل/٩٠)

٣/ **{ وَأَنْفِقُوْا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }** (البقرة/١٩٥)

٤/ **{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَولِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }** (التوبة/٧١)

وإن هذه القيم المثلى التي تنظم حياة البشر، تعتبر اصول المدنية الاسلامية التي تتشعب منها قيم اخرى، اكثرها مذكورة في الآيات والروايات. ومنها حق التعلم

الذي جعله الله على العلماء تجاه سائر البشر، كما جعله على الوالدين تجاه ذريتهما، بل وجعله على الناس تجاه بعضهم في صيغة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإذا افترضنا ان ثمة حقاً اجتماعياً ترتهن به حياة البشر في بقائها او تكاملها، ولم يكن مذكوراً في النصوص الخاصة، فان علينا استنباط حكمه من النصوص العامة التي اشرنا الى بعضها آنفاً. فالتعاون على البر والتقوى اصل هام من اصول القيم الاسلامية، يمكن استنباط عشرات القيم منها؛ مثل قيمة التعاون على دفع غائلة الطبيعة عن الناس باقامة السدود المانعة عن الفيضان والجفاف، ومد الجسور المساعدة على نقل المؤن والادوية، وبناء الخنادق المانعة عن العدوان الخارجي، وما أشبه..

وكذلك نستوحي من قيمة التعاون، قيمة العمل المشترك من أجل نشر الصحة والتعليم والرفاه. وقيمة الاحسان المأمور بها شرعاً، هي الأخرى أصل نستوحي منها قيم الأمن والسلامة والرقي والتقدم. ومثلها قيمة الانفاق، فانها اصل هام يشمل سائر مرافق الحياة الضرورية، التي لولا الانفاق عليها تتعطل وتعطل حياة البشر.

اما كيف تعرف ان هذه القيمة (التعاون أو الاحسان أو الانفاق) واجبة هنا، ومندوبة هناك؟ فان ذلك يعرف بالعقل، وعبر استنباط الفقهاء من أهل الذكر.

وهذه المنهجية تزيدنا نوراً ومعرفة بمعاني الآيات والأحاديث الخاصة بكل مورد مورد من مصاديق الاحسان والانفاق وسائر ما يتصل بمحاور المسؤولية الاجتماعية، ومجاري التشاور في الأمر، والتعاون على البر والتقوى. ذلك لان من أوتي الحكمة والميزان، وبصِّر بالفرقان (المعايير العامة)، وعرف الأصول، سهلت عليه معرفة الفروع بها، وتأويل المتشابهات بها، ورد الحقائق اليها، وضبط المصاديق عبرها. والله المستعان.

٨٨٨ المختصون بواجب التعليم:

التعليم حق الجاهل على الناس جميعاً، الا ان البعض يختص به اكثر من غيره، وهم
الانبياء والعلماء والأقربون وولاة أمر المسلمين. وفيما نستعرضه من كلمات الوحي، نستجلي واجب هذه الطوائف الأمثل فالأمثل.

٨٨٨٨ ألف: الانبياء صفوة المعلمين

١ـ لقد ارسل الله رسله ليزكوا الناس ويعلموهم، وذلك بتلاوة آيات الله عليهم. قال الله سبحانه: { **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ** } (الجمعة/٢)

٢ـ والله هو الذي علم الانبياء، وهم - بدورهم- يعلمون البشر. وعموماً العلم من عند الله سبحانه. قال تعالى: { **رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**} (يوسف/١٠١)

٣ـ وهكذا منّ الله على المؤمنين ببعثة الانبياء فيهم. قال الله تعالى : { **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ**} (آل عمران/١٦٤)

٨٨٨٨ باء: العلماء

١ـ ولقد اخذ الله ميثاق العلماء، ألا يكتموا ما آتاهم الله من الكتاب. قال الله تعالى: { **وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** } (آل عمران/١٨٧)

٢ـ ولعن الله سبحانه الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى. قال الله تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ**} (البقرة/١٥٩)

٣ـ وقال سبحانه عن الثمن الذي يأكله العلماء ازاء كتمان الحق، انه نار. قال الله تعالى: **{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ اَنْزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** (البقرة/١٧٤)

وجاء في حديث شريف عن الامام الصادق عليه السلام، انه قال: " قرأت في كتاب علي؛ ان الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم، حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال، لأن العلم كان قبل الجهل". (١)

وجاء في حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: " من كتم علماً نافعاً، ألجمه الله بلجام من نار". (٢)

وروي عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام، انه قال: "شكر العالم على علمه، ان يبذله لمن يستحقه". (٣)

وفي حديث مروي عن الامام الصادق عليه السلام: "ان الرجل ليتكلم بالكلمة، فيكتب الله بها ايماناً في قلب آخر، فيغفر الله لهما جميعاً". (٤)

وجاء في حديث مأثور عن الامام علي عليه السلام، انه قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اذا كان يوم القيامة وزن مداد العلماء بدماء الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء". (٥)

وفي رواية شريفة مأثورة عن الامام الباقر عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: "ان معلم الخير يستغفر له دواب الأرض وحيتان البحر، وكل

---

(١) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ٦٧.
(٢) المصدر / ص ٧٨.
(٣) المصدر / ص ٨١.
(٤) المصدر / ص ٧٣.
(٥) المصدر / ص ١٦.

ذي روح في الهواء، وجميع أهل السماء والأرض. وان العالم والمتعلم في الأجر سواء، يأتيان يوم القيامة كفرسي رهان يزدحمان". (١)

وهكذا استفاضت احاديث النبي وأهل بيته عليه وعليهم الصلاة والسلام في تحريض العلماء على التعليم، وفي بعضها دلالات على وجوب ذلك عليهم بصورة اجمالية. وقد تواترت الاحاديث في فضل ذلك، وفي كثير من التفاصيل التي تتصل به مما لا يسعها هذا البحث. ولكنها ذات دلالة واضحة على خصوصية العلماء بهذا الفرض الالهي، وهو توفير حق التعليم لعامة الناس.

٨٨٨٨ جيم: الوالدان والارحام

يقوم النظام الاجتماعي في الشريعة الاسلامية على قاعدة الأسرة، ودورها في تزكية الجيل الناشئ وتعليمه، ونقل الخبرة الحياتية اليه. وهكذا يضحى التعليم من أهم مسؤوليات الأسرة.

١ـ قال الله سبحانه: { **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَآ أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الاَوَّلِينَ** } (الاحقاف/١٧)

نستوحي من هذه الآية؛ مدى اصرار الوالدَين المسلمَين على تكريس الايمان بالبعث في الناشئة.

٢ـ واكدت الآيات القرآنية على وجوب الانفاق على الاسرة، مما يشمل الانفاق على شؤونها التعليمية. قال الله سبحانه: { **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَآ ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً**} (الطلاق/٧)

وفي الأحاديث التي اعتمدها الفقهاء في تشريعاتهم الاسرية، تأكيد على ضرورة الانفاق على الأسرة، مما يشمل الابعاد التربوية والتعليمية. ذلك لأن الانفاق يهدف التكفل بسائر شئون الأسرة، حسب متغيرات الزمن. فاذا اقتضى زمان تعليم

---

(١) المصدر / ص ١٧.

الأولاد، واعتبر العرف ذلك من الضرورات المعاشية، بحيث اعتبر الوالد الممسك عنه ضاراً بهم، كما الوالد الممسك عن اطعام اسرته او اكسائهم او ايوائهم في مسكن؛ اقول اذا اعتبر عرف العقلاء ذلك تقصيراً بحق عياله، فانه يصبح محرماً، ويصبح خلافه واجباً. فقد جاء في الحديث:

١/ عن النبي صلى الله عليه وآله: "ملعون ملعون من ألقى كله على الناس. ملعون ملعون من ضيّع من يعول". (١)

٢/ وروي عن الامام الرضا عليه السلام، انه قال: " صاحب النعمة يجب عليه التوسعة على عياله". وقال عليه السلام: "ينبغي للرجل ان يوسع على عياله، لئلا يتمنوا موته". (٢)

٣/ وجاء عن الامام الصادق عليه السلام، قال: قلت: من الذي أجبر على نفقته؟ قال: الوالدان والولد والزوجة والوارث الصغير. (وفي رواية أخرى الوارث الصغير، يعني الأخ وابن الأخ ونحوه). (٣)

٤/ وفي حديث مفصل عن الامام الصادق عليه السلام في بيان أوجه النفقة قال: " فاما الوجوه التي يلزمه فيها النفقة على خاصة نفسه، فهي مطعمه ومشربه وملبسه ومنكحه ومخدمه، وعطاؤه فيما يحتاج اليه من الأجراء (٤) على مرمة متاعه او حمله او حفظه. ومعنى ما يحتاج اليه فبيّن، نحو منزله وآلة من الآلات يستعين بها على حوائجه. وأما الوجوه الخمس التي تجب عليه النفقة لمن يلزمه نفقته، فعلى ولده ووالديه وأمرأته ومملوكه لازم له ذلك في العسر واليسر. (٥)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٥ / ص ٢٥١ / الباب ٢١ / ح ٥.

(٢) وسائل الشيعة / ج ١٥ / ص ٢٤٩ / الباب ٢٠ / ح ٣و٦.

(٣) المصدر / ص ٢٢٥ / الباب ١ / ح ٩و١٠.

(٤) أي الصرف والانفاق (فيما يظهر).

(٥) المصدر/ ص ٢٢٨/ الباب ٤ / ح ١.

وقد شرح الامام عليه السلام أبعاد النفقة على النفس، ولكنه أجمل الحديث فيما يرتبط بالنفقة على الاهل. ونستظهر من ذلك، ان ابعاد النفقة على اولئك هي ذات أبعاد النفقة على نفسه. والله العالم.

وهكذا نستوحي من ادلة النفقة، لزوم تعليم الأولاد بقدر يعينهم على امور الحياة، حسب العرف الشائع. ونستطيع ان نكتشف العرف من طرق مختلفة؛ ابرزها من احكام القانون المدني الذي يضعه المشرّعون في كل بلد، فان فيه دلالة على اتجاه العرف.

وفيما يتصل بالتعليم كأحد وجوه الانفاق الضرورية، يرى المشرّعون انه لازم في حدود معينة. مثلاً يقول الدكتور سيد حسن امامي (في موارد الانفاق على الطفل): تربية الطفل تعني تعليمه الآداب الاجتماعية، والاخلاق المناسبة مع محيط الأسرة، وكذلك السعي نحو استيعاب الطفل لعلم او صنعة او حرفة متناسبة مع (الظروف) الزمنية والمستوى الاجتماعي للأسرة، لكي يستطيع ان يدبر في المستقبل معاشاً كافياً لحياته. (١)

وهناك نصوص قانونية مشابهة، تجدها في سائر التشريعات الحديثة.

٥/ وجاء في الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام، انه قال: امهل صبيّك حتى يأتي له ست سنين، ثم ضمه اليك سبع سنين فأدبه بأدبك، فان قبل وصلح وإلاّ فخل عنه. (٢)

---

(١) حقوق مدني (بالفارسية) / ج ٥ / ص ١٩٠. ثم ينقل نص المادة القانونية التي يعتمدها القانون المدني في ايران، وهي المادة المرقمة (١١٧٨) التي يقول المشرع فيها: "يجب على الابوين السعي قدر المستطاع نحو تربية اطفالهم حسب المقتضي (حسب الظروف) ولا ينبغي ان يهملاهم".

(٢) وسائل الشيعة / ج ١٥ / ص ١٩٣ / الباب ٨٢ / ح ٢.

٦/ وفي حديث مأثور عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام، انه قال: "علّموا اولادكم السباحة والرماية". (١)

ونستوحي من هذا الحديث؛ لزوم تعليم الطفل ما يحتاج اليه في حياته.

٧/ وفي حديث آخر مروي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: "بادروا احداثكم بالحديث، قبل ان يسبقكم اليهم المرجئة". (٢)

ونستفيد من هذا الحديث ضرورة تعليم الأطفال العقائد الصحيحة قبل ان يتعرضوا لشبهات الملحدين.

٨/ وجاء في رواية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: " جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله؛ ما حق ابني هذا؟ قال تحسن اسمه وأدبه وضعه موضعاً حسناً". (٣)

٨٨٨٨ دال: الدولة

الدولة مسؤولة عن التربية والتعليم، واشاعة المعارف، باعتبارها مسؤولة عن تحقيق كل القيم السامية للمجتمع؛ ومن ابرزها قيمة العلم التي هي بذاتها قيمة انسانية، (حيث الرغبة في المعرفة اصيلة في البشر). والعلم كذلك وسيلة تحقيق كثير من القيم المثلى. أليس العدل والحرية والتقدم قيم، والمعرفة وسيلة تحقيقها؟

وقد استفاضت النصوص الدينية على مسؤولية الدولة عن التعليم، ومن ابرزها الروايات التالية:

١ـ اننا نقرء في نهج البلاغة خطاباً موجهاً الى الناس، القاه أمير المؤمنين علي عليه السلام، بيّن فيه مسؤولياته كإمام (وربما كحاكم ايضاً) جعل منها التعليم. فقال

---

(١) المصدر / ص ١٩٤ / الباب ٨٣ / ح ٢.

(٢) المصدر / ص ١٩٦ / الباب ٨٤ / ح ١.

(٣) المصدر / ص ١٩٨ / الباب ٨٦ / ح ١.

عليه السلام: "ايها الناس؛ ان لي عليكم حقاً، ولكم عليَّ حق. فأما حقكم عليَّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا". (١)

٢ـ وقد بعث النبي صلى الله عليه وآله معاذ بن جبل الى اليمن ووصّاه (بما يجب عليه ان يقوم به هناك كمسؤول من قبل الرسول، فقال): " يا معاذ؛ علّمهم كتاب الله، واحسن أدبهم على الاخلاق الصالحة". (٢)

٣ـ وفي حديث مروي عن الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة، تأكيد على مسؤولية البلاغ (والتعليم) على الامام. قال عليه السلام: " انه ليس على الامام إلاّ ما حمل من أمر ربه، إلاّ البلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة". (٣)

٤ـ وفي حديث الامام الرضا عليه السلام، الذي تناول فيه مسؤوليات الامام، قال: "الامام يحل حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة البالغة". (٤)

والآيات القرآنية التي بيّنت حكمة بعثة الانبياء وجعلت تلاوة كتاب الله عليهم وتزكيتهم وتعليمهم من تلك الحكمة، إنها تدلنا على استمرار تلك المسؤولية على الأئمة السائرين على هدى الانبياء عليهم السلام.

والدساتير الحديثة جعلت مسؤولية التعليم من واجبات الدولة الحديثة، وذلك لأن التعليم حق ثابت من حقوق البشر. كما جاء في وثيقة حقوق الانسان التي اقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في العاشر من ديسمبر (كانون الأول) لعام ١٩٤٨ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث جاء في المادة السادسة والعشرون منها ما يلي: لكل شخص الحق في التعليم، ويجب ان يكون التعليم في مراحله الأولى

---

(١) نهج البلاغة / الخطبة ٣٤.

(٢) تحف العقول / ص ١٩ (مواعظ النبي وحكمه).

(٣) نهج البلاغة / الخطبة ١٠٥.

(٤) دراسات في ولاية الفقيه (لآية الله المنتظري) ج٢ / ص ١٧ / عن الكافي ج١ / ص ٢٠٠.

والاساسية على الأقل بالمجان، وان يكون التعليم الأولي إلزامياً. وينبغي ان يعمم التعليم الفني والمهني، وان ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى اساس الكفاءة. (١)

ويبدو ان هذا الأصل الحقوقي قد اعتمدته الدساتير الوطنية في اكثر من بلد، وفي ايران بعد قيام الجمهورية الاسلامية. قررت المادة الثلاثون من الدستور مايلي: على الدولة توفير وسائل التعليم والتربية الى نهاية المرحلة المتوسطة، (ويجب عليها) تعميم الدراسات العليا المجانية حتى يكتفي البلد (منها). (٢)

^^بصائر الآيات

١/ كلمات التعاون والانفاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي المثل العليا التي تنظم حياة البشر، وهي اصول المدنية في الدين، ومنها نستفيد ضرورة كل ما يشيد بناء المجتمع، ومنها قيمة التعليم.

٢/ وعلى الناس جميعاً واجب التعليم، إلاّ ان بعضهم احق به. فالانبياء والأئمة عليهم السلام هم قدوات الناس في ممارسة التعليم، ومن بعدهم العلماء الذين نهاهم الرب ان

يكتموا ما أتاهم من الكتاب، والآباء والارحام أولى ببعضهم بعد العلماء بالتعليم.

٣/ وهكذا يجب على الأب ومن عليه النفقة ان يعلم ابناءه ما يحتاجون اليه، مما يعتبره العرف من شئون الانفاق حسب كل عصر ومصر وبيئة. وقد رغبت الاحاديث في تعليم الأولاد العقائد الصحيحة، والآداب الرفيعة، وما يحتاجه مثل القراءة والكتابة والسباحة.

---

(١) سلسلة زدني علماً العدد ١٨٢ حقوق الانسان الشخصية والسياسية (للمؤلفين عبد الله لحود/ جوزف مغيزل) ص ١٤٤.

(٢) انظر النص في كتاب "مجموعة قوانين حقوقي" تأليف فيروز فقيه نصيري ص ١٤.

٤/ والدولة الاسلامية التي ترعى حقوق الناس، وتطبق قيم المجتمع العامة، عليها اشاعة العلم وبالذات ما تتوقف عليه امور دين المجتمع او شؤون معاشهم.

٥/ وقد استفاضت النصوص في واجب التعليم على الدولة ومن يمثلها، كما اكدتها وثيقة حقوق الانسان، واعتمدها الفقهاء الذين يرون صرف الحقوق الشرعية على الحوزات العلمية. والله المستعان.

٨٨فقه الآيات

١/ أهمية التعليم في الاسلام جعلت له مكانة سامية في التشريعات الاسلامية، حتى جعلت الدراسة من أبرز موارد الصرف للحقوق الشرعية (الزكاة والخمس) كمصداق لكلمة "في سبيل الله". ولاتزال المعاهد العلمية الضخمة تدار بهذه الأموال. وما ذلك إلاّ لاستنباط حكم التعليم من قبل الفقهاء، واعتباره من الواجبات الكفائية والأمور الحسبية.

٢/ وبالرغم من شدة الاهتمام بالتعليم في التشريعات الاسلامية، إلاّ ان هناك جفاءً كبيراً في الأمة تجاهه، حتى ترى انتشار نسبة الأمية في كثير من البلاد الاسلامية، او توقف التعليم عند مراحله الأولى، او عدم تطوير مناهجه واتجاهاته ليواكب العصر ويحقق تطلعات الأمة. كذلك يهدينا الى ضرورة قراءة جديدة لنصوص التعليم في الدين، واصدار الفتاوى المناسبة من قبل فقهاء الاسلام في مسائله المتشعبة. والله المستعان.

الباب الثالث

الذرية

-

المـودة اسـاس العلاقـات الاجتماعيـة

ماهي المودة ؟ وماهي حقائقها ؟ وكيف كانت المودة سنة إلهية وقيمة ؟ وماهو - بالتالي - محورها الصحيح او الخطأ؟ دعنا نستلهم الاجابات عن هذه الاسألة بالتدبر في الآيات التالية.

ماهي المودة ؟

١/ المودة من الودّ، والودّ الانجذاب لشيء او شخص، او تمني وقوع حدث. فقد ودّ بعض أهل الكتاب ان تكون لهم القدرة على ردّ المؤمنين عن دينهم. قال الله سبحانه: { **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } (البقرة/١٠٩).

٢/ كذلك ودّ المنافقون المكروه للمؤمنين. قال الله سبحانه: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِيْ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ** } (آل عمران / ١١٨).

٣/ وودّ الكفار لو يدهن الرسول، لكي يدهنوا هم بدورهم. قال الله سبحانه: { **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** } (القلم / ٩).

ولعل المودة هي درجة أدنى من الحب، حيث ان الحب -حسبما يبدو من حقائقه- اعمق وأبقى.

٨٨٨ **حقائق المودة:**

من حقائقها؛ ان تحب لمن تودّه (أن ترى الخير الذي أصابه كأنه اصابك)، فلا تحسده عليه، (وان لا تتعالى على من توده) ولا تستكبر عليه. وهكذا فان المودة نعمة من الله، وقد جعلها الله سبحانه بين الزوجين، وقد يجعلها بينك وبين من عاديته رحمة بك.

١/ من الناس من يدعي مودتك، فاذا اصابك خير تمنى لو انه كان يصيبه (حسداً من عند نفسه)، بينما المودة الخالصة تقتضي الفرح بما اصاب من توده من فضل. قال الله سبحانه: { **وإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَيُبَطِّئَنَّ فإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَعَهُمْ شَهِيداً** } (النساء / ٧٢).

٢/ وهكذا كانت المودة بين الزوجين مثلاً ظاهراً للمودة. قال الله سبحانه: { **وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** } (الروم / ٢١).

٣/ والمودة نعمة الهية؛ قد يجعلها الله سبحانه بينك وبين من عاديته، قال الله سبحانه: { **عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُم مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** } (الممتحنة / ٧).

٤/ ولعل من عناصر المودة، عدم الاستعلاء على من توده، وعدم الاستكبار على الحق. فان اليهود (بسبب استكبارهم) عادوا المؤمنين، بينما النصارى كانوا أقرب مودة منهم. قال الله سبحانه: { **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ** } (المائدة / ٨٢).

٨٨٨ **المودة سنة وقيمة:**

والمودة سنة الهية، لان من اسماء الله انه ودود، ومن هذا الاسم المبارك نستفيد انها قيمة.

١/ ان من يستغفر ربه ويتوب إليه، يجد الله رحيماً ودوداً. قال الله سبحانه: { **وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ** } (هود / ٩٠).

٢/ وقال سبحانه: { **إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ** } (البروج/ ١٣-١٤).

٨٨٨ المودة بين محوري الحق والباطل:

وعلى المؤمن ان يوجه مودته الى حيث امر الله ورسوله، فيود الله ورسوله وذي القربى والمؤمنين، ثم يود زوجه وذريته. اما من حادّ الله ورسوله، فلا تجوز مودتهم.

١/ لقد أمر الله سبحانه بمودة ذي القربى، وجعلها أجر الرسالة. قال الله سبحانه: { **ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لآ أَسْـَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ** } (الشورى/٢٣)

وذو القربى هم الائمة من ذرية النبي، لان ذلك جاء في تفسير الآية عن النبي صلى الله عليه وآله، حسب ما رواه كثير من ائمة المذاهب الاسلامية. ولأن اجر الرسالة يتناسب مع استمرار الرسالة، ولأن الله قال بعدئذ {**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً** } مما يدل على ان مودة ذي القربى حسنة هامة. ولأن مودة اقرباء الانسان قد تتعارض مع آيات اخرى، أمرت بالجفاء معهم اذا كانوا اعداء الرسالة.

٢/ وهكذا نهى الله عن مودة اعداء الله. قال الله سبحانه: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوْا بِمَا جَآءَكُم مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُم خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي**

سَبِيلِي وَابْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَاْ أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ } (الممتحنة / ١)

٣/ وقال الله سبحانه: **{ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِروحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلآ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }** (المجادلة/٢٢)

فالذي لا يواد عدو الله حتى ولو كان من اقربائه، هو الذي كتب الله في قلبه الايمان، ووعده الجنة ورضي عنه واعتبره من حزبه.

٤/ ولا يجوز ان يتخذ الانسان وثناً، فيجعله وسيلة المودة بينه وبين الناس. قال الله سبحانه: **{ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِن نَّاصِرِينَ }** (العنكبوت/ ٢٥)

ومن الوثن العصبيات القبلية والحزبية والقومية، وكل حمية جاهلية تخالف كلمة التقوى التي جمعت المؤمنين. قال الله سبحانه: **{ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }** (الحجرات/١٣)

٨٨بصائر الآيات

١/ المودة أدنى من الحب، ولكنها جذبة نحو شيء او شخص او حدث.

٢/ ومن حقائقها ان تحب لمن توده الخير، ولا تحسده ولا تستكبر عليه. والمثل الظاهر للمودة ما يلقيه الرب بين الزوجين ليسكنا الى بعضهما، وهي نعمة الهية قد يلقيها الرب بينك وبين من عاديته.

٣/ والودود اسم من اسماء الرب، وهكذا المودة قيمة، ولكن شريطة ان توجه الى حيث امر الله من مودة من أمر الله بمودته من ذي القربى والمؤمنين. اما اعداء الله حتى لو كانوا اقرب الناس اليك، فانها لا تجتمع مع صدق الايمان. كذلك مودة الناس على أساس من الوثنية.

٨٨فقه الآيات

ينبغي ان تكون علاقات الناس ببعضهم على اساس من المودة الايمانية، حيث يكون حب الله ورسوله وذي القربى اساس المودة، وكذلك حب الأهل والعشيرة اذا لم يتعارض مع ذلك الحب. وأما المودة القائمة على اساس الوثن الذي يعبد من دون الله؛ مثل الحمية الجاهلية والعصبيات المادية، فانها غير حميدة. ومن هذه الحقيقة نستوحي الاحكام التالية:

١/ على الانسان ان يراجع نفسه، ويلاحظ فيها مصادر الحب والبغض، ويخضعها لعقله ومعايير الوحي، فيطهر قلبه من الحب الدنيوي.

٢/ ينبغي ان يكون المؤمن ودوداً يحب الناس.

٣/ ينبغي ان تحب لأخيك المؤمن من الخير ما تحب لنفسك، ولا تحسده على خير أصابه، وكأنه ليست بينك وبينه مودة.

٤/ والعلاقة الزوجية المناسبة هي القائمة على اساس المودة. فلا يستكبر طرف على آخر، ولا يحسد أحدهما الثاني، وهي علاقة سليمة ينبغي ان تسود بين المؤمنين جميعاً.

٥/ حب الله ورسوله وذي القربى من اصول الدين، وهو التولي الذي أمرنا به. وحب اعداء الله، واعداء الرسول، والناصبين لذي القربى، حرام. بل علينا ان نتبرء منهم، لأن التبري من اعداء الله اصل من اصول الدين.

٦/ وهكذا يجب ان نجعل الايمان بالله وتولي الله ورسوله والمؤمنين، اساس العلاقة بين البشر. ولا يجوز ان ننصب رجلاً لم يأمر الله باتباعه، ولم يجعله حجة على خلقه، فنعتمده محوراً للمودة بين الناس ومركزاً للولاية.

٧/ وحتى في التجمعات، فانه ينبغي تجنب محورية أية ولاية غير رحمانية، إلاّ باذن الولي الالهي. فاذا كان التجمع القبلي او القومي او المهني او السياسي في اطار ولاية الله وبإذن حجة الله، فانه تجمع حميد مطلوب. ولكن اذا كان من دون الله، فانه قد يكون من الانداد الذين نهينا عنه، فالأولى تجنبه. والله العالم.

٨٨علاقـة المؤمنين ببعضـهـم

الاطار العام للعلاقة الوثيقة بين المؤمنين، هو الاخوة والولاية. ومن تجليات هذه الولايـة اعتصـام الجميـع بحبـل الله المتمثـل فـي كتـاب الله، والرسـول (والامـام)، والدفاع عن مصالح بعضهم باعتبارهم امة واحدة، والتكافل الاجتماعي.

وفيما يلي بعض التفصيل في هذه العلاقة:

١/ حدد القرآن الكريم ولايـة المؤمن باخوتـه المؤمنين، وحرّم عليـه ان يـوالي غيرهم من دونهم. قال الله سبحانه: **{ لاَيَتَّخِـذِ الْمُؤْمِنُـونَ الْكَـافِرِينَ او لِيَـآءَ مِـنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِيْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُواْ مِـنْهُمْ تُقَـاةً وَيُحَـذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ}** (آل عمران/٢٨)

وهكذا حرّم ازدواجيـة ولاء المؤمن، وتعدد ولاءه وانتمـاءه علـى حسـاب ولايتـه الايمانية.

٢/ وقال سبحانه: **{ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ او لِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً }** (النساء/١٣٩)

٣/ وقـال تعـالى: **{ يَـآ أَيُّهَـا الَّـذِينَ ءَامَنُـوا لاَ تَتَّخِـذُوا الْكَـافِرِينَ او لِيَـآءَ مِـن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً }** (النساء/١٤٤)

٤/ وهذه الولاية تقرب البعيد جغرافياً (كما تبعد القريب)، فالمهاجرون والانصار بعضهم من بعض (بالرغم من اختلاف أوطانهم وعشائرهم). قال الله سبحانه: **{ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُـوا وَهَـاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ فِـي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّـذِينَ ءَاووْا**

وَنَصَرُوا او لَئِكَ بَعْضُهُمْ او لِيَآءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِن وَلاَيَتِهِم مِن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (الانفال/٧٢)

٥/ وهكذا كانت الولاية الايمانية أشد وأوثق من كل ولاية، فالمؤمن ولي المؤمن (انى بعدت لحمته او أرضه او لغته). قال الله سبحانه: **{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ او لِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ او لَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** (التوبة/٧١)

٦/ وتتسامى هذه الولاية الى درجة تجعل المؤمنين اخوة بعضهم، مما يوجب اصلاح ذات بينهم. قال الله سبحانه: **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }** (الحجرات/١٠)

٧/ وتقتضي الاخوة الايمانية النظرة المتساوية الى المؤمنين كافة، وعدم ازدراء مؤمن (بسبب لونه او قوميته او لغته او طبقته الاجتماعية او ما أشبه). قال الله سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِن نِسَآءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَمْ يَتُبْ فَاو لَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }** (الحجرات/١١)

٨/ وكذلك تقتضي الاخوة الايمانية تجنب كثير من الصفات الرذيلة، مثل سوء الظن والتجسس والغيبة. قال الله تعالى: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ }** (الحجرات/١٢)

٩/ والولاية بين المؤمنين والاخوة، تجعلهم أمة واحدة (في البعد السياسي والاجتماعي). قال الله تعالى: **{ وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ }** (المؤمنون/٥٢)

١٠/ وقيام الأمة الواحدة رهين اعتصام الجميع بحبل الله (المتمثل في الكتاب والرسول)، حيث يقول ربنا تعالى: { **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** } (آل عمران/١٠٣)

١١/ ومن ابعاد الولاية تعاونهم على البر والتقوى. حيث يقول ربنا: { **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** } (المائدة/٢)

١٢/ ومن ابعاد اخوتهم الايمانية تكافلهم الاجتماعي، حيث يقول تعالى: { **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ* لِلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ** } (المعارج/٢٤-٢٥)

١٣/ وتتسامى درجة الاخوة الايمانية في تجاوز العصبية القومية الى درجة الايثار، حيث نجد مثلاً رائعاً من ذلك في علاقة الانصار بالمجاهدين كيف انهم آثروهم على انفسهم. وكانت تلك فضيلة وفقهم الله لها ووصفهم بالفلاح، حيث قال سبحانه: { **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوْا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّآ او تُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَاو لَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** } (الحشر/٩)

١٤/ ومن ابعاد العلاقة الاخوية تجاوز خصوصيات العصر، حيث ان علاقة المؤمن بمن سبقه من المؤمنين علاقة ايجابية، حيث تجده يستغفر لهم. وكذلك تجاوز سائر الخصوصيات (كالاختلاف الطبيعي او الحضاري)، فاذا بالمؤمن يسأل ربه ألاّ يجعل في قلبه غلاً للذين آمنوا (حتى ولوكانوا مختلفين معه في الرأي او في القوم او في اللغة وما أشبه). قال الله سبحانه: { **وَالَّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** } (الحشر/١٠)

١/ في اطار المجتمع المؤمن تتحقق مثل الخير (السلام، الحق، العدل، الأمن، الرزق الكريم). ولتحقيق هذا المجتمع، لابد من توثيق العلاقة بين المؤمنين لتصبح في مستوى الأخوة.

٢/ بالاعتصام بحبل الله المتمثل في كتابه ورسوله (والامام)، وبالدفاع عن مصالح بعضهم، وبالتكافل الاجتماعي، والتعاون على البر والتقوى، تتحقق الأخوة الايمانية.

٣/ والمؤمنون أخوة (متساوون) لايزدري بعضهم ببعض، ولا يسخرون ببعضهم، ولايسيئون ظناً ببعضهم، ولا يتجسسون، ولا يغتابون بعضاً.. بل ويحبون من هاجر اليهم، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة، ويستغفرون للماضين، ويسألون الله ألاّ يجعل في قلوبهم غلاً للذين آمنوا.

٤/ الاصلاح الدائب بين فئات المؤمنين واجب الهي، ولكنه بحاجة الى اقتلاع جذور الخلاف، وذلك عبر اقدام المؤمنين لبعضهم (كجماعة متساوية).

٨٨فقه الآيات

في هذا الفصل نستعرض ابعاد العلاقة المثلى بين المؤمنين في ابعاد مختلفة، مستوحين من آيات الذكر الحكيم:

٨٨٨ أولاً: بين الحب والقيم المادية

فيما يلي نستعرض العلاقة الايجابية المثلى التي ينبغي ان تسود المؤمنين بعضهم مع بعض، فانها لوعرفت اغنتنا عن العلاقات الاقل مستوى منها، ونقتبس هذا الحديث من تفسير الآية التاسعة من سورة الحشر من تفسيرنا المطبوع (من هدى القرآن) مع بعض التغيير.

بعد ان مكث النبي صلى الله عليه وآله في المدينة واستتب له الأمر، تقرر ان يهاجر المؤمنون من مكة اليها، حيث تواردوا افواجاً فاستقبلهم الانصار واوسعوا لهم صدورهم ودورهم، وتقاسموا معهم الاموال والمساكن حتى الازواج. ولكن الخط المنافق من أهل المدينة ومن غيرهم، ما كان يرضيهم ان يحتضن الانصار المهاجرين. فلما اجلى المسلمون اليهود وقرر الرسول صلى الله عليه وآله ان يعطي الفيء للمهاجرين، طفحت احقادهم، واتخذوا الأمر فرصة سانحة ليلعبوا دورهم الخبيث. فمشوا في الصفوف بالشائعات، ليضربوا زعامة النبي صلى الله عليه وآله الذي كانوا يكنون ضده الاحقاد والضغائن، وذلك بالتشكيك في سلامة نيته، حيث اتهموه بانه انحاز لقومه (المهاجرين) على حساب الانصار. ومن جهة اخرى استغلوا القسمة لهدف ايجاد الاختلاف والفرقة بين المؤمنين، بالذات بين المهاجرين والانصار. وطالما اظهر المنافقون وعلى رأسهم عدو الله ابن أبيّ للانصار، انهم يريدون خيرهم من وراء موقفهم، وطالما استثاروا فيهم الوطنية وشح النفس ليكسبوهم. ولكن الانصار رفضوا ذلك، لانهم كانوا اصحاب البصيرة النافذة، والايمان الرفيع، والتسليم المطلق لقيادة الحق.

اما الرسول فقد جمعهم، وقال: ان شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم واموالكم، وقسمت لكم من الغنيمة كما قسمت لهم (أي اساوي بينكم)، وان شئتم كان لهم الغنيمة ولكم دياركم واموالكم (اي يخرجون من اموالكم ودوركم). فقالوا: لا؛ بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ولا نشاركهم في الغنيمة. (١)

وهكذا تنتصر كل امة على محاولات التفرقة حينما تتبع قائدها، وتلتزم بالقيم الحق، وتعيش فيما بينها الالفة والحق والاخاء. وقد سجل ربنا هذا الموقف الجليل كرامة للانصار، وليكون نموذجاً لما يصنعه الاسلام بالنفوس، وليبين للبشرية جيلاً بعد جيل وللامة الاسلامية بالذات سر انتصاراتها في التاريخ، وان الرعيل الاول من المخلصين انما قاد العالم بهذه الروح الايمانية السامية.

---

(١) نور الثقلين/ ج٥ / ص٢٨٤.

ونستوحي من الآية:

الف: انه اذا انتصر المؤمنون في بلد، وكوّنوا المجتمع الاسلامي، فلا يعني ان أهل تلك البلاد من المسلمين هم افضل من غيرهم. فلا يجوز ان يستأثروا بالمكاسب، او يفرضوا وصايتهم على غيرهم. كلا؛ فكل ما عند المؤمنين حتى انفسهم، ملك للاسلام ولاهله، الذين هم اخوانهم. وينبغي لهم ان لايأخذهم غرور الانتصار، او العجب بالنفس، بل يفعلون كما فعل الانصار. فلقد بلغ بهم الايمان والحب لاخوانهم ان آثروهم على انفسهم، لانهم انتموا للاسلام ابتغاء فضل الله ورضوانه وليس بحثاً عن المكاسب المادية، ولانهم كانوا يقدرون ظروف اخوانهم المهاجرين، حيث ضحوا بأموالهم وبيوتهم ومستقبلهم المادي من اجل الدين، وحباً في الانتماء اليهم، وضم جهودهم وطاقاتهم اليهم لتقوية مجتمع الحق وجبهته.

باء: يجب ان تكون علاقة الاجيال المؤمنة (السابقة باللاحقة، والانصار بالمجاهدين، والمنتصرين بالحركات التي تسعى للانتصار فتهاجر اليهم) قائمة على الأسس التالية:

١/ الحب الصادق؛ فلا يرون اللاحقين بهم من سائر الفصائل الرسالية غرباء او دخلاء، ولا يريدونهم ان يكونوا عملاء لهم، ولا يستثير فيهم تنافسهم أي حقد وحسد، ولا أي لون من الحساسيات السلبية، لان رابطتهم ببعضهم اكبر من كل ذلك، انها رابطة الايمان والجهاد.

وهكذا يحدد القرآن محور التواصل بين فئات المؤمنين؛ الانصار الذين سبقوا غيرهم في بناء التجمع الايماني، والمهاجرين الذين تجردوا عن مصالحهم في سبيل الله. فيبين ان الحق هو ذلك المحور، ولا يصل الانسان الى هذا المستوى الرفيع من الاخلاق الا اذا تمكن الايمان من نفسه، فتجاوز شح نفسه (الاهواء والشهوات والمصالح) وتحرر عن اغلال الوطنية والقومية والعنصرية والطبقية

والحزبية، واصبح مثلما قال الامام الصادق عليه السلام: من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله، فهو ممن كمل ايمانه". (١)

بلى؛ ان الحب في الله من او ثق عرى الايمان، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ود المؤمن للمؤمن في الله، من اعظم شعب الايمان. (٢)

وقد اعتبر ائمة الهدى الحق هوالدين، ويجيب الامام الصادق عليه السلام سائلاً سأله عن الحب: هل هو من الايمان؟ فيقول: ويحك؛ وهل الدين إلاّ الحب؟ الا ترى الى قول الله: **{ ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم}**؟ او لا ترى قول الله لمحمد صلى الله عليه وآله: **{حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم}**؟ وقال: **{ يحبون من هاجر اليهم}**؟ فقال: الدين هوالحب ، والحب هوالدين. (٣)

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لاصحابه: أي عري الايمان اوثق؟ فقالوا: الله ورسوله اعلم. وقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصوم، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لكل ما قلتم فضل وليس به، ولكن او ثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله، وتولي اولياء الله والتبري من اعداء الله عز وجل. (٤)

وكيف لايحب المهاجرون والمنتصرون والسابقون الى الايمان من يلحق بهم، وقد جاؤوا ليحققوا اهم اهدافهم، وهو نصرة الدين؟!

وكلمة اخيرة؛ ان المؤمن الصادق محكوم بمعادلة التولي والتبري، وبالتالي فان نسبة تبريه من الاعداء هي بنسبة توليه للمؤمنين. قال الله سبحانه: **{ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً**

---

(١) المحاسن للبرقي / ج ١ / ص ٢٦٣.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر.

(٤) المحاسن للبرقي / ج ١ / ص٢٦٤.

مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيَماهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً } (الفتح/٢٩)

واننا اليوم نسعى من اجل المجتمع المسلم، فلابد ان نبدأ بانفسنا، ونجعل تجمعنا ربانياً الهياً، يدور على محور الحب في الله والبغض في الله، حتى يباركه الله من فوق عرشه ويرعاه بنصره وتأييده. وكلما ازداد صراعنا مع اعداء الله شدة وعنفاً، كلما ازددنا تلاحماً وتماسكاً وانصهاراً في بوتقة التوحيد.

٢/ التجرد عن الحسد للاّحقين؛ مهما اوتوا من شيء مادي او معنوي، فصدورهم صافية طاهرة، لا تنطوي على غل ولا حساسية تجاه اخوانهم، لانها معمورة بالايمان والوعي. والواحد منهم متجرد عن ذاته للقيم، وللامة كلها، فلا يرى ان الانتصار او الدولة او المغانم او المناصب حكراً له او لفريق دون آخر، انما هي للجميع، كما يرى ان تقدم أي فرد او جهة هوتقدم له ايضاً. (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا، لان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والرأي للقيادة الرسالية تقرر ما تراه مناسباً، والحق لصاحب الكفاءة، وليست لاحد الوصاية في فضل الله وما له وما للامة، فلماذا الحسد والتقاتل على المكاسب والمراتب؟!) ان المؤمنين يسعون بكل ما اوتوا لدعم اخوانهم، ورفد مسيرتهم، لكي يتقدموا ويعلو شأنهم ويعلو من خلالهم شأن الدين والأمة. وما يؤسف له اليوم ان نرى في الأمة فريقاً من مرضى القلوب الذين يجهدون بكل ما اوتوا من حول وطول ومكر من اجل تحطيم كل قيادة ناشئة تبرز في الساحة، وترى في صدورهم كل حاجة مما اوتي اولئك من الفضل والسعة.

وقد وقف الاسلام موقفاً صارماً من الحسد، حتى عدله بالشرك والكفر والنفاق. قال الامام الصادق عليه السلام: يقول ابليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد والبغي

(يعني المؤمنين)، فانهما يعدلان الشرك. (١) وقال عليه السلام محذراً: اياكم ان يحسد بعضكم بعضاً، فان الكفر اصله الحسد. (٢) وقال: ان المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط. (٣) وقال الامام الباقر عليه السلام: ان الحسد ليأكل الايمان، كما تأكل النار الحطب. (٤) وقال الرسول صلى الله عليه وآله (يُعني الحسد): ليس بحالق الشعر، لكنه حالق الدين. (٥) وقال الله عز وجل لموسى بن عمران: يا ابن عمران؛ لا تحسد الناس على ما أتاهم من فضلي، ولا تمدن عينيك الى ذلك، ولا تتبعه نفسك، فان الحاسد ساخط لنعمي، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي. (٦)

ونستفيد من قول الله تعالى: **{ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوْا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }** (الحشر/٩)؛ ما يؤكد لنا ان الحسّاد هم اصحاب الصدور الضيقة، والقلوب المريضة.

وأهم الحاجات التي يضمرها الحاسدون في صدروهم، هو تحطيم اخوانهم. ولاريب انها

سوف تتضخم فتتراكم العقد في نفوسهم، وتدفعهم الى سلوك اجتماعي خطير تجاه الاخرين. ولذلك جاء في الرواية عن الامام الصادق عليه السلام: للحاسد ثلاث علامات؛ يغتاب اذا غاب، ويتملق اذا شهد، ويشمت بالمصيبة. (٧)

---

(١) بحار الأنوار / ج٧٥ / ص ٢٧٨.
(٢) المصدر / ج ٧٨ / ص ٢١٧ .
(٣) المصدر / ج ٧٣ / ص ٢٥٠ .
(٤) المصدر / ص ١٤٤ .
(٥) المصدر / ص ٢٥٣.
(٦) المصدر / ص ٢٤٩ .
(٧) بحار الأنوار / ج ٧٣ / ص ٢٥١. ونور الثقلين / ج٥ / ص ٢٨٦.

ولك ان تتصور مجتمعاً متحاسداً يكاد يتمزق داخلياً، كيف يتسنى له ان يتقدم حضارياً، وكيف ينتصر امام التحديات الكبيرة.

٣/ الايثار؛ وهوعلامة الايمان، والمظهر الخارجي للحب الصادق تجاه الاخوان، وقمة التماسك في جبهة الايمان، حيث التفاني والتضحية من اجل الغير لوجه الله. والمؤمن الصادق هوالذي يقدم نفسه للخطر ليسلم الآخرون، ويؤخرها عند المكاسب ليغنموا. أوليس يبحث عن القمة السامقة من الايمان، التي تتمثل في الايثار؟ بلى؛ وهولايقيم وزناً لحطام الدنيا، حتى يتقاتل عليه او ينفرد به.

والانصار ليس فقط احبوا اخوانهم المهاجرين، وتطهروا من الحسد تجاههم، بل وآثروهم على انفسهم ، ووصلوا من الايثار سنامه، حينما تنازلوا عن حظهم من القسمة رغم حاجتهم الشديدة. { **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** }.

فهم لم يجعلوا عوزهم وحاجتهم الشديدة تبريراً لترك الايثار، وقد اهتم ائمة اهل البيت عليهم السلام ببيان فضيلة الايثار والدعوة اليها. فقد روي عن الامام الصادق عليه السلام، انه قال: خياركم سمحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن صالح الاعمال البر بالاخوان، والسعي في حوائجهم، وفي ذلك مرغمة الشيطان، وتزحزح عن النيران،ودخول الجنان. يا جميل؛ اخبر بهذا الحديث غرر اصحابك. قال: قلت فداك من غرر اصحابي؟ قال: هم البارون بالاخوان في العسر واليسر. ثم قال: يا جميل؛ ان صاحب الكثير يهون عليه، وقد مدح الله عز وجل صاحب القليل، فقال: { **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَاولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** } (الحشر/٩)

وجاء في حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام، فيما رواه عنه ابان بن تغلب، قال:

سألته فقلت: اخبرني عن حق المؤمن على المؤمن؟ فقال: يا ابان؛ دعه لا ترده. قلت: بلى. جعلت فداك؛ فلم ازل ارد عليه. فقال: يا ابان؛ تقاسمه شطر مالك. ثم نظر اليَّ فرأى ما دخلني. فقال: يا ابان؛ اما تعلم ان الله عز وجل قد ذكر المؤثرين

على انفسهم؟ قلت: بلى؛ جعلت فداك. فقال: اما اذا انت قاسمته فلم تؤثره بعد، انما انت وهوسواء. انما تؤثره اذا اعطيته من النصف. (١)

وقد حفل تاريخ صدر الاسلام بمصاديق رائعة للايثار، احدها ايثار الانصار للمجاهدين على انفسهم، والآخر او لئك النفر السبعة من مجاريح المؤمنين في اليرموك، الذين حمل اليهم الماء فكان واحدهم يؤثر اخوانه على نفسه رغم الظمأ الذي يحس به المحتضر حتى استشهدوا عن اخرهم عطاشى. وقد روى ابوحمزة قال: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فشكا اليه الجوع، فبعث الرسول صلى الله عليه وآله الى بيوت ازواجه، فقلن: ما عندنا الا الماء. فقال الرسول صلى الله عليه وآله: من لهذا الرجل الليلة؟ فقال علي ابن ابي طالب عليه السلام: انا له يا رسول الله. واتى فاطمة عليها السلام، فقال لها: ما عندك يا ابنة رسول الله؟ فقالت: ما عندنا إلاّ قوت العشية، لكنا نؤثر ضيفنا. فقال عليه السلام: يا ابنة محمد؛ نومي الصبية واطفئي المصباح. (٢)

وجاء في حديث آخر؛ ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وآله، وقال: اطعمني ، فاني جائع. فبعث الى اهله فلم يكن عندهم شيء، فقال: من يضيفه هذه الليلة؟ فاضافه رجل من الانصار واتى به منزله، ولم يكن عنده إلاّ قوت صبية له. فاتوا بذلك اليه، واطفأوا السراج، وقامت المرأة الى الصبية فعللتهم حتى ناموا، وجعلا يمضغان السنتهما لضيف رسول الله صلى الله عليه وآله، فظن الضيف انهما يأكلان معه حتى شبع الضيف، وباتا طاويين. فلما اصبحا غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله، فنظر اليهما وتبسم وتلا هذه الآية (الحشر/٩). (٣)

هكذا ينبغي للمؤمنين وبالذات المجاهدين منهم ان يتساموا الى هذا الخلق الرفيع في تعاملهم مع بعضهم، ولن يبلغوا ذلك حتى يتجاوزوا اصعب عقبة تربوية وعملية

---

(١) تفسير نور الثقلين / ص ٢٨٧.

(٢) المصدر / ٢٨٦ .

(٣) مجمع البيان / ج ٥ / ص ٢٦٠.

وحضارية، تغل الافراد والتجمعات والأمم عن النهوض والارتفاع في آفاق التقدم والفضيلة، وهي عقبة النفس التي يعدها الاسلام (قرآناً وسنة) اعدى اعداء الانسان، الذي اذا انتصر عليها صار الى السعادة والفلاح. وهكذا قال ربنا : { **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَاو لَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** } .

فبالقدر الذي يسعى الانسان الى المزيد من العلم، ينبغي ان يسعى باضعافه الى تزكية نفسه وكمال اخلاقه. وانما اعتبر القرآن الوقاية من شح النفس هي الفلاح، لان شح النفس رأس كل خطيئة وانحراف في حياة البشر. فهو اساس الكفر والشك والظلم والحسد و.. و.. قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: البخل جامع لمساوئ العيوب، وهو زمام يقاد به الى كل سوء.

وهل انزل الله رسالاته وبعث رسله الا ليخرج الانسان من سجن شح النفس؟ وان الشحيح لايرى الاّ ذاته، كما لا يرى المسجون الاّ جدران زنزانته. ولكن ما هو السبيل الى التحرر من هذه التهلكة؟ انه التوكل على الله والاستعاذة من شر النفس الامارة بالسوء، والانفتاح على هدى القرآن وبصائر السنة، وتقبل نصائح الواعظين. والتعبير القرآني بليغ للغاية، اذ يقول: "يوق" مبنياً للمجهول؛ أي ان الله هو الذي يحرر الانسان، وينقذه من شح النفس.

ومشكلة الانسان انه يحسب السعادة تتمثل في اتباع الاهواء، واشباع شح النفس، ولكنه لايعلم ان ذلك يجعله عبداً ضعيفاً لها. أليس محب الرئاسة يتبع هوى المنصب انى اتجه، ويلخص كل كيانه فيه، حتى عواطفه وعقله وصلاته الانسانية يجعلها جميعاً وقفاً للمنصب؟

كذلك المولع بالثروة يرى الدنيا من خلالها، فلا يجد حرجاً من مسخ شخصيته الانسانية من اجل المال، فيولد انساناً متكاملاً، ويموت وهولايملك من خصائص الانسانية شيئاً. ان التحرر من حب الرئاسة، وحب الثروة، والخروج من شح النفس، جعل المؤمنين احراراً، منطلقين في رحاب الحياة، بلا قيود ولا اغلال.

٤/ وبما ان الايثار قمة الفضيلة، فان بلوغها بحاجة الى عملية تربوية متواصلة ، وذلك بالاستعاذة بالله سبحانه من الحرص والبخل وشح النفس .. فقد جاء في الخبر المروي عن الامام الباقر عليه السلام، فيما رواه عنه ابوبصير، قال : قلت لابي جعفر عليه السلام : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعوذ من البخل ؟ فقال: نعم؛ يا ابا محمد في كل صباح ومساء ، ونحن نتعوذ بالله من البخل لقول الله : { **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَاو لَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** }. (١)

وفي الحديث : لا يجتمع الشح والايمان في قلب رجل مسلم ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف رجل مسلم. (٢)

وروى الفضل بن ابي قرة السندي، انه قال: قال لي ابوعبد الله عليه السلام: اتدري من الشحيح ؟ قلت : هوالبخيل. فقال: الشح أشد من البخل. ان البخيل يبخل بما في يده ، والشحيح يشح بما في ايدي الناس وعلى ما في يده ، حتى لا يرى في ايدي الناس شيئا الا تمنى ان يكون له بالحل والحرام ، ولا يقنع بما رزقه الله عز وجل. (٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما محق الاسلام محق الشح شيء ، ثم قال : ان لهذا الشح دبيباً كدبيب النمل ، وشعباً كشعب الشرك. (٤)

وقال امير المؤمنين عليه السلام : اذا لم يكن لله عز وجل في العبد حاجة، ابتلاه بالبخل. (٥)

وقال علي بن ابراهيم، حدثني ابي عن الفضل بن ابي قرة، قال : رأيت ابا عبد الله عليه السلام يطوف من اول الليل الى الصباح، وهويقول : اللهم قني شح نفسي.

---

(١) نور الثقلين/ ج ٥ / ص ٣٩٠.
(٢) مجمع البيان / ج ٩ / ص ٢٦٢.
(٣) نور الثقلين / ج ٥ / ص ٢٩١.
(٤) المصدر.
(٥) المصدر.

فقلت : جعلت فداك ما سمعتك تدعو بغير هذا الدعاء ؟ قال : واي شيء اشد من النفس ، ان الله يقول : **{وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَاولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }**. (١)

٨٨٨ ثانياً: العلاقة بين الاجيال المتلاحقة

نستوحي العلاقة بين الأجيال المتلاحقة من الآية العاشرة من سورة الحشر، معتمدين - مرة أخرى - على تفسيرنا المطبوع (من هدى القرآن) لهذه الآية مع بعض التغيير.

يضع القران امامنا قواعد هذه العلاقة الرئيسية، ونموذجها من حياة المهاجرين المخلصين. **{ وَالَّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ}** المهاجرون بعد الانصار في المدينة ، والثوار المهاجرون الى اخوانهم المنتصرين في اي بلد ، واللاحقون من الاجيال في الحركة الرسالية ، فانهم يحترمون اولئك ، ويعون قيمة دورهم الريادي ، وانعكاسه الايجابي عليهم، ويريدون لهم الخير كما يريدونه لانفسهم. **{ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ}.**

فهم لا ينسون الجميل الذي اسداه السابقون اليهم، وتلك التضحيات التي بذلوها لصالحهم ، ويقدرون بالذات سبقهم الى الانتصار ، وتأسيسهم دار الاسلام (دولته) مما يتيح لهم الهجرة اليهم والتحرك بفاعلية افضل وأوسع ، وعلاقتهم بهم تتأسس على نظرة الاحترام والحب والتقدير.

وللآية بصيرة هامة تبين موقف التقييم السليم من قبل الاجيال اللاحقة تجاه الاجيال السابقة. فهناك ثلاث نظريات تستتبع ثلاثة مواقف متباينة:

١ - الذين اعتبروا السابقين متخلفين وسبباً لتخلف اللاحقين ، ووقفوا منهم موقفاً سلبياً للغاية ، وسمّوهم رجعيين ، ودعوا الى بناء المستقبل على انقاض الماضي. ويمثل هؤلاء اليوم في المسلمين المتغربين، والسلبيين الذين اصيبوا بردات فعل تجاه الواقع الذين نشأوا فيه. وبلغ الامر ببعضهم ان اتهموا دين الاسلام ذاته، لانهم

---

(١) المصدر.

رأوا بعض السلبيات فيمن اعتنقه من آبائهم. قال الله تعالى (في حق أمثالهم): **{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَآ أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الاولِينَ }** (الاحقاف/١٧)

٢ - هناك فريق آخر وقفوا موقف القبول المطلق لمواقف السابقين، دون تقييم وهم يرددون **{إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُقْتَدُونَ}** (الزخرف/٢٣)

فهم يقدسون التراث الى حد العبادة، ونجد صورة لهذا الفريق في الذائبين في السلف وافكارهم، يرحبون بحسناتهم وسيئاتهم على السواء، ولا يقبلون ادنى نقد لسلوكهم وافكارهم ومواقفهم، ويعدون الشخص ذا فضل وعظمة لمجرد كونه من الاولين، الذين ادركوا الرسول والخلفاء، او عاشوا في صدر الاسلام.

٣ - اما الفريق الثالث؛ فهم الذين يقيّمون السابقين بواقعية، ويعرضون افكارهم ومواقفهم على موازين الشرع (القرآن والسنة والسيرة) فما وافقها احترموه وتأسوا به، وما خالفها ضربوا به عرض الحائط، وهم الذين تشير اليهم هذه الآية الكريمة .كيف نعرف ذلك من الآية؟

انهم - حسب الآية - يعترفون باخطاء السابقين ، ويتبعون القيم باخلاص وشجاعة، سواءاً وافقت حياة اولئك ام خالفتها. ولكن النقد والانتقاد لا يسقطهم في اعينهم ، بل يظلون اصحاب الفضل عليهم ، الذين يكنون لهم الود والاحترام. ومن هنا تراهم يستغفرون للماضين من اخوانهم، والاستغفار دليل القناعة بامكانية حدوث الخطأ منهم.

وفي الوقت الذي يعترفون باخطاء السلف ، ولا يتابعونهم فيها، يسعون بكل ما اوتوا (بالدعاء والعمل) لاصلاح اخطائهم في الواقع الخارجي، ويستغفرون لهم عند الله. وانه سبحانه ليستجيب دعاء الاخ لاخيه ، فقد روي عن الامام الباقر عليه

السلام، انه قال : اسرع الدعاء نجحا للاجابة، دعاء الاخ لاخيه بظهر الغيب. يبدأ بالدعاء لأخيه، فيقول له ملك موكل به: آمين ولك مثلاه. (١)

وقد ظهرت بدعة جديدة في عصرنا الحاضر تتخذ من السلف الصالح شعاراً لتأسيس حزب سياسي معين .. ان هؤلاء يرفضون اي تطوير في مناهج الدين، لان اسلافهم لم يشهدوه، ويخلطون بين قيم الدين وواقعيات التراث، وقد يقدسون التراث اكثر من الدين، ولا يفكرون بان التراث الذي يشكله سلفهم ليس كياناً ثقافياً وحضارياً واحداً، فما الذي يقدسونه فيه ؟!

لقد تناقضت سيرة السلف الى درجة كبيرة؛ فهل يمكنهم العمل بكل المذاهب والمدارس

الفكرية التي اتبعها اولئك السلف، ام انهم يجتهدون في اختيار مذهب واحد ومدرسة واحدة ؟ وهم كذلك يفعلون مما يثير التساؤل : اذا جاز لهم الاجتهاد في اختيار اصل المذهب، فلماذا لا يجوز الاجتهاد في فروعه ؟ واساساً اذا كان للاجتهاد قيمة عندهم، فما الذي يمنعهم من توسيع نطاقه؟

واذا جاز لهم التطوير في شؤون حياتهم المادية، فاذا بهم يركبون السيارات المرفهة، ويسكنون القصور الفخمة، ويأخذون بكل معطيات العلم الحديث، فلماذا لا يجوز لهم التطوير في فهم دينهم حسب تقدم العلم، وتوسع نطاق العقل ؟!

واذا كانوا يستندون في تقديس التراث الى بعض الاحاديث المتشابهة، فلماذا تراهم يتركون كتاب ربهم الذي يصرح بان المستقبل افضل من الماضي، وان الله يورث الارض عباده الصالحين؟!

كما النهر يطهر بعضه بعضاً، كذلك المؤمنون لا يفتأون يصلحون ما فسد من علاقاتهم ببعضهم حتى يصبحوا إخواناً. ونستفيد من هذه البصيرة، الحقائق التالية:

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٦ / ص ٦٠ - وللمزيد راجع ميزان الحكمة / ج ٣ / ص ٢٨٠ / الباب ١٢١٠.

١/ جاءت الكلمة في قوله تعالى: { **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**} بصيغة الحصر، لتذكرنا بأن الايمان الذي لا يرفع المنتمين اليه الى مستوى الاخوة إيمان ضعيف وناقص. فبهذا تقاس التقوى، ويقاس مدى الايمان، ويستبين الصادقون عن المنافقين.

عشرات الأنظمة الاجتماعية، ومئات الوصايا الأخلاقية توالت في الدين ليبلغ المسلمون حالة الاخوة الايمانية، ومتى ما خالفنا بعضها انماث الايمان من القلوب بقدر ذلك، كما تتماث حبة الملح في كف المحيط . وجاءت الروايات تترى، وهي توصينا بحقوق إخوتنا في الايمان. تعالوا نستمع الى بعضها لعلنا نخلق ذلك المجتمع الأمثل، الذي يتحدى أعاصير الفتنة والصراع.

روي عن الإمام علي عليه السلام، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً، لا براءة له منها إلاّ بالاداء او العفو؛ يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضته، ويشهد ميته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويسمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبر انعامه، ويصدق أقسامه، ويوالي وليه، ولا يعاديه، وينصره ظالماً ومظلوماً؛ فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه، وأما نصرته مظلوما فيعينه على أخذ حقه، ولا يسلمه ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه . ثم قال عليه السلام : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً، فيطالبه به يوم القيامة، فيقضى له وعليه. (١)

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٤ / ص ٢٣٦.

وروي عن الامام الصادق عليه السلام، قال : المسلم أخو المسلم، لايظلمه ولا يغشه ولا يغتابه ولا يخوفه ولا يحرمه. (١)

وعنه عليه السلام، قال : المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه. (٢)

وعنه عليه السلام، قال : تقربوا الى الله تعالى بمواساة إخوانكم. (٣)

وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله، أنه قال: المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ها هنا. (وأشار الى صدره ثلاث مرات) حسب امرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم.كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه. (٤)

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام، وهو يبين مدى عمق الصلة بين المؤمنين، قال: إنما المؤمنون إخوة بنوأب وأم، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون. (٥)

إنها علاقة روحية تتجاوز حدود المادة، وتتصل بالغيب. فقد جاء في حديث آخر عن الامام الباقر عليه السلام عندما سأله جابر الجعفي قائلاً : تقبضت بين يدي أبي جعفر، فقلت: جعلت فداك؛ ربما حزنت من غير مصيبة تصيبني او أمر ينزل بي حتى يعرف ذلك أهلي - في وجهي - وصديقي. فقال: نعم يا جابر؛ إن الله عز وجل خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى فيهم من ريح روحه، فلذلك المؤمن

---

(١) نور الثقلين / ج ٥ / ص ٨٧.

(٢) المصدر / ص ٨٦.

(٣) بحار الأنوار / ج ٧٤ / ص ٣٩١.

(٤) تفسير القرطبي / ج ١٦ / ص ٣٢٣.

(٥) المصدر / ص ٢٦٤.

أخو المؤمن لأبيه وأمه، فاذا أصاب روحاً من تلك الارواح في بلد من البلدان حزنٌ، حزنت هذه، لأنها منه. (١)

٢/ لقد اختار الاسلام كلمة "الاخوة" لبيان مدى العلاقة بين ابنائه، ونسب هذه الحالة الى الايمان لما يلي:

حينما اختار المبدأ الغربي كلمة (المواطن) لبيان العلاقة بين أبنائه، إنطلق من فكرة تقديس الأرض وربط الناس بها وبالمصالح المشتركة التي تشد مجموعة من البشر ببعضهم. وحينما انتخب المبدأ الشرقي كلمة (الرفيق) فقد اعتمد على دور المسيرة النضالية في علاقاته الاجتماعية . أما الاسلام فقد اجتبى لنا كلمة الاخ لنعلم ان صلتنا ببعضنا ليست مادية قائمة على أساس تقدير الأرض والمصالح، كما أنها لا تخص حالة النضال ورفاقة المسيرة، وإنما هي مبدئية ناشئة من صلة كل واحد منا بدينه، حتى ليصبح الدين كالأب الذي هوأصل وجود الابن، وكلما قويت واشتدت صلتنا بالأصل، كلما قويت وتنامت صلتنا ببعضنا.

ومن هنا جاء في الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام، قال: المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إذا إشتكى شيئا منه وجد ألم ذلك في سائر جسده. وأرواحهما من روح واحدة، وإن روح المؤمن لاشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها. (٢)

وإنما نسب الوحي الاخوة الى الايمان (وليس الاسلام)، لأن الاسلام مجرد التسليم للدين، بينما الايمان وقر في القلب يفيض على كل جوانب حياة الانسان. والذي يرفع الناس الى مستوى الاخوة ليس مجرد التصديق بالدين، وإنما تطبيق تلك التعاليم القيمة التي تسقط الحواجز المادية والمصلحية التي تفصلهم عن بعضهم.

---

(١) تفسير القرطبي / ج ١٦ / ص ٢٦٦.

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٤ / ص ٢٦٨.

{ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}

مادمنا إخوة، فلابد من ردم الفجوات التي تفصل بيننا، وهدم الحواجز وسد الثغرات. أرأيت البنيان المرصوص؟ هكذا يكون بناء التجمع الايماني . أرأيت لو أمتلئ الجدار بالثغرات والثقوب، هل يكون البنيان مرصوصاً، وهل يصلح للبقاء طويلاً ؟

إن الاسلام قد سن تشريعات كثيرة في تنظيم العلاقة بين المؤمنين، ولكن إذا لم نعرف الهدف الأسمى لها ولم نطبقها بحيث نبلغ ذلك الهدف المتمثل في تكريس حالة الاخوة بين المؤمنين، فاننا لا ننتفع كثيرا بها، بل علينا فوق ذلك أن نضيف الى التشريعات الدينية ممارسات خلقية وحتى لوائح قانونية لتحقيق هذه الاخوة . كما ان الدين - مثلاً - سن أحكاماً كثيرة لرعاية الصحة الجسدية، فعلينا؛ اولاً: أن نطبقها بطريقة نهدف بها تحقيق الصحة. وثانياً: أن نشرع قوانين جديدة للوصول الى الصحة؛ مثل بناء المصحات، او تطهير الشوارع، او إيجاد مراكز الحجز الصحي، وما أشبه.

إن تعاليم الدين التي تخص المقاصد العامة كالصحة والاصلاح والعدالة والعزة والكرامة وما أشبه، ينبغي أن نطبقها ونعطيها الاولوية بالقياس الى أحكام الدين التي تهتم بسبل تحقيق هذه المقاصد، ولا يجوز أن نهمل هذه الاوامر وكأنها تعاليم أخلاقية غير ملزمة لا تفرض حكماً.

٣/ وخاتمة الآية تشير الى مدى وجوب الاصلاح ومدى علاقته بالسعادة الدنيوية، حيث يقول ربنا: **{وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.** بلى؛ إن رحمة الله وصلواته وبركاته تتنزل على الذين يتواصلون ويتبارون، لأنهم يطيعون الله في أداء حقوق إخوانهم. فقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال:

من زار أخاه في بيته، قال الله عز وجل له: أنت ضيفي وزائري، عليَّ قراك، وقد أوجبت لك الجنة بحبك إياه. (١)

وجاء في الحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله : من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة،

ومن ستر مسلما يستره الله يوم القيامة. (٢)

ومن أبرز حقوق الاخوة الايمانية الاصلاح بين المؤمنين، وقد اكدت الروايات ذلك، وقررت النصوص للمصلحين أجراً عظيماً. ففي وصيته عند وفاته لنجليه الحسن والحسين عليهما السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام : أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فاني سمعت جدكما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام. (٣)

وجاء في حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام، أنه قال : صدقة يحبها الله، إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا. (٤)

وقال عليه السلام : لان أصلح بين اثنين، أحب إليَّ من أن أتصدق بدينارين. (٥)

وبالرغم من إن الكذب ذنب عظيم، إلا ان الدين اعتبر الكذب في الاصلاح صدق عند الله. فقد جاء في الحديث المروي عن الامام الصادق عليه السلام: المصلح ليس بكاذب. (٦)

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٤ / ص ٣٤٥.
(٢) نور الثقلين / ج ٥ / ص ٨٨.
(٣) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢٤.
(٤) نور الثقلين / ج ٥ / ص ٨٨.
(٥) المصدر.
(٦) المصدر / ص ٨٩.

٨٨٨ **ثالثاً: الاصلاح والاحترام المتبادل**

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِن نِسَآءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (الحجرات/١٠-١١)

لكي يبني الاسلام لنا صرحاً إجتماعياً متيناً، يوصينا بأن نكن الاحترام الكافي لاخوتنا. فلا يحتقر قوم قوما آخرين، ولا نساء نساء أخريات، لأن المقياس الحق لمنازل الناس ودرجاتهم انما عند الله وليس عندنا. ولعل اولئك الذين نسخر منهم، هم خير منا عند الله وأفضل (ولكنا نجهل نقاط قوتهم، ونتعالى عليهم فلا نرى إلا نقاط ضعفهم) .وينهانا القرآن عن أن نعيب بعضنا لمزاً (بالقول او بالعقل) او أن نتبادل الألقاب السيئة (مما يزيل حجاب الحياء وينشر الحالة السلبية). فبئس الإسم إسم الفسوق بعد أن اجتبانا الله للايمان، واختار لنا به أحسن الأسماء . (بلى؛ إن صبغة المجتمع الاسلامي هي صبغة الله التي تشع حسناً، فلماذا نصبغ مجتمعنا بأسوء الصفات عبر التنابز بالالقاب البذيئة؟) وهكذا يوصينا ربنا سبحانه باجتناب الظنون (إلاّ الظن الذي يدعمه الدليل القاطع)، لأن بعض الظن إثم (ولعله الظن الذي يحوله صاحبه الى موقف عملي). وينهانا عن التجسس (الذي هوالتحقق من الظن السيء)، وعن الغيبة التي يعتبرها كأكل لحم الأخ ميتاً. أولسنا نكره ذلك؟ ويأمرنا في الخاتمة بالتقوى (حتى لا تصبح الغيبة بتكرارها أمراً مألوفاً وغير مستقبح)، ويؤملنا رحمته وتوبته (حتى لا نيأس من تطهير أنفسنا ومجتمعنا من هذه الرذائل). ومن هذه البصيرة، نستوحي الحقائق التالية:

١/ بداية فساد العلاقة بين الانسان ونظيره الانسان، تتمثل في تضاؤل قيمة الانسان كانسان في عينه. وآنئذ لا يحترم الناس بعضهم، ويبحث كل عن منقصة في صاحبه يسخره بها، ويدعي لنفسه مكرمة يفتخر بها. بينما لو أنصفنا أنفسنا

لعرفنا ان سر احترامنا لأنفسنا، هو اننا بشر نملك العقل والارادة، ونتحسس بالألم واللذة، ونتحلى بالحب والعواطف الخيرة.. أفلا توجد كل هذه في أبناء آدم جميعاً، فلماذا أطالب باحترام الناس لي، ثم لا احترم غيري، وما يوجد عندي يوجد عندهم؟

تعالوا ننظر لحظة ببصائرنا؛ حين أسخر من إنسان نظير لي في كافة صفاته، أفلا يعني ذلك أني أسخر من نفسي أيضاً ؟

بلى؛ الذين يكفرون بقيمة الارادة والعقل والحب والعواطف في أنفسهم، هم الذين يكفرون بها في غيرهم، ثم يسخرون منهم . إنهم ينسلخون من إنسانيتهم، ثم يسمحون لأنفسهم بانتهاك حرمات غيرهم.

من هنا يشرع السياق في اجتثاث جذور الشقاق الاجتماعي بالنهي عن السخرية بالآخرين، قائلاً: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْم}**

٢/ ثم ان القرآن الكريم يخاطب المؤمنين بالذات، لأن هذه الصفة لا تتناسب وإيمانهم بالله. أوليس الايمان بالله يعني حذف القيم الأرضية، وتطهير النفس من احترام المال والبنين والشهرة والأرض و.. و.. مما يسبب عادة في التفاخر وسخرية الناس ببعضهم؟ وحين ينهى ربنا عن السخرية، فلأنها الخطوة الاولى في طريق النهاية. كيف ؟

إن من أعظم مفاخر البشر ومزاياه صفة الحياء، حيث يتحسس الانسان بفطرته النقية. ان للآخرين حرمة لابد أن يؤديها اليهم، ومن ملك الحياء لايفكر في تجاوز حقوق الآخرين، فكيف يفكر في اغتصاب حقوقهم والاعتداء عليهم ؟

وهكذا يسعى الشيطان لازالة صفة الحياء، وحث الانسان الى الاستهانة بالآخرين، وتصغير قدرهم، والتصوير بأنهم أقل منه فيحق له إذاً تجاوز حقوقهم، بل والاعتداء عليهم. وهنا يقف القرآن له بالمرصاد، فيأمر بالتمسك بالحياء والابقاء على صفة احترام الآخرين حتى يقضي على التفكير في الجريمة.

أرأيت كيف يسمح المستكبرون لأنفسهم بارتكاب المذابح الجماعية بحق المستضعفين، ومنعهم من كافة حقوقهم؟ هل فكرت يوما كيف انسلخ اولئك البشر

عن إنسانيتهم واندفعوا في مثل هذه الجرائم ؟ إنهم في البدء سخروا منهم وقالوا نحن أبناء الله، نحن الشعب المختار، نحن ذوي البشرة البيضاء.. إختارنا الله لحكم هؤلاء الذين لم يؤتوا من الذكاء والعقل نصيباً مذكوراً، فيحق لنا التسلط عليهم وغصبهم حقوقهم، بل وقتلهم إن شئنا. وهكذا كونت الثقافة العنصرية أرضية الجريمة بحق الشعوب.

٣/ لعل التعبير القرآني هنا يعكس طبيعة الاستهزاء عند الرجال، حيث أنهم يفتخرون عادة بتجمعهم ويسخرون من سائر الناس. فترى أهل هذا الحي يقولون من مثلنا ؟ او أهل هذا النادي او ذلك الحزب او هذا المصر او ذلك الاقليم إنهم يفتخرون بما لديهم ويفرحون بما اوتوا من نصيب الدنيا، فيسخرون ممن لا يملك ذلك، حتى ولو ملك ما هو أفضل منه.

أما النساء فتجري مفاخرتهن في أمور شخصية كالجمال والزينة او النسب او السبب..

٤/ اساس الاستهزاء بالآخرين عجب كل قوم بما يملكون من ميزات، وفرحهم بها، ثم تعاليهم على من سواهم بذلك، ولعل ميزات الآخرين أعظم وأنفع للناس وأبقى عند الله. لذلك ذكرنا الرب سبحانه بالالتفات الى هذه الحقيقة، وقال: **{ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِن نِسَآءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ}**

وفي حديث مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله، نقرأ أن من علامات عقل المرء تركه التعالي على الناس. هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لم يعبد الله عز وجل بشيء أفضل من العقل، ولا يكون المؤمن عاقلاً حتى تجتمع فيه عشر خصال.. (الى ان قال صلى الله عليه وآله) والعاشرة لا يرى أحدا إلاّ قال هو خير مني وأتقى. إنما الناس رجلان؛ فرجل خير منه وأتقى، وآخر هو شر منه وأدنى. فاذا رأى من هوخير منه وأتقى، تواضع له ليلحق به. وإذا لقي الذي هو شر

منه وأدنى، قال: عسى خير هذا باطن، وشره ظاهر، وعسى أن يختم له بخير. فاذا فعل ذلك فقد علا مجده، وساد أهل زمانه. (١)

وجاء في رواية أخرى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله عز وجل كتم ثلاثة في ثلاثة؛ كتم رضاه في طاعته، وكتم سخطه في معصيته، وكتم وليه في خلقه. فلا يستخفن أحدكم شيئا من الطاعات، فانه لا يدري في أيها رضا الله. ولا يستقلن أحدكم شيئا من المعاصي، فانه لا يدري في أيها سخط الله. ولا يزرأن أحدكم بأحد من خلق الله، فانه لا يدري أيهم ولي الله". (٢)

وجاء في سبب نزول الآية الكريمة؛ ان ثابت بن قيس بن شماس كان في أذنه وقر، وكان إذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يقعد عند النبي صلى الله عليه وآله فيسمع ما يقول. فدخل المسجد يوما والناس قد فرغوا من الصلاة، وأخذوا مكانهم. فجعل يتخطى رقاب الناس، ويقول: تفسحوا، تفسحوا، حتى انتهى الى رجل، فقال له: أصبت مجلسا فاجلس. فجلس خلفه مغضبا. فلما انجلت الظلمة، قال: من هذا؟ قال الرجل: أنا فلان. فقال ثابت: ابن فلانة! وذكر أماً له -كان يعيّر بها في الجاهلية - فنكس الرجل رأسه حياءً. فنزلت الآية. (٣)

وعن ابن عباس في قوله: **{ ولا نساء من نساء}** نزل في نساء النبي صلى الله عليه وآله سخرن من أم سلمة. وعن أنس: وذلك أنها ربطت حقويها بسبيبة - وهي ثوب أبيض - وسدلت طرفها خلفها، فكانت تجره. فقالت عائشة لحفصة : أنظري ماذا تجر خلفها، كأنه كلب. وقيل أنها - عائشة - عيرتها بالقصر، وأشارت أنها قصيرة. وهذا ما روي عن الحسن بن علي عليهما السلام. (٤)

---

(١) بحار الأنوار / ج ١ / ص ١٠٨.
(٢) المصدر / ج ٧٥ / ص ١٤٧.
(٣) مجمع البيان / ج ٩ / ص ١٣٥.
(٤) مجمع البيان / ج ٩ / ص ١٣٥.

وفي تفسير علي بن إبراهيم؛ أن الآية نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب - وكانت زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وذلك أن عائشة وحفصة كانتا تؤذيانها، وتشتمانها، وتقولان لها: يا بنت اليهودية. فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: قولي أبي هارون نبي الله، وعمي موسى كليم الله، وزوجي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، فما تنكران مني ؟! فقالت لهما، فقالتا : هذا علمك رسول الله صلى الله عليه وآله. فأنزل الله الآية. (١)

٥/ ثم نهى الاسلام اللمز، وقال ربنا سبحانه: **{ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ}** اللمز هو العيب .

وقال الطبري : اللمز باليد واللسان والاشارة، والهمز لا يكون إلاّ باللسان . (٢)

وحين يعيب الواحد منا أخاه، ينشر النفس السلبي في المجتمع، ويسقط حرمته، مما يسبب في لمز نفسه أيضاً. ولعله لذلك قال ربنا هنا **{ أنفسكم}** كما قال سبحانه: **{ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ }** (النساء/٢٩)؛ أي لا يقتل بعضكم بعضا، او قال **{فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ}** (النور/٦١)؛ أي سلموا على بعضكم. ذلك لان الاخلال بالآداب الاجتماعية أسرع شيء تأثيراً على صاحبه، لأن الحالة الاجتماعية ستعمه سريعاً. ثم ان الذي تلمزه لا يترك العيب عليك، فتسقط هيبة الجميع، ويرفع حجاب الحياء وتتسع الكلمات البذيئة وينتشر الجو السلبي.

ثم ان اللمز - كما السخرية بالآخرين - خطوة في طريق إفساد العلاقات الاجتماعية،

وجرثومة الصراعات الخطيرة، لابد أن نقف دونها بحزم حتى لا تتطور.

٦/ ونهى القرآن عن التنابز بالالقاب، فقال تعالى: **{ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ}**؛ ومعنى ذلك أن يلقب بعضنا بعضاً بالألقاب البغيضة . وفي الروايات أنه يستحب

---

(١) تفسير القمي / ج ٢ / ص ٣٢٢.

(٢) القرطبي / ج ١٦ / ص ٣٢٧.

أن ينادي الأخ أخاه بأحب الاسماء اليه، حيث روي عن النبي صلى الله عليه وآله، قال:من حق المؤمن على المؤمن ان يسميه بأحب اسماءه اليه. (١)

وقد تكون حكمة ذلك اننا ربما اسأنا الى إخوتنا من غير قصد، كأن نلقبه - أمام الآخرين - باسم لايرضاه، بحسن نية او من غير جد، فيأخذه الآخرون مأخذ الجد ويعيرّوه به، حتى ينطبع عليه، ويسيء الى شخصيته . وتختلف الألقاب السيئة باختلاف المجتمعات، وعلينا اجتناب اللقب السيء في كل مجتمع حسب ذوقه ومقاييسه. وعموماً فإن كل لقب لا يرضى به صاحبه، يجب أن نمتنع عن تلقيبه به.

٧/ إن طهارة اللسان ونظافة الأجواء الاجتماعية، تطبع حياتنا بأحسن الصور . أرأيت لو قدمت مدينة قذرة لا يأبه أهلها بنظافة أبدانهم، أفلا تتمنى لوتخرج منها سريعاً ؟ كذلك المجتمع حين يعبق طيب الكلمات الحسنة في أرجائه يستريح الانسان إليه، أما إذا انتشر من فيه ريحة نتنة من الكلمات البذيئة فانك تهرب منها سريعاً.

وقد نزلت هذه الآية - حسب المفسرين - في الرجل كان يعيّر بأصله بعد إسلامه، فيقال له : يا يهودي، يا نصراني .. وقال البعض: إن الرجل كان له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى يكره، فنزلت الآية. (٢)

٨/ إن الحقوق الاجتماعية ليست بأقل حرمة من الحقوق المالية، ومن يعتدي على عرض إخوانه كمن يعتدي على نفسه او ماله. او لا نقرأ الحديث الشريف المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله : إن الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه وان يظن به السوء . (٣) ومن هنا جاء في ختام الآية **{ وَمَن لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }**.

---

(١) القرطبي / ج ١٦ / ص ٢٣٠.

(٢) المصدر / ص ٣٢٨.

(٣) تفسير نمونه نقلاً عن المحجة البيضاء / ج ٥ / ص ٢٦٨.

٩/ وهذه الآية تنهى أيضاً عن التعيير، الذي هو من التنابز بالألقاب حسب ما يدل على ذلك سبب نزولها. وقد وردت نصوص عديدة في النهي عن ذلك منذرة فاعل ذلك بالافتضاح. فقد روى الامام الصادق عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: من أذاع فاحشة كان كمبتديها، ومن عير مؤمنا بشيء لا يموت حتى يركبه. (١)

وروي عن الامام الباقر عليه السلام، قال: إن أقرب ما يكون العبد الى الكفر، أن يؤاخي الرجل على الدين فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعنفه بها يوماً ما. (٢)

وجاء في حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام، قال: إن الله تبارك وتعالى على عبده المؤمن أربعين جنة، فمن أذنب ذنباً كبيراً رفع عنه جنة، فاذا عاب أخاه المؤمن بشيء يعلمه منه إنكشفت تلك الجنن عنه، ويبقى مهتك الستر فيفتضح في السماء على ألسنة الملائكة وفي الأرض على ألسنة الناس، ولا يرتكب ذنباً إلاّ ذكروه، ويقول الملائكة الموكلون به: يا ربنا ؛ قد بقي عبدك مهتك الستر، وقد أمرتنا بحفظه. فيقول عز وجل: ملائكتي؛ لو أردت بهذا العبد خيرا ما فضحته، فارفعوا أجنحتكم عنه، فوعزتي لا يؤول بعدها الى خير أبداً. (٣)

من هنا جاءت النصوص تترى في التحذير من الغيبة، باعتبارها اكلاً للحم المغتاب بعد موته. روي ان ماعزاً جاء الى النبي صلى الله عليه وآله، فشهد على نفسه بالزنا فرجمه رسول الله صلى الله عليه وآله، فسمع نبي الله رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر الى هذا الذي ستر الله عليه، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب. فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله، فقال: أين فلان وفلان؟ فقالا: نحن ذا يا رسول الله. قال: إنزلا فكلا من جيفة

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢١٥.
(٢) المصدر.
(٣) المصدر / ص ٢١٦.

هذا الحمار. فقالا: يا نبي الله؛ ومن يأكل من هذا؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه، والذي نفسي بيده انه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها. (١)

وروي عنه صلى الله عليه وآله، أنه قال: لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم. (٢)

وعن الامام الصادق عليه السلام، أنه قيل له: بلغنا ان رسول الله كان يقول: ان الله يبغض البيت اللحم؟ قال: انما ذاك البيت الذي يؤكل فيه لحوم الناس... (٣)

وروي عن الامام الصادق عليه السلام، أنه قال: قال رجل لعلي بن الحسين (الامام زين العابدين عليه السلام) أن فلاناً ينسبك الى أنك ضال مبتدع. فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: ما رعيت حق مجالسة الرجل، حيث نقلت الينا حديثه، ولا أديت حقي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه. إن الموت يعمّنا، والبعث محشرنا، والقيامة موعدنا، والله يحكم بيننا. إياك والغيبة، فانها إدام كلاب النار. واعلم ان من أكثر من ذكر عيوب الناس، شهد عليه الاكثار أنه إنما يطلبها بقدر ما فيه.

سأل أحدهم الامام الصادق عليه السلام، قائلاً: يابن رسول الله؛ اخبرني عمن تقبل شهادته ومن لا تقبل؟ فقال: يا علقمة؛ كل من كان على فطرة الاسلام جازت شهادته. قال: فقلت له؛ تقبل شهادة مقترف للذنوب؟ فقال: يا علقمة؛ لو لم تقبل شهادة المقترفين للذنوب، لما قبلت إلاّ شهادات الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم، لأنهم هم المعصومون دون سائر الخلق. فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً أو لم يشهد عليه بذلك شاهدان، فهو من أهل العدالة والستر، وشهادته مقبولة، وإن كان

---

(١) القرطبي / ج ١٦ / ص ٣٣٥.
(٢) القرطبي / ج ١٦ / ص ٣٣٦.
(٣) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢٥٦.

في نفسه مذنباً. ومن اغتابه بما فيه، فهو خارج عن ولاية الله عز وجل، داخل في ولاية الشيطان. (١)

إن الاسلام يريد ان يقوم المجتمع على اساس الثقة. فمن زعزع هذا الأساس، واشاع جوّ اللاثقة بين اعضائه، فقد برئ من ولاية هذا المجتمع المسلم التي هي ولاية الله، وانتمى الى الاعداء.

ومن هنا يؤكد الاسلام ان المغتاب ينفصل عمن يغتابه، لأنه تنقطع العصمة بينهما. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: من مدح أخاه المؤمن في وجهه، واغتابه من ورائه، فقد انقطع ما بينهما من العصمة. (٢)

وفي حديث آخر، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: من رد عن عرض أخيه المسلم، كتب له الجنة البتة. (٣)

وروي عن الامام الباقر عليه السلام، أنه قال: من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه، نصره الله في الدنيا والآخرة. ومن اغتيب عنده أخوه المؤمن فلم ينصره ولم يدفع عنه، وهو يقدر على نصرته وعونه، خفضه الله في الدنيا والآخرة. (٤)

ولكي نحافظ على حصن ولاية الله المحيطة بنا، لابد ان نذكر أخانا المؤمن بأحسن ما فيه، حتى تزداد اللحمة الاجتماعية تماسكاً، والقلوب المؤمنة صفاءً وتحاباً.

جاء في الحديث المروي عن الامام الصادق عليه السلام، أنه قال: إذكروا أخاكم إذا غاب عنكم بأحسن ما تحبون أن تذكروا به إذا غبتم عنه. (٥)

---

(١) المصدر / ص ٢٤٨.
(٢) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢٤٩.
(٣) المصدر.
(٤) المصدر / ص ٢٥٥.
(٥) المصدر / ص ٢٥٣.

أما كيف تشيع الفاحشة في الأمة، مع أن المغتاب حين يذكر صاحب الذنب يذمه بذنبه ويجعله إمثولة وعبرة، لا مثلاً صالحاً وقدوة؟

الجواب؛ ان للذنوب هيبة في نفوس المؤمنين، والجو العام في المجتمع المسلم يرفضها، فلذلك يضطر الذي قدم عليها الى التكتم. فاذا انتهكت عصمته أمام الملأ لم يعد يخفيها، كما ان الآخرين إذا عرفوا وجود من يرتكب الذنب لا يجدون حرجاً من الاقتداء بهم، وهكذا تشيع الفاحشة في الأمة.

من هنا يعتبر المذنب الكاتم لذنبه أقل إجراماً ممن يتجاهر به، كما يعتبر الذي يذيع الفاحشة كمن يبتدأ بها. جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: من أذاع فاحشة كان كمبتديها، ومن عيّر مؤمناً بشيء لا يموت حتى يركبه. (١)

وسئل الامام الكاظم عليه السلام: جعلت فداك؛ من إخواني يبلغني الشيء الذي أكره له، فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد اخبرني عنه قوم ثقاة؟ فقال عليه السلام: يا محمد؛ كذب سمعك وبصرك عن أخيك، فان شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدقه وكذبهم، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه، وتهدم به مروته، فتكون من الذين قال الله عز وجل: **{ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة}**. (٢)

وقد وضع الاسلام الحرمة عن ثلاث طوائف؛ الأولى: أئمة الجور الذين لابد من توعية الناس بظلمهم وسوء إدارتهم، حتى يتمكن المسلمون من إزاحتهم أو لاأقل من تجنب خطرهم. الثانية: أصحاب الضلالة، كالأحزاب الكافرة والمنافقة والمبتدعين في الدين. الثالثة: الفسقة المتجاهرين.

---

(١) المصدر / ص ٢٥٥.

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢٥٥.

فقد روي عن الامام الباقر عليه السلام، أنه قال: ثلاثة ليست لهم حرمة؛ صاحب هوى مبتدع، والامام الجائر، والفاسق المعلن الفسق. (١)

ويبدو ان المظلوم أيضاً يجوز له أن يغتاب من ظلمه، لقوله سبحانه: **{ لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً }** (النساء/١٤٨).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروته، وظهرت عدالته، ووجبت اخوته، وحرمت غيبته. (٢)

هكذا اشترط لرسول الله صلى الله عليه وآله توافر هذه الصفات في المؤمن، حتى تحرم غيبته.

وفي نهاية المطاف نقرء معاً كلمة جامعة في الغيبة، منسوبة الى الامام الصادق عليه السلام، أنه قال: الغيبة حرام على كل مسلم، مأثوم صاحبها في كل حال. وصفة الغيبة أن تذكر احداً بما ليس هو عند الله عيب، وتذم ما يحمده أهل العلم فيه. وأما الخوض في ذكر غائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم، فليس بغيبة وان كره صاحبه إذا سمع به، وكنت أنت معافىً عنه خالياً منه. تكون في ذلك مبيّناً للحق من الباطل ببيان الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ولكن على شرط ان لايكون للقائل بذلك مراداً غير بيان الحق والباطل في دين الله. وأما إذا أراد به نقص المذكور به بغير ذلك المعنى، مأخوذ بفساد مراده وإن كان صواباً، فان اغتبت فابلغ المغتاب، فلم يبق إلاّ ان تستحل منه. وإن لم يبلغه ولم يلحقه علم ذلك، فاستغفر الله له.

والغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. أوحى الله تعالى عز وجل الى موسى بن عمران عليه السلام: المغتاب إن تاب فهو آخر من يدخل الجنة، وإن لم

---

(١) المصدر / ص ٢٥٣.

(٢) المصدر / ص ٢٥٢.

يتب فهو أول من يدخل النار. قال الله عز وجل: **{ أيحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه}.** ووجود الغيبة يقع بذكر عيب في الخلق والخلق، والعقل والمعاملة والمذهب والجيل وأشباهه. وأصل الغيبة تتنوع بعشرة أنواع؛ شفاء غيظ، ومساعدة قوم، وتهمة، وتصديق خبر بلا كشفه، وسوء ظن، وحسد، وسخرية، وتعجب، وتبرم، وتزين، فان أردت السلامة فاذكر الخالق لا المخلوق، فيصير لك مكان الغيبة عبرة، ومكان الإثم ثواباً. (١)

{ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ }

ولعل هذه الخاتمة التي تفيض مغفرة ورحمة، تدل الى ان الغيبة بلاء يعم الكثير من الناس، ولابد ألاّ تصبح مقبولة ويذهب قبحها، بل نتقي الله فيها. ومن جهة أخرى لا يجوز أن يستبد اليأس بنا إذا وقعنا فيها، بل نتوب الى الله، ان الله تواب رحيم.

{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ } (الحجرات/١٢)

ماذا يفسد العلاقة بين المؤمنين؟ انها نوعان؛ الاول: ما يفسد العلاقة بصورة مواجهة، وفي حضور الطرف الآخر. الثاني: ما يفسدها خفية وفي المغيب.

وهذه الآية تعالج هذا النوع، والذي يبدء بسوء الظن الذي تثيره وساوس الشيطان، ويتنامى عادة بين المؤمنين في غيبة بعضهم عن البعض. ثم تتحدث عن التجسس، ثم عن الغيبة. فهذه حقائق الآية:

أ- الظن هو التصور الذي ينقصه الدليل، وإن كثيراً من هذا الظن باطل وبعضه يصبح اثماً. كيف ذلك؟

إن قلب الانسان يتعرض لأمواج مختلفة من الهواجس والتصورات، وإن بعضها فقط هي الحق وهي التي تنبعث من مصادر المعارف الخارجية، بينما البقية هي

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ٢٥٧.

قياسات باطلة وتمنيات ووساوس وإفرازات الهوى ونتائج الاحباطات و.. و.. وإذا راجعت نفسك يوماً وحاولت إحصاء وتقييم كل تصوراتك تقييماً سليماً، فيومئذ تصل الى هذه النتيجة، ان اكثرها لا تعتمد على أدلة مقنعة. ولكن أنى للانسان ان يقيّم كل ما يتعرض له ذهنه كل يوم، من أمواج التصورات المتلاحقة. فماذا علينا أن نفعل؟

علينا ألاّ نأبه بأي تصور يحيكه ذهننا، بل نعتمد فقط على المصادر الموثوقة للمعرفة. لذلك فان علينا ان نجتنب كثيراً من الظن، اما القليل الذي نسعى وراءه فهو الذي تفرزه الحواس، ويصدقه العقل، ويصمد أمام النقد الدقيق. أما الظن الآثم، فهو الذي تفرزه حالات الحقد والغضب والصراع.. ولكن المشلكة ان هذه المجموعة الصغيرة متناثرة بين سائر الظن الكثير، مما يجعلنا لا نطمأن اليه جميعاً. كما لو كان بعض الناس في بلد حاملاً لفيروس الايدز، ولكننا لا نعرفهم بأعيانهم، فعلينا ان نجتنب كل أهل هذا البلد حتى يتميّزوا عن بعضهم.

من هنا نجد الامام علي عليه السلام يكرر في وصاياه هذه الكلمة، بعد أن سئل عن المسافة بين الحق والباطل، فقال: أربع أصابع. ووضع أمير المؤمنين يده على أذنه وعينه، فقال: ما رأته عيناك فهو الحق، وما سمعته أذناك فأكثره باطل. (١)

ولأن كثيراً من الظنون تطال المؤمنين بسبب أعمالهم التي قد يكون لهم عذر وجيه في القيام بها، فقد أمرنا الدين بأن نحمل أفعال إخواننا على أفضل محمل. قال أمير المؤمنين

عليه السلام: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك (أي تعلم يقيناً غير ذلك)، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوء وأنت تجد لها في الخير محملاً. (٢)

وعن النبي صلى الله عليه وآله، قال: أطلب لأخيك عذراً، فان لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً. (١)

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ١٩٦.

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ١٩٦.

وبعض المؤمنين يزعمون ان من علامة إيمانهم سوء الظن بالناس وملاحقتهم بتهمة الفسق، وكأن الايمان حكر عليهم. كلاّ؛ إن ذلك علامة ضيق نظرهم، وشدة عجبهم المفسد لقلوبهم. اما علامة الايمان الحق، فهي سعة الصدر، وسماحة القلب، وصفاء النفس تجاه الآخرين.

بلى؛ يصدق هذا فقط عند صلاح الزمان أو بين التجمع الصالح الذي تتسم علاقاتهم بالأخوة الايمانية. أما إذا فسد الزمان او أردنا الحكم على تجمع فاسد او مجتمع منحل فلا يجوز حسن الظن، لانه نوع من الغباء والمؤمن كيّس فطن.

هكذا قال الامام الصادق عليه السلام: إذا كان زمانٌ، العدل فيه أغلب من الجور، فحرام أن تظن بأحد سوء حتى يعلم ذلك منه. وإذا كان زمانٌ، الجور فيه أغلب من العدل، فليس لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يبدو ذلك منه. (٢)

وكلمة أخيرة؛ ان تجنب الظن السيء منهج علمي رصين، لأن وساوس الشيطان وهواجس الأفكار، تتداخل عادة مع بصائر العقل ومكاسب التجربة، فلابد من فرزها بتجنب سوء الظن وعدم الاعتناء به. أما إذا استرسلنا مع كل هاجسة في النفس فاننا نفقد المقياس السليم للتفكير، كما انها قد تقودنا الى الفتن العمياء. فقد جاء في الدعاء: فان الشكوك والظنون لواقح الفتن، ومكدرة لصفو المنائح والمنن. (٣)

ب- لقد أوجب الاسلام ترك الاسترسال وراء الظنون، ونهى عن التجسس على الناس وتتبع

عيوبهم. والتجسس هو البحث عن عورات الناس بمتابعتهم وكشف أستارهم. وروي عن أبي بردة، أن النبي صلى الله عليه وآله صلى بنا ثم انصرف مسرعاً حتى وضع يده على باب المسجد، ثم نادى بأعلى صوته: يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص

---

(١) المصدر / ص ١٩٧.

(٢) المصدر .

(٣) من مناجاة الامام السجاد عليه السلام/ مناجاة المطيعين له/ مفاتيح الجنان / ص ١٢٢.

الايمان الى قلبه؛ لا تتبعوا عورات المؤمنين، فإنّه من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه، ولو في جوف بيته. (١)

وروي عن الامام الصادق عليه السلام، أنه قال: إذا رأيتم العبد متفقداً لذنوب الناس ناسياً لذنوبه، فاعلموا أنه قد مكر به. (٢)

وهكذا يريد الدين لنا حياة آمنة، لا تطالها أعين الفضول، ولا تهتك حرمتها متابعات الطفيليين.. يتحسس كل فرد فيها ببرد الأمنة وسكينة الثقة.

وكما تحرم الآية التجسس الفردي، تحرم تجسس الدولة على رعاياها، إلاّ إذا اقتضت مصلحة الأمة، فلابد أن يخضع ذلك للقضاء القائم على أساس احكام الشريعة.

وقد فهم المسلمون السابقون هذه الشمولية من الآية الكريمة، حسب ما نجده في القصة التاريخية التي حدثت في عهد الخليفة الثاني الذي خرج وعبد الرحمن يعسان، إذ تبينت لهما دار فاستأذنا ففتح الباب، فاذا رجل وامرأة تغني وعلى يد الرجل قدح. فقال عمر: وأنت بهذا يا فلان؟! فقال: وأنت بهذا يا أمير المؤمنين؟! فقال عمر: فمن هذه منك؟ قال: إمرأتي. قال: فما هذا القدح؟ قال: ماء زلال. فقال للمرأة وما الذي تغنّين؟ فقالت:

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرّقني إلاّ خليل ألاعبه

فوالله لولا الله أني أراقبه لزعزع من هذا السرير جوانبه

ولكن عقلي والحياء يكفني وأكرم بعلي أن تنال مراكبه

ثم قال الرجل: ما بهذا أمرنا يا أمير المؤمنين. قال الله تعالى: **{ ولا تجسسوا }.** قال صدقت. (٣)

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢١٥.

(٢) المصدر.

(٣) القرطبي / ج ١٦ / ص ٣٣٤.

٨٨صلـة الـرحـم

انما المؤمنون الذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل من رحم (الآباء والابناء وسائر ابناء الاسرة والعشيرة)، وكذلك صلة المؤمنين بعضهم ببعض .

١/ كل مواقف المؤمن وافعاله تبعث من قيمة الايمان. (فهو يرتبط او لايرتبط باحد، حسب ما أمر الله). ومن هنا فإنه يصل رحمه، ويصل ما أمر الله ان يوصل (من ذي القربى، من اهل بيت الرسالة، ومن اولياء الله والمؤمنين). قال الله سبحانه (في صفات المؤمنين): **{ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ }** (الرعد/٢١)

وبما ان هدف المؤمنين تكوين تجمع حضاري للبشرية، فان وسيلتهم الى ذلك شد اعضاء المجتمع ببعضهم، والذي يتم باطارين متداخلين، احدهما يهيمن على الثاني؛ الاطار الرباني الذي ترعاه القيم الرسالية المثلى، التي تتفرع من قيمة الولاية الالهية، والتي تتشعب الى ولاية النبي والائمة ثم ولاية المؤمنين لبعضهم. اما الاطار الثاني فهو الاطار الانساني الذي تشكل الاسرة حلقته الاولى، ثم تتوسع وتترامى حتى تصل الى الكيان الحضاري للبشرية، مروراً بالعشيرة والبلد والقومية والوطنية. والاطار الرباني يشرف على الاطار الانساني. ويبدو ان الآية هذه تشمل الاطارين، فيما الآيات الأخرى تفصل القول في كل واحد منهما تفصيلاً.

٢/ ومن ذلك صلة الرحم، حيث جعل الله الارحام بعضهم اولى ببعض (في التواصل والميراث وحرمة العائلة وما اشبه). قال الله سبحانه : **{ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا**

مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (الانفال/٧٥)

ونستفيد من الآية؛ ان الصلة الأولى التي يأمر بها الدين، هي صلة الايمان والهجرة، ثم تأتي صلة الأرحام في المرتبة التالية، ولكنها صلة مشروعة ومأمور بها ايضاً. وهذه الآية تفصيل للآية الأولى حسبما يبدو.

٣/ وقد يقضي ربنا سبحانه بوفاة ولد عاق، لكي يرزقه برحمته الواسعة ولدا برا بوالده. وكان ذلك حكمة قتل العالم لذلك الغلام، مما أثار اعتراض النبي موسى عليه السلام، حيث قال ربنا عن لسانه : { **وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً * فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً** } (الكهف/٨٠ ـ٨١)

وهكذا كان الاقرب رحماً قيمةً وهدفاً، مما صار حكمة قتل الغلام على يد ذلك العبد الصالح .

٤/ وأمر الله بالاحسان بالوالدين، وبذي القربى، ونهى عن الاضرار بالاولاد، (وقد درسنا ذلك في مناسبات اخرى). وجعل ولاية اولي الارحام بعد ولاية النبي صلى الله عليه وآله، فقال الله سبحانه : { **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ**} (الاحزاب/٦)

٥/ ولأن صلة الولاية الالهية مهيمنة في قيم الوحي على صلة الرحم، فمن قطع صلة الولاية لا تنفعه صلة الارحام يوم القيامة. قال الله سبحانه: { **لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** } (الممتحنة/٣)

٦/ وبقدر ما اكد الدين على صلة الرحم، شدد على حرمة قطعها، وجعل ذلك من علامات النفاق. قال الله سبحانه: **{ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ }** (محمد/٢٢)

ونستفيد من الآية؛ ان من ابرز مصاديق الافساد في الأرض، قطع الارحام. أليس قطع الرحم يشتت المجتمع ويزلزل بنيان المدنية؟

٧/ وقد لعن الله الذين يقطعون ما أمر الله به ان يوصل (من ولاية الرسول وولاية الارحام) ويفسدون في الأرض وينقضون الميثاق. قال الله سبحانه: **{ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ }** (الرعد/٢٥)

٨/ وقد جعل الله سبحانه الارحام مما يساءل به الانسان، ويجب ان يتقي الله فيها. قال الله تعالى: **{ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبَا }** (النساء/١)

٩/ ومن ابعاد صلة الرحم الاحسان اليهم، حيث قال الله سبحانه: **{ وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرآئِيلَ لاَتَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ }** (البقرة/٨٣)

١٠/ ومن الاحسان الى الرحم، ايتاءهم حقهم (من المال). قال الله سبحانه: **{ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَومِ الاَخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ الْسَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِين صَدَقُوْا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}** (البقرة/١٧٧)

١١/ وقال الله سبحانه: **{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }** (النحل/٩٠)

٨٨بصائـر الآيـات

١/ ينبعث المؤمن في مواقفه من مثل الدين، فيصل ما أمر الله به ان يوصل، والرحم مما أمر الله به ان يوصل.

٢/ والتجمع الحضاري للأمة يعتمد على صلة الايمان وولايته، ولكنه لايغفل دور العلاقات الفطرية مثل الأسرة والرحم والبلد. ولكن الأولى تهيمن على الثانية، فإذا كانت الارحام كافرة قطعت.

٣/ وقد أمر الله بصلة الأرحام؛ ومن أبعادها الاحسان اليهم وايتاءهم حقهم، ولكن ذلك خاصة بالمهاجرين منهم اما غيرهم، فلا يمنعون ايضاً عن ان يقدم المؤمن اليهم معروفاً.

٤/ حكم الشرع مقدم على صلة الرحم، (فلا يجوز الدفاع عنه امام حكم الله). والانتماء الأول للمؤمن الى الولاية الالهية دون ان يعني ذلك قطع الرحم بتاتاً.

٥/ وعلى الانسان ان يتجنب التأثر بالرحم إذا كان كافراً او فاسد العقيدة او فاسقاً.

٦/ وصلة الرحم تعمر البلاد وتنمي الأموال وتطول الأعمار وهي ركيزة المدنية الاسلامية.

٧/ والأسرة ثم العشيرة ركيزة اجتماعية يتحصن بها الفرد امام امواج البلاء، ويستعين بها بعد الله على تسخير الطبيعة؛ مثلاً يشكل ابناء الاسرة الواحدة شركات اقتصادية مغلقة لخيرهم جميعا، ويؤسسون صناديق قرض الحسنة أو صناديق خيرية لمصلحتهم ومصلحة الناس.

٨/ وفي إطار العشيرة كما الأسرة ينشط المؤمنون في الانذار والتعليم والأمر والنهي والتشاور ونقل التجارب بالذات من الكبار لمن هو اصغر منهم.

٨٨فقـه الآيـات

٨٨٨ أولاً: رحم الولاية ورحم القرابة

(الرعد/٢١)؛ لعل القسم الأكبر من تعاليم الوحي، يهدف تنظيم علاقة الناس ببعضهم. والاطر الحضارية او الفطرية لهذه العلاقة استأثرت بالكثير من الشرائع الالهية، مما يدل على ان هذه العلاقة بذاتها قيمة سامية في الشريعة. وتنظيم هذه العلاقة على أسس متينة، يدخل ضمن مصاديق هذه القيمة. والآية الكريمة في سورة الرعد تنعت المؤمنين بصفة مطلقة بصلة ما أمر الله به ان يوصل، سواءً كانت صلة الهية (مثل ولاية رسول الله وأهل بيته) او صلة انسانية امر بها الشرع ايضاً مثل صلة الارحام.. وحتى صلة المؤمنين بعضهم ببعض، وصلة الجيران وأهل بلد واحد او قوم واحد.

وقد وردت احاديث في هذا التفسير الشمولي للآية، مثل الرواية المأثورة عن عمر بن يزيد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: **{ الذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل}؟** قال: نزلت في رحم آل محمد عليه وآله السلام، وقد تكون في قرابتك. ثم قال: فلا تكوننَّ ممن يقول للشيء، أنه في شيء واحد. (١)

ونستفيد من خاتمة الحديث؛ النهي عن تحديد آيات القرآن في مفردات خاصة، بل علينا ان نستفيد من اطلاق الفاظها دون النظر الى خصوص موارد نزولها التي قد تكون أجلى وأظهر المصاديق لها، ولكن لا تختص الآيات بها.

والحديث التالي يؤكد ايضاً شمول الرحم لصلة الولاية وصلة الأقارب، حيث روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: ان الرحم معلّقة بالعرش تقول: اللهم

---

(١) اصول الكافي / ج٢ / ص ١٥٦ / ح ٢٨.

صل من وصلني واقطع من قطعني، وهي رحم آل محمد، وهو قول الله عز وجل: **{ الذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل}** ورحم كلّ ذي رحم. (١)

٨٨٨ ثانياً: سيادة صلة الولاية

(الانفال/٧٥) (الاحزاب/٦)؛ لما أراد النبي صلى الله عليه وآله غزوة تبوك، أمر الناس بالخروج. فقال قوم نستأذن آباءنا وامهاتنا، فنزلت هذه الآية (من سورة الأحزاب). (٢)

هكذا ورد النص التاريخي. ونستوحي من هاتين الآيتين، البصائر التالية:

١/ ان الولاية الالهية، هي الصلة الاساسية التي يتمسك بها المؤمنون. فهي قيادتهم وهي أولى بهم من انفسهم، ولا يحق لهم ان يتخذوا من دونها وليجة.

٢/ وتأتي صلة الرحم بين المؤمنين المهاجرين، فبعضهم أولى ببعض. فهم يتوارثون وبعضهم يعقل بعضاً في الدية، كما يجب عليهم ان يتواصلوا في أمور معاشهم.

٣/ اما الصلة بين المؤمنين وأرحامهم غير المؤمنين وغير المهاجرين، فليست مقطوعة نهائياً، بل يجوز ان يفعل المؤمن معروفاً اليهم إذا شاء.

ونستفيد من مجمل هذه البصائر، الاحكام التالية:

١- ان حكم الشريعة مقدم على صلة الرحم. فلو ارتكب قريب منك ذنباً استحق عليه العقوبة، فلا شفاعة لك فيه ولا كرامة، ولا يجوز ان تدافع عنه أمام الشرع.

٢- الانتماء الأول للمسلم انما هو الى المجتمع المؤمن، وليس الى اسرته او عشيرته. فدار الايمان التي هي وطن المسلمين، هي انتماءهم الأول. فلو كانت عشيرة على جانبي الحدود بين دولة الاسلام ودولة الكفر، فلا صلة بينهم إلاّ بقدر محدود، إلاّ إذا هاجر البقية من العشيرة الى دار الاسلام ودولته.

---

(١) المصدر / ص ١٥١ / ح ٧.

(٢) نور الثقلين/ ج٥ / ص ٢٣٧ / ح ١٣.

٣- وهكذا لا يجوز ان تتحول العلاقات العشائرية الى ثغرات أمنية في الوطن الاسلامي؛ وحتى لو قامت حرب بين دولة الاسلام ودولة الكفر، فان المؤمنين يحاربون اباءهم وابناءهم وعشائرهم دفاعاً عن دينهم ودولتهم.

٤- ولكن ذلك لا يعني منع المعروف عن الارحام غير المهاجرة الى دار الاسلام. فلو خرب الزلزال منطقة تسكنها ارحامك غير المهاجرين الى دار الاسلام، فلا بأس بأن تبعث اليهم مساعداتك الانسانية.

٥- وهكذا لو اختلف مذهبك عن مذاهبهم، فعليك ان تصلهم لأنهم أرحامك. وفي هذا الحقل ورد في الحديث الشريف المأثور عن الجهم بن حميد، قال: قلت لأبي عبد الله (الامام الصادق عليه السلام) تكون لي القرابة على غير أمري، ألهم عليَّ حق؟ قال: نعم؛ حق الرحم لا يقطعه شيء. وإذا كانوا على أمرك كان لهم حقان؛ حق الرحم وحق
الاسلام. (١)

٦- وبالرغم من ان المخالف لك في مذهبك الديني او في توجهك الاجتماعي او السياسي قد يقعطعك ويشتمك ويسيء اليك، فعليك ألاّ تقطعه، بل تحسن اليه ما استطعت. هكذا ادّبنا الدين الحنيف. فقد جاء في الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام، قال: ان رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله؛ ان أهل بيتي أبوا إلاّ توثباً عليَّ وقطيعة لي وشتيمة، فأرفضهم؟

قال: إذاً يرفضكم الله جميعاً.

قال: فكيف اصنع؟

قال: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك. فإنك إذا فعلت ذلك، كان لك من الله عليهم ظهر. (٢)

---

(١) اصول الكافي / ج ٢ / ص ١٥٧ / ح ٣٠.

(٢) المصدر / ص ١٥٠ / ح ٢.

وكان عبد الله بن الحسن، حفيد الامام الحسن عليه السلام من أبيه الحسن المثنى، وحفيد الامام الحسين عليه السلام من أمه فاطمة، كان يحاول ان يجمع كلمة بني هاشم على بيعة ابنه محمد الذي سمي بـ (ذي النفس الزكية) والذي نهض في عهد المنصور العباسي وقتل. وكان الامام الصادق عليه السلام لا يرى رأيه، ولكن عبد الله كان يصرّ على الامام، وربما قال كلاماً خشناً. غير ان الامام الصادق عليه السلام لم يقطع رحمه لذلك. ولعل الحادثة التالية صورة لهذه الحالة.

روي عن صفوان الجمّال، قال: وقع بين أبي عبد الله عليه السلام وبين عبد الله بن الحسن كلام، حتى وقعت الضوضاء بينهم واجتمع الناس فافترقا عشيتهما بذلك. وغدوت في حاجة، فإذا أنا بأبي عبد الله عليه السلام على باب عبد الله بن الحسن، وهو يقول: يا جارية قولي لأبي محمد [يخرج]. قال: فخرج. فقال: يا أبا عبد الله؛ ما بكّر بك؟ فقال: إني تلوت آية من كتاب الله عز وجل البارحة فأقلقتني. قال: وما هي؟ قال: قول الله عزّ ذكره: **{ الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب}**. فقال: صدقت لكأني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله جلّ وعزّ قطّ، فاعتنقا وبكيا. (١)

معلوم ان الامام الصادق عليه السلام لم يكن ليسترسل مع ابن عمه عبد الله في حركة فاشلة، لمجرد اصراره او كلامه الخشن، ولكن في ذات الوقت لم يكن يقطع رحمه لذلك.

وهكذا ينبغي لقادة المؤمنين ان يتلطفوا في تطبيق قراراتهم الصعبة، من دون ان يقاطعوا المخالفين لهم او يقطعوا صلتهم بهم، خصوصاً إذا كانوا ارحاماً او غير واعين.

٨٨٨ **ثالثاً: خيراً زكاةً واقرب رحماً**

---

(١) اصول الكافي / ج ٢ / ص ١٥٥ / ح ٢٣.

(الكهف/٨٠-٨١)؛ لقد كان العالم الذي رافقه موسى بن عمران عليه السلام ليتعلم منه، يسعى من اجل ان يبدل الله الغلام الذي قتله بمولود أفضل زكاة؛ أي نموه يكون نمواً زاكياً، بدل ذلك النمو الطاغي. (فهناك نمو زاك ونمو طاغ. النمو الزاكي، هو نمو طاهر خال من السلبيات. أما النمو الفاسد، فهو نمو خبيث مليء بالسلبيات).

ومن هذه الآية نستفيد الفرق بين صلة الرحم وبين الكفر بسبب الرحم. فالعلاقة التي تربط بين الأب وإبنه إذا كانت علاقة بعيدة عن الايمان بالله سبحانه وتعالى وشكره، فان هذه العلاقة هي علاقة الكفر وتناقض الشكر لله سبحانه. بينما إذا كانت العلاقة هي علاقة الشفقة التي هي امتداد لعلاقة الانسان بالله، كأن أقول: اني احب إبني واساعده، لأنه نعمة من الله سبحانه. فهنا تكون العلاقة امتدادية، وآنئذ تصبح هذه العلاقة علاقة الرحم، والتي يعبر عنها القرآن فيقول: **{ واقرب رحماً}**. والكلمتان الأخيرتان جاء بهما القرآن لتتقابل مع الكلمتين الأوليتين؛ فالزكاة والرحم في مقابل الطغيان والكفر. وهذه البصيرة تهدينا الى الحقائق التالية:

١/ الاحكام الشرعية عموماً ليست محصورة بمصلحة الأفراد، وانما هي متجهة الى المصلحة العامة. والمصلحة العامة هي مصلحة الأفراد مجتمعين، بينما المصلحة الخاصة هي مصلحة الأفراد منفصلين. ومن الطبيعي ان تتفوق مصلحة الافراد مجتمعين على مصلحة الافراد منفصلين، وبصورة خاصة عند التعارض؛ فمثلاً مصلحة مليون انسان أهم من مصلحة خمسة أفراد.

ان الثقافة الرأسمالية التي تؤكد على المصلحة الفردية هذا التأكيد المبالغ فيه، انما هي ثقافة استغلالية يبرر بها المنحرفون استثمارهم للآخرين، وسيطرتهم اللامشروعة عليهم، وأنهم ينادون بالملكية وبالمصلحة الفردية. فأي مصلحة للفرد في مقابل مصلحة المجموع؟ وأي حرمة وحرية لفرد واحد في مقابل حرمة وحرية الناس ككل؟ وماذا تعني هذه الكلمة؟ وهل هي مصلحة أم مضرة؟

والخير والشر لا يقاسان بالفرد، بل يقاسان بالمجموع. الخير هو ما ينفع الناس، والشر هو ما يضر الناس. فاذا نفعني شيء وضر الآخرين، فهو شر. ومفهوم الكلمة منذ البداية مفهوم شامل جماعي. ولا ريب ان كل شر في العالم ينفع شخصاً ما، فهل يتبدل مفهوم الشر لانه ينفع شخصاً واحداً او مجموعة صغيرة من ابناء المجتمع الانساني؟!

وربما تكون الآيات الكريمة دالة على هذه الحقيقة، وهي ان المصلحة حقاً والمنفعة صدقاً انما هما بالقياس الى المجموع، وأن الأحكام الدينية لاتعطي الشرعية المطلقة للملكية الفردية والحرية الفردية. فانهما لا تمنعان الدين من تشريع احكام تهدف تحقيق مصالح المجموع. علماً بأني لا أنفي اهتمام الاسلام بالملكية وبالحرية، ولكنهما محدودتان بمصالح الآخرين. وعندما يبدأ الضرر بالآخرين، فان حرمة الملكية تنتهي كما حرمة الحرية.

٢/ ان نظرة الاسلام للحياة الدنيا وزينتها، هي ان كثيراً من أشياء الحياة الدنيا تبدو أمام الانسان مفيدة، ولكنها عند الله غير مفيدة، لما يعلم من مستقبلها. فان يشرب الانسان الخمر، ويجلس على مائدة القمار، ويأكل من أموال اليتامى.. قد تبدوا مفيدة ولذيذة له حالياً، ولكنها تحمل في طياتها عواقب سيئة جداً، والعكس كذلك صحيح. فأيهما أفضل الانسان السالم أم الانسان المريض؟

في بعض الاوقات تكون نظرتنا الى الحياة غير حكيمة، فلا نرى المستقبل فنحب ما يضرنا، ونكره ما ينفعنا.

كلا؛ يجب ان نرضى برضى الله ونسلم لقضائه. فاذا أعطانا ربنا شيئاً ليس بذلك الكمال

المطلوب، فمن الخطأ ان نصر على الحصول عليه. فباصرارنا قد يأتينا الله به، ولكن يكون في ذلك ضرر لنا.

فمن جملة سنن الله في هلاك الاقوام، فتح ابواب الرحمة عليهم. فاذا فتح أبواب الرحمة كلها على أمة، فان ذلك تدبير لهلاكها. وكذلك بالنسبة للانسان؛ فاذا رأيت

النعم تنهال عليك من كل مكان، فالزم الحذر وكن يقظاً، لان هذه النعم قد تكون استدراجاً، وان الله يريد ان يجرب إرادتك وقدرتك على المقاومة، ويريد أن يعطيك رزقك مرة واحدة حتى لايكون لك نصيب في الآخرة.

على الانسان ان يكون معتدلاً وحكيماً في تصرفاته مع زينة الحياة الدنيا، ولا يبالغ فيها، ولا يطالب ربه ان يعطيه كلها مرة واحدة. فرب نعمة منعت نعم الله عليه في المستقبل.

٣/ من جهة اخرى فان علاقة الانسان بنعم الحياة يجب ان تكون علاقة الشكر وليست علاقة الكفر، وعلاقة الزكاة لا الطغيان.

ان علاقة الشكر، هي علاقة المحافظة على العوامل والاسباب التي أدت الى النعمة، والذي لايحافظ على الاسباب والعوامل التي أدت الى حصوله على النعمة، تتركه النعمة وربما بلا رجعة. اما علاقة الكفر فهي الاهمال لتلك العوامل. كذلك علاقة الزكاة، فقد جاءت في القرآن بمعنى الانفاق، وفي اللغة تأتي بمعنى التطهير والنمو، وذلك لأن كل انفاق وكل عطاء انما هو بمعنى النمو. فالانسان لا تنمو عضلاته إلاّ عندما يستخدمها في العمل، ولا ينمو عقله إلاّ عندما يستخدمه في التفكير، ولا تنمو قدرات لسانه إلاّ عندما يستخدمه في النطق والكلام.. وهكذا فان كل شيء في الحياة يزكو وينمو عن طريق العطاء والانفاق، والعكس صحيح. فاذا ادخر الانسان جهوده، فقد تكون هذه الجهود سبباً للطغيان، والطغيان يكون سبباً للهلاك والإنتهاء.

وهكذا ورد في النصوص الشرعية أن صلة الرحم تعمّر البلاد، حيث روي عن الامام الصادق عليه السلام قوله: صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار. (١)

---

(١) اصول الكافي / ج ٢ / ص ١٥٢ / ح ١٤.

وفي حديث شريف يحذر أمير المؤمنين عليه السلام من اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم، إذ يقول: وإنَّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من اهلها وتنقل الرَّحم، وإنَّ نقل الرَّحم انقطاع النسل. (١)

والبلقع القفر، ولعل العلاقة بين خراب الديار ودمار الحضارة وبين اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم، هي العلاقة بين السبب والنتيجة، حيث ان اصل الحضارة التعاون، والتعاون قائم على الثقة واداء الحقوق. واليمين الكاذبة تهدم الثقة، وقطيعة الرحم تهدم الحقوق.

وجاء في حديث آخر عن سليمان بن هلال، قال: قلت لأبي عبد الله (الامام الصادق عليه السلام) ان آل فلان يبرّ بعضهم بعضاً ويتواصلون. فقال: إذاً تنمي أموالهم وينمون، فلا يزالون في ذلك حتى يتقاطعوا، فاذا فعلوا ذلك انقشع عنهم. (٢)

وجاء في حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: إنّ القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة، فيصلون ارحامهم فتنمي اموالهم، وتطول اعمارهم، فكيف إذا كانوا أبراراً بررة؟ (٣)

٨٨٨ رابعاً: ركيزة المدنية

(محمد/٢٢)، (الرعد/٢٥)، (البقرة/٨٣) ؛ ماالذي يشد الناس بعضهم ببعض لكي يشيّدوا صرح الحضارة، ويتعاونوا على نشر سحائب البر، وتكريس نظام التقوى؟ انما هي الصلة التي تتشعب الى صلة الولاية وصلة القرابة. وجذر الولاية الميثاق، لأن الانسان يختار قيادته بكامل وعيه، وملء إرادته. أما القرابة فهي تقدير الله للانسان، وعليه ان يسلم لقضاء الله، ويستفيد من هذا التقدير الحكيم.

---

(١) اصول الكافي / ج ٢ / ص ٣٤٧ / ح ٤.
(٢) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ١٢٥ / ح ٨٧.
(٣) المصدر / ح ٨٨ .

وهكذا يتشعب انتماء البشر الى انتماء ارادي، وآخر تقديري. فانت تختار دينك ومذهبك وخطك السياسي، ولكن الله يختار لك اين تولد ومن يكون ابوك وامك وعمك وخالك وعشيرتك..

والحضارة القوية هي التي تقوم على دعامتي الارادة والتقدير، فاذا بابنائها يفون بعهد الله. فإذا اختاروا ديناً لا يتراجعون عن انتخابهم تحت ضغط الظروف، كما يحترمون تقدير ربهم فيحسنون الى ارحامهم ويتعاونون معهم. أما اولئك الذين ينقضون الميثاق ويقطعون الارحام، فان مصيرهم الفساد الذي قد يكون ظلماً وارهاباً، وقد يكون تشتتاً وتخلّفاً.

ومن هذه البصيرة التي نستوحيها من آيات الذكر السابقة، نستفيد الحقائق والوصايا التالية:

١/ على الانسان ان يختار قيادته الشرعية بعد تفكر وتقييم ودراسة، ثم يتمسك بها، ويفي بميثاقه وعهوده تجاهها. فان لم يفعل فاختار قيادة فاسدة، او مال مع رياح السياسة من دون انتخاب، فسوف يهوي في وادي الفساد، ويبتلى بلعنة الله التي تتمثل في البعد عن رحاب دينه وعبادته، والبعد عن جناب رحمته وبركاته. كما يبتلى بسوء الدار في الدنيا متمثلة بدار الفقر والمرض والظلم، وفي الآخرة متمثلة بالنار وساءت مصيرا.

٢/ ان المجتمع الانساني قد يفقد ولاية الله، ولكنه يتمسك بصلة الرحم، فيرحمه الله في الدنيا. ولكن اذا فقد ايضاً التراحم والتواصل، فانه ينقض آخر عروة من عرى الوحدة، فينهار في وادي الفساد..

ومن هنا جاء في الحديث عن الامام الباقر عليه السلام، انه قال: صلة الارحام تحسن الخلق، وتسمح الكف، وتطيّب النفس، وتزيد في الرزق، وتنسيء في الأجل. (١)

---

(١) اصول الكافي / ج ٢ / ص ١٥٢ / ح ١٢.

٣/ من هنا ينبغي ان يتخذ الانسان عشيرته متراساً أمام غير الزمان، وتحديات الحياة. وقد جاء في الحديث المأثور عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام: لن يرغب المرء عن عشيرته وإن كان ذا مال وولد، وعن مودّتهم وكرامتهم ودفاعهم بأيديهم وألسنتهم. هم أشدُّ الناس حيطة من ورائه وأعطفهم عليه وألمّهم لشعثه، إن أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأمور. ومن يقبض يده عن عشيرته، فإنّما يقبض عنهم يداً واحدةً، ويقبض عنه منهم أيدي كثيرة. ومن يلن حاشيته يعرف صديقه منه المودَّة، ومن بسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته. ولسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خيراً من المال يأكله ويورّثه. لا يزدادنَّ أحدكم كبراً وعظماً في نفسه ونأياً عن عشيرته، إن كان موسراً في المال، ولا يزدادنَّ أحدكم في أخيه زهداً ولا منه بعداً، إذا لم ير منه مروّة وكان معوزاً في المال. ولا يغفل أحدكم عن القرابة بها الخصاصة أن يسدُّها بما لاينفعه إن أمسكه، ولا يضرُّه إن استهلكه. (١)

وهكذا تتحول الأسرة او العشيرة الى ركيزة اجتماعية، يتحصن بها الفرد أمام امواج البلاء، ويصارع بها صروف الدهر.

٤/ والعشيرة بؤرة الحكمة والخبرة الحياتية، وهكذا يتشاورون فيما بينهم فيما يتصل بقضاياهم. وقد أشارت آية كريمة في سورة البقرة الى التشاور بين الوالدين في شأن الرضاعة، ويمكن ان نستوحي منها قيمة التشاور في عموم الأمور وبين كل الأقارب. وقد أشارت آيات الذكر الى انذار الأقربين، والى وقاية الأهلين من النار. مما يهدينا الى التأكيد على أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وهو نوع من التشاور.

كما ان عموم البر وعموم نصوص المشورة، يشمل هذا الموضوع. ومن هذا المنطلق فان من المفيد جداً ان تتشكل في كل عشيرة هيئة استشارية يرجع اليها

---

(١) اصول الكافي / ج ٢ / ص ١٥٤ / ح ١٩.

ابناؤها، وهي تقوم بتركيز الخيرات، وتوجيه الطاقات، وتأهيل الكفاءات.. ومن المستحسن ان تنتخب هذه الهيئة من قبل ابناء العشيرة، وأن تتوفر فيها الكفاءات المختلفة، والله المستعان.

٥/ وصلة الأرحام تتحول الى قوة اقتصادية، حيث انها تزيد من فرص التعاون بين ابناء العشيرة الواحدة. وفي الأحاديث الشريفة دلالة على زيادة الرزق، ونمو العمران بسبب صلة الرحم.

فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام، انه قال: صلة الارحام تزكي الأعمال، وتدفع البلوى، وتنمي الأموال، وتنسئ له في عمره، وتوسّع في رزقه، وتحبّب في أهل بيته، فليتّق الله وليصل رحمه. (١)

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام، انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سرَّه النساء في الأجل، والزيادة في الرزق، فليصل رحمه." (٢)

وروي ايضاً عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنَّ صلة الرّحم تزكّي الأعمال، وتنمي الأموال، وتيسّر الحساب، وتدفع البلوى، وتزيد في الرزق. (٣)

من هنا نستفيد؛ ان زيادة الرزق منوطة بصلة الأرحام، ولعل من مصاديق ذلك تكوين شركات اقتصادية مغلقة على ابناء العشيرة، فانها ارضية مناسبة للتعاون الاقتصادي فيما بينهم.

٦/ ومن مصاديق صلة الرحم اليوم؛ تأسيس صناديق قرض الحسنة خاصة بالعشيرة.

٧/ وكذلك تأسيس صندوق للمساعدة الخيرية (لمساعدة ابناء العشيرة في الزواج، وبناء البيت، والبحث عن فرص الاشتغال، وما أشبه).

---

(١) المصدر / ص ١٥٢ / ح ١٣.
(٢) اصول الكافي / ج ٢ / ص ١٥٢ / ح ١٦.
(٣) المصدر / ص ١٥٧ / ح ٣٣.

٨/ ومن مصاديق صلة الأرحام اليوم؛ التعاون بين ابناء العشيرة على تربية الملاكات العلمية وتهيئة وسائل الدراسات العليا لكفاءاتهم الواعدة، وذلك بتأسيس صندوق التعاون لتنمية الكفاءات العلمية، والله المستعان.

٩/ وبكلمة؛ نحن اليوم مطالبون بترجمة قيمة صلة الرحم الدينية الى لغة العصر، والبحث عن المصاديق المتنوعة التي تتجلى بها هذه القيمة المثلى، لتصبح ارحامنا ركائز للرفاه والتقدم الحضاري.

٨٨في رحاب الأحاديث

١/ عن الامام الرضا عليه السلام، قال: إنَّ رحم آل محمد - الأئمة عليهم السلام- لمعلّقة بالعرش، تقول: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني، ثم هي جارية بعدها في ارحام المؤمنين. ثم تلا هذه الآية: **{ واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام }**. (١)

٢/ قال أبو عبد الله عليه السلام: اتّقوا الحالقة، فإنها تميت الرجال. قلت: وما الحالقة؟ قال: قطيعة الرّحم. (٢)

٣/ عن عثمان بن عيسى، عن بعض اصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: إنّ إخوتي وبني عمّي قد ضيّقوا عليَّ الدَّار وألجأوني منها إلى بيت، ولو تكلّمت أخذت ما في أيديهم. قال: فقال لي: اصبر، فإن الله سيجعل لك فرجاً. قال: فانصرفت ووقع الوبا في سنة إحدى وثلاثين [ومائة] فماتوا والله كلّهم، فما بقي منهم أحدٌ. قال: فخرجت فلمّا دخلت عليه قال: ما حال أهل بيتك؟ قال: قلت له:

---

(١) المصدر / ص ١٥٦ / ح ٢٦.

(٢) اصول الكافي / ج ٢ / ص ٣٤٦ / ح ٢.

قد ماتوا والله كلّهم، فما بقي منهم أحدٌ. فقال: هو بما صنعوا بك، وبعقوقهم إيّاك، وقطع رحمهم بتروا. أتحبُّ أنّهم بقوا وأنّهم ضيّقوا عليك؟ قال: قلت: إي والله. (١)

٤/ قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: أعوذ بالله من الذنوب التي تعجّل الفناء. فقام إليه عبد الله بن الكوَّاء اليشكري، فقال: يا أمير المؤمنين؛ أو تكون ذنوب تعجل الفناء؟ فقال: نعم؛ ويلك قطيعة الرَّحم. إنَّ أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله، وإنَّ أهل البيت ليتفرّقون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله وهم أتقياء. (٢)

٥/ عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوصي الشاهد من أمّتي والغائب منهم ومن في أصلاب الرّجال وأرحام النساء الى يوم القيامة، أن يصل الرّحم وإن كانت منه على مسيرة سنة، فإنّ ذلك من الدّين. (٣)

٦/ وروي عن يونس بن عمار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أول ناطق من الجوارح يوم القيامة الرحم، تقول: يا ربّ من وصلني في الدنيا فصل اليوم ما بينك وبينه، ومن قطعني في الدنيا فاقطع اليوم ما بينك وبينه. (٤)

٧/ وروي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: صل رحمك ولو بشربة من ماء، وأفضل ما توصل به الرحم كفُّ الأذى عنها؛ وصلة الرحم منسأة في الأجل، محببة في الأهل. (٥)

---

(١) المصدر / ح ٣ .
(٢) المصدر / ص ٣٤٧ / ح ٧.
(٣) المصدر / ص ١٥١ / ح ٥.
(٤) المصدر / ص ١٥١ / ح ٨.
(٥) اصول الكافي / ج ٢ / ص ١٥١ / ح ٩.

٨٨القيمـومـة

المجتمع الانساني يقوم على جملة دعائم (ومرتكزات)، من دونها ينهار بناؤه او يتزعزع او يفقد توازنه وسلامته. والذين يتمثلون هذه الدعائم من الناس، هم القوامون. فما هي تلك الدعائم؟ وكيف يقوم بها فريق من البشر لتكون لهم القيمومة؟

قبل ان نفيض في الاجابة، ينبغي ان نعرف ان من الدعائم الاجتماعية ما لا يكفي قيام بعض الناس بها فقط، بل لابد من تكاتف الجميع عليها.

اما الدعائم فهي التالية:

أولاً: التفكر؛ فالعقل اصل الانسان، وقوام التجمع البشري قدرته على التفكر.

ثانياً: المال؛ فمن دونه تنشل حركة المجتمع.

ثالثاً: الدين (القانون)؛ والدين -بدوره- يتمثل في الكتاب القيّم، وفي الرجال -القائمين عليه-، وفي مراكز اقامته مثل الكعبة، وفي ركائز اقامته مثل الصلاة.

رابعاً: القسط والشهادة بالحق؛ ولولا ارادة الناس لما تم القسط، ووسائل تطبيق القسط (بالاضافة الى الدين والرسل) الميزان..

وقد يكون هناك رجال اكثر مسؤولية من غيرهم في القيمومة، مثل الحاكم ورب الاسرة وكافل اليتيم والكاتب بالعدل.

ونستعين بالله في تفسير هذه الدعائم، مستلهمين اياها مما نتلوه من آيات الذكر.

٨٨٨ **معنى القيام:**

١/ يسمى الانتصاب قياماً، حيث يقول ربنا سبحانه: { **يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَآءَ اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } (البقرة/٢٠)

ويبدو ان القائم أشد قوة على اداء دوره.

٢/ ومن ذلك القيام للصلاة، حيث يقول ربنا سبحانه: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِنكُم مِنَ الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِنْ حَرَجٍ وَلكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** } (المائدة/٦)

فالقيام للصلاة يعني النهوض من اجل اقامتها، وبذل الجهد المناسب لاداءها.

٣/ وهكذا كان التعبير القرآني الشائع في اداء الصلاة اقامتها، (وعكس ذلك اضاعتها). قال الله سبحانه: { **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَن تَبُورَ** } (فاطر/٢٩)

٤/ ومن هذا المعنى اقامة القسط، فهي تعني بذل الجهد لجعل القسط قائماً (ومنتشراً). قال الله سبحانه: { **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** } (الحديد/٢٥)

ونستفيد من هذه الآية؛ ان الهدف من انبعاث الرسل وتواتر الرسالات وانزال الميزان، هو (توفير الوسائل الضرورية التي تساهم في اقامة الناس للقسط). والحديد قد يقوم بدور في ذلك، إذا استخدمه المنتصرون للحق دفاعاً عن القسط.

٨٨٨ دعائم المجتمع البشري:

٨٨٨٨ أولاً: العقل

١/ واول دعائم الحياة الانسانية التفكر. (أوليس العقل اصل الانسان)، وقد دعا ربنا سبحانه الناس جميعاً الى ان يقوم الناس لله ويتفكروا. قال الله تعالى: { **قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** } (سبأ/٤٦)

٢/ ولعل اقامة الصلاة هي ركيزة معرفة الله، وهي ميزان الفكر السليم. قال الله سبحانه: { **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** } (البقرة/٢٣٨)

٣/ فالقنوت لله، واخلاص العبودية له، وترك الانداد. كل ذلك الدين القيّم (الذي يقيم المجتمع البشري). قال الله سبحانه: { **مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** } (يوسف/٤٠)

٨٨٨٨ ثانياً: التوحيد

١/ فالشرك اصل كل فساد، وبؤرة كل انحراف. فاقامة الدين خالصاً لله، هي وسيلة الوحدة (التي هي ركيزة اساسية للمدنية). قال الله سبحانه: { **شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**} (الشورى/١٣)

٢/ وقال الله سبحانه: { **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ* مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** } (الروم/٣٠-٣٢)

ونستوحي من الآيات؛ أن اخلاص العبودية لله سبحانه، هي الفطرة الأولى (التي تنسجم

مع سنن الله في خلقه، ومع سنن الله في خلقة البشر بالذات). وهذه الفطرة لن تتبدل بمرور العصور المتمادية، وانها الدين القيم (الذي تقوم بها حياة البشر، وهي ركيزتها الاساسية). وهي ينبوع سائر الفضائل (مثل الانابة الى الله، وتصحيح المسيرة بعد الانحراف، ومثل التقوى والصلاة والاخلاص).

وهذه الفطرة القائمة على اساس خلوص التوحيد، هي ايضاً ركيزة الوحدة في الدين، وعلاج التفرق والتمزق.

٨٨٨٨ ثالثاً: الكتاب

١/ والدين القيّم يتمثل في الكتاب القيّم الذي لا عوج فيه، حيث يقول ربنا سبحانه: { **فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ**} (البينة/٣)

٢/ ويقول الله تعالى: { **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَنَاً** } (الكهف/١-٢)

وهذا هو الكتاب الذي انزله الله على رسله، ليقوم الناس بالقسط، كما تلونا في سورة الحديد آنفاً.

ونستوحي من كل هذه الآيات؛ انه لولا كتاب قيّم (يتمثل في شرائع الله القيّمة) لا تتوافر الفرصة الكافية لاقامة القسط.

٨٨٨٨ رابعاً: القوامون بالقسط

١/ والقوّام بالكتاب على الناس، هو الذي ينشر راية العدالة، وهم الانبياء والصديقون (الربانيون) والاحبار (الشهداء)، حيث جعل الله عليهم مسؤولية تبليغ الكتاب والشهادة به على الناس. قال الله سبحانه: { **إِنَّآ أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ**

تَشْتَرُوا بِايَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (المائدة/٤٤)

فالانبياء والربانيون والاحبار، هم الذين يحكمون بالكتاب القيم بين الناس بالحق والقسط، وهم الشهداء على الناس.

٢/ وعلى الناس ان يتحملوا مسؤولية اقامة القسط بين الناس، وذلك باقامة الكتاب الذي انزل اليهم فاليهود والنصارى كان عليهم اقامة التوراة، حيث يقول ربنا سبحانه: **{ قُلْ يَآ أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُم مَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }** (المائدة/٦٨)

٣/ وقال سبحانه وهو يصف فريقاً من أهل الكتاب كانوا يقيمون (الحق) لله: **{ لَيْسُوا سَوَآءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَآءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ }** (آل عمران/١١٣)

٤/ وقد أمر الله المؤمنين بان يجتهدوا في اقامة القسط لله، (وذلك بشتى الوسائل المتاحة). قال الله تعالى: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً }** (النساء/١٣٥)

ونستفيد من الآية؛ ان مسؤولية اقامة القسط هي مسؤولية اجتماعية، (قد تتركز في جماعة، ولكنها لن تنحصر فيهم وحدهم). وان القسط لا يعرف حدوداً؛ فلا غني يتعالى عن العدالة لغناه، ولا فقير يقصر عنها لفاقته، ولا قريب ولا بعيد، ولا ذا هدى يختلف حكمهم فيها.

٥/ والقيام الجدي والدائم لله، يقتضي اقامة القسط والشهادة لله به. فمن شهد بالحق ودعا اليه وايّد الدعاة اليه، ولم تأخذه في اقامة القسط لومة لائم، ولم توهن عزيمته في اقامة القسط قرابة او صداقة او مصلحة، فانه قد قام لله. قال الله سبحانه: **{ يَآ**

أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى اَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (المائدة/٨)

٦/ وقد سبق وان تلونا قول الله سبحانه في سورة الحديد الآية ٢٥: **{ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }**

وهي اشارة الى الذين يحملون راية الحق، ويطبقون القسط به، مستخدمين بأس الحديد.

٧/ وقد مدح الله رجالاً يقاتلون في سبيله، فاذا مكنهم الله في الأرض (وآتاهم القوة والملك) أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، (وهما وسيلة اقامة حدود الله في الأرض). قال الله سبحانه: **{ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الاَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ }** (الحج/٤١)

٨/ وذمّ الله قوماً يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، فقال تعالى: **{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاَيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}** (آل عمران/٢١)

ونستفيد من هذه الآية والتي سبقت؛ ان في المجتمع البشري الناهض طائفة يبادرون باقامة القسط عبر الشهادة لله، والأمر بالقسط، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (وهؤلاء هم صفوة الأمة). وقد يتعرضون لعملية الابادة، وهم لذلك يقاتلون في سبيل الله حتى يمكنهم الله سبحانه في أرضه.

ومن وسائل اقامة القسط؛ الميزان. حيث قرأنا في سورة الحديد ان الله انزله ليقوم الناس بالقسط، وقد يتمثل الميزان في القسطاس المستقيم الذي يزن الناس به اشياءهم (لكي لا يجحف احد بصاحبه، ولكي لا يطفف في المكيال) وقد يتمثل في القضاء العادل، والامام الحق..

٨٨٨٨ خامساً: المـال

والمال يؤدي دوراً اساسياً في اقامة المجتمع البشري واصلاحه، واصلاح الذين يمتلكونه يؤدي الى اداء دوره بصورة مناسبة. يقول ربنا سبحانه: { **وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَآءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً** } (النساء/٥)

وهكذا لايجوز اعطاء السفهاء هذا المال، الذي جعله الله قياماً. وفي الشريعة الاسلامية احكاماً كثيرة لاصلاح دور المال في المجتمع، مما نستوحي منه؛ انه كلّما كانت الثروة منضبطة على اسس العدالة كانت انفع. من هنا منع الدين من الربا (لان الله يمحقه)، وأمر بالصدقات (لان الله يربيها)، ونهى عن الكنز وأمر بالانفاق، ونهى عن تركيز الثروة يتداولها الاغنياء فيما بينهم، وأمر بالإرث لتتوزع الثروة، كما جعل على الأموال حقاً معلوماً. كل ذلك من اجل اصلاح دور المال في اقامة المجتمع الانساني بوجه أفضل.

٨٨٨٨ سادساً: الكعبة

فالحج الى البيت الحرام من وسائل توحيد المسلمين، وتذويب الفوارق الجغرافية والقومية والطبقية فيما بينهم، وتحريك اقتصادهم وتكريس خبراتهم. وكذلك فان البيت الحرام ملاذ أمن لكل الفرق والمذاهب الفكرية والسياسية، لكي يجدوا فيه الفرصة المناسبة للتعبير عن آرائهم والدفاع عن حقوقهم، وهكذا فانها وسيلة لقيام المجتمع. قال الله سبحانه: { **جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلآئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّماوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** } (المائدة/٩٧)

٨٨٨٨ سابعاً: تنظيم الشهور

ومما يقيم المجتمع تنظيم الشهور الأثنى عشر، وتحريم أربعة منها، (ليكون ملاذاً آمناً من الناحية الزمنية، كما البيت الحرام ملاذ أمن من الناحية المكانية).

قال الله سبحانه: { **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** } (التوبة/٣٦)

٨٨٨٨ ثامناً: الأسرة

١/ الأسرة هي الخلية الاجتماعية الأولى، التي تربي الناس على التقيد بحدود الله. ومن هنا فقد أمر الدين بفصل الزوجين عن بعضهما، إن ظنا ألاّ يقيما حدود الله. (ذلك ان اساس الأسرة وحكمة نشأتها اقامة حدود الله، ليس فقط فيما يتصل بعلاقتهم ببعضهم، وانما في سائر مرافق الحياة). قال الله سبحانه: { **الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ اَن يَخَافَآ اَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ اَلاَّ يُقِيَما حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** } (البقرة/ ٢٢٩)

٢/ وهكذا جعل الله الرجل قيّماً على شئون الأسرة (الزوجة والأولاد)، وحمّله مسؤولية الانفاق. قال الله سبحانه: { **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَآ أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِيْ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً** } (النساء/٣٤)

وقيمومة الرجل هي لتطبيق حدود الله في محيط الاسرة، لما استلهمنا من الآية السابقة، والله العالم.

٨٨٨٨ تاسعاً: ركائز القيمومة

ونستلهم من آية مباركة، وهي من غرر آيات الكتاب، والتي اكدت النصوص الشرعية عليها، وتسمى بآية الكرسي؛ نستلهم منها ثلاثة ركائز للقيمومة؛ التصدي (وعدم الغفلة)، والملك (القدرة)، والعلم، قال الله سبحانه: **{ اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }** (البقرة/٢٥٥)

^^فقه الآيات

^^^ اولاً: الله الحي القيوم

ماهي صفات الله؟ يبدو ان لربنا سبحانه الصفات الحسنى، التي تتصل بذاته القدوس. فهو عالم، قدير، سميع، بصير، يريد ما يشاء، ولا يسأل عما يفعل. وهناك كلمة تشير الى هذه الصفات هي (الحي)، وله الاسماء الحسنى التي تتصل بافعاله ومظاهر خلقه للاشياء. فهو فعال لما يشاء، خالق، رازق، رحمان، رحيم، منعم و.. و.. وتشير الى هذه كلمة (القيوم) والتي تدل على ان الله قائم بذاته فلا يحتاج الى شيء، وتقوم به الاشياء فلا يستغني عنه شيء. وهنا يذكرنا القرآن بالله عبر صفتين (الحي- القيوم)، ويبين بعضاً من مظاهر هاتين الصفتين.

فالله هو الحي، مطلق الحياة، ابدي الحياة، واسع العلم والمقدرة سبحانه. انه ربنا، الجدير بنا ان نتخذه ولياً، وليس هؤلاء العباد المربوبين الاموات، الذين يستبد بهم النوم والجهل، ولا يملكون شيئاً.

وصفة " القيوم" نابعة من صفة الحياة، ان الله الحي بذاته، الذي يملك ما في السموات والأرض، ويحيط علمه بما فيهما، هو القيوم عليهما.

{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ }

عرشه وسلطانه وامتداد نفوذ مشيئته وسع السماوات والأرض. فكل شيء تحيط به قدرته، ويدبر اموره، ويصرف شؤونه ليل نهار، دون ان تتعبه ادارة ملكوت السماوات والأرض، او ان تحجبه المجرات الكبيرة بما فيها من شموس واقمار عن ادارة ما في الذرة المتناهية في الصغر بما فيها من نواة وتوابع.

{ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا }

لانه تعالى عن التعب والاعياء، وانه يقول للشيء كن فيكون.

{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }

عليّ لانه حي تعالى عن أي صفة عجز، وعظيم لانه قيوم على كل شيء. ونستفيد من هذه البصيرة حقيقتين:

الأولى : ان صفة الحي وما تتصل بها من اسماء حسنى، هي دليل صفة القيوم. فالحي القدير المليك المقتدر العليم المهيمن، هو القيوم الذي وسع كرسيه السموات والأرض.

الثانية: ان القائم بالقسط هو الله الذي لا إله إلاّ هو. فالقيوم حقاً هو الله، وله الولاية الحق. اما قيمومة غيره، فهي بما خوّله الله له من الولاية تكويناً، وفي حدود ما أمر به تشريعاً. فإذا كان الرجل قواماً في محيط الأسرة، وإذا كان النبي قائماً في أمته وله الولاية عليهم، وإذا كان المؤمنون قوامين بالقسط فيما بينهم ولبعضهم الولاية على البعض، وإذا كان الناس قائمين على اموالهم ولهم السلطنة عليها، فكل ذلك يكن في حدود ولاية الله الحي القيوم سبحانه.

٨٨٨ ثانياً: قيمومة الأسرة

(البقرة/٢٢٨)، (البقرة/٢٢٩)؛ نستوحي من الآيتين الكريمتين؛ ان قيام الأسرة الفاضلة باقامة حدود الله في ارجائها، فالله قد سن شرائع للعشرة بالمعروف بين الزوجين. قال الله سبحانه: **{وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** (البقرة/٢٢٨)

ولعل الدرجة التي للرجل عليها تتمثل في أنه قوّام في محيط الأسرة، حيث قال سبحانه: { **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَآ أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِيْ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً** } (النساء/٣٤)

ولكن قيمومة الرجل على المرأة ليست مطلقة، وانما هي مقيدة بحدود الله سبحانه، حسب الآية السابقة. وحدود الله واضحة لمريدها، فهي العشرة بالمعروف، كما قال سبحانه: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَآءَ كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**} (النساء/١٩)

وقال تعالى: { **وإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوا ءَايَاتِ اللّهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} (البقرة/٢٣١)

وهكذا القوّام في البيت، لابد ان يكون قيامه بالقسط وفي حدود الشريعة السمحاء.

وقد تسأل: لماذا قيمومة الرجل؟

لابد للمجتمع من التنظيم، ولابد للتنظيم من قيم تحكمه، وتحد من طغيانه وتجاوزه. ويبدأ التنظيم في الاسرة، وبالذات في العلاقة بين الزوج والزوجة. ولكن من يقود الآخر؟

ان اللاقيادة فوضى يرفضها الاسلام، كما ترفضها الطبيعة، حيث ان الله خلق الذكر بحيث جبل على حب القيادة، بينما خلق الانثى وفطرها على الانسجام والطاعة. ولذلك حدثت تجاوزات من قبل الذكر في حقوق الانثى، وجاءت رسالات السماء لتحد من هذه التجاوزات، ولتضع حدوداً حاسمة لقيادة الذكر للأنثى.

من هنا نستطيع ان نؤكد اعطاء الاسلام حق القيادة للرجل داخل الاسرة، ليس سوى تقرير للوضع القائم فطرياً. فهو لم يبدع حقيقة، بل أقرّ بها تمهيداً لتنظيم القيادة، وتحديد اطار مناسب لها يمنع الزوج من تجاوزه.

لعل القرآن يسمي بعض ابعاد النظام بـ (القيام)، فيكون المنظم هو (القيّم) و (القائم بالأمر)، وإذا بالغنا في معنى قلنا (قوام).

وقد وردت هنا كلمة قوام، للتعبير عن تحمل الرجال لتنظيم وادارة كافة شؤون نسائهم وبشكل مستمر، ويحمل هذا اللفظ معنى المسؤولية التامة عن شؤونهم. ولكن لماذا الرجال هم القوامون بشئون الاسرة؟

يجيب القرآن على ذلك، فيقول لسببين:

١- بذات السبب الذي يجعل الرجال يتفاضلون بينهم، وذلك بالجهد والحكمة؛ فبعضهم يصبح غنياً والبعض فقيراً، وبعضهم يصبح مفكراً والبعض عاملاً، وهكذا.. فلأن الرجال أكثر جهداً وحكمة، تحملوا المسؤولية دون النساء.

ولاننا نقبل تفاضل الرجال فيما بينهم، فلابد أن نقبل أفضلية الرجال على النساء.

٢- بالعطاء؛ فعلى الرجال ان ينفقوا على النساء، بل ان طبيعة الرجال وفطرتهم الصافية تدفعهم الى الانفاق على النساء. وقد بين التشريع السماوي هذه الطبيعة، وفرض على الرجال الانفاق على النساء.

وبكلمة؛ المسؤول (والقائد والمنظم) يجب ان يكون الأكثر جهداً وحكمة، والأكثر انفاقاً من النساء، ولذلك فهم المسؤولون عن العمل أو العطاء.

وإذا كانت القيادة للرجال، فعلى النساء الطاعة. فالمرأة الصالحة هي الأكثر طاعة لله ولزوجها، والأكثر حفظاً لفرجها الذي اختص به الزوج. ولقد زود الله المرأة بالحياء الفطري والعلاقة الرقيقة بالزوج، وأمرها بأن تحفظ نفسها عن التعلق بغير الزوج. قال الله تعالى: { **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**}

حافظات للغيب؛ أي تحفظ نفسها عن الزنا في غياب الزوج.

أما إذا تجاوزت المرأة حدها، ولم تطع الزوج في حقوقه، بل بدأت تنظر فيما وراء حصن الزوجية، هنالك يعطي الاسلام الحق للزوج بأن يفرض النظام على مملكته داخل البيت بالقوة المتدرجة. فيبدأ بالنصيحة، ثم يبتعد عنها في الفراش ليشعرها بالوحدة، ثم يضربها ضرباً خفيفاً (وقد جاء في الحديث يضربها بالمسواك)، كل ذلك ليعبر عن انزعاجه وغضبه من تصرفاتها. ويبدو ان المرأة العادية تستجيب لهذه العقوبات. وعليه فلابد للزوج ان يقتصر عليها، ولا يستخدم العقوبات في فرض الظلم في البيت، بل فقط في فرض الحقوق. وليعلم الزوج ان الله أكبر منه، وأنه لو ظلم الزوجة فإن الله سوف ينتصر لها.

ومن هذه البصائر نستوحي احكام القيمومة في الأسرة، ضمن البحوث التالية:

^^^^ **ألف: القيمومة هل هي مطلقة**

يرى البعض (ومنهم العلامة الطباطبائي) ان هذه الآية الكريمة تذكرنا بان الرجل افضل للولاية من المرأة. فهو قيّم عليها سواءً في محيط الأسرة او في التجمع. فيستنبط من ذلك، ان الولاية العامة (قيادة المجتمع والقضاء) لا تصلح إلاّ للرجل.

ويضيف قائلاً: فالجهات العامة الاجتماعية التي ترتبط بفضل الرجال، كجهتي الحكومة والقضاء مثلاً، الذي يتوقف عليهما حياة المجتمع. وانما يقومان بالتعقل الذي هو في الرجال بالطبع ازيد منه في النساء، وكذا الدفاع الحربي الذي يرتبط بالشدة وقوة التعقل، كل ذلك مما يقوَّم به الرجال على النساء. (١)

ولكن المورد في الآية خاص بالحياة الزوجية، ويستبعد استنباط هذا الحكم المطلق من الآية، لأن قوله سبحانه **{ وَبِمَآ أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ }** (النساء/٣٤) خاص بالعلاقة الزوجية. بلى؛ في الآية اشعار بهذا الفهم الشمولي.

^^^^ **باء: ماذا يعني تفضيل البعض على الآخر**

---

(١) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي/ ج ٥ / ص ٣٤٣ .

في التفاسير؛ ان هذه الكلمة تعني ان الله فضل الرجال على النساء، ولذلك جعل لهم عليهن الولاية. ولكننا استوحينا معنى شاملاً لهذه الكلمة، وهي؛ ان الله فضل بعض الرجال على بعض (بالعقل والسعي)، وبذلك ايضاً فضل الرجال على النساء، لأنهم اكثر عقلاً واشد عملاً. يقول في ذلك الفخر الرازي في تفسيره الكبير: ان الفضائل الحقيقية يرجع حاصلها الى امرين؛ الى العلم، والى القدرة. ولا شك ان عقول الرجال وعلومهم اكثر، ولا شك ان قدرتهم على الأعمال الشاقة اكمل. (١)

وهكذا الرجل السفيه الخمول يفقد من ولايته بقدر ضعفه، كما ان المرأة المدبرة النشيطة تساهم في ادارة الأسرة اكثر فأكثر. وبالرغم من اننا لا نستطيع ان نستنبط حكماً فقهياً من هذه البصيرة، ولكنا نقدر على استيناس قضائي عند الاختلاف، والله العالم.

٨٨٨٨ جيم : حدود القيمومة

ماهي ابعاد ولاية الرجل في الأسرة؟

هناك ثلاثة مستويات من الولاية، وتختلف آراء الفقهاء في بعضها.

١/ حق الرجل في الاستمتاع. فاذا رفضت المرأة، فان للرجل ان يعاقبها لاسترداد حقه، على تفصيل يأتي انشاء الله.

٢/ ولاية الرجل على تطبيق احكام الشرع على زوجته. فاذا رفضت حداً من حدود الله، فان الرجل يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالاسلوب المناسب.

٣/ ولاية الرجل في تسيير امور البيت، بما يراه صالحاً. وعلى المرأة ان تطيعه مادامت حقوقها مضمونة. وبالرغم من ان الشريعة قد رغبت في التشاور بينهما، إلاّ ان كلمة الفصل تكون للرجل.

وفيما يلي بعض التفصيل في احكام كل واحد من مستويات هذه الولاية:

---

(١) التفسير الكبير / ج ١ / ص ٨٨ .

١/ حق الاستمتاع

قال المحقق الحلي في كتابه شرائع الاسلام: لو وقع النشوز، وهو الامتناع عن طاعته فيما يجب له، جاز ضربها، ولو بأول مرة. ويقتصر على ما يؤمل معه رجوعها، مالم يكن مدمياً ولا مبرحاً. (١)

وقال العلامة النجفي في شرحه: تحقق النشوز (يكون) بالعبوس والاعراض والتثاقل واظهار الكراهة له بالفعل والقول ونحوهما، مما ينقص استمتاعه بها وتلذذه بها. (٢)

ونقل عن الشهيد في المسالك قوله: ليس من النشوز، ومن مقدماته بذاءة اللسان والشتم، ولكنها تأثم به وتستحق التأديب عليه. وهل يجوز للزوج تأديبها على ذلك ونحوه مما لا يتعلق بالاستمتاع، ام يرفع أمره الى الحاكم؟ قولان تقدما في كتاب الأمر بالمعروف، والاقوى ان الزوج -فيما وراء حق المساكنة والاستمتاع- كالأجنبي وان نغص ذلك عيشه وكدر الاستمتاع. (٣)

واضاف الشهيد الثاني : ولا أثر لامتناع الدلال ولا للامتناع من حوائجه التي لا تتعلق بالاستمتاع، إذ لا يجب عليها ذلك. وفي بعض الفتاوى المنسبوية الى فخر الدين، ان المراد بها نحو سقي الماء وتمهيد الفراش. وهو بعيد جداً، لأن ذلك غير واجب عليها، فكيف يكون تركه نشوزاً؟ (٤)

هكذا حددت كلمات الفقهاء الطاعة الواجبة على المرأة، والتي تقابلها الولاية المفروضة للرجل عليها؛ حددتها بما يتصل بالعلاقة الجنسية، ولنا كلام يأتي انشاء الله في هذا التحديد.

---

(١) جواهر الكلام/ ج ١١ / ص ١٣٠ (طبعة بيروت) .
(٢) المصدر / ص ١٣٢ .
(٣) المصدر / ص ١٣٢ .
(٤) المصدر .

ولكن - في ذات الوقت - اجازت هذه الكلمات ضربها، وقد استندت في ذلك الى ظاهر الآية الكريمة، إلاّ ان حديث المأثور عن الامام الباقر عليه السلام حدد الضرب بالسواك.

واعتبر العلامة النجفي ذلك الضرب، مرتبة واحدة من مراتب التأديب. فاذا لم ينفع الضرب بالسواك جاز بغيره واشد منه. فقال: وابتداؤه (الضرب) الضرب بالسواك، وعليه يحمل ما عن الباقر عليه السلام من تفسيره به، لا انه منتهاه، ضرورة منافاة اطلاقه الآية، وما دلّ على النهي عن المنكر، وبعده عن حصول الغرض به دائماً، مضافاً الى اطلاقات كلمات الاصحاب. (١)

وهكذا استبعد ان يتحقق غرض الضرب، وهو التأديب بمجرد الضرب بالسواك. ولكن لنا ان نقول في الجواب عن أدلته.

أولاً : لا اطلاق في الآية من هذه الجهة. كيف وان سياق بيان اصل جواز الضرب. اما كيفية الضرب ووسيلته، وهل يجوز ان يكون مبرحاً ومدمياً وجارحاً وبأية وسيلة كأن يكون باليد او العصا او السكين؟ فلا اطلاق في الآية.

ثانياً: ان ما دل على النهي عن المنكر، اعم مما نحن فيه. فان الضرب هنا لحمل الزوجة على طاعة الزوج، وليس لردعها عن معاصي الله. وهكذا يشبه الضرب هنا ضرب الوالد لولده للتأديب، او المولى لعبده.

ثالثاً: ان الغرض من الضرب ليس - حسبما يبدو- ايذاء الزوجة به، وانما ايذانها بأنها قد خرجت عن الطاعة. ويهدينا الى ذلك جعل الضرب رديفاً للهجر في المضاجع. فالمناسب لمستوى الهجر، هو الضرب بالسواك للايذان بقدر من الكراهية، وليس ايذاءها.

رابعاً: كلمات الأصحاب لا اطلاق لها، كما لا اطلاق للآية، والله العالم.

---

(١) جواهر الكلام/ ج ١١ / ص ١٣٣.

خلاصة القول؛ الأظهر التدرج من الموعظة الى الهجر الى الضرب بالسواك، مما يظهر به الزوج غضبه عن تصرف زوجته غير اللاثق بشئون الزوجية، فإن لم ينفع رفع امرها الى القضاء.

٢/ اقامة احكام الله

تنقسم احكام الله الى نوعين:

ألأول: ما يرتبط بالحياة الزوجية، مثل الطهارة وتجنب الطعام الحرام والمضر والاغتسال من الحيض والجنابة. فلو افترضنا امرأة لا تأبه تشرب الخمر ولا تتجنب من النجاسات وتأكل لحم الخنزير والميتة ولا تغتسل من الجنابة والحيض، فان معاشرة الزوج المؤمن لها تصبح في غاية الصعوبة، كما ان ذلك يؤثر سلباً على الاطفال الذين هم ثمرة الحياة المشتركة، ومن حق الزوج ان يمنع الزوجة من الأعمال التي من شأنها الاضرار بهم او افساد تربيتهم..

وهكذا لو دأبت الزوجة على رؤية الافلام الخليعة في مسمع ومرأى من اولاد الزوج مما يؤثر على اخلاقهم، في كل هذه الحالات يجوز للزوج ان يمنعها من ذلك، ويقيم حدود الله واحكامه في محيط مملكته الصغيرة (البيت)، لانه قوّام فيها.

الثاني: المحرمات التي لا ترتبط بالحياة الزوجية؛ مثل تركها الصلاة والحج والنهي عن المنكر، او ولعها بالغيبة والتهمة، او تهاونها في اداء الخمس والزكاة وسائر الحقوق الالهية المتعلقة بأموالها وما أشبه.

ولا ريب ان على الزوج واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة الى هذه القضايا، ولكن هل له - اضافة الى ذلك - حق آخر؛ مثل حق الدولة في تطبيق احكام الشرع، ام ان وضع الزوج في هذا النوع من الاحكام كما وضع أي انسان آخر سواء بسواء، مثلاً مثل وضع والد الزوجة او أخيها؟

يبدو ان وضع الزوج مختلف، وان عليه واجب استخدام نفوذه وسلطته في اقامة حدود الله واحكامه بقدر المستطاع، كما ان وضع الاقارب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مختلف ايضاً عن الاجانب. والادلة هي التالية:

١- قول الله سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلآئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}** (التحريم/٦)

فالوقاية مطلقة، تشمل استخدام السلطة في الردع عما يوجب النار.

٢- وقال الله سبحانه: **{ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى }** (طه/١٣٢)

حيث نستفيد من قوله سبحانه **{وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}** ان الأمر هنا ليس مجرد التذكير بالصلاة، بل استخدام السلطة العائلية من اجل اقامتها.

٣- اطلاق قوله سبحانه: **{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ}** (النساء/٣٤)خصوصاً اذا تلوناها مع الآية الكريمة **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وإِن تَلْوُو أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً }** (النساء/١٣٥)

فان كل مسلم مأمور بالقيام بالقسط. كل في محيطه؛ فالحاكم في ولايته يقوم بالقسط، والمدير في دائرة صلاحيته، ورب البيت في اسرته، وهكذا..

وباعتبار الزوج الأكثر حكمة وكدحاً والمنفق على الأسرة، فالواجب استخدام حكمته وكدحه وماله في سبيل تطبيق الشريعة، بكل الوسائل المتاحة لديه. فقد يربط بين التوسعة عليهم في المعاش وبين مدى التزامهم بالشرع. فيقول لهم: إذا اديتم الصلاة في اوقاتها، فسوف نرتب لكم سفرة سياحية، وإلاّ فلا. ويمكنه ان يهجرهم لفترة محدودة، عقاباً على ارتكابهم الذنب وهكذا.

٣/ ادارة شئون الأسرة

الأسرة - كما مملكة صغيرة - ذات شئون كثيرة، بحاجة الى ادارة؛ اين يسكنون، وكيف ينظمون اوقاتهم في المطعم والمنام، وكيف ينفقون اموالهم، وكيف يدرؤون

عن انفسهم الاخطار، وكيف يتعاملون مع ذوي قرابتهم وجيرانهم واصدقائهم، وكيف يربون ابناءهم ويعلمونهم ويحافظون على صحتهم ونموهم؟

انها وغيرها كثير تشكل الشئون المشتركة بين الزوجين، ومن المفروض ان يتشاورا فيها ويتخذا القرار المناسب؛ حيث أمر الله سبحانه في أمر الرضاع، وهو من الأمثلة الظاهرة للشأن المشترك او بالتشاور، فقال سبحانه: **{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاَدَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَآ ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة/٢٣٣)**

ولكن اذا تعاسرا، ولم يجدهما نفعاً التشاور في تقريب وجهتي النظر، فهل تسود الفوضى في الادارة؟

كلاّ؛ الرجال هنا ايضاً قوامون على النساء، لانهم الأفضل في الحكمة والكدح وعليهم الانفاق.

وفي هذا يقول الدكتور السيد حسن امامي (الخبير القانوني الايراني): المسائل التي تخالف مصالح الأسرة، هي التي تسبب ضعف او الفراق في العلاقات الزوجية، والتي يجب على المرأة اقامة كيانها. ويضيف قائلاً: وتحديد الأمر الذي ينافي مصالح الأسرة أو يؤثر سلباً على شخصية الرجل او المرأة، يتم عبر العرف. ثم يقول: بناءً على ذلك، إذا اختارت الزوجة عملاً او مهنة تمنعها من اداء وظائفها الزوجية او كانت منافية لمصالح الاسرة او شخصية الزوج او الزوجة، فان للرجل ان يمنعها من ذلك. وإذا استمرت الزوجة في ذلك، فانها تعتبر ناشزة، ولا تستحق النفقة. (١)

---

(١) حقوق مدني/ ج ٤ / ص ٤٥١-٤٥٢ .

ويرى الدكتور امامي؛ ان ذلك هو فحوى مواد قانونية، في القانون المدني الايراني.

ونضيف الى ذلك عدة امور اخرى؛ نرى ان على الرجل القيمومة فيها، مثل:

أ- صحة الزوجة والابناء وما يرتبط بها. فاذا قصرت المرأة فيها، فإن على الزوج اجبارها بحكم ولايته والحياة المشتركة التي يرتبطان بها، خصوصاً إذا كانت تلك تؤثر سلباً على حياتهما الزوجية الآن او مستقبلاً.

ب- في تربية الأولاد وحفظهم من عوادي المرض والضعف، وتنمية مواهبهم وتعليمهم وما أشبه. فإنه لو تعاسرا في طريقة ذلك، فان للزوج كلمة الفصل للقيمومة الشرعية. ويدل على ذلك خبر البقباق (قال) قلت لأبي عبد الله (الامام الصادق عليه السلام): الرجل احق بولده ام المرأة؟ قال: لا؛ بل الرجل. قال : فإن قالت المرأة لزوجها الذي طلقها: اذا ارضع ابني بمثل ما تجد من ترضعه، فهي احق به. (١)

ج- في اختيار المسكن وما يرتبط به من كيفية تأثيثه، وفي تفاصيل النفقة، حيث تجب عليه النفقة، فهو الذي يختار كيف ينفق حسب ما يراه صالحاً لأمور اسرته. بلى؛ لو اراد الاضرار - عبر انتخاب طرق غير ملائمة للزوجة - فلها ان ترفع امرها الى الحاكم.

د- المسؤولية القانونية عن الاسرة. مادام الرجل قيماً على شئون اسرته، فعليه تقع مسؤولية حفظ الأسرة وعدم الافراط في امرها، بما يسبب في الحاق الضرر بها، حيث نهت آية كريمة من الاضرار بها، فقال سبحانه: **{ لا تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ }** (البقرة/٢٣٣)

وقال سبحانه : **{ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا }** (البقرة/٢٣١)

وقال سبحانه في آية اخرى: **{ وَلاَ تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ }** (الطلاق/٦)

---

(١) وسائل الشيعة / الباب ٨١ من ابواب احكام الاولاد / ح ٣ .

ومن هنا لايجوز التقصير في ادارة البيت من قبل القائم به، فان فعل فهو مسؤول شرعاً، وعليه تبعة مسؤوليته. مثلاً؛ لو اسكن زوجته في دار غير مأمونة، فتهدمت او تعرضت الدار للسرقة او الاعتداء، فتضررت الزوجة، فإن تكاملت شروط المسؤولية (مثل التقصير العمدي مع الامكان ومع عدم قدرة الزوجة على التغيير للجهل بالأمر وما أشبه) فإن الزوج مسؤول. كذلك لو قصر في مداواة زوجته او سائر درء الاخطار عنها مع العلم والقدرة.

ولعله الى ذلك تشير الرواية المعروفة عن النبي صلى الله عليه وآله: ملعون ملعون من ضيّع من يعول. (١)

هـ - حدود القيمومة. وقيمومة الرجل ذات حدود شرعية، تجمعها الآية الكريمة : **{ الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فإمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ اَن يَخَافَآ اَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فإِنْ خِفْتُمْ اَلاَّ يُقِيَما حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }** (البقرة/٢٢٩)

فحدود الله سبحانه، هي الاحكام الشرعية التي يفصلها الفقه في العلاقة الزوجية وفي

سائر مناهج الحياة. وعلى الزوج مراعاة تلك الاحكام جميعاً. مثلاً؛ من حدود الله الحج، فلا يحق للزوج منعها منه. وكذلك من حدود الله صلة الرحم، فلا يجوز منعها منها، إلاّ إذا كانت هناك مصلحة أهم عنده. ومن ابرز حدود الله في العلاقات الزوجية، العشرة بالمعروف التي أمر الله بها في قوله سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَآءَ كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً }** (النساء/١٩)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٤ / ص ١٢٢ / الباب ٨٨ من ابواب مقدمات النكاح/ ح ٦ .

والعشرة بالمعروف تختلف حسب الكثير من المتغيرات الزمكانية، والمستويات المعيشية، والأحوال الخاصة بكل واحد من الزوجين. فقد تكون الزوجة من أهل بيت الشرف والمعرفة، وهي ذات كمالات سامية، او تكون العادة في البلاد احترام المرأة، فلا يجوز للزوج ان يتعامل معها بخشونة.

ولذا قال المرجع الشيرازي: الظاهر من الآية الأولى (حول العشرة بالمعروف) مطلق المعاشرة بالمعروف، لا خصوص ما وقته الشارع. فان ما وقته الشارع من باب المصداق، ولذا احال الفقهاء عشرات الاحكام على الآية المباركة بدون ان يكون للشارع فيها حكم خاص. (١)

ويقول الدكتور امامي (وهو يشرح القانون المدني الايراني) حسب المادة (١١٠٣ ق.م): يجب على الزوج والزوجة حسن المعاشرة، الواحد بالنسبة الى الآخر. ثم قال: والمراد من المادة ان تكون حسن المعاشرة حسب العرف والعادة، في الزمان والمكان (الذي يعيشهما الزوجان)، حتى تتحقق البيئة المستقرة والمطمئنة للأسرة. (٢)

كلمة أخيرة؛ قيمومة الرجل على زوجته (ومن خلالها في اسرته) ولاية محدودة بمقاصد الشريعة واحكامها وبما يقتضيه المعروف، وهي كأية ولاية شرعية أخرى ليست مطلقة، وعلى الزوج ان ينفذ كلمات الوحي وحدود الدين في محيط اسرته. فان اعتدى وحاول ان يحكم بهواه، فان القضاء الاسلامي يحول بينه وبين ما يشتهيه، حيث ترفع الزوجة امرها الى الحاكم الشرعي، وعليه ان يقضي بينهما بالحق.

٨٨٨ ثالثاً: ولاية الوالدين على الصغار

---

(١) الفقه / ج٦٧ / ص ٣١٨ .

(٢) حقوق مدني / ج ٤ / ص ٤٣٠ .

في فصل (البنين) الذي سوف نقرءه معاً وعند الحديث عن مسؤوليات الوالدين عنهما، استلهمنا جانباً من ولايتهما عنهم. وفيما يلي نوجز الكلام في ذلك، لعل الصورة تتكامل:

١/ على المولود له (الوالد) رزق الاولاد وكسوتهم (والانفاق عليهم) بالمعروف.

٢/ وعليه حفظ الاولاد من الاخطار .

٣/ وعليه دعوتهم الى الله وتربيتهم وتعليمهم ماهو ضروري لمعاشهم، وينبغي ان يوصيهم بالحكمة والدعاء لهم.

وفي حدود هذه الولاية، يجب ان يطيع الابناء آباءهم قبل البلوغ والرشد، والاحسان اليهم بعدهما، وعلى الاباء ألاّ يخرجوا من حدود الدين في استخدام الولاية.

٨٨٨ رابعاً: ولاية العشيرة

ولابناء العشيرة من اولي الارحام، الولاية على بعضهم في حدود الحقوق والواجبات المتبادلة، التي يستفاد من قوله سبحانه: **{وأُوْلُواْ الاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ}**. وقد شرع الدين نظام العائلة في الدية في حدود هذه الاولوية، كما شرع نظام التوارث، وفرض النفقة على بعضهم، ورغب في جملة احكام ذكرنا جانباً منها في فصل (صلة الرحم).

ونشير هنا الى ان وجود اطار العشيرة (والأسرة الكبيرة) بيئة مناسبة لتنامي القيم المثلى، (مثل اقامة القسط والانذار والأمر والنهي والتربية والتعليم والتكافل)، وعلى الجميع مراعاة حدود الله في هذه الولاية.

٨٨القيام لله

لكي تتم حقائق القيمومة والولاية الالهية، لابد ان يقوم الناس لله، وذلك في ابعاد شتى:

١/ ان يقيموا الدين لله، فلا يتفرقوا فيه. ويشمل ذلك القيام لله، والتفكر مثنى وفرادى ليعلموا ان الرسالة حق، وان الله سبحانه قد اختار للناس رجالاً ينذرونهم وهم الأنبياء والأئمة عليهم سلام الله جميعاً. فلا يتخذوا قادة غيرهم، حتى يتفرقوا عن سبيله .

٢/ إقامة كتاب الله القيم، ومن كتاب الله حدوده، وهدف اقامة كتاب الله الشهادة لله بالقسط وتحقيق العدل.

٣/ والقوام بأمر الله بعد الرسل والربانيين من أوصيائهم، هم العلماء إذا وفوا بشروط الله معهم.

وهذه الأبعاد المختلفة للقيام، تتماسك لتشكل نظاماً لولاية المؤمنين لبعضهم. ونحن نستعرض باذن الله هذه الابعاد المختلفة بعد تمهيد نبين فيه حكمة الولاية الايمانية على بعضهم.

^^^ **ألف:** المؤمنون اولياء بعضهم

الدين صرح متين، ومن ركائز قوته ومتانته تواصي أهله بتطبيقه، وولايتهم على بعضهم، وقيامهم جميعاً بأمره، مما يجعل القيمومة عليه مشتركة بينهم تسير بعضهم بعضاً في أمره. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر، بعض هذه القيمومة. ونتأكد في موضوع الحقوق، فان الشهادة لله، والقيام بالقسط، واقامة الحدود، يصبح كل اولئك من الواجبات العملية، ولا يكتفي فيها بالكلمة.

ومن هنا ترى كلمات القرآن صريحة في هذا الحقل، لأنها تستخدم كلمة القيام والاقامة، بل كلمة القوام.

^^^ **باء:** القيام لله

وقد أمر الله سبحانه بأصل القيام لله، فقال تعالى: { **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ**} (البقرة/٢٣٨)

ولعل معنى الآية الكريمة؛ ان ينهض الانسان باعباء مسئولياته الالهية، التي فصلت آيات الذكر الأخرى القول فيها. وقد مدح الله سبحانه طائفة من اهل الكتاب بأنهم أمة قائمة، فقال سبحانه: { **لَيْسُوا سَوَآءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَآءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**} (آل عمران/١١٣-١١٤)

ومن هذه الآية نستلهم بعض أبعاد القيام لله، وهو:

أ- القنوت، والعبادة بتلاوة آيات الله، والسجود، والايمان بالله واليوم الآخر.

ب- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ج- المسارعة في الخيرات

ولعل الجهاد في سبيل الله ايضاً من معاني القيام لله، حيث ان الله سبحانه سمّى غير المجاهدين بالقاعدين، مما يهدينا الى انهم القائمون .

ومن ابعاد القيام لله التفكر (الالهي، بعيداً عن الهوى والحمية)، حيث قال الله سبحانه: { **قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**} (سبأ/٤٦)

ونستفيد من حديث مأثور عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام؛ ان القيام لله والتفكر ليس خاصاً بأمر الرسالة فقط، بل يشمل ايضاً الامامة (وربما سائر العقائد الدينية) . فقد روي عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، وفيه: واما قوله { **قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ**} فان الله جل ذكره انزل عزائم الشرائع وآيات الفرائض في اوقات مختلفة، فكان اول ما قيدهم به الاقرار بالوحدانية والربوبية والشهادة بان لا إله إلاّ الله. فلما اقروا بذلك، تلاه بالاقرار لنبيه صلى الله عليه وآله بالنبوة والشهادة له بالرسالة. فلما انقادوا لذلك، فرض عليهم الصلاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد ثم الزكاة ثم الصدقات وما يجري مجراها من مال الفيء. فقال المنافقون: هل بقي لربك علينا بعد الذي فرض علينا شيء آخر يفترضه فتذكره

لتسكن انفسنا الى انه لم يبق غيره؟ فانزل الله في ذلك: **{قل انما اعظكم بواحدة}** يعني الولاية، فانزل الله: **{ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون}**. (١)

^^^ **جيم:** الدين القيم

اقامة الوجه للدين الخالص منه سبحانه، وسيلة الطهر من الشرك في ابعاده المختلفة؛ الشرك الثقافي والشرك السياسي والشرك الاجتماعي، وذلك هو دين القيمة الذي لا عوج له.

والدين القيّم هو الصراط المستقيم، الذي لو اتبعناه لاستقامت حياتنا في الدنيا والآخرة. صراط الله الحي القيوم، هو الذي شرع لنا ديناً يقيم صرح حضارتنا التوحيدية. وقد قال سبحانه: **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً }** (الكهف/١-٢)

وقال سبحانه: **{ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }** (يوسف/٤٠)

ومن أهم ركائز القيمومة في الدين القيم والكتاب القيم، توحيد الأمة حول محور الولاية الالهية، حيث نجد التذكير بذلك في قوله سبحانه: **{ شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ }** (الشورى/١٣)

ان اقامة الدين لا تكون إلاّ بتطبيق شرائعه، ومن شرائعه نبذ الاختلاف في الدين، وانما جاء التفرق في الدين من مزج حقائق الدين باهواء النفس.

---

(١) نور الثقلين / ج ٤ / ص ٣٤١ / ح ٨٩ .

ان رواسب الشرك ونزعات الحمية وضغوط المصالح وما الى ذلك، هي التي حرّفت رسالات الله، وجعلتها وكأنها اديان مختلفة، بل وحرّفت الكثير في كل رسالة حتى حولتها الى مذاهب. وهكذا تفرقت الأمة.

^^^ **دال:** من يقيم احكام الدين

والقوام للدين، هم الانبياء والربانيون ثم الأحبار (العلماء)، كما ذكرت الآية الكريمة : { **إِنَّآ أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِايَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** } (المائدة/٤٤)

ونستفيد من الآية البصائر التالية:

أولاً: لقد انزل ربنا التوراة للهداية الى الصراط القويم، وللتزود برؤى وبصائر ومناهج وتوجيهات يتمكن الانسان - اذا استوعبها- ان يرى الحقائق بنفسه، فيسير وفقها. وهكذا كانت التوراة هدى ونوراً.

ثانياً: كان النبيون عليهم صلوات الله يحكمون بالتوراة، (سواءً في التشريع أوالقضاء)؛ وانما أوتي النبيون الحكومة، لانهم اسلموا لله وكانوا معصومين عن الخطأ والزلل.

ثالثاً: الذين كانوا يخضعون للتوراة، هم الذين هادوا. والحكم انما كان لمصلحة هذه الفئة، وليس في ضررهم.

رابعاً: بعد النبيين كان الربانيّون يحكمون الناس وفق التوراة. والربانيّون - حسبما يبدو لي - هم اولياء الله الذين ينسبون الى الرب، لانهم كانوا في منتهى الاخلاص والتضحية، وكانوا يجسدون روح الرسالة؛ كأمثال الائمة عليهم السلام، والحواريين في التأريخ. والصفة الظاهرة لهؤلاء، هي قيامهم لله، واخلاصهم لله، بالرغم من انهم كانوا علماء بالدين ايضاً. وقد جاء في حديث مأثور عن الامام

جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة ما يلي : ان مما استحقت به الامامة التطهير والطهارة من الذنوب والمعاصي الموبقة التي توجب النار، ثم العلم المنور (وفي نسخة المكنون) بجميع ما تحتاج اليه الأمة من حلالها وحرامها، والعلم بكتابها خاصه وعامه، والمحكم والمتشابه، ودقائق علمه، وغرائب تأويله، وناسخه ومنسوخه. (يقول راوي الحديث) قلت: وما الحجة بان الامام لا يكون إلاّ عالماً بهذه الاشياء التي ذكرت؟ قال: قول الله فيمن اذن الله لهم في الحكومة، وجعلهم اهلها: **{انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار}**. فهذه للأئمة -دون الانبياء- الذين يربون الناس بعلمهم، واما الاحبار فهم العلماء دون الربانيين. (١)

خامساً: اما الاحبار فهم الفقهاء الذين كانوا دون الربانيين درجة، لكن وجب على الناس اتباعهم في غياب من الربانيين، وذلك على اساس وجود صفات الفقه والعدالة والتصدي فيهم.

اما الفقه والعدالة، فتدل عليهما كلمة: **{ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللّهِ }**؛ أي بسبب انهم كانوا امناء على كتاب الله، وايضاً بقدر حفظهم لكتاب الله دراسة وتطبيقاً. فكلما كان الشخص اوسع فقهاً واشد تقوى، كانت قيادته اكبر واوسع مدى.

واما التصدي للقيادة، فيدل عليها قوله سبحانه: **{ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ}**؛ اي شهداء على تطبيقه، ورقباء على الناس في مدى تنفيذهم له. ولكن لا يمكن ان يبلغ العلماء هذا المستوى الارفع إلاّ إذا تجاوزوا عقبتين؛ الأولى: خشية الناس (الاقوياء)، والثانية: اغراءات الناس (الأغنياء). قال الله تعالى: **{ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}** (المائدة/٤٤)

---

(١) بحار الأنوار / ج ٢٥ / ص ١٤٩ / ح ٢٤.

أي ان اولئك العلماء الذين يستسلمون لاغراءات الدنيا او خشية الناس، فلا يحكمون بما انزل الله؛ فهم الكافرون، لانهم يهلكون ويهلكون الناس.

^^^ **هاء:** المنتصرون للدين

والقائمون على الدين يحتاجون عادة الى من ينتصر لهم بقوة السلاح، فمن هم اولئك؟

انهم المجاهدون الذين يستخدمون ما انزل الله من الحديد، الذي فيه بأس شديد ومنافع للناس، حيث تشير آية كريمة سوف نفسرها انشاء الله الى ان الله يمتحن به رجالاً، ليعلم من ينصره ورسله بالغيب.

وهؤلاء هم المجاهدون الذين ان مكنهم الله في الارض اقاموا الصلاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وهم الذين فضلهم الله على القاعدين اجراً عظيماً.

^^^ **واو:** قوامون بالقسط

اقامة القسط في الناس ليست سهلة ابداً؛ ولولا مشاركة الناس جميعاً فيها، فان طائفة معينة لن تكون مقاومة لعواصف الهوى واعاصير البغي.

وانما تتسامى الحضارة البشرية بركائز العدل، وقواعد القسط.. اما الظلم والبغي والعدوان

فهي التي تدع البلاد بلاقع، والعمران بواراً.

ومن هنا فقد جعلت آيات الذكر، اقامة القسط من مسؤوليات الامة جمعاء. ونحن نستلهم منها البصائر التي تهدينا الى آفاق هذه المسؤولية، معتمدين على تفسيرنا "من هدى القرآن" مع بعض التغيير.

قال الله سبحانه: { **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** } (الحديد/٢٥)

نستلهم من الآية شروط اقامة القسط في المجتمع، وهي التالية:

١/ رسالة الهية يحملها رسول كريم الى الناس باسم الله سبحانه (لا باسم قوم او عنصر او اقليم)، وحسب قول الامام امير المؤمنين عليه السلام في الحكمة من انبعاث الرسل: بعث رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه، لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعداء اليهم. (١)

ولقد جاء الرسل من ربهم بالآيات البينات، التي لا ريب فيها، حتى تتم الحجة عليهم.

٢/ فادا كانت البينات تؤمن القناعات الاولية، فان الكتاب يؤمن النظام العملي الشامل المنطلق من الايمان، والذي يستهدف تكريسه بعمق في النفوس والواقع. والقيام بالقسط- هذا الهدف العظيم -، انما يستمد شرعيته وشرعته منه.

ومع دلالة الانزال على المعنى الظاهر من الكلمة، فانه يدل على الفرض. وكل ما نزل من الخالق الى المخلوق، فهو لازم ومفروض عليه القيام به. ومن البديهي ان معرفتنا بالبينات ان الكتاب من الله، تلزمنا العمل به وتنفيذه.

٣/ والوسيلة التي نعرف بها مضامين الكتاب الخارجية، مما يتكفله القضاء في المرافعات والخصومات هو الميزان. والسؤال: ماهو الميزان؟ هل هو العقل، ام الامام العادل، ام هذه المقاييس التي يحدد الناس اشياءهم بها، من القسطاس والمكيال والمتر ومقياس الحرارة وما أشبه من عشرات المقاييس؟

يبدو ان الميزان اساساً هو المقياس الذي نعرف به تطبيق الحكم على الواقع الخارجي، وهو لا يتم إلاّ بالعقل والامام والمقياس السليم.

وجاء في تفسير علي بن ابراهيم للآية **{ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ}** قال : الميزان الامام. (٢)كيف ذلك؟

أولاً: لم يأت القرآن ليلغي دور العقل، انما ليثير دفائنه بالاجتهاد في فهم حقائقه واحكامه وطريقة تطبيقه، وليقوم بدوره الحساس والخطير في حياة البشرية.

---

(١) نهج البلاغة / الخطبة رقم ١٤٤ .

(٢) نور الثقلين / ج ٥ / ص ٢٤٨ / رواية ٩٨ .

ثانياً: ولم يجيء القرآن بديلاً عن الامام (السلطة العادلة)، حيث يجب التسليم للقيادة الشرعية في حدود قيم الكتاب. فدور الامام يكمل دور الرسالة، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اني قد تركت فيكم الثقلين، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما اكبر من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي اهل بيتي. الا وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. (١) وقد اجمعت فرق المسلمين قاطبة على هذه الرواية، مع حكم العقل بضرورتها .

وميزان الانسان في الدنيا، هو ميزانه في الآخرة. يقول ربنا سبحانه: **{ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً}** (الاسراء/٧١)

قال الامام الرضا عليه السلام: الميزان؛ أمير المؤمنين نصبه لخلقه. **{ الا تطغوا في الميزان }** قال: لاتعصوا الامام. (٢)

والعقل يعكس مقاييسه التي فطر عليها، على مجموعة ادوات يقيس بها الاشياء. أرأيت ان العقل يعرف - عبر البصر - مدى قرب او بعد الاشياء، ولكنه التماساً للدقة يعكس ذلك على ادوات العلم (المتر والكيلو متر)، كما يقدر العقل على معرفة مدى حرارة الجسم باللمس، ولكنه يبدع المحرار ليكون أقرب الى الدقة. وهكذا سائر الموازين، انها تجليات العقل على الطبيعة، ومن جهة اخرى انها ادوات لحكم السلطة العادلة. فلولا القوانين التي تنظم العلاقة وتوزن مدى تطبيق القيم على الواقع، لم يستطع الامام فرض العدل على الناس ..

وهكذا كان الميزان اساساً هو العقل(الذي هداه الله لمعرفة المقاييس والمقادير)، والامام الذي هو بمثابة العقل الظاهر، ثم الانظمة والادوات القياسية، لانها تهدي

---

(١) بحار الأنوار / ج ٢٣ / ص ١٠٦ وكنز العمال / ج ١ / ص ١٧٢ و ١٨ موضعاً آخر.
(٢) نور الثقلين / ج ٥ / ص ١٨٨ وقد مر في سورة الرحمن تفصيل حول معنى الميزان .

الناس للحق والعدل. ولذلك جاء في التفسير: نزل جبرئيل عليه السلام بالميزان (الكفتين واللسان) فدفعه الى نوح، وقال : مر قومك يزنوا به. (١)

بعد توافر هذه الشروط الثلاثة تتهيأ أرضية اقامة القسط، والآية تصرح بأن اقامة القسط تكون بيد الناس انفسهم. فلم تقل: ليقوم الرسل بالقسط بين الناس، بل قالت: {**لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**}. ولو ان الناس تخلوا عن مسؤوليتهم تجاه العدالة، فان القسط لايقوم، لان رسالات الله توفر للناس فرصة اقامة القسط، ولم يبعث الانبياء لفرض العدالة بالاكراه على الناس.

وقيام الناس بالقسط انما يتم باقامة الحق في سائر جوانب حياتهم؛ مع الله، ومع الرسول، ومع القيادة الشرعية، ومع الناس، بل ومع الحياة، فيتقون الله حق تقاته، ثم يختارون الامام العدل ويسلمون له ويتبعونه. قال الامام الرضا عليه السلام: {**واقيموا الوزن بالقسط**}: واقيموا الامام بالعدل (٢).

ويلتزمون الحق مع انفسم باتباع القصد، من دون افراط ولا تفريط؛ ومع الناس فلا يبخسون، ولا يطففون، ولا يظلمون، ولا يعتدون، ولا ينقضون العهد. وهكذا يلتزمون العدل في علاقتهم مع الخليقة من حولهم. فلا يفسدون في الأرض بعد اصلاحها، ولا يهلكون الحرث والنسل، ولا .. ولا ..

ولكن تبقى شريحة من الناس تخالف الحق، ومن اجل هذا انزل الله الحديد وسيلة رادعة لتنفيذ القسط واقامته بين الناس. ولا يب ان القوة ليست الوسيلة المناسبة دائماً. فما يقره الاسلام شرعية القوة في الحالات الخاصة، لا ان تصبح القوة شريعة الناس ومنطقهم الدائم، ومن هنا انزل ربنا الحديد.

فما هو الحديد؟ قال الامام علي عليه السلام: يعني السلاح وغير ذلك. (٣) مما يحقق الغرض منه، وهو الردع وتنفيذ القسط. وهذا الشطر من الآية معطوف على

---

(١) جوامع الجامع للطبرسي عند الآية .

(٢) تفسير نور الثقلين / ج ٥ / ص ١٨٩ .

(٣) تفسير نور الثقلين / ج ٥ / ص ٢٥٠ .

(الكتاب والميزان)، ولكن الله يذكر اولاً الهدف من الحديد. لماذا ؟ لكي يبين - فيما يبدو - بصيرة هامة، هي ان العوامل المتقدمة هي الأهم، ولابد ان تكفي في الظروف العادية "ليقوم الناس (انفسهم) بالقسط". فلا يحتاجون الى اعمال الحديد، وذلك لان القوة التنفيذية في الاسلام تستمد قوتها الاساسية من الايمان، لا من السيف.

وهنا نتساءل: اذاً لماذا انزل الله الحديد؟ الجواب: انما لاولئك الجبابرة والطغاة والمعاندين الذين قست قلوبهم عن وعي البينات والكتاب، وعارضوا الميزان والقسط.. لمثل اولئك شرع الله استخدام السيف، ورغب فيه. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، انه قال: الخير كله في السيف، وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلاّ السيف. (١) وقال الامام علي عليه السلام : ان الله داوى هذه الأمة بدوائين؛ السوط، والسيف، لا هوادة عند الامام فيهما. (٢) وقال الامام الصادق عليه السلام: ان الله عز وجل بعث رسوله بالاسلام الى الناس عشر سنين، فأبوا ان يقبلوا حتى أمره بالقتال. فالخير في السيف، وتحت السيف، والأمر يعود كما بدأ. (٣) وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: السيف فاتق، والدين راتق. فالدين يأمر بالمعروف، والسيف ينهى عن المنكر. قال الله تعالى : { **ولكم في القصاص حياة**}. (٤)

وقد سبق ان الفئة التي تجاهد في الله بالسيف، هم عنصر هام من عناصر تطبيق القسط.

وقد أمر الله سبحانه في سورة النساء باقامة القسط، فقال تعالى: { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ**

---

(١) بحار الأنوار / ج ١٠٠ / ص ٩ .
(٢) شرح ابن حديد / ج ١ / ص ٢٧٥ .
(٣) فروع الكافي / ج ٥ / ص ٧ .
(٤) غرر الحكم طبعة ايران المترجمة حكمة (٢١٥٧) باب الالف .

إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وإِن تَلْوُو أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً } (النساء/١٣٥)

ونستفيد من الآية؛ ان من عوامل اقامة القسط الشهادة لله. ذلك لأن كثيراً من الحقوق تضيع بسبب نكول الناس عن الشهادة بالحق، اتباعاً لهوى المصالح وحمية القرابات. وهكذا تنعدم العدالة اما بصراحة او عن طريق اخفاء الحقائق بطريقة او بأخرى . قال الله سبحانه : { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى اَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** } (المائدة/٨)

وفي هذه الآية امر ربنا المؤمنين بان يقوموا لله ويشهدوا بالقسط، ولا يدعوهم خلافهم مع بعض الناس الى مخالفة الجهاد والعدل، واضاعة حقوق الناس، بينما العدل هو اقرب للتقوى.

ونستفيد من هذه الآية؛ ان على المؤمنين مقاومة اهواء انفسهم وانصاف الناس من انفسهم حتى يعدلوا.

ولا ريب ان المسؤولية الملقاة على المؤمنين اكثر من غيرهم في اقامة القسط، لأنهم صفوة الأمة وخيرتها وقادتها المتميزون، والله المستعان.

٨٨بصائر الآيات

القوامون هم الذين يمثلون مرتكزات التجمع الاسلامي والامة المؤمنة.

١/ فقوام الانسان يتمثل في العقل والعلم والفقه، والفقهاء قائمون بها في المجتمع المسلم، والكتاب قيم، وقيام الناس به وهو مرتكز حياتهم، والقوّامون بالكتاب - بصورة اخص - هم الانبياء والربانيون والاحبار.

٢/ والمال قوام، والناس قائمون به لكي لا يؤتى للسفهاء، (ولا يكون دولة بين الاغنياء، ولا يحرم منه المساكين).

٣/ وعلى الناس ان يقوموا بالقسط، ووسائل اقامته؛ الكتاب والميزان والحديد، ومن ينتصر لدين الله بالحديد.

٤/ والمؤمنون قوامون بالقسط شهداء لله، وقوامون لله شهداء بالقسط. وهم لا يدعوهم التعصب ضد احد الى ظلمه، بل يعدلون، لأن العدل أقرب للتقوى.

٥/ اما الذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، فهم الذين يكفرون بآيات الله، وقد بشّرهم الله بعذاب أليم.

٦/ والكعبة قيام للناس، والاشهر الحرم من الدين القيم. (وحرمة بيت الله والاشهر الحرم توفر السلام، وتدعم ركائز الأمن).

٧/ والأسرة قوم المجتمع، ولابد من اقامة حدود الله فيها. والرجل (الزوج - الأب) قائم بها (وقوام بالقسط في ارجاءها)، والمرأة تحفظ الغيب بما حفظ الله .

٨/ ودعائم القيمومة التصدي للمسؤولية والقدرة والعلم، والله المستعان.

٨٨البنــون

٨٨٨ البنون زينة:

البنون زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات قيمة. فمن ابتغى بهذه الزينة ما عند الله، فلم يفتتن بها، وتجنب الغرور والكبر والبطش بها، وتحمل مسؤوليتها انفاقاً واحساناً وتربية. فقد جعلها من الباقيات الصالحات التي تنفعه، يوم لا ينفع مال ولا بنون. ومن اتخذ البنين متاع الغرور والكفر، فقد افتتن بهم، ولم ينفعهم شيئا .

٨٨٨٨ الف: البنون بين الزينة والمسؤولية

١/ البنون زينة؛ (والزينة تنفع اذا تمتع بها الانسان، وتضر اذا افتتن بها) وانما ينتفع بالزينة من جعلها لنفسه من الباقيات الصالحات، التي هي خير عند الله ثواباً وخير املاً. قال ربنا سبحانه: **{ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً }** (الكهف/٤٦)

٢/ كيف نتعامل مع نعمة البنين (ومع سائر نعم الله علينا في الدنيا)؟ انما بان نجعلها متاع الحياة الدنيا، فنتزين بها ونتمتع بوجودها، ونستفيد منها عوناً وعزة وأنساً وجمالاً. ولكن دون ان ننسى مسؤوليتنا تجاه الاولاد، بالانفاق عليهم، والاحسان اليهم، والتربية لهم. ثم باتقاء ما قد يعترينا من جانبهم من الفتنة (التي ذكرت آيات القرآن بها، وسنتلوها انشاء الله). قال الله تعالى: **{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ**

الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} (آل عمران/١٤)

٣/ ولكي لا يغتر البشر بالبنين، يجب ان يعلم انهم نعمة من الله تعالى عليه. (ومعرفة ذلك تدعوه الى الاحساس بوجوب الشكر، والشكر بدوره يدعوه الى الالتزام بالمسؤولية). قال الله سبحانه: **{ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ}** (النحل/٧٢)

٤/ قال الله تعالى: **{ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}** (الشورى/٤٩-٥٠)

وهكذا نعرف ان البنين من عند الله، لان الله قد جعل البعض منا عقيماً، كما انه يرزق من يشاء ذكوراً، ويهب لمن يشاء إناثاً. فلا يحدد الوالدان نوع المولود، بل الله يقدره كيفما يشاء.

٥/ والبنون وسيلة العزة، فاذا زاد عدد السكان زادت القوة البشرية (النفير)، التي تمنح الامة منعة. قال الله سبحانه : **{ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً}** (الاسراء/٦)

هكذا كانت قوة بني اسرائيل في بعض المراحل قائمة على نعمة البنين، التي جعلتهم اكثر نفيراً (جيشاً).

٦/ ولكن كثرة الذرية ليست دليلاً على القرب من الله (وصحة العقائد)، فقد تكون ابتلاءً. (وهكذا لايجوز ان نتخذ البنين دليلاً على سلامة المنهج عند الفرد او الامة). قال الله سبحانه: **{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ}** (المؤمنون/٥٥-٥٦)

كلا؛ قد لا تكون الذرية وسيلة الخيرات، اذ قد تتحول الى وقود للصراعات الداخلية التي تحرق الاخضر واليابس .

٧/ وقد حذر ربنا سبحانه من فتنة الاولاد، حين ذكرنا بان منهم عدواً لنا. وكما يحذر الانسان من العدو الظاهر، ينبغي ان يحذر من العدو المتلصص. قال الله سبحانه : { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** } (التغابن/١٤-١٥)

٨/ ولكن كيف يتحول البنين من زينة ومتاع للحياة الدنيا الى فتنة وعدو (وربما نقمة)؟ لعل من مصاديق ذلك، ان الانسان قد يغتر بهم فيكفر بالحق ويستهزء بآيات الله. ونستوحي ذلك من قوله سبحانه: { **وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّآءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ** (القلم/١٠-١٥)

فقد انعم الله على هذا الانسان بالمال والبنين، ولكنه بدل ان يشكر الله سبحانه بالايمان برسالاته اخذ يكفر بآيات الله ويقول انها اساطير الاولين، وقد اصبح مناعاً للخير ومعتدياً على الناس، و(كذباً) كثير الحلف، مهين (يشعر دائماً بعقدة الدونية)، وهو هماز (لا يرتاح الناس من سوء لسانه)، ومشاء (بين الناس يفرق بينهم) بنميم.

٩/ وقال الله سبحانه: { **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لاَيَاتِنَا عَنِيداً**} (المدثر/١١-١٦)

وهكذا تجد هذا المغرور الذي قد يكون مصداقه أي واحد من البشر، انه قد خلق وحيداً (لا مال له ولا بنين)، ثم جعل له الرب مالاً ممدوداً ورزقه بنين شهوداً (يحضرون مجلسه وقد يستعين بهم على مقاصده)، ولكنه كان يعاند آيات الله (غروراً بأمواله وبنيه).

١٠/ بينما كان ينبغي شكر نعمة البنين بالايمان بالله وبرسالاته ورسله. وهكذا ذكر نوح عليه السلام قومه وامرهم بالاستغفار، ليرسل الله عليهم السماء مدراراً، ويمددهم بأموال وبنين. قال الله سبحانه: { **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ***

يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّـاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَاراً} (نوح/١٠-١٢)

١١/ وكذلك هود عليه السلام انذر عاداً وأمرهم بتقوى الله سبحانه وطاعة رسوله، لان الله تعالى امدهم بانعام وبنين. قال الله سبحانه: **{ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}** (الشعراء/١٣١-١٣٤)

ومعرفة عاقبة عاد وقوم نوح كيف كانت بورا، لانهم لم يشكروا نعم الله، وبالذات نعمة الاموال والبنين.

١٤/ ومن مصاديق الشكر على نعمة الذرية، استقبال المولود الانثى بالترحاب وليس بالانكماش والغيظ المكظوم، مثلما فعلت الجاهلية الاولى. (وقد يكون العكس عند البعض، كمن يود ان يرزق انثى، فاذا ولدت له زوجته ذكراً اغتاظ. والانثى والذكر كلاهما نعمة، يجب شكر الله عليها). قال الله سبحانه: **{ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ }** (الزخرف/١٦)

١٥/ ولكي تطمئن نفس البشر ولا تغتر بالبنين، فعليها ان تنظر الى الآخرة، حيث لا ينفعها مال ولا بنون. فالاخرة هي الحيوان، وهي المقياس الصحيح الذي يجب ان نقيم به الحقائق. قال الله سبحانه: **{ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}** (الشعراء/٨٨-٨٩)

٨٨٨٨ باء: البنون والباقيات الصالحات

١/ لكي يكون البنين من الباقيات الصالحات للانسان، يجب ان يعرف كتاب الله كما يعرفهم، فلا يلهيه الاهتمام بالابناء عن معرفة الكتاب. قال الله سبحانه: **{ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** (البقرة/١٤٦)

٢/ وان يفضل كتاب الله واحكامه، ومن احكامه الجهاد في سبيل الله على حبه لابنائه. فمن فضّل صلته بآبائه وابنائه واهله وسائر متعلقات حياته على معتقداته

وقيمه، فانه يعد من الظالمين، والله لا يهدي الظالمين. قال الله سبحانه: { **قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**} (التوبة/٢٤)

٣/ وهكذا نجد النبي ابراهيم عليه وعلى نبينا وآله السلام يقدم فلذة كبده اسماعيل للذبح في سبيل الله، واسماعيل -بدوره- يسلم لابيه وما رآه في المنام من صورة ذبحه، فيقول ربنا سبحانه: { **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَآ أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَآ إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَآ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**} (الصافات/١٠٢-١٠٥)

وهذه هي اسوة الاسرة الطيبة، التي صبغت علاقتها بالايمان والتسليم، سلام عليهم في العالمين.

٤/ اما الولد العاق، فانه ليس من اهل الانسان، وعلى المؤمن ان يرفضه ويتمسك بالدين من دونه. قال الله سبحانه: { **لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِروحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ اَلآ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**} (المجادلة/٢٢)

٥/ وهكذا نرى النبي نوح على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام ينادي ابنه ليلتحق به، فلما رفض اغرق واخرجه الله من اهل نوح. قال الله سبحانه : { **وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**} (هود/٤٥-٤٦)

وهكذا تظل الاصرة الايمانية اشد وابقى من كل اصرة، فيما بينها علاقة الوالد بابنائه، وبذلك يحفظ الله المؤمن من الافتتان بابنائه وخسارة دينه بسبب علاقته المادية بهم.

٨٨٨٨ جيم: المسؤولية عن البنين

١/ والانسان مسؤول عن بنيه في حدود معينة. فهو مسؤول عن رزقهم بالمعروف، حيث يقول سبحانه : { **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاَدَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَآ ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** (البقرة/٢٣٣)

٢/ وهكذا تقع مسؤولية حفظ الاولاد من المهالك ضمن واجبات الاب. من هنا ترى نوحاً عليه السلام ينادي ابنه ليركب معه السفينة، ولكنه يأبى ويغرق. قال الله سبحانه: { **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُن مَعَ الكَافِرِينَ}** (هود/٤٢)

٣/ وعلى الناس ان يساعدوا الاب على ادارة ابناءه. ومن هنا فقد اخبر اخوة يوسف اباهم بسرقة ابنه، لانه المسؤول عنه. قال الله سبحانه: { **ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَآ أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ}** (يوسف/٨١)

٤/ وقد يخوض البشر حرباً دامية، ويعرّض حياته للخطر من اجل ابناءه. من هنا جعل اولئك القوم من بني اسرائيل الذين هجروا من وطنهم، جعلوا الاخراج من ابنائهم - كما الاخراج من ديارهم- مبرراً لخوض الحرب. قال الله سبحانه: { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلاَءِ مِن بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ اَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَآ اَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ**

وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (البقرة/٢٤٦)

٥/ ومن مسؤوليات الآباء النصيحة لابنائهم فيما يرتبط بحياتهم، (لانها جزء من التربية الصالحة، وهي وسيلة المحافظة على حياتهم). هذا يعقوب عليه السلام ينصح يوسف عليه السلام بالاّ يقص رؤياه على اخوته، خوفاً من كيدهم. قال الله تعالى: **{قَالَ يَابُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ}** (يوسف/٥)

٦/ كذلك ينصح يعقوب عليه السلام سائر اولاده ألاّ يدخلوا مصر من باب واحد، خشية تعرضهم لخطر. قال الله سبحانه: **{ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}** (يوسف/٦٧)

٧/ ومرة اخرى ينصحهم بالبحث عن اخيهم، وألا ييأسوا. (وتلك نصيحة حضارية هامة، بألاّ يتوانوا في طلب حاجاتهم ولا ييأسوا). قال الله تعالى: **{ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}** (يوسف/٨٧)

٨/ ومن مسؤوليات الأب تلقاء بنيه الموعظة لهم، كما وصى ابراهيم عليه السلام بنيه ويعقوب عليه السلام بألاّ يشركوا بالله شيئاً. (وتلك الوصية الام التي تشمل جوامع الخير). قال الله تعالى: **{ وَوَصَّى بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ}** (البقرة/١٣٢)

٩/ اما لقمان فقد افاض في وصاياه، حتى شملت العقائد والشرائع والاخلاق. قال الله تعالى: **{ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}** (لقمان/١٣)

١٠/ وقال الله سبحانه: **{ يَا بُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ**

وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} (لقمان/١٦-١٩)

انك تقرأ في هذه الوصايا ما يتصل بالتوحيد والتقوى (الآية ١٦)، وبالصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الشرائع والاحكام (الآية ١٧)، وما يتصل بالاخلاق (الآية ١٨)، وما يتصل بالآداب (الآية ١٩).

١١/ ومن المسؤوليات الهامة التي يقوم بها الآباء المؤمنون، هي الدعاء الى الله سبحانه باصلاحهم واسعادهم، كما فعل ابونا ابراهيم عليه وعلى نبينا وآله السلام، حيث قال الله سبحانه: { **وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**} (إبراهيم/٣٥)

٨٨بصائر الآيات

١/ من أجل تشييد صرح المجتمع المؤمن الذي تتنامى فيه كلمات السلام والحق والعدل والأمن والرفاه، لابد ان نبني كيان الأسرة المؤمنة. ووسيلة ذلك، العلاقة السليمة بالزوجة وبالبنين.

٢/ البنون زينة، ولابد ان نجعلهم من الباقيات الصالحات، بألاّ نغتر بهم ولا نطغى، ونتحمل

مسؤوليتهم بالانفاق والاحسان والتربية. ولنعلم ان كثرة الذرية ليست دليلاً على القرب من الله سبحانه. ولنعلم ان من الذرية من هو عدو لنا، فعلينا ان نحذرهم. ولنشكر الله على نعمة البنين، فنرضى بجنس الوليد ذكراً او انثى.

٣/ وعلينا ألاّ نحبهم أكثر من الله ورسوله وجهاد في سبيله، ولنتعلم من النبي ابراهيم عليه السلام الذي قدم ابنه اسماعيل عليه السلام للذبح، ومن نوح عليه السلام الذي تبرء من ابنه حينما لم يطعه.

٤/ وعلى الوالد رزق الأولاد وكسوتهم بالمعروف، وحفظهم. وربما خاض الأب حرباً دفاعاً عن ابنائه، وعليه ان ينصحهم ويوصيهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ويدعو لهم ربه بالصلاح.

^^فقه الآيات

^^^ أولاً: البنون زينة ومتاع وعزة

ما هي البصيرة القرآنية حول الذرية؟ انهم زينة، وانهم متاع الحياة الدنيا، وانهم عزة (ومنعة).

وهذه مظاهر النعمة في الاولاد (وهناك مظاهر الفتنة ايضاً، سنتحدث عنها قريباً انشاء الله). فإذا تدبرنا في هذه الابعاد الايجابية، استوحينا الحقائق الفقهية التالية:

^^^^ الف: الذرية زينة الحياة

لان البنين زينة، فلابد ان نتمتع بهم باقصى قدر ممكن، ولا يحددنا عن ذلك الشعور السلبي الذي جعل بعض المشركين يقتلون اولادهم خشية املاق، وجعل بعضهم يسوّد وجهه إذا بُشّر بالانثى، وربما دفنها على هون. ولا يزال في بعض بلاد الهند والصين من يتشاءم بالانثى، فيجهضها او يقتلها بعد الولادة. كلا؛ الولد ذكراً او انثى زينة، ولا يحدنا عن الانس بهما، الا اذا اصبحا فتنة، والعياذ بالله.

ومن هنا جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، انه قال: الولد الصالح ريحانة

من رياحين الجنة. (١)

وروي عن الامام الصادق عليه السلام، قال: ميراث الله من عبده المؤمن، ولد صالح يستغفر له. (٢)

وبالذات الانثى ريحانة وزينة، بينما الولد حسنة ومسؤولية. ففي الحديث المروي عنه عليه السلام، قال: البنات حسنات، والبنون نعمة. فالحسنات يثاب عليها، والنعم يسأل عنها. (٣)

ولان انبلاج نور الرسالة كان في المحيط الجاهلي الفاسد، فقد ركزت احاديث الرسول صلى الله عليه وآله على حب الاناث من الذرية. فقد جاء على لسان النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: نعم الولد البنات المخدرات. من كانت عنده واحدة جعلها الله ستراً من النار، ومن كانت عنده اثنتان ادخله الله بها الجنة، ومن يكن له ثلاث او مثلهن من الاخوات وضع عنه الجهاد والصدقة. (٤)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير اولادكم البنات. (٥)

وقد رغب الاسلام في حب الاولاد، فجاء في الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام، انه قال: ان الله عز وجل ليرحم الرجل لشدة حبه لولده. (٦)

وفي حديث نبوي، قال صلى الله عليه وآله: احبوا الصبيان وارحموهم، فاذا وعدتموهم ففوا لهم، فانهم لا يرون الا انكم ترزقونهم. (٧)

وفي رواية شريفة جعل الله حب الاولاد افضل الاعمال .

---

(١) بحار الانوار / ج١٠١ / ص٩٠ / ح١.
(٢) المصدر / ح٢.
(٣) المصدر / ح٣.
(٤) المصدر / ص ٩١/ ح٥.
(٥) المصدر / ح٦.
(٦) المصدر / ح٩.
(٧) المصدر / ص ٩٢/ ح١٤.

وعن ابي عبد الله عليه السلام، قال: قال موسى بن عمران: يا رب أي الاعمال افضل عندك؟ فقال: حب الاطفال، فان فطرتهم على توحيدي، فإن أمتهم ادخلهم برحمتي جنتي. (١)

قال عمر بن يزيد للامام الصادق عليه السلام: ان لي بنات. فقال لي: لعلك تتمنى موتهن؟ اما إنك إن تمنيت موتهن ومتن، لم توجر يوم القيامة، ولقيت ربك حين تلقاه وانت عاص. (٢)

ان الجاهلية تعمّق في الفرد حب ذاته والاستئثار بنفسه، ولذلك تجد في المدنية المادية اليوم انتكاس فطرة حب الذرية والتوجه - بدلها- الى الكلاب والقطط وربما اللوحات الفنية وما اشبه.

والتشريعات القانونية الحديثة تساهم في هذه النكسة الفطرية، حيث انها تقلل من صلاحية الوالدين في تدبير شؤون الاولاد، وتجعل قيمومة الدولة بديلة عن قيمومة الوالدين. كما ان الثقافة الحديثة بما فيها من برامج مكثفة للاطفال تساهم في اضعاف علاقة الاولاد بالاسرة، وربطهم بمصادر التثقيف العامة (افلام الكارتون، مدن الالعاب، الالعاب الكمبيوترية، صحف الاطفال، وما اليها).

وعلينا - نحن المسلمين - ان نحذر الانهيار الاسري، ونؤكد اكثر فأكثر على دور الاسرة في بناء الطفل عقلياً وعاطفياً. واهم قاعدة تمنع الانهيار الاسري، حب الاولاد واتخاذهم زينة وريحانة، والتقرب الى الله سبحانه بخدمتهم، والله المستعان.

٨٨٨٨ باء: البنون متاع الحياة

بعد ان يبين ربنا سبحانه في سورة آل عمران ان الله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين، يقول: **{ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }**، والسؤال: كيف تصبح الشهوات متاعاً؟ وما هي البصيرة القرآنية في ذلك؟

---

(١) بحار الانوار / ج١٠١ / ص١٠٥ / ح١٠٣ .

(٢) المصدر / ص٩١ / ح١٠.

الاجيال البشرية تتلاحق، وعلى كل جيل مسؤولية التواصل مع الجيل السابق والجيل الصاعد. وكما تبر انت بوالديك وتحذر من عقوقهما، كذلك يبرك ابناؤك. وكما انه في ايام شبابك يحتاج الوالدان الى خدمتك، كذلك تحتاج انت الى خدمة ابناءك عند شيخوختك. وهكذا تجد مكانة كبار السن في المجتمع الاسلامي مكانة مرموقة، بينما يحتار الآخرون كيف يتخلصون منهم، ويقضي كثير منهم في دور العجزة بعيدين عن أية رحمة او حرمة.

ان خدمتك لابنائك ضمانة مستقبلية لك، وكأنها قرضة حسنة يردونها اليك عند حاجتك. ومن هنا حث الاسلام على خدمة الوالدين، وانذر المتخلف انه قد يكون عاقاً لهما فتكون عاقبته السوئى. وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: والذي بعثني بالحق، ان العاق لوالديه ما يجد ريح الجنة. (١)

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام: انت ابر الناس بأمك، ولا تزال تأكل معها؟ قال : اخاف ان يسبق يدي الى ما سابقت عينها اليه، فأكون قد عققتها. (٢)

وتتكامل العلاقة بين الابناء والاولاد في بصيرة القرآن، فقد جاء في الحديث عن الصادق عليه السلام، قال: بر الرجل بولده، بره بوالديه. (٣)

ونستفيد من هذه البصيرة؛ ضرورة دمج الاولاد في حياة الاسرة، حتى يصبحوا بناءً مرصوصاً في وجه تحديات الحياة، ومن ذلك السعي لايجاد التشابه بين الاولاد والآباء. فقد جاء في الحديث عن الصادق عليه السلام، قال: من نعم الله عز وجل على الرجل ان يشبهه ولده. (٤)

---

(١) بحار الانوار / ج١٠١ / ص٩٣ / ح٢٣.
(٢) المصدر / ح٣١.
(٣) المصدر / ح٢٦.
(٤) المصدر / ح٢٨.

وعن الصادق عليه السلام ايضاً، قال: من سعادة الرجل ان يكون الولد يعرف بشبهه وخلقه وخُلقه وشمايله. (١)

وتتكامل هذه النعمة والسعادة حين يكون هذا الولد هو الخلف من بعده، حيث جاء في الحديث ان من مات بلا خلف، فكأن لم يكن في الناس. ومن مات وله خلف، فكأن لم يمت. (٢)

وعن ابي ابراهيم عليه السلام، قال: كان ابي يقول: سعد امرء لم يمت حتى يرى خلفه من نفسه. ثم قال: ها وقد اراني الله خلفي من نفسي، واشار الى ابي الحسن عليه السلام. (٣)

وقد اثبتت الدراسات الحديثة ان نسبة نجاح الابناء الذين يختارون سلك اباءهم، اكبر من نسبة نجاح غيرهم.

٨٨٨٨ **جيم: البنون عزة**

حينما اراد الله سبحانه ان يجعل بني اسرائيل اكثر نفيراً، امدهم باموال وبنين. وهكذا كثرة البنين قوة ومنعة، وبالتالي عزة. والسؤال : كيف نستعين بعد الله سبحانه بالاولاد في هذا الحقل؟ والاجابة:

١/ علينا ألاّ نخشى من الزيادة السكانية اذا كانت لدينا خطة تنموية واضحة، اذ نستفيد من ذلك في تطوير حياتنا وبناء حضارتنا، وسواءً الذكور والاناث، فان الذرية طاقة هائلة، وهم كما السيل الهادر يحفرون طريقهم بانفسهم ويرزقهم الله بفضله.

---

(١) المصدر / ص ٩٥ / ح٣٧.
(٢) بحار الانوار / ج١٠١ / ص٩١ /ح٨.
(٣) المصدر / ص٩٥ / ح٣٩.

وحينما كانت الجاهلية تكبت طاقات الشبيبة وتحرم النساء من حقوقهن -فانها كانت تقتل الاولاد خشية الاملاق - وتأد النساء، وكان الواحد منهم يكفهر وجهه غضباً وحيرة عندما يبشر بانثى. والحديث التالي يعكس جانباً من ذلك الواقع الفاسد.

فقد روي انه اتى رجل النبي صلى الله عليه وآله، وعنده رجل فأخبره بمولود، فتغير لون الرجل. فقال النبي صلى الله عليه وآله: مالك ؟ فقال: خير. قال: قل. قال: خرجت والمرأة تمخض، فأخبرت انها ولدت جارية. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: الارض تقلها والسماء تظلها والله يرزقها، وهي ريحانة تشمها. ثم اقبل على اصحابه فقال: من كانت له ابنة واحدة فهو مفدوح، ومن كانت له ابنتان فياغوثاه، ومن كان له ثلاث وضع عنه الجهاد وكل مكروه، ومن كان له اربع فيا عباد الله اعينوه، يا عباد الله اقرضوه، يا عباد الله ارحموه. (١)

ومن هنا شجع الاسلام على اعالة الاولاد، فقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: من عال ثلاث بنات او ثلاث اخوات، وجبت له الجنة. قيل: يا رسول الله واثنتين؟ قال صلى الله عليه وآله: واثنتين. قيل : يا رسول الله وواحدة؟ قال: وواحدة. (٢)

وبكلمة؛ اذا كانت الخطة حكيمة واذا اطلقت امكانات الشبيبة، فان زيادة السكان نعمة، وهي في ذات الوقت منعة.

٢/ دور الشبيبة في الدفاع، دور حاسم لشجاعتهم وقوتهم. فاذا شجعنا الزيادة السكانية، فان مجتمعنا يضحى شاباً ويكون اقدر على الدفاع، ولذلك فان التعبئة هي اقدر على منع الغزاة .

ولكن يجب الحذر من ان تتحول هذه الطاقة الى وسيلة بيد الطغاة والجبابرة، وسوف نتحدث انشاء الله عن ذلك مستقبلاً .

---

(١) بحار الانوار / ج١٠١ / ص٩١ / ح١١.

(٢) المصدر / ص٩٢ / ح١٢.

^^^ ثانياً: البنون مسؤولية

والذرية مسؤولية، وعلينا ان نتوكل على الله ونتقبل هذه المسؤولية بكل ثقة وامل، وقد بشر الله عباده بان يغنيهم من فضله بعد الزواج. قال الله تعالى: { **وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** } (النور/٣٢)

والذين يتهربون من تحمل المسؤولية، فكأنهم يتهربون من الحياة ذاتها..

والمسؤولية تتمثل في ثلاث؛ مسؤولية الجسم، ومسؤولية العقل، ومسؤولية الفؤاد.

^^^^ الف: مسؤولية الجسم

ذكرت آية كريمة بضرورة الانفاق على الزوجة، وكذلك الانفاق على المرضعة، مما يهدي الى مسؤولية الاب عن طعام الوليد، وفي مناسبة اخرى ذكرنا أبعاد الانفاق الواجب.

وذكرت آيات سبق التدبر فيها بضرورة المحافظة على الولد، ولا ريب ان الطعام والشراب والسكن والدواء وما اشبه عوامل المحافظة على البنين.

وقد رأينا كيف دعا النبي ابراهيم عليه السلام ربه ليرزق الاجيال الصاعدة من ابنائه واحفاده من الثمرات، مما يوحي باهتمام قدوتنا واسوتنا ابراهيم ليس فقط بأبنائه المباشرين، بل بالاجيال المتلاحقة من ذريته.

وهكذا ينبغي ان يخطط كل جيل من البشر، للاجيال القادمة؛ فمثلاً المعادن المحدودة (كالبترول) والغابات الطبيعية وما فيها من انواع النبات والاحياء، انها ليست ملكاً لهذا الجيل فقط حتى يبادر بالاسراف فيها دون التفكير في مستقبل البشرية. بل على كل جيل ان يقوم بدوره في تنمية قواعد التحضر والرقي، ليستفيد منها الابناء كما استفاد هذا الجيل من مكاسب الآباء، والله المستعان.

^^^^ باء: مسؤولية العقل

العلم وزير العقل، وكلما تقدم التعليم في مجتمع تفتحت عقولهم، وعلى الآباء ان يسعوا لتعليم الناشئة، والوصايا والمواعظ والنصائح التي قرأناها في آيات الذكر نماذج للتعليم الصحيح .

وكان لقمان قدوة في مجال اصول التعليم الثلاث؛ العقائد واهمها التوحيد، والاخلاق وسيدها التقوى (ومراقبة الرب الذي يعلم ويأتي بكل كبيرة او صغيرة وفي أي موقع يكون)، والاحكام وسيدها الصلاة، والتبليغ والاداب الاجتماعية وسيدها القصد.

وقد ذكرت الاحاديث بمصاديق اخرى للتربية، تهدينا الى آفاق التعليم الضروري. فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله، انه قال: من حق الولد على والده ثلاثة؛ يحسّن اسمه، ويعلّمه الكتابة، ويزوّجه اذا بلغ. (١)

ومثل آخر للتعليم الديني نجده في الحديث التالي، المروي عن ابي عبد الله او ابي جعفر عليهما السلام، قال: إذا بلغ الغلام ثلاث سنين، فقل له سبع مرات: قل لا إله الا الله، ثم يترك حتى تتم له ثلاث سنين وسبعة اشهر وعشرون يوماً. ثم يقال له: فقل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله سبع مرات، ويترك حتى تتم له اربع سنين. ثم يقال له: قل سبع مرات صلى الله على محمد وآل محمد، ثم يترك حتى تتم له خمس سنين ثم يقال له: ايهما يمينك وايهما شمالك؟ فإذا عرف ذلك حوِّل وجهه الى القبلة ويقال له: اسجد، ثم يترك حتى تتم له ست سنين. فإذا تمت له ست سنين، قيل له: صلِّ وعلِّم الركوع والسجود حتى تتم له سبع سنين. فإذا تمت له سبع سنين، قيل له: اغسل وجهك وكفيك فإذا غسلهما، قيل له : صلِّ ثم يترك حتى تتم له تسع سنين. فإذا تمت له علِّم الوضوء وضرب عليه وامر بالصلاة وضرب عليها، فإذا تعلم الوضوء والصلاة غفر الله لوالديه إنشاء الله. (٢)

---

(١) بحار الانوار / ج١٠١ / ص٩٢ / ح١٩.

(٢) بحار الانوار / ج١٠١ / ص٩٤ / ح٣٦.

ويبين الامام الصادق عليه السلام مراحل تعليم الطفل وتربيته بالقول: دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبعاً، والزمه نفسك سبع سنين؛ فان افلح، وإلاّ فانه من لا خير فيه. (١)

وقد بين النبي صلى الله عليه وآله مدى ثواب التربية بالقول: لان يؤدب احدكم ولداً، خير له من ان يتصدق بنصف صاع كل يوم. (٢)

وعنه عليه السلام قال: اكرموا اولادكم واحسنوا آدابهم يغفر لكم. (٣)

ومن آفاق التربية للطفل، توفير الظروف المناسبة وتجنب مزالق الشيطان التي قد تستدرجهم الى الفساد، وذلك مثل التفريق بين البنين والبنات في المضاجع اذا بلغوا عشر سنين. فقد جاء في الرواية المأثورة عن الامام الباقر عليه السلام: يفرق بين الغلمان والنساء في المضاجع اذا بلغوا عشر سنين. (٤)

وكذلك إبعاد البنت عن ارهاصات الاثارة، حيث جاء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام، انه قال: إذا بلغت الجارية ست سنين فلا تقبلها، والغلام لا يقبل المرأة اذا جاز سبع سنين. (٥)

وقال علي عليه السلام: مباشرة المرأة ابنتها اذا بلغت ست سنين، شعبة من الزنا. (٦)

ومن هذه الامثلة نعرف ضرورة توفير البيئة الطاهرة في البيت، والبعيدة عن أية إثارات جنسية قد تهتك حجاب العفة في الاطفال، بل نهت الروايات المباشرة الجنسية بين الوالدين امام الطفل واعتبرتها من الاثارات التي تدعو الى الزنا.

---

(١) المصدر / ص٩٥ / ح٤٠.
(٢) المصدر / ح٤٣.
(٣) المصدر / ح٤٤.
(٤) المصدر / ص٩٦ / ح٤٧.
(٥) بحار الانوار / ج١٠١ / ص ٩٦ / ح٥١.
(٦) المصدر / ح٥٢.

ولك ان تستوحي من ذلك حكم الافلام الاباحية التي تعرض في بعض البيوت، او الصور الفاضحة، او حتى الممارسات المثيرة التي تجري امام نواظر الصبية.

بلى؛ البيت الطاهر هو الذي يذكر فيه الله بالغدو والاصال، ويرفع في ارجائه الاذان عند مواقيته، وتتلى فيه آيات القرآن.. فان هذه البيوت هي مصباح الهدى، ومشكاة المعرفة، ومهبط الرحمة الالهية.

٨٨٨٨ جيم: مسؤولية الفؤاد

تتجلى العواطف الخيرة في القلب، وإذا كان الاب وكانت الام مصدر الحب الطاهر، فان الناشئة سوف تنمو على الحب؛ وأي فضيلة اسمى من الحب، وهل الدين إلاّ الحب، حب الله وحب اولياءه، وحب العمل الصالح؟

وقد تلونا آيات الذكر آنفاً ورأينا كيف كان التعبير الشفاف عن البنين بالزينة وبحب الشهوات، ولقد اولت الروايات المأثورة قضية العاطفة وما يؤدي الى سلامة القلب ونقاءه عن العقد، اولتها اهتماماً بالغاً. فقد جاء في الحديث قبّل رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام، فقال الاقرع بن حابس: ان لي عشرة من الاولاد ما قبلت واحداً منهم. فقال صلى الله عليه وآله: ما علي ان نزع الله الرحمة منك، او كلمة نحوها. (١)

وقال امير المؤمنين عليه السلام: قبلة الولد رحمة، وقبلة المرأة شهوة، وقبلة الوالدين عبادة، وقبلة الرجل اخاه دين. (٢)

ومن اجل ألاّ يتعقد الطفل، امر الاسلام بالمساواة بين الاطفال في توزيع العاطفة. قال (المعصوم) عليه السلام: اعدلوا بين اولادكم، كما تحبون ان يعدلوا بينكم في البر واللطف. (٣)

---

(١) المصدر / ص٩٢ / ح١٧.
(٢) بحار الانوار / ج١٠١ / ص٩٣ / ح٢٤.
(٣) المصدر / ص ٩٢/ ح١٦.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله نظر الى رجل له ابنان، فقبل احدهما وترك الاخر. فقال النبي صلى الله عليه وآله : فهلاّ آسيت بينهما. (١)

ورغب الدين في حمل الهدايا الى البيت، لنشر الفرحة في الابناء، فجاء في حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها الى عياله، كان كحامل صدقة الى قوم؛ وليبدأ بالاناث قبل الذكور، فانه من فرح ابنة فكأنما اعتق رقبة من ولد اسماعيل، ومن اقر بعين ابن فكأنما بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله ادخله جنات النعيم. (٢)

وقد قرأنا سابقاً امر الاسلام باكرام الطفل، ويأمر النبي - فيما روي عنه- بالعفو عن الولد والدعاء له سراً، حيث يقول صلى الله عليه وآله: رحم الله من أعان ولده على بره، وهو ان يعفو عن سيئته ويدعو له فيما بينه وبين الله. (٣)

اما الامام علي عليه السلام، فانه يقول: من قبل ولده كان له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة، ومن علمه القرآن دعي الابوان فكسيا حلّتين يضيء من نورهما وجوه اهل الجنة. (٤)

ونهى الامام موسى بن جعفر عليه السلام من ضرب الطفل ومن هجره طويلاً، فيقول: لا تضربه واهجره ولا تطل. (٥)

والامام الصادق عليه السلام ينهى عن الدعاء على الولد، فيقول: ايما رجل دعا على ولده اورثه الفقر. (٦)

---

(١) المصدر / ح١٥.
(٢) المصدر / ص٩٤ / ح٣٥.
(٣) المصدر / ص٩٨ / ح٧٠.
(٤) المصدر / ص٩٩ / ح٧١.
(٥) بحار الانوار / ج١٠١ / ص٩٩ / ح٧٤.
(٦) المصدر / ح٧٧.

لان الشهوات قد زينت للناس، ولان العقل محجوب باتباع الشهوات ومنكسف بغيوم الهوى، فإن البنين فتنة. وقد يكون الواحد منهم عدواً للانسان، من حيث لا يدري. وللفتنة بالبنين شعب ثلاث؛ اخفها البحث لهم عن الرزق بالحرام، وثانيها اتباع منهجهم الفاسد حباً لهم، واشدها الاستكبار على الحق اغتراراً بهم. وفيما يلي نستوحي باذن الله سبحانه هذه الشعب، بصائرها واحكامها.

٨٨٨٨الف: الرزق الحلال أمان من الفتنة

لقد عالجت آيات الذكر كل المسائل الايمانية، ومنها الوسوسة الشيطانية التي تدعو الناس الى اختيار السبل المنحرفة للحصول على معاشهم. قال الله تعالى: **{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً }** (الطلاقِ/٢-٣)

وفي السنة احاديث كثيرة حول ان الرزق المقدر لن يخطأ صاحبه ولو هرب منه، كما لا يخطأه اجله. وقد شجع الاسلام المسلم على طلب الرزق الحلال، حتى ورد في الرواية : "ان الكاد على عياله، كالمجاهد في سبيل الله". كما رغبت نصوص شرعية كثيرة على الزهد في زخارف الدنيا، لكي لايدعو الاستكثار منها والحرص عليها الى ارتكاب المحرمات.

وهكذا تظافرت الاحاديث التي رغبت في الكدح والاجتهاد، لكي لا يدعو تكاسل الفرد وتواكله الى الطرق الملتوية (كالسرقة والغش والاحتيال والارتباط بالطغاة او المترفين
طمعاً في اموالهم).

ان حب البنين حب مشروع، ولكنه قد يصبح وسيلة الى الحرام إذا زعم الانسان ان تكفلهم يبرر له الاكتساب الحرام، ولا يدري ان اطعام ابناءه بالحرام جريمة بحقهم، حيث ينبت لحمهم ودمهم من الحرام فيدعوهم ذلك الى الانحراف والفساد.

والاحكام الشرعية التي نستفيدها من هذه البصيرة، هي التالية:

١/ على الانسان ان يقتصد في معيشته بالتدبير واجتناب التبذير، وموازنة انتاجه واستهلاكه، لكي لا يضطر الى الاتجاه نحو الحرام.

٢/ على الانسان ان يزيد من نشاطه وحيويته وكدحه في سبيل معاشه، لكي لا يجعل كلّه على الناس، ولكي يستغني عما في ايدي الناس، وبالتالي لكي يتجنب مزالق الحرام.

٣/ المؤمن يجعل رضا ربه وليس اسرته نصب عينه. فلا يدعوه ابتغاء مرضاة زوجته او ذريته، تجاهل مرضاة ربه ورازقه . وهكذا تراه يقف عند الشبهات، ولا يقتحم المحرمات، ويستعين بالله سبحانه على ذلك.

^^^^ باء: تقوى الانتماء

في انتمائه الى اسرته او عشيرته او قوميته ووطنه، يجعل المؤمن تقوى الله معياراً، فلا يخرجه حبه لزوجته وابناءه عن طاعة الله. ولذلك فهو يتبرء ممن يتبرء منه ربه، حتى ولو كان اباه او ابنه. وهكذا تبرء ابراهيم عليه السلام من ابيه، وتبرء نوح عليه السلام من ابنه، وتبرء لوط عليه السلام من زوجته، وتبرءت آسية عليها السلام من زوجها فرعون.

ولعل التحذير القرآني في سورة التغابن عن بعض الازواج والاولاد، جاء للتذكرة بضرورة اتخاذ من يخالف منهم الدين عهداً والتبري منه، بل ومحاربته. وقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله يقاتلون في سبيل الله آباءهم وابناءهم، وقد وردت سورة كريمة في كتاب ربنا في ذم ابي لهب وزوجته، بالرغم من صلته بالرسول. كما ان النبي صلى الله عليه وآله أمر بانذار عشيرته الاقربين، ومعروف معنى الانذار .

وكثير اولئك الذين دفعهم حبهم لآبائهم وابنائهم او ازواجهم الى الضلالة، بل اغلب البشر يضلون بسبب انتماءهم الى التجمعات الضالة والتي تبدأ بحلقة الاسرة القريبة وتتوسع في حلقات مترامية حتى تصل الى من سواهم. ونستفيد الاحكام التالية من هذه الحقيقة :

١/ على الانسان ألاّ يتبع في دينه غير من أمر الله باتباعه، ويعتمد في معرفة دينه على الله ثم على عقله. وقد قال الله سبحانه : { **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوْا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ اَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** } (البقرة/١٦٦-١٦٧)

٢/ على الانسان ألاّ يترك فريضة النهي عن المنكر في محيط اسرته، حتى لا يتأثر بهم؛ فان لم يستطع بلسانه فبقلبه، وليتبرء من سوء افعالهم أولاً بأول، حتى لا يسترسل معهم.

٣/ على الانسان ان يبتعد عن محيط اسرته كلما ابتعدوا عن منهاج الدين، ولا يداهنهم ولا يماشيهم، فإنه يتعرض - ان داهن- لخطر الاسترسال والاستدراج والعياذ بالله.

^^^^ جيم: لكي لا نغتر ولا نطغى

في قلب البشر كبر دفين وطغيان خفي، ويتعلق كبره وطغواه بالثروة حيناً وبالقوة حيناً. فإذا استغنى البشر طغى، وكذلك اذا اوتي قوة. وعلينا لكي لا نغتر بالبنين ولا نطغى، ان نراقب انفسنا ونذكرها بان الثروة والقوة (المال والبنين) لا يبقيان، وان هما بقيا فنحن لا نبقى، ويوم القيامة لا ينفع الانسان مال ولا بنون .

والاحكام التي نستفيدها من هذه البصيرة، هي التالية:

١/ حينما نستمع قول الحق، نتواضع له ونبادر باتباعه من دون ملاحظة ما نملك من مال او بنين. وبتعبير آخر؛ علينا أن نقيم الكلام مجرداً عما نتعلق بها من حطام الدنيا ومن صلاتها وعلاقاتها. فان اغلب الناس يضلون باهوائهم، وبسبب جعل المال والبنين وسائر ما يحبون منظاراً لرؤيتهم.

٢/ لابد ان نراقب عن كثب وضع البنين، فاذا فتنوا بالدنيا او مالوا الى سبيل الضلال، فعلينا ان نتخذ الموقف المناسب منهم فوراً قبل ان نتأثر عاطفياً بهم، فنأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر. واذا لم يستجيبوا نبتعد عنهم بقدر ابتعادهم

عن الحق، لكي لا نكون شركاءهم في افعالهم. لقد تبرء ابراهيم عليه السلام من آزر، وتبرء النبي صلى الله عليه وآله من عمه ابي لهب ونزلت سورة في ذمه بصراحة، وقاتل اصحاب النبي اباءهم وذوي قراباتهم .

٣/ لان محيط الاسرة الثقافي قريب من الانسان، وعادة تتكون ضمن ذلك المحيط قناعات مشتركة تختلط فيها الحقائق بالحمية الجاهلية، ولا سيما فيما يرتبط بالقضايا الاجتماعية، فان على الانسان ان يتحذر من ذلك، ويكون ممن يستمع القول فيتبع احسنه، ولا يستقبل كل كلام يصدر عن ذوي قراباته بصدر رحب ومن دون تقييم.

وان الدعاء بالصلاح للبنين من سنن الانبياء، كما دعا ابراهيم عليه السلام لذريته. وان افضل الاولاد هو الخلف الصالح الذي يكون من الباقيات الصالحات. فقد جاء في الحديث عن الامام امير المؤمنين عليه السلام، قال: ما سألت ربي اولاداً نضر الوجه، ولا سألته ولداً حسن القامة، ولكن سألت ربي اولاداً مطيعين لله وجلين منه حتى إذا نظرت اليه وهو مطيع لله قرّت عيني. (١)

وكلمة اخيرة؛ البنين نعمة ومسؤولية وفتنة، وعلى المؤمن ان يستعين بالله سبحانه على فرائضه تجاهم، والله المستعان.

---

(١) بحار الانوار / ج١٠١ / ص٩٨ / ح٦٦.

٨٨الـذريــة

الذرية قيمة حياتية في اطار القيم الايمانية العليا، فإذا فقدت الاطار تحولت الى قيمة مضادة، واصبحت فتنة وغروراً.

ولقد منح الله البشر الاولاد، وزين لهم حبهم، وجعل فيهم نفعاً لوالديهم، ونهى عن قتلهم، وسفه المشركين الذين ارتكبوا هذه الجريمة، وجعل الاموال والاولاد سبباً للقوة وزينة للحياة الدنيا. ولكنه سبحانه حذر ايضاً من التمادي في حب الاولاد على حساب الايمان، وذكر بانهم فتنة وان منهم اعداء، وقال بأنهم لن يغنوا عنهم من الله شيئاً، وحذر من الشيطان الذي يشارك فيهم، ونفى ان يكون الولد من الاهل اذا كان عمله غير صالح.

٨٨٨ زينة الحياة:

البنون زينة الحياة، وقد فطر الرب البشر على حبهم (كحب النساء والاموال)، وجعل فيهم المنفعة وجعل منهم الذرية، ومنهم الجند (النفير).

١/ لو فقدت الحياة الدنيا المال والبنين، فقدت زينتها وهوى النفس فيها. كذلك انبأنا العليم بقوله سبحانه: { **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً** } (الكهف/٤٦)

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ان المال والبنين حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة. وقد يجمعهما الله لأقوام. (١)

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام، انه قال للحصين بن عبد الرحمن: يا حصين؛ لا تستصغر مودتنا، فانها من الباقيات الصالحات. قال: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ما أستصغرها، ولكن احمد الله عليها. (٢)

٢/ وهكذا لا يحتاج البشر الى المزيد من التوصية بالبنين، اذ ان حبهم مغروز في القلب، وقد زينوا فطرياً لكل البشر. قال الله سبحانه: { **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** } (آل عمران/١٤)

وهكذا متاع الحياة الدنيا متمثل في هذه الزينة، إلاّ ان الوصية التي يحتاجها البشر ان يجعل من هذه الزينة ومن هذا المتاع وسيلة التقرب الى الله سبحانه والحصول على مكاسب الاخرة.

٣/ وهكذا كان من خصائص الحياة الدنيا، التكاثر في الاولاد. قال ربنا سبحانه: { **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ** } (الحديد/٢٠)

٤/ والاباء والابناء وسائل النفع، وهل الاباء اشد نفعا ام الابناء ؟ ذلك مما لا يعرفه الانسان (وربما كان الناس مختلفون في ذلك). قال الله سبحانه: { **ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً** } (النساء/١١)

---

(١) تفسير نور الثقلين / ج٣ / ص ٢٦٣ - عن نهج البلاغة.

(٢) المصدر / ص ٢٦٤.

٥/ والابناء نعمة الهية كما الطيبات من الرزق، وعلينا شكر هذه النعمة (بالايمان بالله واتباع الرسل وترك الباطل). قال ربنا سبحانه: { **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ** } (النحل/٧٢)

ومن هنا جاءت السنة، مؤكدة الوصية بالولد الصالح، حيث قال رسول الله صلى الله

عليه وآله: اكثروا الولد اكاثر بكم الامم غداً ". (١)

وروي عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام: " من سعادة الرجل أن يكون له الولد يعرف فيه شبهة وخلقه وخلقه وشمائله." (٢)

وقال الامام الصادق عليه السلام: ميراث الله من عبده المؤمن الولد الصالح يستغفر له." (٣)

وحث الاسلام على الزواج، لانه السبيل الى زيادة النسل، حيث روى جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يمنع المؤمن أن يتخذ أهلا لعل الله يرزقه نسمة تثقل الارض بلا إله إلا الله." (٤)

٦/ والرخاء (وتوافر النعم والرحمات الالهية) وسيلة النمو السكاني والاقتصادي، والذي -بدوره - يأتي بعد الاستغفار (واصلاح ما يمنع النعم من الذنوب الفردية والاجتماعية)، حيث يقول ربنا سبحانه: { **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَاراً** } (نوح/١٠-١٢)

---

(١) وسائل الشيعة / ج ١٥ / ص ٩٦ / باب ١ / رواية ٨.

(٢) المصدر / ج ١٥ / ص ٩٥ / باب ١ / رواية ٦.

(٣) المصدر / ج ١٥ / ص ٩٨ / الباب ٢ / رواية ٦.

(٤) المصدر / ج ١٤ / ص ٣ / ابواب مقدمات النكاح وآدابه / باب استحبابه / رواية ٣.

وقال أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام: وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدرود الرزق ورحمة الخلق، فقال: **{ استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين}** فرحم الله امرءاً استقبل توبته، واستقال خطيئته، وبادر منيته. (١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله تعالى، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزنه أمر فليقل لا حول ولا قوة إلاّ بالله. (٢)

وروي عن الامام علي عليه السلام، انه قال: والاستغفار يزيد في الرزق. (٣)

٧/ وانما يعرف قيمة الولد من حرم منها - مثل - عزيز مصر في عهد الصديق يوسف عليه السلام، وفرعون مصر في عهد النبي موسى عليه السلام. فلما حملت الاقدار يوسف وهو غلام يشع جمالاً وهيبة الى بيت العزيز، قال لزوجته ما يحكيه ربنا سبحانه: **{ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِصْرَ لِإِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً}** (يوسف/٢١)

٨/ وحملت امواج النيل تابوت موسى عليه السلام وهو رضيع الى حيث التقطه فرعون (الذي كان يقتل ابناء بني اسرائيل ذبحا)، فتعلقت امرأته به وقالت ما حكاه ربنا سبحانه: **{ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ }** (القصص/٩)

وهكذا كان يعيش بيت الجبار فراغاً، لم يكن ليسده إلاّ هذا الطفل الذي اخذ من بين ماء وشجر، وسمي لذلك بموسى.

---

(١) تفسير نور الثقلين / ج ٥ / ص ٤٢٣ - عن نهج البلاغة.

(٢) المصدر / ص ٤٢٤ - عن كتاب عيون الاخبار.

(٣) تفسير نور الثقلين / ج ٥ / ص ٤٢٤.

٩/ وكثرة الاموال والاولاد تمنح المجتمع العزة، لانهما معا يشكلان قوة عسكرية في مواجهة الاعداء. يقول ربنا سبحانه عن بني اسرائيل: { **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً**} (الاسراء / ٦)

١٠/ وقد تكون الثروة الحيوانية هي القوة الاقتصادية التي توفر الرخاء، ومن ثم النمو السكاني، حيث قال ربنا سبحانه (عن قوم عاد): { **وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ**} (الشعراء / ١٣٢ - ١٣٣)

٨٨٨ حياة الولد من مسؤولية الوالدين:

وعلينا استقبال هذه النعمة الالهية وشكرها، فلا يجوز لنا قتل الاولاد (بطريقة مباشرة كما كان يفعل المشركون بوأد البنات، ولا بطريقة الاجهاض الشائع اليوم، ولا حتى بطرق اخرى)، كما لا يجوز الاضرار بهم (بأية طريقة كانت).

١/ وهكذا كان من ابرز الكبائر قتل الاولاد، حيث يقول ربنا سبحانه: { **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاتَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** } (الانعام / ١٥١)

٢/ وقال ربنا تعالى: { **وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً** } (الاسراء / ٣١)

٣/ كيف طوّع الشيطان قتل الاولاد لاولئك الاغبياء ؟ انما بالتزيين المستمر، حيث افترى على الله، فحرّم المشركون على انفسهم نعمة الاولاد. قال الله سبحانه: { **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَآءً عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**} (الانعام/١٤٠)

٤/ ومثلما زيّن الشيطان للرجال بقتل الاولاد (وكانوا يقولون عن البنات نعم الصهر القبر، وكانوا يقتلون الاولاد خشية الفقر)، كذلك زيّن الشيطان للنساء ذلك (لأنهن كن مثلاً يخشين ازواجهن عند ولادة الاناث او انهن لم يكن يردن تحمل متاعب التربية). ومن هنا اخذ الله عليهن ميثاقاً بعدم قتل الاولاد، فقال ربنا العزيز: { **يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا**

جَآءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ} (الممتحنة / ١٢)

وهكذا كانت المحافظة على حياة الاولاد مسؤولية الوالدين الاكيدة.

٨٨٨ **الاولاد فتنة:**

وحب الاولاد وخدمتهم ليست قيمة، الا في اطار القيم الايمانية السامية. ومن هنا فان القرآن حذر بأنهم فتنة، ونهى من الالتهاء بها، وقال ان منهم عدواً للانسان. وهكذا لا ينبغي ان يزعم البشر ان نعمة الاولاد تدل على رضوان الله (اذ قد تكون فتنة).

١/ علاقة الانسان بالنبي (والولاية لأولياء الله) ينبغي ان تكون اقوى من علاقته بأبنائه، لان الاولاد مجرد فتنة، وان الله يعوض المؤمنين الذين يتجاوزون حبهم لأولادهم رغبة فيما عند الله؛ يعوّضهم بأجر عظيم. قال الله سبحانه: **{ وَاعْلَمُوا أَنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }** (الانفال / ٢٨)

٢/ كذلك يتجاوز المؤمنون شهوة الأولاد الى حب الله، ولا يلهيهم أولادهم عن ذكره سبحانه، لأن من يفعل ذلك يخسر (فان الأولاد لا يغنون عن الله شيئا، فيخسر عقباه، وربما لم ينفعوه في الدنيا ايضا فيخسرها ايضاً). قال الله سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلآ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}** (المنافقون /٩)

٣/ وقد يتسلل الشيطان الى قلب المؤمن من خلال أولاده وزوجته، فإذا بولده او امرأته يضلانه عن الصراط فيكونا له عدواً. من هنا حذرنا الرب ببلاغة نافذة من الاسترسال مع حب الأولاد والأهل، فقال الله سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}** (التغابن/١٤ - ١٥)

وقد جاء في رواية ابي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: { ان من ازواجكم واولادكم عدواً لكم فاحذروهم} وذلك ان الرجل كان اذا اراد الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وآله تعلق به ابنه وامرأته، قالوا: ننشدك الله ان تذهب عنا وتدعنا فنضيع بعدك. فمنهم من يطيع أهله فيقيم، فحذرهم الله أبناءهم ونساءهم ونهاهم عن طاعتهم. ومنهم من يمضي ويذرهم، ويقول: اما والله لئن لم تهاجروا معي لم يجمع الله بيني وبينكم في دار الهجرة، لا انفعكم بشيء أبداً. فلما جمع الله بينه وبينهم أمره الله ان يحسن اليهم ويصلهم، فقال: **{ وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم}**. (١)

وهكذا ينبغي التعامل مع الأولاد والأهل برفق وحذر، فلا يتجبر الانسان عليهم بحجة ان منهم عدواً، حتى ولو اكتشف ان احدهم نافذة الشيطان اليه، فعليه ان يتسلح بالعفو والصفح والمغفرة (وهي درجات التجاوز وعدم اخذهم بذنبهم). ولا يجوز ترك النكاح وهجر الأولاد، لانه قد يكونون عدواً له، بل الصحيح الحذر مع التمتع بالأهل والأولاد، لأن الفتنة سنة الحياة ولا مهرب من الفتنة في الدنيا، بل الواجب التعامل مع الفتنة بحذر شديد وترقب كاف، وذلك بالطاعة لله (لا للأهل) والانفاق من المال (وعدم تركه ميراثاً للأولاد. وهذا ما نعرفه بالتدبر في الآية التالية). يقول الله تعالى: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }** (التغابن/١٤)

٤/ ومن ابعاد فتنة البنين، الغرور بهم. فمن رزقه الله الأولاد يزعم ان كل الخير قد استوعبه، فيفرح بهم ولا يبحث عن درجات الرقي والتقرب الى الرب سبحانه. وهكذا يحول الولد دون تكامله وتساميه، وينشغل به عن درجات الاخرة. قال الله سبحانه: **{ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ }** (المؤمنون/٥٥-٥٦)

---

(١) تفسير نور الثقلين / ج ٥ / ص ٣٤٢ - عن تفسير علي بن ابراهيم.

روي عن الامام علي عليه السلام، انه قال: فلو رخص الله في الكبر لاحد، لرخص لانبيائه ورسله. ولكنه سبحانه كره لهم التكابر ورضي لهم التواضع، فالصقوا بالارض خدودهم، وعفروا في التراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين. فكونوا قوماً مستضعفين قد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهدة، وامتحنهم بالمخاوف، ومحصهم بالمكاره. فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلاً بمواقع الفتنة والاختبار في الغنى والاقتار. فقد قال سبحانه: { ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون }. فان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في انفسهم باوليائه المستضعفين في اعينهم. (١)

٥/ وهكذا ينفي القرآن ان تكون نعمة المال والبنين ميزاناً لمعرفة الحق والتقرب الى الله. قال ربنا سبحانه: { **وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلآ أَوْلاَدُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى اِلاَّ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ** } (سبأ/٣٧)

٦/ والذي اغتر بالمال والبنين كان كمن يضرب به القرآن الحكيم امثولة سوء، حيث انه ادبر واستكبر وزعم ان القرآن ليس الا سحرا يؤثر، فقال ربنا سبحانه عنه: { **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً**} (المدثر/١١- ١٧)

٧/ وقد يغتر الناس بمن يملك مالاً وولداً، ويزعمون انه اقرب الى الله زلفى، وان نهجه في الحياة افضل. كلا؛ فقد يكون المال والولد عذاباً في الدنيا، وسبباً للطغيان على الحق وعدم التسليم له، حتى الموت على الكفر ودخول النار (نستجير بالله منها). قال الله سبحانه: { **فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلآ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** } (التوبة/٥٥)

---

(١) تفسير نور الثقلين / ج ٣ / ص ٥٤٥ - عن نهج البلاغة.

ونقرء مثل هذه الآية في ذات السياق، وبرقم (٨٥) من هذه السورة.

٨٨٨ **الأولاد لا يغنون:**

والأولاد لا يغنون عن الحق شيئاً، كما كل نعمة لا تغني عن الحق شيئا. وهكذا دمرت القرى التي استكبر أهلها غروراً بالمال والولد. هلك صاحب الجنة (البستان) ولم يؤمن بالدين غروراً بماله واولاده، وهلك المترفون من قوم نوح كما هلك من اتبعهم، لانهم اعتمدوا على المال والولد، فلم يزدادوا إلاّ خساراً.

١/ كان يملك جنة عريضة وافرة الثمر جميلة المنظر، وتحدى الذي دعاه الى الحق واغتر بما عنده من مال ونفر (ابناء او خدم)، ولكن الجنة دمرت وأخذ يقلّب كفيه على ما انفق فيها. قال ربنا سبحانه: { **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَاْ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً**} (الكهف/٣٤)

ومن ثم قال ربنا سبحانه: { **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً**} (الكهف/٤٢)

ونستلهم من السياق؛ ان الاعتماد على قيمة المال والنفر بعيداً عن قدرة الله وعن الايمان بالحق، انه درجة من الشرك بالله الجبار سبحانه.

٢/ وكذلك قوم نوح لما اتبعوا المترفين (ممن اغتروا بالمال والولد) ولم يزدهم المال والولد إلاّ خسارا (لانهم حرموا بهما من التسامي). قال ربنا الجبار: { **قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً**} (نوح/٢١)

ومن ثم قال ربنا سبحانه: { **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً** } (نوح / ٢٥)

٣/ وكذلك لا تغني الاموال والاولاد شيئا عمن كفر بالحق، (أوَليس الايمان والعمل الصالح هما - وحدهما - الذين ينجيان البشر). قال الله تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ**

كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَأُوْلَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّـارِ } (آل عمران/ ١٠)

وكذلك نتلو مثل هذه البصيرة في الآية (١١٦) من هذه السورة، وفي الآية (١٧) من سورة المجادلة.

٤/ ولا ينفع المنافقين اموالهم ولا اولادهم، بل انهم يهلكون كما هلك من قبلهم من المنافقين الذين استمتعوا بنصيبهم في الدنيا (حتى جاء اجلهم) وخاضوا (في اثارة الشبهات ضد الرسول وآيات الله)، وكان مصيرهم حبط اعمالهم في الدنيا (حيث لم يفلحوا) وفي الاخرة (حيث لم يفوزوا بالجنة). قال ربنا سبحانه: **{ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالاَخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }** (التوبة/٦٩)

٥/ ان الحق هو الحاكم في الكائنات، وتتجلى في الاخرة حكومته، حيث لا تنفع يومئذ الانساب ولا يجزي والد عن ولده ولا ولد عن والده شيئا. قال ربنا سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لاَ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً }** (لقمان / ٣٣)

٦/ هناك لا تنفع الارحام ايضاً، انما يفصل الله بين الناس بالحق. قال الله تعالى: **{ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** (الممتحنة/٣)

٨٨٨ ليس من أهلك:

١/ ومن الأولاد من هم شرك الشيطان فلا ينفعون ابداً، (لان قيمة الولد انما هي في اطار قيم الايمان السامية). وهكذا ذكرنا الرب ان الشيطان يشرك الكفار في الاولاد، إذ قال الله تعالى: **{ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي**

الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ وَعِدْهُمْ وَمَايَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً} (الاسراء/٦٤)

روي أنه جلس الحسن بن علي عليهما السلام ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان يأكلان الرطب، فقال يزيد: يا حسن؛ اني منذ كنت أبغضك. قال الحسن عليه السلام: يا يزيد؛ اعلم ان ابليس شارك أباك في جماعه، فاختلط المائان فأورثك ذلك عداوتي، لان الله تعالى يقول: {وشاركهم في الأموال والأولاد }. وشارك الشيطان حرباً عند جماعه فولد له صخر، فلذلك كان يبغض جدي رسول الله صلى الله عليه وآله. (١)

ولعل من مظاهر مشاركة الشيطان النذور للأوثان، والتربية السيئة، والممارسة الجنسية الحرام او الخاطئة (كأن يترك الرجل البسملة عندها)، والله العالم.

٢/ ومن هنا نفى ربنا ان يكون ابن نوح من أهله، لـمّا عمل عملاً غير صالح. ويقص علينا القرآن ما جرى عند الطوفان، فيقول ربنا سبحانه: **{ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ }** (هود/ ٤٥ ـ ٤٦)

وفي تفسير هذه الآية قال الامام الرضا عليه السلام: لقد كان ابنه، ولكن لـمّا عصى الله عز وجل نفاه عن أبيه. كذا من كان منا لم يطع الله عز وجل فليس منا، وانت اذا اطعت الله فأنت منا أهل البيت. (٢)

٨٨فقه الآيات

٨٨٨ ١/ ماهي بصيرة الوحي في الذرية ؟

---

(١) تفسير نور الثقلين / ج ٣ / ص ١٨٢ / رواية ٢٨٩.

(٢) المصدر / ج ٢ / ص ٣٧٠ / رواية ١٤١.

انها تهدينا الى انها زينة الحياة الدنيا، وهي حرثها. والذرية الصالحة ميراث الله من عبده المؤمن، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وآله بالاكثار من الولد، لانه يكاثر بالمسلمين الأمم غداً. وهكذا ترغب هذه البصيرة في زينة الحياة، وعلى هذا الترغيب دارت التشريعات والاحكام الفقهية التي رسمت خطاً معتدلاً بين تطرف الرهبان في ترك هذه الزينة، وافراط أهل الدنيا في ترك الآخرة من أجلها. وقد ذكرنا الوحي بأن الباقيات الصالحات هي خير ثواباً، وجاء في حديث أمير المؤمنين عليه السلام بأنها حرث الآخرة.

ونستفيد من هذه البصيرة الرشيدة الاحكام التالية:

أولاً: لابد من تشجيع سنة الزواج في المجتمع المسلم وتوفير وسائله، ولقد قال الله سبحانه: **{ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }** (النور/٣٢)

وقد تظافرت تعاليم النبي وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم بالتأكيد على استحباب تزويج العزاب، حتى اعتبر بعضها؛ الذي يزوجك أباً لك، كما الذي ولدك والذي علّمك.

ومن وسائل التزويج، تيسير شروطه من تبسيط المعيشة وتسهيلها، وتقليل المهور وتخفيف مراسم الزواج، وتجاوز عقد النكاح.

ومن وسائل التزويج ايضاً، توفير السكن المناسب والرخيص لكافة ابناء المجتمع.

ولابد ان نعرف انه كلّما ازداد اهتمام البشر بالشئون الكمالية لحياته، قلّت فرصه في التمتع بالزينة الحقيقية للحياة الدنيا. فمن أراد مهراً غالياً، وسكناً فاخراً، ووسائل حياتية فخمة، فانه لايتزوج مبكراً، ويحرم من زينة الأولاد. وإذا انتشرت في المجتمع مثل هذه العادات كالتفاخر بغلاء المهر وفخامة وسائل العيش، فان نصيبهم من الزينة الحقيقية يقل وقد يعدم، وانه لظلم للنفس لا مبرر له. وقد جاء في الحديث الشريف: المؤمن خفيف المؤنة، كثير المعونة.

ثانياً: التمتع بهذه الزينة (الذرية) من شئون الانسان السوي (غير المعقد وغير المتطرف). وهكذا رغّبت النصوص التي تلوناها آنفاً في الانجاب وتكثير النسل. وهذه البصيرة الالهية تتناقض والوسوسة الجاهلية التي أدت في بعض الاحيان الى قتل الاولاد وحرمان الذات من الذرية.

وقد نجد اليوم من يحرم نفسه من الانجاب خشية الاملاق والفقر، بينما الانجاب يعطي الوالد المزيد من الحوافز الحياتية ويجعله أكثر عملاً وأكثر عطاءً. ولان فرص التقدم وامكانيات الرفاه تتوافر في الأرض أكثر بكثير مما استغلها الانسان، وانما يحتاج البشر الى الحوافز الكافية لتفجير طاقاته الكامنة والانتفاع بما في الأرض، فان زيادة النسل لا تؤثر سلبياً على تقدم البشر وتطور حياته، انما الذي يؤثر على ذلك الاسراف والبغي والكسل وسوء التدبير والجهل والمرض وما الى ذلك مما نهى عنها الدين وأمر المسلمين بمحاربتها من الفواحش والمنكرات.

ثالثاً: لان الذرية زينة الحياة الدنيا، فعلى الانسان ان يضع منهاج حياته بطريقة تساعده على التمتع بهذه الزينة المثلى، وذلك بحسن تربية ابناءه وحسن العشرة معهم، وتجاوز حاجز الكبر والتعالي الذي قد يمنعه من الابتهاج بهم. فمن الناس من ينهك نفسه في العمل الشاق حتى لايكاد يرى ذريته، فكيف تراه يتمتع بهم؟ ومنهم من يدعوه الافراط الى اتخاذ مواقف قاسية تجاه ذريته حتى لايكاد يرى اشراقات ذريته ولا يعترف بأي جانب ايجابي منهم، وهو يتعامل معهم في البيت أشد مما يتعامل مدرب السيرك مع الفيلة. ومنهم من يدعوه الكبر الى التعالي على ابنائه فينظر اليهم كما ينظر قائد عسكري الى جنوده او ملك متغطرس الى رعيته. كل اولئك الناس لايتمتعون بهذه الزينة الالهية بما يكفي، وهم يحرمون انفسهم منها من حيث يشعرون او لايشعرون.

رابعاً: تتكامل زينة الذرية لذلك الانسان البصير بالدنيا وانها مزرعة الآخرة، تراه يتخذ من هذه الزينة وسيلة قريبة الى ربه لكي يحظى بالباقيات الصالحات التي هي خير عند الله ثواباً وخير أملاً.

المؤمن يحسن تربية ابناءه حتى يستغفروا له من بعد ما ينقطع أمله وعمله إلاّ من الولد الصالح الذي يستغفر له، او صدقة جارية، او ورقة علم ينتفع بها الناس..

واما الذي يهمل تربية ابناءه، فانهم ليس فقط لا ينفعونه في دنياه وآخرته، بل تراهم يجرونه الى النار معهم. وقد قال الله سبحانه: **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** (التغابن/١٤)

٢/ (يوسف /٢١)، (القصص/٩)، (الاسراء/٦)، (الشعراء/١٣٢-١٣٣)؛ نستلهم من آيات الذكر؛ ان الذرية (الولد والبنين) غايات سامية. فالولد قرة عين الاسرة، وكثرة البنين عزّ

المجتمع، لانهم جنوده والمدافعون عنه (وهم قد يصبحون الثروة الاقتصادية للأمة أيضاً).

وهكذا نستوحي التعاليم التالية من هذه الغايات السامية:

أولاً: ينبغي للأسرة الحصول على الولد، فان لم يمكن بالانجاب فبالتبني، لانه قرة عين الأسرة. وأُسرة بلا ذرية، كشجرة بلا ثمرة.

وهكذا نفقه قيمة التبني الذي ينبغي ان يحظى باهتمام المشرّعين والفقهاء. وقد كانت عادة التبني شائعة قبل الاسلام، وقد قام النبي صلى الله عليه وآله بتبني زيد. ولكن الدعي لايدخل في نسب الذي يتبناه، وقد نزلت آيات كريمة في هذا الحقل، حيث ان الله سبحانه زوج النبي زينب زوجة زيد بعد ان طلقها زوجها، لكي لا يتحرج الناس من نكاح ازواج ادعياءهم. وكان ذلك مثلاً على أن الدعي لايضحى ابناً حقيقياً لمن تبناه، بل يظل منتمياً الى أبيه الذي ولده.

ثانياً: اذا واجهت الأمة الاسلامية الاخطار واحتاجت الى قوة عسكرية تدافع عنها، فان عليها ان تشجع الانجاب ليضحى مجتمعها شاباً مقتدراً وعزيزاً.

ثالثاً: كذلك اذا قلت الايدي العاملة في المجتمع الاسلامي الناهض، فما عليه إلاّ ان يشجع تكاثر النسل حتى يصبح مجتمعه حيوياً مفعماً بالنشاط.

٣/ (الانعـام /١٥١)، (الاسـراء/٣١)، (الانعـام/١٤٠)، (الممتحنـة/١٢)؛ تـدل الايات التي تليت، دلالة صريحة على حرمة قتل الأولاد؛ سواءً بوءدهم بعد الولادة كما كان يفعله بعض الجاهليين قبل الاسلام حيث كانوا يدسون البنات في التراب، او حتى باجهاض الحمل كما يفعل الجاهليون اليوم إذا اعتبر العرف ذلك قتلاً للولد.

ولكن هل نستظهر من الآيات وجوب حفظ الاولاد، باعتبار ضعفهم أمام عوامل الوفاة من مرض او حرق او غرق او افتراس، وباعتبار ان الأولاد هم أمانة الله في عنق الوالدين، واي تقصير في حفظ الامانة يعني المشاركة في قتلهم؟

وهكذا تصبح حضانة الوالدين لصغارهما مسؤولية شرعية، وليست مجرد حق لهما يكونان - بموجبه- اولى من غيرهما باولادهم.

وقد اختلف الفقهاء في ذلك. فبينما ذهب الشهيد في القواعد والمسالك الى القول بان

الحضانة ولاية وسلطنة، مما يفهم منه بأنها واجب ولا تسقط بالاسقاط كسائر الولايات الواجبة. نرى العلامة النجفي ينفي ذلك، ويقول: ليس في شيء من الأدلة ما يقتضي (ويدل على) ذلك، بل فيهما ما يقتضي خلافه. (١) واعترف بانه لم يعثر على تحرير لأصل المسألة، وحكى عن السيد صاحب كتاب الرياض قوله: لا شبهة في كون الحضانة حقاً لمن ذكر (اي الوالدين)، ولكن هل تجب عليه مع ذلك ام له اسقاط حقه منها ؟ الأصل يقتضي ذلك (اي انه واجب وليس مجرد حق) وهو الذي صرّح به الشهيد في قواعده، فقال: لو امتنعت الأم من الحضانة صار الأب أولى، ولو امتنعا معاً فالظاهر إجبار الأب. (٢) ولكن صاحب الرياض لم ير ذلك، حيث قال: وليس في الأخبار ما يدل على غير ثبوت أصل الاستحقاق، وهو لا يستلزم الوجوب. (٣)

---

(١) جواهر الكلام / الطبعة الثالثة -بيروت/ ج ١١ / ص ١٨٣.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر.

والادلة التي تدل او تشير الى ان الحضانة واجب وحق، هي التالية:

أولاً: الآيات القرآنية التي تليت آنفاً، حيث ان تضييع الولد من دون حفظة وحضانته بمثابة قتله، لان الفطرة الالهية قد اقتضت تحميل الوالدين مسؤولية ذريتهما. وهذه الفطرة التي يشترك فيها البشر مع سائر الاحياء، والتي يحكم بها عقل الانسان ووجدانه، تحدد معنى قتل الاولاد في الآيات. فمن ضيع عياله حتى يموتوا يعتبر قاتلاً لهم في العرف، فتشمله آيات القرآن الناهية عن قتلهم. ذلك ان الخطاب القرآني موجّه الى العرف، فما اعتبره العرف قتلاً يشمله نهي القرآن.

وهذا الفهم المستوحى من الآية، شبيه بفهم واجب حفظ النفس من قوله سبحانه: **{ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ }** (البقرة/١٩٥). فمن لم يحفظ نفسه حتى مات، اعتبر لدى العرف مخالفاً لهذه الآية، لأنه ألقى نفسه الى التهلكة، وذلك بعدم حفظ نفسه.

ثانياً: لاريب في وجوب الانفاق على الأولاد. وماذا يعني الانفاق ؟ إنه حفظ الاولاد من غائلة الجوع والمرض والبرد وما أشبه. فهو -بالتالي- البذل من أجل حفظ الأولاد. أفلا يفهم من ذلك ان حفظ الأولاد واجب، وإلاّ فلماذا الانفاق عليهم ؟ ولو افترضنا ان ظالماً أخذ يقتل كل طفل لايدفع والداه غرامة معينة، أفلا يجب عليهما دفع الغرامة، أوَليس ذلك من الانفاق ؟ وإذا كان حفظ الأولاد مع الانفاق واجباً، أفلا يكون واجباً من دون الانفاق ؟

ومن هنا فكل أدلة الانفاق تدل على وجوب الحفظ، كقوله سبحانه: **{ وَعَلى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ }** (البقرة/٢٣٣)

ومن هنا فان حكمة الانفاق الحفظ. وكأن الشريعة المقدسة أمرت الناس بالمحافظة على ابنائهم، حتى ولو استلزم ذلك انفاقاً. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله، انه لعن من ضيع من يعول. فكيف لاتجب المحافظة على الأولاد، أوَليس ذلك تضييعاً لهم ؟

ثالثاً: أدلة القيمومة تدل على ضرورة حفظ الذرية، الذين هم في اطار قيمومة الرجل. ذلك لأن أبرز معاني القيم، المحافظة على حياة القيّم عليه، كما على ماله وشؤونه. وقد قال سبحانه: **{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَآ أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِيْ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً }** (النساء/٣٤)

العقل يهدينا الى ضرورة المحافظة على الذرية، والعقل حجة الله على خلقه ورسوله الباطن، وما حكم به العقل يحكم به الشرع.

^^^^ أبعاد الحضانة والحفظ:

وقد ذكر الفقهاء جملة فروع للحضانة والحفظ، فقال الشهيد في القواعد والمسالك (عن الحضانة انها): ولاية وسلطنتهم على تربية الطفل وما يتعلق بها من مصلحة حفظه وجعله في سريره وكحله وتنظيفه وغسل فرقه وثيابه ونحو ذلك. (١)

ويلحق بذلك، مداواته وتعليمه وما يحفظ به نفسه وما أشبه.

وقد اعتبر القانون الحديث الحضانة واجباً على الوالدين، وفصّل فيها القول، واضاف ابعاداً أخرى اليها. فقال الدكتور السيد حسن امامي: حسب مفاد المادة (١١٦٨) من القانون المدني (٢) يعتبر حفظ الاطفال حق الوالدين وواجبهم ايضاً. وحسب مفاد المادة (١١٧٢) من القانون المدني، لايجوز لأي من الوالدين الامتناع عن حفظ الطفل في فترة الحضانة المفروضة عليهما. (٣)

واضاف ان معنى ذلك عدم امكانية اسقاط حق الحضانة او تحويله الى الغير. وقال: ومن هنا لايمكن لهما المطالبة باجرة لقاء اداءهما هذا الواجب. (٤)

---

(١) جواهر الكلام / ج ١١ / ص ١٨٣.

(٢) يقصد به القانون المدني الايراني.

(٣) حقوق مدني (بالفارسية) / ج ٥ / ص ١٩٢.

(٤) المصدر.

ويرى الدكتور امامي ان القانون المدني يوسع حدود الحضانة لتشمل الى جانب المحافظة على جسم الطفل من كل الأخطار، تشمل تربية الطفل وتعليمه بما يتناسب والسلوك الاجتماعي الحميد، حيث يصرّح القانون المدني (المادة ١١٧٨) يجب على الابوين ان يقومان - حسب المقدور - بتربية الأطفال حسب المقتضى (من ناحية الزمان والمكان) ولا يهملانهم. (١)

ولاننا قد استوحينا وجوب الحضانة من أدلة الانفاق، فان علينا مراجعة حدود الحضانة وآفاقها من تلك الأدلة، والتي نبحثها انشاء الله في مناسبة أخرى. كما ان واجب التربية والتعليم لابد ان يبحثا في المناسبة الخاصة بهما، والله المستعان.

٨٨في رحاب الاحاديث

١/ عن علي عليه السلام، قال: تزوجوا فان التزويج سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، فانه كان يقول: من كان يحب ان يتبع سنتي، فان من سنتي التزويج. واطلبوا الولد، فاني مكاثر بكم الأمم غداً، وتوقوا علي اولادكم من لبن البغي من النساء والمجنونة فان اللبن يعدي. (٢)

٢/ عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الولد الصالح ريحانة من الله قسّمها بين عباده، وان ريحانتي من الدنيا الحسن والحسين عليهم السلام، سميتهما باسم سبطين من بني اسرائيل شبراً وشبيراً. (٣)

٣/ قال علي بن الحسين عليه السلام لبعض اصحابه: قل في طلب الولد: رب لا تذرني فرداً وانت خير الوارثين، واجعل لي من لدنك وليا يرثني في حياتي ويستغفر لي بعد موتي، واجعله خلفاً سوياً، ولا تجعل للشيطان فيه نصيباً. اللهم اني استغفرك

---

(١) المصدر / ص ١٩٠.

(٢) وسائل الشيعة / ج ١٤ / ص ٣ / باب ١ / رواية ٦.

(٣) المصدر / ج ١٥ / ص ٩٧ / باب ٢ / رواية ١

واتوب اليك انك انت الغفور الرحيم، سبعين مرة. فانه من اكثر من هذا القول رزقه الله ما تمنى من مال وولد ومن خير الدنيا والاخرة، فانه يقول: { **استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً و يمددكم بأموال و بنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا**}. (١)

٤/ روي عن محمد بن مسلم، إن أبا عبد الله عليه السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم غداً في القيامة، حتى ان السقط يجيء محبنطيا على باب الجنة، فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: لا؛ حتى يدخل أبواي الجنة قبلي . (٢)

(١) المصدر / ج ١٥ / ص ١٠٦ / باب / ٨ / رواية ٤
(٢) المصدر / ج ١٤ / ص ٣ / ح ٢.

٨٨المصـادر

١- القرآن الكريم
٢- نهج البلاغة
٣- بحار الأنوار
٤- وسائل الشيعة
٥- مستدرك الوسائل
٦- الاصول من الكافي
٧- الفروع من الكافي
٨- من لايحضره الفقيه
٩- تحف العقول
١٠- ميزان الحكمة
١١- غرر الحكم ودرر الكلم
١٢- مكارم الاخلاق
١٣- العوالي
١٤- المحاسن
١٥- فاطمة عليها السلام بهجة قلب المصطفى

١٦- مفاتيح الجنان
١٧- تفسير مجمع البيان
١٨- تفسير جامع الجوامع
١٩- التفسير الكبير
٢٠- تفسير جامع الاحكام
٢١- تفسير من هدى القرآن
٢٢- تفسير الميزان
٢٣- تفسير القمي
٢٤- تفسير نور الثقلين
٢٥- تفسير نمونه (بالفارسية)
٢٦- التحقيق في كلمات القرآن
٢٧- زبدة البيان في احكام القرآن
٢٨- جواهر الكلام
٢٩- سلسلة الينابيع القفهية
٣٠- موسوعة الفقه
٣١- دراسات في ولاية الفقيه
٣٢- الفقه الاسلامي - قسم المعاملات
٣٣- الموافقات
٣٤- التشريع الاسلامي
٣٥- القانون الدستوري
٣٦- اصول القانون
٣٧- الوسيط في القانون المدني
٣٨- حقوق الانسان الشخصية والسياسية
٣٩- دروس في اصول القانون

٤٠- قانون العقوبات اللبناني
٤١- تجاوز الدفاع الشرعي
٤٢- مجموعه قوانين حقوقي (بالفارسية)
٤٣- حقوق مدنى (بالفارسية)
٤٤- معجم مقاييس اللغة

^^الـفهــرس

المقدمـــة ٣

الفـــــــــــــــــــــلاح - شـــــــــــــــــــرائع الايمـــــــــــــــــــان ٥

تمهيـــد ٧

الباب الأول : الأمــن ٢١

الفصل الأول: الأمن ٢٣

معنـــــــــــــــــــــــــــــــــــــى الأمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــن ٢٣

بين التقوى والأمن ٢٤
الشرك مصدر الخوف ٢٧
الحذر من مكر الله ٢٨
الأمن نعمة الهية ٢٨
الأمن النفسي ٣٠
الانبياء في امان ربهم ٣١
دار السلام ٣١
بصائر الآيات ٣٢
فقه الآيات ٣٤
الفصل الثاني: العدل ٥٥

معنى العدل
.....
٥٥
قيمة العدل
.....
٥٦
بين العدل والقسط
..... ٥٨
آفاق القسط والعدل
..... ٦٠
العدالة سنة الله
.....
٦١
بصائر الآيات
.....
٦١
فقه الآيات
.....
٦٢
العدالة في الفكر الفلسفي
..... ٦٣
العدالة في الفقه الدستوري
..... ٦٥

العدالة في الفقه الاسلامي ٦٧
العدل صبغة العامة للدين ٦٧
العدل في القضايا السياسية ٧٠
العدل في الجزاء والمسؤولية ٧٢
العدل في القضايا الاقتصادية ٧٣
العدالة في الاسرة ٨٨
في القضاء والقصاص ٩٢
في رحاب الأحاديث ٩٦
الفصل الثالث: السلام ١٠١
معنى السلام ١٠١
السلام حرمة البيوت ١٠٢

السلام تحية المؤمنين ١٠٣
السلام صلة المؤمن بالرسل ١٠٤
سلام الهجر والوداع ١٠٦
بصائر الآيات ١٠٦
فقه الآيات ١٠٧
في رحاب الأحاديث ١٠٩
الفصل الرابع: الحكم ١١٥
معنى الحكم ١١٥
الكتاب والرسول؛ ميزان الحق ١١٥
ان الحكم إلاّ لله ١١٨

الله يحكم يوم القيامة ١١٩
لا معقب لحكمه في الدنيا ١٢١
الله الحكم والعدل ١٢٢
حتى يحكم الله ١٢٤
حكم الرسول حكم الله ١٢٥
الحكم حكم الله ١٢٧
الحق ميزان الحكم ١٢٨
بصائر الآيات ١٣٠
فقه الآيات ١٣٢
الفصل الخامس: القصاص ١٣٧

بصـــــــــــــــــــــــــائر الآيـــــــــــــــــــــــــات
.....
١٣٨
فقـــــــــــــــــــــــــه الآيـــــــــــــــــــــــــات
.....
١٣٨
الفصل السادس: حرمة النفس ١٤٨
الشـــــــــــــــركاء يزينـــــــــــــــون قتـــــــــــــــل الأولاد
..... ١٥١
المحافظـــــــــــــــة علـــــــــــــــى حرمـــــــــــــــة الـــــــــــــــدم
..... ١٥٢
بصـــــــــــــــــــــــــائر الآيات
.....
١٥٣
فقـــــــــــــــــــــــــه الآيـــــــــــــــــــــــــات
.....
١٥٤
الفصل السابع: اركان الذنب ١٦٥
بصـــــــــــــــــــــــــائر الآيـــــــــــــــــــــــــات
.....
١٦٦

فقـــــــــــــــــــــــــــــــــــه الآيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــات
....
١٦٦
الفصل الثامن: الاحصان ١٧١
معنـــــــــــــــــــــــــــــــــــــى الاحصـــــــــــــــــــــــــــــــان
....
١٧١
حصـــــــــــــن المجتمـــــــــــع مــــــن الفســــــــــاد الجنســــــــــي
.... ١٧٢
حصـــــــــــــــن الـــــــــــــــنفس مـــــــــــــن البــــــــــــأس
.... ١٧٥
حصـــــــــــــــن المــــــــــــــال مــــــــــــن التلـــــــــــــف
.... ١٧٥
بصـــــــــــــــــــــــــــــــــــائر الآيـــــــــــــــــــــــــــــــــات
....
١٧٥
فقـــــــــــــــــــــــــــــــــــه الآيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــات
....
١٧٦
الفصل التاسع: الحفظ ١٩٨
معنـــــــــــــــــــــــــــــــــــــى الحفـــــــــــــــــــــــــــــــظ
....
١٩٨

آفـــــــــــــــــــــــــــــاق الحفـــــــــــــــــــــــــــــظ
.....
١٩٩
بصـــــــــــــــــــــــــــــائر الآيـــــــــــــــــــــــــــــات
.....
٢٠١

الباب الثاني: الـرزق ٢٠٣
الفصل الأول: الطعام والشراب ٢٠٥
الـــــــــــــــف: الحاجـــــــــــــــة الأولـــــــــــــــى
..... ٢٠٥
بـــــــــــــــــــــــاء: الاطعـــــــــــــــــــــــام
.....
٢٠٨
جـــــــــــــــــيم: اباحـــــــــــــــة الطعـــــــــــــــام
..... ٢١٣
دال: خيـــــــــــــــر الطعـــــــــــــــام والشـــــــــــــــراب
..... ٢١٦
هـــــــــــــــــاء: كيـــــــــــــــف نطعـــــــــــــــم
.....
٢٢٠
واو: كيـــــــــــــــف نحصـــــــــــــــل علـــــــــــــــى الطعـــــــــــــــام
..... ٢٢٢

بصـــــــــــــــــــــــــائر الآيـــــــــــــــــــــــــــات
.....
٢٢٣
فقـــــــــــــــــــــــــــه الآيـــــــــــــــــــــــــــات
.....
٢٢٣
الفصل الثاني: السكن ٢٦٤
معنـــــــــــــــــــــــــى الســـــــــــــــــــــــــــكن
.....
٢٦٤
حكمـــــــــــــــــــة الســـــــــــــــــــكن والتمـــــــــــــــــــدن
..... ٢٦٥
البيـــــــــــــــــــت ســـــــــــــــــــكينة وســـــــــــــــــــلام
..... ٢٦٦
البلـــــــــــــــــــد أمـــــــــــــــــــن وايمـــــــــــــــــــان
.....
٢٦٨
البيـــــــــــــــــــت ســـــــــــــــــــتر وســـــــــــــــــــكن
..... ٢٦٩
البيـــــــــــــــــــت تعـــــــــــــــــــايش وتعـــــــــــــــــــاون
..... ٢٧١
البيـــــــــــــــــــت طهـــــــــــــــــــر وذكـــــــــــــــــــر
.....
٢٧٣

التقـــــــــــوى اســـــــــــاس المدنيـــــــــــة الاســـــــــــلامية ٢٧٤
الظلـــــــــــم يهـــــــــــدم البيـــــــــــت ويبيـــــــــــد المدنيـــــــــــة ٢٧٧
بصـــــــــــــــــــــــائر الآيـــــــــــــــــــــــات ٢٧٨
فقـــــــــــــــــــــــه الآيـــــــــــــــــــــــات ٢٨٠
الفصل الثالث: الصحـة ٣١٤
الحيـــــــــــــــــــــــاة الطيبـــــــــــــــــــــــة ٣١٤
ســـــــــــــــــــــــكينة الايمـــــــــــــــــــــــان ٣١٥
تجنـــــــــــــــــــــــب الخبائـــــــــــــــــــــــث ٣١٦
تجنـــــــــــــــــــــــب المحرمـــــــــــــــــــــــات ٣١٧

تجنب الاضرار ٣١٨
النظر في الطعام ٣١٨
تجنب الاسراف ٣٢٠
تتبع الشفاء ٣٢١
العافية وشرائع الدين ٣٢٣
الاسلام والصحة العامة ٣٢٤
بصائر الآيات ٣٢٧
فقه الآيات ٣٢٨
الفصل الرابع: التعلم حق مفروض ٣٤٣
المختصون بواجب التعليم ٣٤٤

ألـــــــــــف: الانبيـــــــــــاء صـــــــــــفوة المعلمـــــــــــين ٣٤٥
بـــــــــــــــــــــــــاء: العلمـــــــــــــــــــــــــاء ٣٤٥
جـــــــــــــــيم: الوالـــــــــــــــدان والارحـــــــــــــــام ٣٤٧
دال: الدولـــة ٣٥٠
بصـــائر الآيات ٣٥١
فقـــــــــــــــــــــــــــــه الآيـــــــــــــــــــــــــــــات ٣٥٢

الباب الثالث: الـذريــة ٣٥٣

الفصـل الأول: المـودة اسـاس العلاقـات الاجتماعيـة ٣٥٥
مـــــــــــــــــــــــــــاهي المـــــــــــــــــــــــــــودة ٣٥٥

حقـــــــــــــــــــــــــائق المـــــــــــــــــــــــــــــــودة
.....
٣٥٦
المـــــــــــــــــــودة ســـــــــــــــــنة وقيمـــــــــــــــــــــة
.....
٣٥٦
المـــــــــــودة بـــــــــــين محـــــــــــوري الحـــــــــــق والباطـــــــــــل
..... ٣٥٧
بصـــــــــــــــــــــــــائر الآيـــــــــــــــــــــــــــــات
.....
٣٥٨
فقـــــــــــــــــــــــــــه الآيـــــــــــــــــــــــــــــات
.....
٣٥٨
الفصل الثاني: علاقة المؤمنين ببعضهم ٣٦٠
بصـــــــــــــــــــــــــائر الآيـــــــــــــــــــــــــــــات
.....
٣٦٢
فقـــــــــــــــــــــــــــه الآيـــــــــــــــــــــــــــــات
.....
٣٦٣
الفصل الثالث: صلة الرحم ٣٩٢

بصـــــــــــــــــــــــــائر الآيـــــــــــــــــــــــــــــات
.....
٣٩٥
فقـــــــــــــــــــــــــــه الآيـــــــــــــــــــــــــــــات
.....
٣٩٥
فـــــــــــــــــي رحـــــــــــــــــاب الأحاديـــــــــــــــــث
..... ٤٠٥
الفصل الرابع: القيمومة ٤٠٨
معنـــــــــــــــــــــــــى القيـــــــــــــــــــــــــام
.....
٤٠٩ .
دعـــــــــــــــــائم المجتمـــــــــــــــــع البشـــــــــــــــــري
..... ٤١٠
اولاً: العقـــل
.....
٤١٠ .
ثانيـــــــــــــــــــــــــــاً: التوحيـــــــــــــــــــــــــــــــــد
.....
٤١٠
ثالثـــــــــــــــــــــــــــاً: الكتـــــــــــــــــــــــــــــــــاب
.....
٤١١

رابعـــــــــــــــاً: القوامـــــــــــــــون بالقســـــــــــــــط
..... ٤١١
خامســـــــــــــــــــاً: المـــــــــــــــــــال
.....
٤١٣
سادســـــــــــــــــــاً: الكعبـــــــــــــــــــة
.....
٤١٤
ســـــــــــــــابعاً: تنظـــــــــــــــيم الشـــــــــــــــهور
..... ٤١٤
ثامنـــــــــــــــــــاً: الأســـــــــــــــــــرة
.....
٤١٤
تاســـــــــــــــعاً: ركـــــــــــــــائز القيمومـــــــــــــــة
..... ٤١٥
فقـــــــــــــــــــه الآيـــــــــــــــــــات
.....
٤١٥
بصـــــــــــــــــــائر الآيـــــــــــــــــــات
.....
٤٣٨
الفصل الخامس: البنون ٤٤٠

البنـــــــــــــــــــــــــــــــون زينـــة
.....
٤٤٠
بصـــــــــــــــــــــــــــــــــائر الآيـــات
.....
٤٤٦
فقـــــــــــــــــــــــــــــــــــه الآيـــات
.....
٤٤٧
الفصل السادس: الذرية ٤٦١
زينـــــــــــــــــــــــــــــــــــة الحيـــاة
.....
٤٦١
حيـــــــــــاة الولـــــــــــد مـــــــــــن مســـــــــــؤولية الوالـــــــــــدين
..... ٤٦٤
الاولاد فتنـــة
.....
٤٦٥
الاولاد لايغنـــون
.....
٤٦٨
لـــــــــــــــــــــيس مـــــــــــــــــــــن أهلـــك
.....
٤٦٩

فقـــــــــــــــــــــــــه الآيـــــــــــــــــــــــــات
....
٤٧٠
فـــــــــــــــــي رحـــــــــــــــاب الأحاديـــــــــــــــــث
.... ٤٧٦
المصـــادر
....
..... ٤٧٨
الفهـــرس
....
...... ٤٨١